روايات الهلال

جامع الفراشات

جون فاولز



روايات الهلال

Rewayat Al Hilal



سلسلة
شهرية
لنشر
القصص
العالمي

تصدر عن
مؤسسة دار الهلال



رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

نائب رئيس مجلس الإدارة
عبدالحميد حمروش

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

سكرتير التحرير
محمود قاسم



ثمن النسخة

[redacted] ، البحرين ١,٥ دينار ، قطر ١٥ ريال ، الامارات العربية ١٥ درهم ، سلطنة عمان ١,٥ ريال .

العدد ٥٢٤

اغسطس ١٩٩٢ ● صفر ١٤١٣ هـ
No. 524-AU-1992

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى ٢٥ جنيها فى ج . م . ع . تسدد مقدما نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية ـ البلاد العربية ٢٥ دولارا ـ أمريكا وأوربا وآسيا وأفريقيا ٣٠ دولارا ـ باقى دول العالم ٤٠ دولارا .

القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال .. ويرجى عدم ارسال عملات نقدية بالبريد .

للاشتراك فى الكويت : السيد عبدالعال بسيونى زغلول : الصفا ص . ب ٢١٨٣٣ (13079) ت : ٤٧٤١١٦٤

الادارة : القاهرة ـ ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا) ت : ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط) المكاتبات : ص . ب : ٦١ العتبة ـ القاهرة ـ الرقم البريدى ١١٥١١ ـ تلغرافيا : المصور ـ القاهرة ج . م . ع .

تلكس : TELEX 92703 hilal u n

فاكس : FAX 3625469

جامع الفراشات

بقلم

جون فاولز

ترجمة :

عبد الحميد فهمى الجمال



دار الهلال

الغلاف بريشة

الفنانة : سميحة حسنين

قبل أن تقرأ

تتناول رواية « جامع الفراشات » قصة موظف كتابى يكسب مبلغ ٧٣ ألف جنيه استرلينى فى مقامرة على مباراة لكرة القدم . وبعدئذ يقوم باختطاف طالبة فى كلية الفنون الجميلة ويسجنها فى البدروم بمنزله إلى أن تلفظ أنفاسها الأخيرة وتموت . وهذا الموظف الكتابى ليس له أصدقاء على الاطلاق وليست لديه مشاعر عميقة وقوية إزاء أى شىء . كما تنقصه روح الفكاهة والمداعبة علاوة على أنه لا يبدى أية قوى جنسية . كما أن لغته تتسم بأنها لغة جافة ومبتذلة علاوة على أنه قد حصل على قسط من التعليم الردىء بالمدراس مما جعل أفكاره تافهة وجعله غير قادر على ادراك أىّ شىء يقع إلى ما وراء نزواته . وهو لم يسبق له أن قام بالادلاء بصوته فى الانتخابات كما لم يسبق له أن مارس الجنس على الاطلاق علاوة على أنه لم يسبق له أن عاش بعيدا عن منزله باستثناء الفترة التى أمضاها فى الخدمة العسكرية . وهو لديه فكرة سيئة للغاية عن نفسه مما جعله لا يحاول الارتقاء بنفسه أخلاقيا أو ثقافيا أو روحيا .

وانطلاقا من هذه الفكرة البسطية نجد أن چون فاولز يصور لنا فى رواية « جامع الفراشات » التى تعتبر من أفضل الروايات التى ظهرت فى الأدب الحديث جوانب الرجل الذى يتسم بالشخصية الضعيفة . فهو يصف لنا ضعف فرديناند كليج وتأثير ذلك على الناس الآخرين ويتناول الحقائق التاريخية والسيكولوچية التى أدت إلى ظهور هذا الضعف فى شخصية كليج . فهو ليس لديه ما يقدمه للآخرين وذهنه يخلو من أية معلومات مفيدة .

وبمجرد أن يتمكن كليج من إلقاء القبض على ميراندا يبدأ القارىء فى الخوف عليها وتتحقق أسوأ المخاوف لدى القارىء ..

ويحتفظ كليج بميراندا لمجرد الاحتفاظ بها أسيرة لديه . وهو يرغب فى مدّ فترة بقائها فى السجن إلى أطول فترة ممكنة . وتسير الأحداث بعد ذلك فى سلاسة بدون اقحام للنتائج .

ولذلك كانت الرويات المشهورة مثل رواية « روبنصون كروزو » ورواية « آلهة الذباب » لاتبتعد عن الواقعية فاننا نجد أيضاً أن رواية « جامع الفراشات » تحقق النجاح بسبب الرؤية الواردة بها وبسبب صدقها ازاء الدوافع البشرية علاوة على ما تتميز به من تكنيك قصصى بارع .

وتشير رواية « جامع الفراشات » إلى حقيقة احصائية وبيولوچية وهى أن الناس الخلاقين المبدعين المتميزين يكونون دائما أقل عددا من الناس الآخرين الخاملين الذين تنقصهم الرغبة فى الانتاج وانجاز الأعمال . ومن هنا تشكل الأكثرية العددية ضغوطها على الأقلية . وفى هذا الصدد يقول چون ڤاولز : « إن ما أحاول قوله فى رواية « جامع الفراشات » هو أنه فى المجتمعات التى تسيطر عليها الأكثرية العددية من الناس نجد أن الأقلية العددية تتعرض لأخطار الاختناق على أيدى الأكثرية . وهذا هو السبب فى أن الأكثرية تبدو دائما مثل طاغية رهيب مستبدّ » .

ويعتقد چون فاولز أن التصدع البيولوچى القوى بين الأقلية والأكثرية هو تصدع يتجاوز الحدود التى أشار اليها هراقليطوسى . فهناك قوى وعوامل مثل الفرصة والوراثة والبيئة تدعّم هذا التصدّع . وغالبا لا يكون بمقدور المرء أن يختار ما بين الانتماء للأقلية أو الأكثرية. بل ولا تكون هناك دائما فروق واضحة تحدّد المعالم ما بين الأقلية والأكثرية . فكل شخص توجد فى داخل كيانه صفات تتعلق بكل من الأكثرية والأقلية .. ومن هنا نجد أن كلا من كليج وميراندا يظهر فى بعض الأحيان – على الرغم من أنهما لم يتبادلا الأدوار على الاطلاق – خصائص مميزة أكثر للموقف المضاد من الموقف الخاص بهما . وهناك تَعَمُّد فى فى إظهار عدم

التوافق هذا لأنه من شأنه أن يعطى طابعا إنسانيا للصدام بين كليج وميراندا علاوة على أنه يعطى لأحداث الرواية طابعا أخلاقيا واقعيا .

ورغم أن كليج ليس من العمال الذين يعملون فى المصانع إلاَّ أنه ينتمى للطبقة العاملة وبالتالى فهو يقع فى بعض الأخطاء التى تقع فيها عادة الطبقة العاملة . فهو يشعر بالاستياء إزاء الناس الذين يتمتعون بقدر أكبر من التعليم أو الأموال . وهو أيضاً لا يستخدم الحرية الممنوحة له استخداما جيدا . وهو عندما يكسب أموالاً طائلة من المقامرة فإن الأموال تحرره من أعباء الوظيفة التى كان يشغلها ولكن الأموال تستخرج من داخل كيانه أسوأ الخصال والصفات التى كانت كامنة فى داخله ... ونجد أن وعيه بالطبقة التى ينتمى اليها يفسد عليه استمتاعه لدى ذهابه إلى أحد المطاعم الفاخرة فى لندن عندما يذهب إلى هناك لكى يحتفل بمناسبة فوزه فى المقامرة على كرة القدم . ولكى يرفع من روحه المعنوية فإنه يذهب إلى مومس ولكنه يشعر بعجزه وعدم مقدرته على ممارسة الجنس بل ويشعر بالمزيد من الاكتئاب . وتجتاح كيانه التأثيرات المفسدة الناجمة عن كثرة الأموال لديه ثم يترك وظيفته نهائيا ويقطع كل روابطه وعلاقاته الشخصية وبعدئذ يقوم بشراء كاميرا لها عدسات تمكنه من التصوير من مسافات بعيدة ويستخدمها فى تصوير لقطات تتسم بالإثارة الجنسية . ويشعر بالنقص الشديد من حيث النواحى الاجتماعية والجنسية . وتبدو عليه التنفجية بشكل واضح - والتنفجية هى مشاعر الكراهية للناس الذين هم أدنى منه إجتماعيا وثقافيا مع التطلع والتشبه بالناس الذين هم أعلى منه من حيث الطبقة الاجتماعية - وبعدئذ يقوم بخطف ميراندا .

ولا شيء من الأعمال التى يقوم بها تتميز بالحرية . وما يريده يتصارع دائما مع ما يفعله . وهو يجد نفسه دائما يقف ضد رغباته واهتماماته ومباهجه . وهو لا يفهم أبداً سلوكه فهما جيدا وعلى نحو يعينه على تغيير سلوكه . فهو كان قد رغب فى الحصول على منزل جديد ومع ذلك نجده يشترى منزلا قديماً . وهو يقول لميراندا « إنه على استعداد لأن يفعل أىّ شيء من أجل التعرف على جوانب

شخصيتها وادخال السرور عليها ومن أجل أن يصبح صديقاً لها »ومع ذلك فإن احتجازها عنده يحطم كل هذه الآمال . وهو منذ البداية يعتبر واقعا فى الفخّ : فأى شىء يفعله يتضح له أنه عمل خاطىء .. وهذا الفشل يظهر بوضوح فى أول محادثة له مع ميراندا . وهو يستعيد الأحداث قائلا : « لقد كان ذهنى سريعا ومعقدا تماما فى ذلك الصباح »ولكنه يتعرض بسهولة للتكدير والانزعاج للهزائم المتكررة حيث يقول فى الصفحة التالية « وكنت أدرك أن ما قلته كان مشوشا ومتسما بالاضطراب » . وحقيقة أن ميراندا التى تعرضت للتخدير والاختطاف أخيرا أصبحت تعانى من المرض والصدمة النفسية تزيد من شعور كليج باحتقاره لذاته مما يجعله ينكمش فى ذعر وألم بسرعة كبيرة .

فرديناند كليج قد انعزل تماما عن المجتمع لفترة طويلة حتى أنه عندما يشاهد فتاة جميلة يشعر بالخجل والارتباك وبعدئذ يقوم بقتلها . فهو ينقصه الرضا عن النفس وينقصه الذكاء والمعلومات اللازمة لإقامة علاقات انسانية سوية . وهو نتاج نجم عن الرأسمالية حيث يصرخ بصوت عال قائلا لميراندا « اذكرى لى الأشياء التى تريدينها . فأنا على استعداد لأن أشترى لك أىّ شىء »وكلامه يدل على أنه يؤمن تماما بأن النقود هى التى تحلّ جميع المشاكل. فنقوده قد خلقت مجتمعا كاملا متقناً . إذ يلبى كل احتياجاته ولا وزن ولا أهمية لرأى أىّ فرد آخر . ولكنه هو وميراندا يشعران بالضيق والضجر إلى أبعد الحدود لأن المجتمع الخاص به هو مجتمع غير طبيعى . وبوجه عام لا تشكل رواية « جامع الفراشات » هجوما على الرأسمالية . فالتنوع والراحة اللذان ينجمان عن وفرة النقود لهما تأثير وأهمية كبيرة إلاّ أنه ينبغى اقتسامهما مع الآخرين وعدم اكتنازهما .

والخلفية الاجتماعية لكليج تدل على أنه ليس مسئولا مسئولية كاملة عن جرائمه . فلا شىء من بين القوى والعوامل التى دفعته لاختطاف ميراندا قد جعله مستعداً لكى يتعامل معها . بل إن معظم هذه العوامل هى عوامل تقع بالفعل خارج نطاق سيطرته . مثل جيناته الموروثة وطبقته الاجتماعية وتعليمه الردىء . وهو يعانى

ما يسميه جون فاولز بـ « عقد النقص أو شعور المرء بأنه عديم الأهمية Pawn Complex » . فهو ليس لديه احساس بالأهمية وفرديته معرضة للتهديد . وفى رواية « أرستوس » نجد أن جون فوليس قد أطلق على هذا النوع من الشعور بالقلق إسم النيمو Nemo أو « شعور المرء بأنه نكرة وعديم الأهمية وتافه للغاية » وينجم عن هذا قيام المرء بمقارنة نفسه بالآخرين على نحو سلبى وضار . والضغوط الاجتماعية التى تمارس بمعرفة النيمو قد حطمت الدور الذى يقوم به كليج من حيث هو مكتشف أو مغامر . وتعمق هذا الاتجاه فى كيان كليج منذ عام ١٩٤٥ فأصبح إنسانا ضعيف الشخصية ولا يعرف كيف يتلاءم مع العمق أو التفرّد مما جعله فى نهاية الأمر شخصا سخيفا للغاية .

ومن العوامل التى جعلته قزما منكمشا ذلك المنزل الذى نشأ وتربى فيه .. فهو منذ أن كان ولدا صغيرا نشأ فى بيت لا يوجد به رجل بحيث يمكن له أن يتخذ منه مثلا أعلى يحتذيه أو يتواءم معه . وعدم توافر هذا النفوذ الصحى فى داخل بيته قد جعل منه إنسانا ملتويا غير سوى وخاصة بالنسبة لاتجاهاته نحو النساء . وهو يشعر بالاستياء نحو خالته أنىّ ونحو ابنتها المعوقة التى تسمى مابيل بسبب تملقها السخيف له على نحو غير طبيعى . كما يشعر أيضا بالاستياء من والدته بسبب نزوعها إلى حياة التشرّد والعيش فى أماكن مختلفة كما أنه يتعلم كيف يستاء من الناس الطيبين وهو أمر ناجم عن الروابط الضعيفة التى تربط أفراد أسرته بالكنيسة ولذلك نجده عقب ارساله لخالته وبنت خالته إلى استراليا يصبح متفرغا لكى يصب غضبه الهائل الاجتماعى والجنسى على ميراندا .

وهو يقول لميراندا أنه لم يتعرض للعقاب أبداً عندما كان تلميذا بالمدرسة وهو دائما ما يتخذ طابع الشخص البائس الحقير . ومع ذلك فإن الشيء الوحيد الذى جعله مقبولاً بعض الشيء كطفل وكشاب صغير هـو الغموض الخاص به ... وتبذل ميراندا محاولات ولكنها لا تستطيع أن تجعله يرتفع فوق عقليته المتسمة بطابع القذارة والرذيلة . فهو لا يستطيع أن يتوافق مع شخصيتها المتفردة من

حيث هى إنسانة ومن حيث هى عقلية ووسيلة للاتصالات . فجمالها الآسر الجذاب يصيبه بالارتباك والحيرة فى بادىء الأمر ثم يفجر مشاعر الغضب فى داخله فيما بعد . وكان احتقاره لنفسه هو الذى يسدّ قنوات الاتصال معها وربما كان خوفها الباثولوجى من الجنس ينبع من الطبيعة الديمقراطية للجنس حيث نجد أنه عندما عرضت ميراندا نفسها عليه لكى يمارس معها الجنس فإن ذلك قد أدى إلى حدوث تصدّع كبير بينهما مما أدى بالتالى إلى اتساع الفجوة بينهما تماما . وتتدهور العلاقة بينهما للغاية عقب حدوث هذه الواقعة : حيث تتصادم الدوافع على نحو مكشوف وصريح وتتصاعد العداوات ثم تموت ميراندا فى فترة تقل عن شهر واحد .

لقد كانت الوسيلة الوحيدة التى تعينها على البقاء على قيد الحياة هى أن تتصرف وتسلك مثل احدى الفراشات المسجونة مع مجموعة الفراشات الخاصة به .

وتقليله من النواحى الانسانية الخاصة بها وتحويلها إلى مجرد شىء يخلو من الطابع الانسانى ينطوى على معنى سياسى . فكلما يقول چون ڤاولز فى روايته « أرستوس » فإن أىّ حرية ينبغى أن تحترم الحريات الأخرى : « إن جميع أنواع التشويه لحقوق الاختيار التى من شأنها أن تجعل الفرد سعيداً ... هو أمر يتسم أساساً بالشمولية والاستبداد » . وكليج لا يسمح لميراندا باختيار نوعية حياتها ناهيك عن اختيارها للمباهج والملذات الخاصة بها .. وعزله إياها عن العالم الخارجى يعتبر بمثابة الرقابة المطلقة التى توجد فى الدولة الفاشستية .... وفى المرة الوحيدة التى تقوم فيها بالقاء نظرة على مجموعة الفراشات الخاصة به فإنها تؤنبه وتوبخه قائلة له .. بل إنك لا تدع أىّ شخص آخر يشارك معك فى دراسة هذه الفراشات والاستمتاع بالنظر اليها . فأنت مثل شخص بخيل لأنك تدخر وتكتنز كل هذا الجمال وتضعه فى هذه الأدراج » وچون ڤاولز يؤمن تماما بأن القيم الانسانية تنبع من التوتر المضاد . ولذلك عندما يقوم كليج بحرمان ميراندا من تعايش مبدئين متعارضين جنبا إلى جنب فى آن واحد وهو التعايش اللازم للحياة السوية الطبيعية

... فإننا نجد أن إرادته هذه قد خلقت دائرة مغلقة يتعذر على أى شىء إنسانى اختراقها . فهو بذلك قد جعل من نفسه المخلوق الحساس الوحيد الموجود فى داخل دولته الكاملة المتقنة . ولأن لديه كل شىء فإن الاحتياج لا وجود له . ولأنه إنسان أنانى وانعزالى وغير نزاع إلى الاختلاط بالآخرين فإننا نجد أن مملكته أو دنياه ليس بها مجتمع أو سياسات . فارادته لها الطابع الشمولى المطلق ونهايته هى بدايته . فاللحظات الأولى لميراندا كأسيرة عنده تشبه اللحظات الأخيرة لها فهى إنسانة مستلقية على سرير خفيف نقالى بينما انفاسها لاهثة ومتلاحقة . وعلى نحو حتمى نجد أن كليج يبحث عن فتاة أخرى لكى تحلّ محل ميراندا عقب وفاتها . وعندما يعرف أن الفتاة التى ستحل محلّ ميراندا تسمى « ماريان » فإنه يقول لنفسه « إنها م . أخرى وماريان هذه هى أقل ذكاء من ميراندا وأقل مقدرة على تعليم كليج بل وأقل تلاؤما مع الحياة كسجينة .

وعلى الرغم من الفوارق بينهما نجد أن الفتاتين تتعرضان لنفس المصير الأسود . فالاستبداد والفكر الشمولى لا يحترم الفوارق البشرية أو التفرّد الانسانى بل إن نجاح الاستبداد يعتمد أساسا على محو وإلغاء الفوارق . فالاستبداد لا يمكنه أن يتسامح مع التفرّد ولا يمكن لأى دولة تقوم على نظام الحزب الواحد أن تظل على قيْد الحياة إذا سمحت بتوجيه الاستجواب لأهدافها وطرائقها ومناهجها . وتسقط ميراندا ضحية لنفس الضوابط التى تمارس بمعرفة الدولة البوليسية .

ونظرا لأن كليج قد وضع الترتيبات لنفسه لكى يقوم بدور السجان والقاضى ومنفذ أحكام الإعدام فإنه بذلك يغلق كال الحلول الممكنة المتعلقة بالتفاوض معه . وهو بذلك يعبر تعبيرا دقيقا عن اللاتصالات . وهو عقب انتقاله إلى منزله يقطع خط التليفون بمنزله ويغلق جميع الأبواب والبوابات بالقفل ويطرد القسيس المحلى فى وقاحة شديدة . وقبل إلقائه القبض على ميراندا كان يرغب فى أن يرسل إليها ورقتين من فئة الخمسة جنيهات بدون أن يذكر اسمه كمرسل لهذه النقود ولكنه لم ينفذ ذلك . وعقب إلقاء القبض عليه فإنه يرفض ابلاغ والديها بأنها مازالت على

قيد الحياة ويرفض توفير راديو أو تليفزيون أو صحف أو مجلات ويكذب عليها بشأن قيامه بارسال مائة جنيه كتبرع « لهيئة نزع السلاح النووى » وهو يفشل إزاء النواحى الجنسية فى حين أنه لم يتخاذل أو يضعف أبداً إزاء الروتين الذى يقوم به دائما والمتعلق بإغلاق وفتح أبواب زنزانة ميراندا أثناء الزيارات التى يقوم بها بل والأغرب من ذلك أنه يقوم بإغلاق الباب عليها بالترباس حتى عقب وفاتها . فأىّ شيء من شأنه أن يضع الحواجز بين الناس يلقى كل الترحيب منه .. ونفوذ كليج وسيطرته على ميراندا هو نفوذ شامل للغاية حتى أنه يحرم ميراندا من النواحى الطبيعية مثل حرمانها من استنشاق الهواء الطلق والتعرض لأشعة الشمس ، وهما أمران ضروريان من أجل الكائنات الحية . وهذا النفوذ الشامل فى حدّ ذاته يحطم المتعة لدى كليج لأن حريته وراحته العامة تتضاءلان تدريجيا كلما تزايد حجم نفوذه الشامل . فالنفوذ الشامل يخفف من حدة سيطرته على حقائق الحياة .

وعلى نحو مضاد لما يهدف اليه نجد أن الحالة البوليسية التى يفرضها كليج من خلال سلب حقوق ميراندا تسبب الاعاقة له وهو القائم بدور الطاغية أكثر من ميراندا . ولأنها تقاومه فإنه يجب أن يكبح جماحها . ونتيجة لذلك فإنه يحرم نفسه من مصدر حىّ للقيم الانسانية . فبدلا من أن يتعامل معها فى صراحة نجده يلجأ إلى الكذب وهو اما أن يغير موضوع الحديث أو ينصرف بعيداً عنها كلما أثارت موضوع الحرية الخاصة بها . وكل الحلات الطارئة المتعلقة بصحتها تنجم عنها نفس ردود الفعل – ألا وهو عدم اتخاذه أى إجراء . وهذا هو نفس موقف الفاشستية الحديثة . فهو بذك يدمرها بدلاً من أن يقوم بمراجعة على العقيدة الخاصة به . ومن هنا يمكن القول إنه يتخذ طابع السجين أكثر منها .... ومرة أخرى نقول إن هذا الانكار أو الرفض للتفاعل ، بين ميراندا وكليج يجعل حياتهما سويا بمثابة دائرة مغلقة . فلا شيء جديد يمكن أن ينجم عن لقائهما مع بعضهما البعض . والفشل الجنسى لدى كليج هو نتيجة طبيعية ومنطقية لانحرافه التدريجى نحو الموت الخاص به . فممارسة الجنس الذى هو أمر طبيعى يشارك فيه جميع

الناس هو أمر غير متاح بالنسبة له وبالتالى يمكن القول إنه غير قادر على إجراء أية اتصالات سواء أكانت اتصالات ذهنية أو حسية وبذلك نجد أن العنف وعدم اتخاذ إجراء عملى هما فقط بمثابة ردود الفعل المتاحة أمامه . ولذلك فقد قيل عن رواية « جامع الفراشات » إن بها منطقا صارما . فالطابع الانسانى لدى ميراندا يظل يتدفق فى تفجّر وانتشار بحثا عن اتصالات دافئة . ونظرا لأن هذه التفجرات والتدفقات تتعارض مع رغبات كليج فإنه لا يكون أمامه سوى أن يقتلها .

ولقد أشار چون ڤاولز فى عام ١٩٧٠ إلى أخطار النظام الشمولى الاستبدادى القائم على الجمْع أو السيطرة على الأفكار حيث قال « إن أى شخص لا يقوم بجمع (أى يقوم بقتل) مجال من مجالات الحياة الحية لمجرد المتعة أو الغرور تكون لديه كل الخصال التى يتميز بها قائد معسكرات الاعتقال » وبعدئذ نجد أن چون ڤاولز يسمى عملية الجمع أو السيطرة على الأفكار بأنها هواية « متسمة بالنرجسية والطفيلية » ولذلك فإن القتل والجمع وممارسة النفوذ يكون دائما مستمرا وقابلاً للتبادل بمعنى أنه يمكن وضع أحدهما أو استعماله فى مكان الآخر .

وكليج ومجموعة الفراشات الخاصة به يلوثان التراث البريطانى . فهو يتلف « بيته القديم المحبب للنفس » من خلال استخدامه لديكورات شنيعة وأثاث بشع . وهنا تقول له ميراندا أىّ منزل قديم مثل منزلك هنا يكون له روح أو نفس » وذلك بعد أن تضايقت لدى رؤيتها أثاث وتجهيزات المنزل المبهرجة الخالية من الذوق الفنى السليم . إن كليج يدنس ويشوه التراث من خلال قيامه بإغلاق منزل من المنازل الأثرية القديمة التى تعتبر جزءا من التراث علاوة على تحويله المحراب الخاص بهذا المنزل إلى سجن .

ولكن لماذا ينبغى عليه أن يقلق إزاء تحطيم التراث ؟ وما الذى فعله التراث له لكى يرغب فى حمايته ؟ وهو لم يتعلم احترام القانون لأن القانون لم يحترمه بالقدر الكافى وعلى النحو الذى يسمح بتعليمه بطريقة سليمة . ومشكلته هى مشكلة عالمية .

فالمساواة الاجتماعية والعدالة لا يمكن لهما أن ينبعا من الممتلكات المادية . فالأمر يستلزم أولاً وقبل كل شيء حدوث إصلاح في مجال التعليم .

والمواجهة التي حدثت بين ميراندا وكليج توضح لنا بالتفصيل الحاجة إلى ضرورة حدوث إصلاح في مجال التعليم . فكون المرء ينتمي إلى الأقلية ينبغي ألا يؤدي إلى التعالي بقدر ما يؤدي إلى الشعور بالمسئولية إزاء ضرورة تعليم ومساعدة الأكثرية . وموتها المادي وكذلك موته المعنوي يعبران عن الصعوبة التي تكتنف الاستفادة من المسئولية . وأقوال ميراندا تعبّر عن الاعتراضات ذات الطابع الانساني التي يسوقها جون ڤاولز كما تعبر عن اهتمام جون ڤاولز الشديد بضرورة تحقيق الاصلاح التعليمي .

ويقوم جون ڤاولز بادخال مذكرات ميراندا (الجزء الثاني) عقب تعرضها لنوبة من البرد . ويستمر الجزء الثاني إلى حلول الوقت الذي تصاب فيه بالهذيان . ولا توجد فترة زمنية تفصل بين الجزء الأول وبين نهاية الجزء الثاني وبداية الجزء الثالث حيث يستأنف صوت كليج الكلام مرة أخرى . والفوارق في الأسلوب بين الاثنين هي فوارق مذهلة .فأسلوب كليج يتميز بأنه حاد وأجوف وتقليدي . أما أسلوب ميراندا فإنه يعبر عن طبيعتها الفنية علاوة على روح الودّ والرغبة في الاختلاط مع الآخرين ، وأسلوبها يشع بالألوان والأصوات وهي تستخدم لغة شبيهة بلغة الرسم والطلاء بالألوان على لوحة استكشاف . وعباراتها الغنائية تتماسك من خلال ترابط متسم بالحرية . وهي أحيانا تستخدم فقرات تتكون من كلمة واحدة .

على الرغم من أن مذكراتها تكرر نفس الأحداث التي رواها كليج إلاّ أنه لا يمكن لنا أن نعيب عليها التكرار فمذكراتها لا تقحم معلومات أخبارية والهدف الرئيسي من ورائها هو وصف مدى ابتذال وتفاهة الحياة في داخل السجن علاوة على وصف ردود الفعل الخلاقة لديها والناجمة عن استبعادها .فكليج لم يقم بسجن ذهنها علاوة على سجن جسدها . وهو في هذا الصدد يقول : كان الأمر يبدو وكأننا الشخصان الوحيدان في العالم » ولكن مذكراتها تبرهن على أنه على خطأ . فهي

تقضى وقتا طويلا فى مناقشة چورچ ستون أو P.T. فى حين أن كليج لا يتنافس مع أحد سواها . والكلام المدون المكرس من أجل P.T. يوضح لنا أنها لديها حياة لا يستطيع كليج أن يلمسها أو يقترب منها فهو بدلاً من أن يتمكن من تقريبها إلى نفسه فى حبٍّ ومودة نجد أن استبعاده لها قد أتى بنتيجة عكسية حيث زاد ذلك من تعاظم وعيها وإحساسها بباستون . والكلام المُدوَّن الذى كتبته عن كليج يتسم معظمه بالإيجاز والاقتضاب والتقطع والواقعية الجامدة فى حين أن الكلام الذى دونته عن باستون يتسم بطابع التأمل الخلاق والاسهاب والتعبير عن شخصيتها ... بل وفى بعض الأحيان نجد أنها تبدأ بالكلام عن مناقشة شخصية كليج ولكن الفقرة تنتهى بالكلام عن باستون .

وعندما سئل چون ڤاولز عما إذا كانت لديه فى ذهنه صورة معينة عن العالم يريد تعميقها وإلقاء الضوء عليها من خلال رواياته ومؤلفاته فإنه قال :

« نعم . إنها الحرية . كيف يمكن للمرء أن يحقق الحرية . فهذا الأمر يشغل ذهنى باستمرار وجميع مؤلفاتى تدور حول الحرية . والمسألة هى : هل توجد هناك حرية إرادة بالفعل ؟ وهل نحن لدينا حرية اختيار بالفعل ؟ وهل يمكن لنا أن نتصرف ونسلك فى حرية ؟ هل يمكن لنا أن نختار بين الأمور ؟ وكيف يمكن لنا أن نفعل ذلك ؟ » .

الفصل الأول

عندما كانت تعود من المدرسة الداخلية الخاصة بها إلى منزلها اعتدت أن أشاهدها في بعض الأحيان في كل يوم تقريبا لأن منزلهم كان يقع أمام ملحق دار البلدية مباشرة . فقد اعتادت هي وأختها أن تدخلا إلى منزلهما وتخرجا منه مرات عديدة برفقة شباب في معظم الأحيان وهو أمر لم أكن أشعر بالارتياح نحوه بالطبع . وعندما تكون لديّ لحظات شاغرة بعيداً عن الملفات والدفاتر وسجلات الحسابات الجارية كنت أقف عند النافذة مع الاعتياد على النظر لأسفل إلى الطريق ومن خلال الصقيع مما كان يمكنني أحيانا من مشاهدتها . وفي المساء أشرت إليها في المفكرة اليومية الخاصة بي بأن وضعت علامة X وبعدئذ أشرت إليها بحرف M بعد أن عرفت إسمها . ولقد شاهدتها مرات عديدة بالخارج أيضا وذات مرة وقفت وراءها مباشرة في طابور المنتظرين في المكتبة العامة بشارع كروسفيلد . وهي لم تنظر إليّ ولو مرة واحدة على الاطلاق ولكنني شاهدت الجزء الخلفي من رأسها عن كثب ورأيت شعرها المضفر في ضفيرة واحدة طويلة . كان شعرها يميل إلى اللون الأصفر الفاتح وكان حريريا مثل شرنقات بيرنيت Bernet . كل الشعر على هيئة ضفيرة واحدة تهبط لأسفل حتى خصرها تقريبا . وفي بعض الأحيان تكون الضفيرة ملقاة أمامها وأحيانا أخرى تكون مسدلة على ظهرها . وفي مرة واحدة فقط وقبل أن تصبح ضيفتي هنا استمتعت بمشاهدة شعرها وهو منساب وكان جميلا للغاية وشبيها بشعر عروس البحر حتى أنني شعرت أن أنفاسي لاهثة ومتقطعة .

وفى مـرة أخـرى عندمـا انطلقت فى أجـازة يوم من أيام السـبت إلى متحف التاريخ الطبيعي فإننى رجعتُ على نفس القطار . كانت تجلس على مسافة ثلاثة مقاعد منىّ وعلى جانب . وكانت تقرأ فى كتاب مما مكننى من مشاهدتها ومراقبتها على مدى ٣٥ دقيقة . ومشاهدتى لها باستمرار جعلتنى أشعر وكأننى أصطاد شيئا نادراً وأتقدم نحوه فى حرص شديد وقلبى فى فمى كما يقولون . لون « أصفر شاحب ومعتم » على سبيل المثال . دائما ما فكرتُ فيها على ذلك النحو .

فى السـنة التى كانت هى لاتزال بالمدرسة لم أكن أعرف مَنْ تكون هى . لم أكن أعرف أية معلومات بخلاف أن والدها هو الدكتور جراى . علاوة على بعض الكلام الذى سمعته عرضا ذات مرة فى اجتماع قسم الحشرات عن أن والدتها كانت تحتسى الخمور بكميات كبيرة . ولقد سمعتُ والدتها ذات يوم تتحدث فى دكان وكان لها صوت متكبر فى عجرفة وكانت تبدو من النوع الذى يحتسى الخمور إلى درجة السُكر كما كانت تضع الكثير من المكياچ فى وجهها .. إلخ .

وبعـدئذ نُشر عنها ذلك الخبر الصـغير فى الجـريدة المحلية والذى أشار إلى المنحة الدراسية التى حصلت عليها كما أشار إلى ذكائها وتفوقها وكان إسمها جميلاً تماما مثلها . كانت تسمى ميراندا Miranda . لذلك أدركت أنها كانت طالبة بجامعة لندن تدرس الفنون . وحقيقة الأمر أن تلك المقالة التى وردت بالجريدة المحلية قد أحدثت تأثيرا علىّ . إذ بدا لى الأمر وكأننا أصبحنا أكثر صداقة عن ذى قبل رغم أننا بالطبع لم نكن حتى ذلك الوقت نعرف بعضنا البعض بالطريقة العادية .

لا أستطيع أن أقول ماذا دهانى عندما رأيتها لأول مرة ولكننى أدركت أنها الإنسانة الوحيدة فى هذا الكون . وأنا بالطبع لست مجنونا ولكننى كنت

أدرك أن المسألة ليست سوي حلم وكان الأمر سيظل دائما مجرد حلم لو لم تتدخل النقود فى الأحداث . لقد اعتدتُ أن أعيش فى أحلام يقظة تتعلق بها واعتدت أن أفكر فى قصص وروايات تتناول مقابلتى لها وإتيانى بأعمال وأفعال تثير إعجابها بل وتتناول زواجى منها وغير ذلك من الأمور . لم يكن هناك أى شئ ردئ على الاطلاق حتى حلول تلك المرحلة التى سأوضحها لكم فيما بعد .

كانت هى ترسم اللوحات الفنية وكنت أنا أرعى مجموعتى وأهتم بها (فى أحلامى) وكانت هى دائما تحبنى وتحب مجموعتى حيث كانت تقوم برسم مجموعتى وتلوينها بالألوان . وكنا نعمل سويا فى منزل حديث جميل وفى غرفة ضخمة لها إحدى تلك النوافذ الزجاجية الهائلة . بل وكانت تتم اجتماعات قسم الحشرات هنالك مما جعلنا بمثابة المضيف والمضيفة المحبوبين بحيث كان يتم التغاضى وعدم قول أي شئ فى حالة ارتكابى لبعض الأخطاء . وكانت هى آية فى الجمال والفتنة بشعرها الأشقر الشاحب وبعينيها الرماديتين وبالطبع كان جميع الرجال الآخرين ممتقعى اللون .

والمرات الوحيدة التى لم أشهد فيها أحلاما جميلة تتعلق بها هى تلك المرات التى شاهدتها فيها مع شاب معين وهو شاب مبهرج كثير الضوضاء من طراز طلبة المدارس العمومية وكان ذلك الشاب يمتلك سيارة للسباق . ولقد وقفت إلى جواره ذات مرة فى بنك باركليز منتظرا قيامى بايداع نقود فى حسابى بالبنك فسمعته يقول إنه يريد المبلغ الخاص به على شكل أوراق مالية من فئة الخمسة جنيهات . والنكتة تكمن فى أن الشيك الذى هو بصدد صرفه كانت قيمته عشرة جنيهات فقط . وهم جميعا يتصرفون على ذلك النحو . ولقد شاهدتها وهى تصعد إلى داخل سيارته فى بعض الأحيان أو شاهدتها معه وهما يجوبان شوارع المدينة فى سيارته وفى تلك الأيام كنت سريع الغضب

والانفعال للغاية مع الآخرين فى المكتب وكنت لا أستخدم عادة العلامة X فى المفكرة التى أكتب فيها ملاحظاتى المتعلقة بعلم الحشرات (كل هذا كان قبل ذهابها إلى لندن حيث تخلت عنه بعدئذ) . تلك كانت الأيام التى سمحت فيها لنفسى أن أشهد الأحلام الرديئة . حيث كانت تبكى أو كانت تركع عادة . وفى احدى المرات جعلت نفسى أحلم بأننى أضربها على وجهها مثل تلك الصفعة التى قام بها رجل ذات مرة والتى شاهدتها فى مسرحية تليفزيونية .

لقد قتل والدى أثناء قيادته للسيارة . وكان عمرى آنئذ سنتين . وكان ذلك فى عام ١٩٣٧ . فقد كان مخمورا ولكن عمتى آنىّ Annie كانت تقول دائما إن والدتى هى التى كانت تدفعه إلي تناول الخمور بكميات كبيرة . ولكنهم لم يقصوا علىّ أبداً حقيقة ما حدث ولكن والدتى انطلقت عقب وفاة والدى وتركتنى مع عمتى آنىّ حيث كانت تريد فقط أن تقضى وقتها فى هدوء . ولقد قالت لى مابيل ابنة عمى ذات مرة (أثناء مشاجرة عندما كنا طفلين صغيرين) أن والدتى هى امرأة شوارع وهى تنطلق مع الأشخاص الغرباء . وكنت غبيا وساذجا فى ذلك الوقت فاتجهتُ مباشرة إلى عمتى آنىّ وسألتها عن ذلك الأمر فردت علىّ بالطبع . وأنا لا أهتم حاليا بما إذا كانت والدتى لا تزال على قيد الحياة أم لا . فأنا لا أرغب فى مقابلتها وليس لدىّ أدنى اهتمام بذلك الموضوع . وكانت عمتى آنى تقول دائما عنها : إلى حيث ألقت أو إلى غير عودة وكثيراً من التعبيرات العديدة المماثلة وأنا كنت أوافقها على رأيها .

ولذلك فقد تربيت ونشأت مع العمة آنىّ ومع العمّ ديك Dick ومع ابنتهما مابيل Mabel وكانت عمتى آنىّ هى الشقيقة الكبرى لوالدى .

ومات العم ديك عندما كان عمرى ١٥ عاما . وكان ذلك فى عام ١٩٥٠ . فقد ذهبنا إلى منطقة ترينج ريزيرفوار لاصطياد الأسماك . وكالمعتاد انطلقت

مع شبكة الصيد والمعدات الخاصة بى . وعندما شعرتُ بالجوع رجعت إلى المكان الذى تركته فيه فشـاهدت زمرة من الناس المحتشدين فاعتقدتُ أنه قد اصطاد شيئا ضخماً . ولكنه كان قد تعرض لجلطة فى المخ فنقلوه إلى المنزل ولكنه لم ينطق بأية كلمات أخرى على الاطلاق بل ولم يتعرف على أى واحد منا مرة أخرى .

وأمضينا الأيام سويا أو ليس سويا على وجه الدقة لأننى كنت أنطلق دائما لكى أجمع وألتقط الفراشات بينما كان هو يجلس بجوار القضبان الحديدية الرفيعة الخاصة به ولو أننا كنا نتناول دائما طعام الغداء سويا والعودة سويا من الرحلة إلى المنزل . وتلك الأيام تعتبر بشكل قاطع هى أفضل الأيام التى شهدتها فى حياتى (وذلك بعد الأيام التى سوف أحدثكم عنها) . لقد اعتادت كل من العمة آنى ومابيل على النظر فى احتقار إلى الفراشات الخاصة بى عندما كنت صغيرا ولكن العم ديك كان يدافع عنى بحرارة وحماس دائما . وكان يبدى إعجابه دائما بالأعمال التى أقوم بها . وكان يشعر بنفس مشاعرى إزاء كل حشرة جديدة تدخل فى آخر مراحل تطورها الجنسى حيث كان يجلس ويراقب الأجنحة وهى تمتدّ وتجف ويراقب الطريقة اللطيفة التى تجرب بها الحشرات أجنحتها . هذا بالاضافة إلى أنه أفسح لى مكانا فى الحظيرة الخاصة به من أجل أوانى وبرطمانات يرقات الفراشات . وعندما حصلتُ على جائزة للهواة من مجموعة الفراشات التى لها ألوان متعددة فى اجنحتها فانه أعطانى جنيها بشرط ألا أخبر العمة آنىّ بذلك . وخلاصة القول أنه كان لطيفا معى وكان كالأب بالنسبة لى . وعندما أمسكت بالشيك الذى كسبته فى المراهنات فى يدى فانه كان الشخص الذى فكرت فيه بالاضافة إلى ميراندا بالطبع . إذ شعرت بأننى على استعداد بأن أزوده بأفضل أنواع الحبال والبكرات والقضبان الطويلة والرفيعة وأية أشياء أخرى يريدها .

لقد بدأت في ممارسة لعب القمار ابتداء من الأسبوع الذى وصلت فيه إلى سن الواحد والعشرين عاما . وفى كل أسبوع كنت أراهن بنفس المبلغ وهو خمسة جنيهات . ولقد تعاون سويا كل من توم العجوز وكروتشلى وهما يعملان معى فى قسم العوائد والضرائب بالبلدية كما تعاونت معهما بعض الفتيات ودخلوا كلهم فى رهان واحد مشترك . وكانوا كلهم يحاولون دائما إشراكى معهم ولكننى ظللت دائما انعزالى النزعة ومنفردا بنفسى . إذ لم أكن أشعر بالحب تجاه توم العجوز أو كروتشلى على الاطلاق . فتوم العجوز هو شخص كريه ومفرط فى التملق والتزلف ودائما ما يسترشد بإدارة الحكم ويتزلف إلى المستر وليامز أمين صندوق المدينة المتمتعة بالحكم الذاتى . أما كروتشلى فهو إنسان غشاش ومخادع بالاضافة إلى أنه سادى النزعة فهو لم يترك أى فرصة إلا وأثار السخرية من اهتماماتى خاصة إذا كانت هناك فتيات موجودات معنا . فقد اعتاد أن يقول « الارهاق يبدو على فريد . فهو قد قضى فترة أجازة نهاية الأسبوع فى أعمال قذرة أو يقول « مَنْ هى تلك السيدة المغرقة فى المكياج التى شاهدتك معها فى الليلة الماضية ؟ » . وعندئذ كان توم العجوز يضحك ضحكات خفيفة مكتومة كما كانت جين Jane وهى صديقة كروتشلى والتى تعمل فى مصلحة الصرف الصحى والتى كانت توجد دائما فى مكتبنا تضحك ضحكات بلهاء . فقد كانت جين على النقيض تماما من ميراندا فى كل الأمور . وأنا دائما ما كنت أكره النساء السوقيات وخاصة الفتيات السوقيات .

كان الشيك بمبلغ ٧٣٠٩١ جنيها وعدد فردى من الشلنات والبنسات . واتصلت بالمستر وليامز تليفونيا وشعرتُ أنه مسرور كما قال إن الناس الآخرين مسرورين رغم أننى أعرف بالطبع أنهم لم يكونوا كذلك . بل ولقد اقترح على أن أستثمر فى المجلس ٥٪ من المبلغ . وبعض الناس فى دار البلدية لا يزنون الأمور بميزانها الصحيح .

وفعلتُ ما اقترحه عليَّ الناس : إذ ذهبت مباشرة إلى لندن مع العمة آنى ومابيل إلى أن هدأت الضجة حول هذا الموضوع . وبعدئذ أرسلت لتوم العجوز شيكا بمبلغ ٥٠٠ جنيه وطلبت منه أن يتقاسم هذا المبلغ مع كروتشلى والآخرين . ولم أردّ على خطابات الشكر التى أرسلوها لى . ويمكن لك أن تدرك أنهم اعتقدوا أننى إنسان وضيع .

كانت ميراندا هى مصدر القلق والازعاج الوحيد أو هى فقط التى أفسدت علىّ شعوري بالبهجة والسرور . إذ كانت فى منزلها فى الوقت الذي كسبت فيه تلك النقود حيث كانت فى أجازة من مدرستها الفنية . ولم أشاهدها إلاّ فى صباح السبت لليوم العظيم . وطال الوقت الذى قضيناه فى لندن رحنا ننفق الأموال والأموال وكان يخطر على ذهنى كثيرا أننى لن أتمكن من مشاهدتها مرة أخرى : وبعدئذ خطر على ذهنى أننى طالما قد أصبحتُ غنيا فاننى بذلك أكون زوجا مناسبا لها ولكنى فكرتُ بعدئذ أن ذلك سيكون أمرا مثيرا للسخرية لأن الناس لا يتزوجون إلاّ بدافع من الحب فقط وليس بسبب الأموال وخاصة الفتيات اللائى يشبهن ميراندا . بل وجاءت علىَّ أوقات فكرت فيها بأنه ينبغى على نسيانها . ولكن النسيان ليس أمرا يفعله الإنسان وانما هو شئ ما يحدث للإنسان . وكل ما هنالك أن النسيان لم يهبط علىّ .

إذا كنت مغتصبا وخطافا وغير أخلاقى مثل معظم الناس الموجودين فى العالم فى هذه الأيام فاننى أعتقد أنه يمكن لك أن تقضى وقتا طيبا مع وجود كمية كبيرة من النقود معك عندما تهبط النقود عليك . ولكن يمكن القول إننى لم أكن على ذلك النحو على الاطلاق . على الذهاب إلى الكنيسة أو أيّ شئ من هذا القبيل ولكننى قد نشأتُ وربيتُ فى ذلك الجو رغم أن العمّ ديك قد اعتاد الذهاب إلى الحانة سرا فى بعض الأحيان .وسمحتْ لى العمة أنىّ بتدخين السجائر عقب سلسلة من المشاجرات عندما خرجتُ من الجيش . ولكنها لم تشعر بالارتياح نحو تدخينى للسجائر فى أى وقت من الأوقات

على الاطلاق . وحتى مع كل تلك النقود يعتبر ضد مبادئها . ولكن مابيل كانت تهاجمها في السرّ . فقد سمعتها وهي تتشاجر معها ذات يوم وعلى كل حال فلقد قلت إن النقود هى نقودى وأن الضمير هو ضميرى كما أوضحت أنني أرحب بتلبية كل طلباتها وأرحب بعدم تقديم أى شيء إذا كانت لا ترغب فى الحصول على أى شئ ولم يكن هناك شئ فيما يتعلق بتقبيل الهدايا فى البروتستانتية .

وما يؤدي إليه كل هذا هو أننى تعرضت للسكر بعض الشئ مرة أو مرتين عندما كنت فى فيلق باىcorps Pay وخاصة فى ألمانيا ولكننى لم تكن لى أية علاقة مع النساء . فأنا لم أفكر فى النساء على الاطلاق فى فترة ما قبل ميراندا . إذ أعرف أننى ليس لدىّ تلك الأمور التى تنشدها الفتيات وأعرف أن الشبان من أمثال كروتشلى والذين يعاملوننى فى غلظة وقسوة يحرزون تقدما ونجاحا مع الفتيات وأعرف النظرات التى توجهها بعض الفتيات فى ملحق دار البلدية إلي توجهها وهى نظرات كانت تثير اشمئزازى حقا . انه شئ ما حيوانى خشن قد وُلدت بدونه . (وأنا سعيد بأننى قد وُلدت على ذلك النحو . ولو كان هناك المزيد من الناس من أمثالى قد ولدوا أيضا على ذلك النحو لأصبح العالم أفضل وأحسن من وجهة نظرى) .

عندما لا يكون لديك نقود فانك تظن دائما أن الأمور ستكون مختلفة للغاية فيما بعد . وأنا لم أكن أريد ما هو أكثر من استحقاقاتى . لم أكن أريد أى شئ زائد عن الحدّ المطلوب . ولكننا أدركنا على الفور ونحن بالفندق أنهم كانوا يحترموننا احتراما سطحيا فقط حيث كانوا فى حقيقة الأمر يحتقروننا بسبب وجود كل هذه النقود معنا ولأننا لا نعرف ماذا سنفعله بكل تلك النقود . وكانوا لا يزالون يعاملوننى فى الخفاء على أساس أننى مجرد كاتب فى مصلحة حكومية . وكان من السفه تبذير النقود هنا وهناك . وكنا بمجرد أن

نتكلم أو نفعل أى شئ نذيع النبأ على الآخرين . وكان باستطاعتك أن تشاهدهم وهم يقولون « لا تغيظونا .. فأنتم تعرفون مَنْ تكونون ولماذا لا ترجعون من حيث أتيتم » .

وأذكر ليلة ذهبنا فيها إلى الخارج وتناولنا العشاء فى مطعم ممتاز . وكان اسم ذلك المطعم ضمن قائمة بأسماء المطاعم أعطاها لنا الناس المختصون بالمراهنات واليانصيب . وكان الطعام جيداً وأكلناه ولكننى لم أتذوق ذلك الطعام بسبب الطريقة التى كان الناس ينظرون بها الينا والطريقة التى كان الجرسونات الأجانب المفرطون فى التملق والتزلق وكل شخص آخر يعاملوننا بها وكيف أن كل شئ فى داخل صالة الطعام قد بدا وكأنه ينظر فى احتقار إلينا لأننا لم ننشأ على أسلوبهم وطريقتهم فى الحياة . ولقد قرأت فى الآونة الأخيرة مقالا عن مواصفات الطبقة الاجتماعية – وقد حدثتهم عن أمور فى هذا الشأن . وإذا سألتنى فإن لندن معدة كلها من أجل الناس الذين يتصرفون مثل تلاميذ أولاد المدارس العمومية ولا يمكن لك أن تذهب إلى أى مكان إذا لم تكن لديك الطريقة بالفطرة وإذا لم يكن لديك الصوت المتكبر المتعجرف بالطريقة السليمة والذى يتميز به أهالى لندن الأغنياء وأهالى الوست إيند West .End بالطبع .

وفى احدى الأمسيات – وكان ذلك عقب تناول الطعام فى المطعم الممتاز وكنت أشعر بالاكتئاب – فقلت للعمة آنى أننى أرغب فى الذهاب للتريض والنزهة ثم فعلتُ ذلك بالفعل . وسرتُ . وفجأة شعرت أننى أودّ أن تكون لى امرأة .. أقصد أن أكون قادراً على أن أدرك أننى قد امتلكت امرأة . لذلك أدرتُ رقم تليفون كان قد أعطاه لى رجل فى احتفالات اعطاء الشيك .

وردت امرأة قائلة « اننى مخطوبة » . فسألتها عما إذا كانت تعرف أى رقم تليفونى آخر فأعطتنى رقمين اثنين . وأخذت تاكسيا واتجهت به إلى

عنوان رقم التليفون الثانى . ولن أقول ما حدث باستثناء أننى لم أكن جيدا . إذ كنت عصبيا للغاية وحاولت أن أبدو وكأننى أعرف كل ما يتعلق بذلك الأمر وهى بالطبع أدركت أنها كانت عجوزا وكانت رهيبة ومريعة . أقصد أنها كانت رهيبة من حيث شكلها ومن حيث الطريقة القذرة التى كانت تتصرف بها . إذ كانت امرأة مستهلكة ومتداولة بين الناس . مثل عيّنة تصرف النظر عنها وتخرجها من بين مجموعة العينات الأخرى التى تحتفظ بها . وفكرتُ فى ميراندا إذا ما قُدر لها أن تشاهدنى هنالك وأنا على ذلك النحو . وكما قلت فقد حاولت أن أفعل ذلك الأمر ولكنه جاء بطريقة غير جيدة وأنا لم أحاول فى شئ من الشدة والصرامة .

وأنا لستُ من النوع الذى يُقحم نفسه على غيره بطريقة فظة ونابية ، لم أكن من ذلك النوع من الناس فى أي وقت من الأوقات على الاطلاق إذ كانت لدىّ دائما آمال وتطلعات عالية كما يقولون . ولقد اعتاد كروتشلى أن يقول إن المرء ينبغى عليه أن يتدافع ويضغط فى هذه الأيام من أجل الوصول إلى أى مكان وقد اعتاد أن يقول« أنظر إلى توم العجوز وانظر إلي كيف أن افراطه فى التملق والتزلف قد عاد عليه بالكثير » . ولقد اعتاد كروتشلى أن يكون مألوفا للغاية ولو أنه كان يعرف متى ينبغى عليه أن يكون متملقا للغاية بهدف الحصول على بعض المكاسب من المستر وليامز على سبيل المثال . ولقد قال لى المستر وليامز ذات مرة عندما كنت فى قسم التحريات « أرجو أن تتصف بقدر أكثر من الحياة والحيوية . فجماهير الناس - يا كليج clegg يحبون الابتسامة أو النكتة الخفيفة من وقت لآخر . فنحن جميعا لم نولد مزودين بموهبة المزاح مثل كروتشلي ومع ذلك فيمكنك أن تحاول أن تكون ظريفا » . وقد أغاظنى كلامه هذا بالفعل ويمكننى القول إننى كنت متضايقا للغاية من العمل فى دار البلدية وكنت مصمما على ترك العمل بها على كل حال .

لم أكن شخصا مختلفا عن الآخرين . ويمكنني أن أبرهن على ذلك . فمن بين الأسباب التي جعلتني أتضايق من العمة آني هو أنني بدأت أهتم ببعض الكتب التي يمكن للمرء أن يشتريها من المحلات في سوهو Soho وهي كتب عن النساء العاريات وكل تلك الأمور . وكان بمقدوري إخفاء المجلات ولكن كانت هناك كتب أريد شراءها ولم أكن أستطيع شراءها في حالة إدراكها لجوانب الموقف فجأة . وكنت أريد دائما التقاط الصور الفوتوغرافية واشتريتُ كاميرا على الفور بالطبع وهي كاميرا ماركة لايكا والتي تعتبر أفضل الأنواع والتي لها عدسات للتصوير من على مسافات بعيدة وكان الهدف الرئيسي من وراء ذلك هو التقاط صور حية لحياة الفراشات مثلما يفعل الأستاذ المشهور المستر س . بوفوي .

ولد اشتاقت عمتي آني من كل قلبها إلى الانطلاق في رحلة بحرية إلى أستراليا لكي تزور ابنها بوب Bob وعمي Steve ستيف وهو شقيقها الأصغر وأسرته . وكانت تريد لي أن أذهب معها أيضا . ولكنني لم أكن أرغب في الوجود مع عمتي آن ومابيل أكثر من ذلك . ولم يكن هذا يعني أنني أكرههما ولكنك كنت تلحظ ما يقصدان إليه على الفور بل وعلى نحو أكثر منيّ . إذ كانتا - على سبيل المثال - ينتقدان تصرفاتي وكانتا تتوقعان مني دائما أن أنجز كل الأمور معهما وأن أقول لهما ما أقدمتُ عليه في حالة انفرادي بنفسي لمدة ساعة بعيداً عنهما . ولقد اضطرتُ أن أقول لهما صراحة إنني لا أرغب في الذهاب معهما إلي استراليا . ولكنها لم تشعرا بالاستياء الشديد . وأظن أنهما كان لديهما الوقت لأن تعتقدا أن المسألة تتعلق بنقودي في آخر الأمر .

والمرة الأولى التي ذهبت فيها للبحث عن ميراندا كانت عقب ذهابي إلى ساوثهامبتون بأيام قليلة لتوديع العمة آني وكان ذلك في يوم ١٠ مايو على

وجه التحديد . وكنت قد عدتُ إلى لندن ولم يكن لدى أى خطة حقيقية ولقد أبلغت العمة آنى ومابيل أننى ربما أذهب إلى الخارج ولكننى لم أكن أعرف خطتى على وجه الدقة فى حقيقة الأمر . ولقد شعرتْ العمة آنى بالذعر بالفعل وفى الليلة السابقة على سفرها تحدثت معى حديثا جادا رزينا وقالت إنه ينبغى علىّ ألاّ أتزوج بدون أن تتمكن هى من مقابلة العروسة قبل الزواج . وتحدثت معى كثيراً عن أن النقود هى نقودى وأن الحياة هى حياتى وأبدت رأيها فىّ وقالت إننى إنسان كريم للغاية وغير ذلك من الكلام ولكننى أدركت أنها كانت مذعورة بالفعل حيث كانت تخشى أن أتزوج من فتاة ما مما قد يؤدى إلى فقدانها كل النقود التى كانا يخجلان منها على أية حال . وأنا لا ألومها فقد كان ذلك أمرا طبيعيا وخاصة مع ابنة لها تتصف بأنها كسيحة وعرجاء . وأعتقد أن الفتيات من أمثال مابيل يجب إخراجهن من الحسبان فى ألم وذلك أمر خارج الموضوع ولا يمت له بصلة .

والذى فكرت فى أن أفعله (وأنا بالفعل وفى مجال الاستعدادات قمت بشراء أفضل المعدات والتجهيزات الريفية التى توجد بها أنواع نادرة غير مألوفة والحصول على مجموعات مسلسلة وصحيحة . أقصد أن أغير فى أسلوب حياتى وأقيم فى مكان ما لفترة طويلة كما يحلو لى وأخرج إلى الحقول وأجمع الفراشات وأقوم بالتقاط الصور الفوتوغرافية . وكنت قد حصلت على دروس فى قيادة السيارات قبل ذهابهما وحصلتُ على سيارة « فان » خاصة . وكانت هناك الكثير من النوعيات التى أريدها مثل نوع السنونو والأزرق الكبير وفراشات الفرتيلاريا و ... ... وهى كلها أشياء يحصل عليها معظم جامعى الفراشات دفعة واحدة ولمرة واحدة طوال حياتهم . وكانت هناك أيضا تلك الفراشات العثة Moths وفكرت فى أن أتناول تلك الفراشات أيضا .

ما أحاول أن أقوله أن فكرة الاحتفاظ بميراندا كضيفة عندى قد خطرتْ على ذهنى فجأة . إذ لم يكن ذلك أمراً قمتُ بالتخطيط له عقب حصولى على النقود .

حسنا . ومع ابتعاد العمة آنى ومابيل عن طريقى بسبب سفرهما إلي استراليا فاننى قمت بشراء كل الكتب التى أردت شراءها بالطبع ولم تكن لدىّ فكرة عن وجود بعض كتب من هذه النوعية بل وشعرت بالاشمئزاز من بعض ما جاء من صور بهذه الكتب واعتقدت أننى ملتصق بهذه الغرفة الفندقية مع تلك النوعية من الكتب التى اتضح لى أنها مختلفة كثيراً عما اعتدت أن أحلم به فيما يتعلق بنفسى وبميراندا . وفجأة شاهدت أننى تخيلت نفسى وأنا أفكر فى أنها قد خرجت بالفعل تماما من حياتى وكأننا لم نكن نعيش على مسافة أميال قليلة من بعضنا البعض (وكنت قد انتقلت إلى الفندق الموجود فى بادينجتون آنئذ) وشعرت أننى لم أتمكن من الحصول على كل الوقت الموجود فى العالم والذى يعيننى على اكتشاف ومعرفة المكان الذى تسكن فيه . وكان من السهل البحث فى دليل التليفونات عن رقم تليفون مدرسة سليد Slade للفنون . وانتظرت بالخارج فى صباح أحد الأيام فى السيارة « الفان » الخاصة بى . وكانت تلك السيارة الفان هى الشئ الفاخر الوحيد الهائل الذى وفّرته لنفسى . إذ كانت مزودة بمقصورة فى الخلف تضم سريرا سفريا من النوع الذى يمكن طيه أو نشره والنوم عليه . ولقد اشتريت تلك السيارة لكى أتمكن من أن آخذ كل المعدات الخاصة بى لدى ذهابى إلى المناطق الريفية ولقد اشتريت تلك السيارة لأننى اعتقدت أننى بشرائى لسيارة « فان » فاننى لن أضطر دائما لأن أصطحب معى العمة آنى ومابيل فى السيارة عقب رجوعهما من استراليا . وأنا لم أشتر تلك السيارة من أجل السبب الذى استخدمتها فيه بالفعل . فالفكرة كلها قد هبطت على ذهنى فجأة . وعلى نحو أقرب إلى فكرة عبقرية .

في الصباح الأول لم أشاهدها . ولكنني شاهدتها في اليوم التالي أخيرا . إذ شاهدتها وهي تخرج ومعها مجموعة كبيرة من الطالبات والطلبة الآخرين ولكن معظمهم من الطلبة . فتلاحقت ضربات قلبي بسرعة كبيرة وشعرت أنني على وشك التعرّض للغثيان . وكانت الكاميرا معي بالفعل ولكن لم يكن لديّ الجرأة والشجاعة التي تعينني على استخدامها . كانت على نفس ما كانت عليه دائما . إذ كانت تمشي بنفس طريقتها الخفيفة في السير وهي كانت دائما ترتدي حذاء له كعب منخفض ولذلك فهي لم يكن لديها ذلك التأنق والخيلاء الذي تتسم به معظم الفتيات . وهي لم تكن تفكر في الرجال والشبان على الاطلاق أثناء سيرها . كانت تنطلق مثل طائر . وطوال الوقت كانت تتحدث مع شاب له شعر أسود قصير مع وجود كتلة صغيرة من الشعر مصففة فوق الجبين مما كان يضفي عليه منظراً فنيا للغاية . وكان عددهم يبلغ ستة أشخاص ولكنها عبرت الشارع ومعها ذلك الشاب فقط . فخرجت من السيارة الفان وتتبعتهما . ولم يسيرا لمسافة بعيدة حيث سرعان ما دخلا إلى مقهى .

فوجدتُ نفسي أدخل أيضاً وبطريقة فجائية إلى نفس المقهى دون أن أدري السبب الذي دعاني لأن أفعل ذلك وكأنني كنت منجذبا وراء شئ ما آخر بدون رغبة مني . كان المقهى مليئا بالناس والطلبة والطالبات والفنانين والفنانات وما أشبه ذلك . ومعظمهم كان يرتدي ملابس غريبة شاذة ويتصرفون في شذوذ ربما كتعبير عن تمردهم على المجتمع . وأذكر أنه كانت هناك وجوه وأشياء غريبة مرسرمة على الحوائط . وأظن أن تلك الرسومات كانت لها طابع إفريقي .

كان هناك عدد كبير للغاية من الناس والأصوات فشعرتُ بأنني مضطرب وعصبي للغاية حتى أنني لم أشاهدهما في بادئ الأمر . كانت

تجلس فى المكان الثانى من الجزء الخلفى فجلستُ على كرسى طويل بدون مسند عند الكاونتر فى مكان يمكننى من مراقبتهما . ولم أجرؤ على النظر إليهما مرات عديدة للغاية وكان الضوء فى الصالة غير جيدّ للغاية .

وبعدئذ وجدتها واقفة إلى جوارى مباشرة . فقد كنت أتظاهر بأننى أقرأ جريدة ولذلك لم أشاهدها وهى تنهض وتترك المكان الذى كانت تجلس فيه . وشعرتُ بالدماء تتدفق إلي وجهى وحت أحملق فى الكلمات ولكننى لم أستطيع قراءة أى شئ ولم أجرؤ على النظر إليها - إذ كادت أن تتلامس معى وهى واقفة هناك . كانت مرتدية فستانا من قماش به مربعات أو كاروهات ذات ألوان زرقاء داكنة بيضاء . وكانت ذراعاها عاريتين ولهما لون بنى . وكان شعرها منسابا ومنثورا على ظهرها .

قالت ميراندا : « يا جينى Jenny نحن مفلسان تماما . كونى رقيقة مثل الملائكة ودعينا نحصل على سيجارتين » . فقالت الفتاة الموجودة خلف الكاونتر « ليس مرة أخرى » أو قالت كلاما مشابها لذلك وعندئذ قالت ميراندا « غداً . أقسم لك » . ثم أضافت « بارك الله فيك » عندما أعطتها الفتاة سيجارتين . وقد تم كل ذلك فى خمس ثوان ثم رجعت مع الشاب ولكن سماعى لصوتها حولها من إنسانة سابحة فى دنيا الخيال والأحلام إلى إنسانة حقيقية . لا أستطيع أن أحدد ذلك الطابع الخصوصى الذى تميز به صوتها . وبالطبع كان صوتها يدل على أنها مثقفة ثقافة عالية ولكن صوتها لم يكن متعجرفا ومتكبرا ولم يكن لزجا وقذرا فهى لم تتوسل من أجل الحصول على السجائر وإنما طلبت السجائر بطريقة سلسلة وسهلة ولم يظهر فى صوتها أية أحاسيس تتعلق بأية طبقة اجتماعية . ويمكن القول إنها كانت تتكلم بنفس أسلوب مشيتها .

دفعتُ الحساب بأسرع ما يمكننى ثم رجعتُ إلى السيارة الفان وإلى الكريمورن وإلى غرفتى . كنت منزعجا انزعاجا حقيقيا . ومن بين أسباب

انزعاجى أنها قد اضطرت لأن تستدين سيجارتين لأنه لم تكن لديها أية نقود بينما كنت أنا أمتلك ٦٠ ألف جنيه (فقد أعطيت العمة آنى عشرة آلاف جنيه) وكنت على استعداد لأن أضع كل نقودى تحت قدميها - لأن ذلك هو ما كنت أشعر به حيالها . كنت أشعر أننى على استعداد لأن أفعل أى شئ من أجل أن أتعرف عليها وأدخل عليها السرور وأكون صديقها الخاص بها وأكون قادراً على مراقبتها والنظر إليها علناً بدون أن أكون فى حاجة لأن أتجسس عليها . ولكى أوضح لكم الحالة التى كنت عليها فإننى وضعت خمس ورقات من فئة الجنيهات الخمسة فى ظرف وكتبت العنوان على الظرف موجهاً إلى الآنسة ميراندا جراى / بمدرسة سليد للفنون ... كل ما هنالك أننى لم أضع الظرف فى صندوق البريد . وكنت على استعداد لأن أرسل ذلك الظرف لو أمكننى مشاهدة وجهها لدى قيامها بفض الظرف .

كان ذلك هو اليوم الذى أعطيت فيه لنفسى لأول مرة الحلم الذى تحقق . إذ بدأ الحلم بلقطة لها وهى تتعرض لهجوم يقوم به رجل فجريتُ أنا نحوها وأنقذتها . وبعدئذ وعلى نحو ما كنت أنا هو نفس الرجل الذى هاجمها وكل ما هنالك هو أننى لم ألحق بها الضرر والأذى حيث اكتفيت بالامساك بها ووضعها فى السيارة الفان والانطلاق بها إلى منزل بعيد وهنالك فى ذلك المنزل احتفظت بها أسيرة لدى بطريقة لطيفة . وهى بدأتْ تتعرف علىّ تدريجيا وترتاح إلىّ . وتعاظم الحلم بحيث تناول معيشتنا معا فى منزل جميل من الطراز الحديث بحيث أصبحنا متزوجين وأنجبنا أطفالاً صغارا وكل الأمور التى هى من هذا القبيل .

واستحوذ ذلك الحُلم على كل مشاعرى بحيث جعلنى ساهدا وساهراً فى الليالى . وجعلنى ذلك الحلم أنسى ماكنت أقوم به من أعمال أثناء النهار .

وطالت إقامتى فى كريمورن ولم يعد الحلم يتخذ طابع الحلم وانما بدأ يتخذ طابع الشئ الذى أدعى أنه بصدد الحدوث والتحقق بالفعل (بالطبع كنت أعتقد أن المسألة هى مجرد ادعاء وتظاهر) لذلك رحت أفكر فى الطرق والوسائل - وكل الأمور والأشياء التى ينبغى علىّ عمل الترتيبات لها والتفكير فيها وكيفية التنفيذ وكل ما يتعلق بذلك الموضوع . وكنت أعتقد أنه لا يمكن لى أن أتعرف عليها وأختلط معها بالطريقة العادية ولكنها إذا ما قُدّر لها أن توجد معى فانها ستدرك صفاتى وخصائلى الحسنة وستفهم كل جوانبى تماما . وكانت تراودنى دائماً هذه الفكرة : وهى أنها ستفهمنى فهما جديدا وستعرفنى حقّ المعرفة .

وهناك شئ آخر بدأت أفعله ألا وهو قراءة الجرائد الفاخرة الأرستقراطية ولنفس هذا السبب ذهبت إلى المعرض القومى وإلى معرض تاتى Tate Gallery . ولكنى لم أستمتع بهما كثيرا . اذ كان الأمر شبيها بالمقصورات والغرف الصغيرة الخاصة بالأنواع الأجنبية فى قاعة علم الحشرات فى متحف التاريخ الطبيعى . حيث كان يمكن لك أن تدرك أنها جميلة ولكنك لم تكن تعرفها أقصد أننى لم أعرفها مثلما كنت أعرف البريطانيين . ولكننى ذهبت فى تقديراتى إلى أننى باستطاعتى أن أتحدث إليها وذلك لكى لا أبدو جاهلاً .

وفى احدى جرائد « الصنداى » شاهدت إعلانا مكتوبا بالحروف الكبيرة فى صفحة تتناول المنازل والبيوت المعروضة للبيع . ولم أكن أبحث عن منازل من ذلك النوع . إذ وقع نظرى على ذلك الاعلان وأنا أقلب الصفحة وكان عنوان الاعلان كالآتى : « بعيداً عن الزحام المجنون ؟ » هكذا على ذلك النحو . ثم وردت تفاصيل الاعلان على النحو التالى :

كوخ قديم وموقع جميل جذاب ومنعزل بعيداً عن الناس وملحق به حديقة كبيرة . ويقع على مسافة ساعة بالسيارة من لندن ويبعد عن أقرب قرية بمسافة ميلين .

وفى صباح اليوم التالى وجدت نفسى أنطلق بالسيارة لالقاء نظرة على ذلك الكوخ . واتصلت تليفونيا بوكيل هذا العقار الموجود فى لويس Lewes واتفقت على مقابلة شخص ما فى ذلك الكوخ . واشتريت خريطة لمنطقة ساسيكس Sassex. وذلك أمر يتعلق بالنقود . ولا توجد عقبات بالنسبة للنقود .

وتوقعت وجود أشياء منهارة أو مكسورة أو محطمة . كان يبدو قديما بالفعل . وكانت به ألواح خشبية لها لون أسود وكان مطليا باللون الأبيض من الخارج وكان به قرميد من الأحجار القديمة . وكان يقف فى مكان منعزل بمفرده . وخرج وكيل العقار عندما وصلت بسيارتى إلى الكوخ . وكنت قد تخيلته كبيرا فى السن ولكنه كان من نفس سنى . كان من طراز تلاميذ المدارس العمومية وكان يكثر من التعليقات السخيفة التى يقصد بها أن تكون فكاهية الطابع وبدا كأنه ليس فى مستوى القيام ببيع أى شئ وكان هناك تباين ما بين بيع المنازل وبيع شئ ما فى دكان . وهبط من عزيمتى على الفور لأنه كان فضوليا ومحبا للاستطلاع والتحرىّ . ولكنى مع ذلك فضلت أن ألقى نظرة على ذلك الكوخ طالما أننى قد جئت وقطعتُ تلك المسافة . لم تكن الغرف عظيمة ولكن الكوخ كان مزودا بكافة الخدمات الرئيسية من كهرباء وتليفون وغير ذلك من المرافق الضرورية . وكان ذلك الكوخ من ممتلكات أدميرال بحرى متقاعد انتقل إلى رحمة الله .وبعدئذ مات المشترى التالى بطريقة فجائية أيضا ولذلك فقد عُرض للبيع فى السوق .

ومازلت أقول لكم إننى لم أذهب إلى ذلك المكان بهدف مشاهدة ما إذا كان هناك أى مكان به يصلح للاحتفاظ فيه بضيف سرى . لا أستطيع فى الواقع القول بأنه كان هناك هدف فى ذهنى أرغب فى تحقيقه .

كل ما هنالك أننى لا أعرف ما أريده على وجه الدقة . فما أفعله يزيد من تعتيم وتشويش ما فعلته من قبل .

وأراد ذلك الشاب أن يعرف ما إذا كنت أريد الحصول عليه من أجل عمتى . وأخبرته بحقيقة ما يدور فى ذهنى حيث قلت له إننى أريد أن أقدم مفاجأة لعمتى عندما ترجع من أستراليا وهلم جراً .

وتساءل عن الحالة المالية لعمتى فرددت عليه باجابة لاذعة بهدف أن أسكته حيث قلت له « لقد ورثت مبلغا كبيرا من المال » . وكنا نهبط على السلالم عندما قال كلامه هذا وعقب مشاهدة كل شئ من وجهة نظرى أو وفقا لما اعتقدته . بل وكنت على وشك أن أقول له إن ذلك الكوخ ليس هو المسكن الذى أريده لأنه ليس كبيرا بالقدر الكافى وذلك بهدف أن أسكته وأخذله أكثر عندما قال « حسنا . هذا هو كل ما يحتويه الكوخ باستثناء المخازن والسراديب » .

وكان الأمر يستلزم الخروج من خلال الباب الخلفى حيث كان يوجد هناك باب بجوار الباب الخلفى . وأخذ المفتاح من تحت إصيص الزهر وبالطبع كانت الكهرباء مقطوعة ولكنه كان معه مصباح كهربائى يدوى (بطارية جيب) . وكان ذلك المكان بارداً بسبب عدم دخول الشمس إليه كما كان رطبا ورديئا . وكانت هناك سلالم حجرية تؤدى إلى أسفل . وعند القاع وجه اضاءة بطاريته إلى أرجاء المكان هنا وهناك . فأدركتُ أن شخصا ما كان قد طلى الجدران باللون الأبيض ولكن ذلك كان قد تم منذ فترة طويلة للغاية كما لاحظت أن بعض أجزاء الطلاء قد تساقطت حتى أن الحوائط بدت مزركشة بألوان شتى .

وقال « وعلى امتداد الحوائط كلها يوجد هذا أيضا » . وأضاء بطارية الجيب فشاهدتُ مدْخلاً فى ركن من الحائط الذى يواجهنا لدى نزولنا على السلالم . وكان هذا بمثابة مخزن آخر كبير يقع على مسافة أربع درجات كبيرة أسفل المخزن الأول ولكن هذا المخرن الكبير كان سقفه أكثر انخفاضا كما كان مقوسا بعض الشئ مثل الغرف التى يشاهدها المرء تحت الكنائس فى بعض الأحيان . وكانت السلالم تتجه لأسفل فى ميل وانحراف عند أحد الأركان حتى أن الغرفة كانت تجرى فى جموح إذا جاز هذا القول .

وقال « وهذا مكان ملائم تماما للطقوس السرية الصاخبة وحفلات للمجون الصاخبة » .

فتساءلتُ متجاهلا دعاباته السخيفة : « ولأى شئ كانت تستخدم هذه الغرفة السفلية ؟ » .

فقال انهم قد اعتقدوا أنه ربما كان كذلك لأن الكوخ كان يقع منعزلاً فى ذلك المكان وكان عليهم أن يخزنوا فيه كميات كبيرة من الأطعمة أو ربما كان بمثابة كنيسة صغيرة سرية رومانية كاثوليكية ولقد أفاد أحد عمال الكهرباء فيما بعد أنه كان مكانا خاصا بالمهربين عندما اعتادوا على الذهاب من نيوهافين إلى لندن .

ثم عُدْناَ صاعدين على السلالم ومنها إلى الخارج . وعندما أغلق الباب بالمفتاح وأعاده إلى مكانه تحت إصيص الزهر بدا الجزء السفلى من الكوخ وكأنه لا وجود له على الاطلاق . لقد كان ذلك الكوخ يضم عالميْن . ولقد ظل دائما على ذلك النحو . وبدا لى الأمر شبيها بالحلم إلى أن هبطت على السلالم نازلاً مرة أخرى .

فنظر إلى ساعته .

فقلت « إننى شغوف بهذا المكان . شغوف ومهتم به للغاية » . وكنتُ

عصبيا للغاية حتى أنه نظر إليّ وقد اعترته الدهشة . ثم قلت « أعتقد أننى سوف أحصل على هذا الكوخ » . ولقد دهشتُ من نفسى فى حقيقة الأمر لدى قولى تلك العبارة . لأننى قبل مشاهدتى لهذا الكوخ كنت أرغب دائما فى الحصول على منزل من الطراز الحديث أو منزل من النوع الذى يسمونه « منزل معاصر » . وليس كوخا قديما منعزلاً .

ووقف هنالك .

وقد أدهشه اهتمامى الشديد بذلك الكوخ كما أدهشه على ما أعتقد أن يكون لدىّ النقود التى تكفى لشراء هذا الكوخ - وهى الدهشة التى يصاب بها معظم الناس عندما يعرفون مقدار ما أمتلكه من نقود كثيرة .

وبعدئذ رجع عائدا إلى لويس Lewes . إذ كان عليه أن يحضر شخصا ما آخر مهتما بنفس هذا الكوخ . لذلك قلت له إننى سأبقى فى الحديقة لكى أفكر فى الأمر مليا قبل اتخاذ قرار نهائى .

كانت حديقة جميلة . كانت ممتدة إلى الوراء نحو حقل كان يوجد به آنئذ برسيم حجازى . وهو نبات محبب للغاية لدى الفراشات . وكان ذلك الحقل ممتدا حتى مشارف تل (من جهة الشمال) . أما من جهة الشرق فكانت توجد غابات على جانبى الطريق الذى يمتد من الوادى فى اتجاه لويس . وفى جهة الغرب كانت توجد حقول . وكان يوجد بيت ريفى على مسافة ٣/٤ ميل من سفح التل وهو يعتبر أقرب منزل من الكوخ . وفى الاتجاه الجنوبى يوجد منظر طبيعى جميل ولكنه كان محتجبا بعض الشئ وراء السياج الأمامى وبعض الأشجار . وهو مكان ممتاز لوقوف السيارات أيضا .

رجعت إلى المنزل واستخرجت المفتاح ونزلتُ إلى السراديب السفلية مرة أخرى . وكان المخزن الداخلى على عمق خمسة أو ستة أقدام تحت الأرض بالتأكيد . وكان مليئا بالرطوبة وكانت حوائطه مثل الأخشاب المبللة فى

الشتـاء . ولم أستطع الرؤية جيدا لأننى لم يكن لدىّ سوى ولاعة السجائر الخاصة بى . وكان المنظر مخيفا بعض الشئ ولكننى لم أكن من النوع الذى يميل إلى الخرافات .

وقد يقول البعض إننى كنت سأصبح سعيد الحظ لو أن هذا الكوخ قد تعرقل شراؤه بمعرفتي ولكننى أقول لهم إننى كنت سأتمكن من العثور على أى مكان آخر إن عاجلاً أو آجلاً . لانه كانت لدىّ النقود الكثيرة وكانت لدىّ قوة الإرادة . والكلام الذى قاله لى كروتشلى كان غريبا حقا إذ قال لى « ينبغى عليك أن تتدافع وتضغط فى هذه الأيام » وأنا لم أمارس الضغط من مكانى فى دار البلدية . لأن ذلك لم يكن يتلاءم معى . ولكننى أود أن أشاهد كروتشلى ينظم ما قمت بتنظيمه فى الصيف الماضى وينجز ذلك الأمر . اننى لست بصدد القيام بامتداح نفسى فى تفاخر وتباهٍ ولكنه لم يكن أمرا يسيراً هيّناً .

لقد قرأت فى الجريدة منذ بضعة أيام ما يلى : « ان الماء بالنسبة للجسد مثل الهدف بالنسبة للذهن » وهذا أمر صحيح تماما من وجهة نظرى المتواضعة . فعندما أصبحت ميراندا هى الهدف الأسمى فى حياتى فانه ينبغى علىّ أن أقول إننى كنت على الأقل فى نفس طيبة الرجل التالى مثلما اتضح فيما بعد .

وكان علىّ أن أقدم سعرا يزيد ٥٠٠ جنيه عن السعر الوارد فى الاعلان وكان هناك آخرون وراء اتخاذى لهذا الاجراء فكل شخص كان يرغب فى نهب أموالى . وكان علىّ أن أجرى اتصالات مع أناس فى لويس مثل مساح الأراضى والبناء ومهندسى الديكور والناس المختصين بالأثاث . ولم أشعر بالقلق ازاء كل ذلك ولماذا أشعر بالقلق والاهتمام فالنقود فى حد ذاتها لم تكن هدفاً . ولقد تسلمتُ رسائل مطولة من العمة آنى وقمتُ بالردّ على تلك

الخطابات وذكرتُ لها فى خطاباتى أرقاما تعتبر نصف ما دفعته بالفعل من نقود .

وطلبت من عمال الكهرباء توصيل سلك كهربائى إلى أسفل نحو القبو السردابى وطلبتُ من السباكين توصيل المياه إلي ذلك القبو وتركيب حوض للماء وأوضحت أننى أرغب فى القيام ببعض أعمال النجارة والتصوير الفوتوغرافى وأن تلك الغرفة السفلية ستكون هى الغرفة الخاصة بالأعمال المتعلقة بى . ولم يكن كلامى هذا كذبا إذ كانت أمامى بعض أعمال النجارة بالفعل . كما أننى قد التقطت بالفعل بعض الصور الفوتوغرافية التى لم أستطع تحميضها فى دكان . ولم تكن اللقطات الفوتوغرافية تعبرّ عن شئ ما ردئ . كانت مجرد لقطات لثنائيات تضم شابا وفتاة .

وفى نهاية شهر أغسطس انتهى الفنيون من أعمالهم وخرجوا من الكوخ ثم انتقلت أنا إلى هذا الكوخ . وفى بداية الأمر شعرت وكأننى فى حلم . الاَّ أن هذا الاحساس سرعان ما تبدَّد . إذ لم أترك بمفردى لفترة طويلة كما كنت أتوقع . حيث جاء رجل وطلب منى أن أسمح له بالاشراف على شئون الحديقة ورعايتها لانه كان يقوم دائما بذلك العمل وشعر بالاستياء الشديد عندما رفضتُ طلبه . وبعدئذ جاء القسيس من القرية فاضطررتُ لأن أعامله فى وقاحة وأوضحت له أننى أرغب فى أن أترك وشأنى بعيداً عن أىّ ازعاج وقلت له إننى لا تتفق عقائدى مع عقائد الكنيسة وأننى لا أرغب فى أن تكون لى علاقات مع القرية فشعر بالاهانة وانصرف فى عجرفة وخيلاء . وبعدئذ جاء إلىّ أناس عديدون فى عربات متنقلة تبيع مواد البقالة وكافة الأغذية التى تُعرض فى الدكاكين وكان علىّ أن أُرجئ التعامل معهم وقلت لهم إننى اشتريت كل احتياجاتى من لويس .

بل وطلبت رفع الخط التليفونى أيضا من الكوخ وتم تحقيق ذلك بالفعل .

وسرعان ما أصبحت معتادا على غلق البوابة الأمامية بالقفل وكانت بمثابة حاجز من القضبان الحديدية على شباك ولكن كان لها قفل . ومرة أو مرتين شاهدت الباعة الجائلين ينظرون من خلال البوابة ولكن يبدو أن الناس سرعان ما أدركوا جوانب الموقف . فتركونى وشأنى وبذلك تمكنتُ من مباشرة أعمالى بدون ازعاج .

عملتُ لمدة شهر أو أكثر فى مجال تجهيز خططى . كنت بمفردى طوال الوقت . وكنت أشعر أننى سعيد الحظ لعدم وجود أى أصدقاء حقيقيين لى .

(لا يمكن لك أن تعتبر زملائى فى دار البلدية أصدقاء فأن لم أشعر بافتقادهم وهم لم يشعروا بافتقادى) .

وقد علمنى العم ديك كيفية الاعتياد على الاتيان بأعمال غريبة وشاذة من أجل عمتى آنىٌ . فأنا لم أكن رديئا فى أعمال النجارة وغير ذلك من الأعمال المماثلة . وتمكنت من اعداد وتجهيز تلك الغرفة السفلية تجهيزا حسنا للغاية وان كنت أنا الذى أقول ذلك لنفسى . وبعد أن تركتها لكى تجف تماما وضعت طبقات عديدة من اللبّاد العازل للأصوات وبعدئذ وضعت سجادة جميلة لها لون برتقالى فاتح (لون مثير للبهجة والسرور) وهو لون يتلاءم مع لون الحوائط التى كانت مطلية باللون الأبيض . ووضعت بهذه الغرفة سريرا ودولابا له أدراج ومنضدة وكرسى فوتيه إلى آخره . وعلقتُ حاجزا فى أحد الأركان وجهزت المكان وراءه حيث زودته بتسريحة ودورة مياه وغير ذلك من مستلزمات - وكان أشبه بغرفة صغيرة منفصلة عن الغرفة الأخرى .

كما أحضرت إلى هذه الغرفة أشياء أخرى وعلب وصناديق وكمية كبيرة من الكتب التى تتناول الفنون وبعض القصص والروايات لكى تبدو

الغرفة متسمة بالجو العائلى وهو ما اكتسبته الغرفة بالفعل فى نهاية الأمر . ولم أخاطر بوضع لوحات زيتية فنية لأننى كنت أدرك أنها ربما يكون لها ذوق فنى متقدم ورفيع .

وكانت هناك مشكلة واحدة بالطبع ألا وهى الأبواب والضوضاء . فقد كان هناك اطار ممتاز من خشب البلوط القديم فى الباب المؤدى إلى غرفتها ولكن لم يكن هناك باب . لذلك كان ينبغى علىّ أن أصنع بابا يتلاءم مع ذلك الإطار وتلك كانت أصعب مهمة قمت بها . فالباب الأول الذى صنعته لم يتلاءم مع الإطار ولكن الباب الثانى الذى أعددته كان أفضل من الباب الأول . وكان بابا متينا بحيث لا يستطيع رجل أن يكسره ناهيك عن إنسانة ضئيلة مثلها . كان مصنوعا من خشب مجفف يبلغ سمكه بوصتين ومغطى بطبقة معدنية من الداخل حتى لا تتمكن من الوصول إلى الطبقة الخشبية بسهولة . كان وزنه ثقيلا فى حدود طن وكان من الصعب تركيبه ولكننى نجحت فى ذلك . وركبتُ به من الخارج ترابيس يبلغ طول كل منها عشر بوصات . وبعدئذ فعلتُ شيئا ما يتسم بالمهارة إذ صنعت شيئا شبيها بالمكتبة أو خزانة الكتب . من أجل أن أضع بها الآلات والأدوات والأشياء فقط واستخدمت فى ذلك بعض قطع الأخشاب القديمة وزودتها بمزاليج خشبية فى فتحة الباب بحيث إذا ألقيت نظرة عابرة فانها تبدو لك وكأنها تجويف قديم بالحائط مزود بالأرفف . وإذا رفعتها فانك تجد الباب من خلالها . هذا بالاضافة إلى أنها كانت تمنع نفاذ أىّ صوت إلي الخارج . كما أننى ركبّتُ ترباسا على الجانب الداخلى من الباب الذى كان به قفل منخفض للغاية بالنسبة للغرفة السفلية لكى لا أتعرض للازعاج . كما ركبتُ جرس إنذار بالسرقة . وهو جرس من النوع البسيط من أجل مواجهة فترات الليل .

ووضعت فى الغرفة السفلية الأولى جهازاً للطبخ ومعه كافة التسهيلات

الأخرى . فأنا لم أكن أعرف أنه لن يكون هناك أناس ممن يدسون أنوفهم فى شئون الآخرين . وكان الأمر سيصبح غريبا لو أننى دأبت دائما على حمل صينيات الطعام صعودا وهبوطا . ولكن نظرا لأن هذه الغرف التحتية كانت تقع فى الجزء الخلفى من المنزل فاننى لم أشعر بالقلق حيث لم يكن يوجد هناك سوى الحقول والغابات . وعلى كل حال فان جانبين من جوانب الحديقة كانا على هيئة حائط أما الجانبان الآخران فكانا بمثابة سياج لا يستطيع المرء النظر من خلاله . وكان هذا الكوخ ملائما إلى حدّ كبير . ولقد فكرت فى عمل سلالم تربط الجزء الأمامى بالكوخ بهذه الغرفة السفلية ولكن التكاليف كانت عالية للغاية كما أننى لم أرغب فى إثارة الشكوك . ولا يمكن للمرء أن يثق فى العمال فى هذه الأيام لأنهم يرغبون دائما فى معرفة كل شئ .

وطوال هذا الوقت لم أفكر على الاطلاق فى هذا الموضوع تفكيرا جديا . وكنت أدرك أن ذلك الأمر يبدو غريبا للغاية بكل تأكيد . ولكنه كان غريبا بالفعل ولقد اعتقدت أن أقول لنفسى « اننى بالطبع لن أفعل هذا العمل على الاطلاق . وأن هذا مجرد إدعاء وتظاهر » . بل ولم يكن باستطاعتى أن أتظاهر على ذلك النحو لو لم يكن لدى الوقت والأموال التى تعيننى على ذلك . وفى رأيى أن هناك عددا كبيرا من الناس الذين قد يبدون سعداء الآن كانوا سيفعلون ما فعلته أو سيفعلون أمورا مماثلة لو كان هناك قد توفر لهم الوقت والمال اللازمان لذلك ولقد كان مدرس لى يقول دائما إن القوة تفسد أخلاق الإنسان . والنقود هى شكل من أشكال القوة .

وفعلتُ شيئا آخر . إذ قمتُ بشراء كمية كبيرة من الملابس من أجلها من محلّ كبير فى لندن . حيث شاهدتُ بائعة فى ذلك المحل لها نفس حجم ميراندا وطلبت شراء ملابس لها نفس ألوان الملابس التى ترتديها ميراندا دائما كما اشتريت كافة الأشياء الأخرى الموجودة هناك والتى قالوا إن الفتاة

الصغيرة تكون فى حاجة إليها . ولقد قلت لهم فى ذلك المحل إن لى صديقة من الشمال وأن كل أمتعتها قد سرقت ولذلك فأنا أريد أن أعدّ لها مفاجأة بشراء كل هذه الحاجيات والملابس إلى آخره . ولا أظن أن البائعة فى ذلك المحل قد صدقت كلامي ولكن حجم المبيعات كان كبيراً للغاية فقد دفعت حوالى ٩٠ جنيها فى ذلك الصباح .

وكنت أقضى الليالى فى دراسة التدابير الاحتياطية لتجنب المخاطر . إذ اعتدت على الذهاب والجلوس فى غرفتها والتفكير فيما يمكن أن تفعله لكى تهرب . ورحت أفكر فى أنها ربما تكون لديها فكرة عن الكهرباء فالمرء لا يمكن له أن يعرف طبيعة الفتيات فى هذه الأيام لذلك كنت أرتدى دائماً أحذية لها نعل من المطاط . ولم ألمس أبداً مفتاحا كهربائيا بدون أن ألقى نظرة فاحصة أولاً . وأحضرت جهازا لحرق الفضلات والقمامة حرقا تاما وذلك لكى أحرق القمامة المتخلفة عنها . ووضعت فى تقديراتى أنها يجب ألاّ تترك أو تخرج من منزلى طوال حياتها على الاطلاق . لا توجد حجرة لغسل الملابس فى هذا الكوخ . فدائما ما يكون هناك شئ ما . وأخيرا رجعت إلى لندن وإلى فندق كريمورن . ورحت أنتظر مشاهدتها لأيام عديدة ولكننى لم أشاهدها . كان وقتا عصيبا للغاية ولكننى تحليتُ بالصبر وداومت على الترقب والانتظار . ولم آخذ الكاميرا معى حيث كنت أدرك أن فى ذلك مخاطرة كبيرة . إذ كنت بصدد تحقيق خطة هائلة ماكرة وليس مجرد التقاط صورة فوتوغرافية لها أثناء وجودها فى الشارع . وذهبت مرتين إلى المقهى . وفى أحد الأيام قضيت هناك حوالى ساعتين مدعيا أننى اقرأ كتابا ولكنها لم تحضر . وبدأت تهبط على ذهنى أفكار متهورة ومسعورة ... ربما تكون قد ماتت .. أو ربما توقفت تماما عن دراسة الفنون . وبعدئذ وفى أحد الأيام (ولم أكن أرغب فى أن تصبح السيارة الفان الخاصة بى مألوفة للغاية) وبينما كنت خارجاً من

القطار الذى ينطلق تحت الأرض عند شارع وارين شاهدتها . إذ كانت تهبط خارجة من قطار قادم من الشمال على الرصيف الآخر . وكان الأمر سهلاً . إذ سرت وراءها وهى تخرج من المحطة وشاهدتها وهى تسير فى اتجاه الكلية . وفى الأيام التالية رحت أرقب محطة نفق السكة الحديدية . ربما لم تكن تستخدم دائماً قطار الأنفاق فى رحلة عودتها إلى بيتها . إذ لم أشاهدها على مدى يومين متتالين . ولكن فى اليوم الثالث شاهدتها وهى تعبر الطريق وتدخل إلى المحطة . وبذلك اكتشفت المكان الذى كانت تجئ منه . لقد كان ذلك المكان هو هامبستيد . وفعلتُ نفس الشئ هناك . انتظرت خروجها فى اليوم التالى وعندما خرجت تتبعتها حوالى عشر دقائق عبْر مجموعة من الشوارع الجانبية إلي حيث كانت تعيش . وسرتُ متجاوزاً المنزل الذى دخلت إليه وعرفتُ رقم المنزل . وواصلت سيرى حتى نهاية الشارع إلى أن عرفت اسم الشارع .

لقد حققت إنجازا عظيما فى ذلك اليوم .

وكنت قد سجلت إسمى للخروج من فندق كريمورن منذ ثلاثة أيام سابقة وفى كل ليلة كنت أدخل إلى فندق جديد وأخرج منه فى صباح اليوم التالى لكى لا يتمكن أحد من مراقبتى واقتفاء أثرى . وكنت قد جهزت السرير فى داخل العربة الفان الخاصة بى كما جهرت السيور والأشرطة الجلدية والتلفيعات والايشاربات الحريمى . وكنت قد وضعت فى الاعتبار استخدام مادة الكلوروفورم المخدرة . وكنت قد استخدمت هذه المادة فى زجاجة القتل فقد سمح لى شاب يعمل فى قسم التحليلات العمومية بالحصول على كمية من هذه المادة . وهى مادة ليست ضعيفة ولكن لكى أتأكد أكثر فاننى قررت أن أخلطها بمادة رابع كلوريد الكربون والتى تسمى CTC وهى مادة يمكن للمرء شراؤها من أى مكان .

ورحت أجوب بسيارتى جميع أرجاء منطقة هامبستيد ودرست تلك المنطقة مستعينا بالدليل الذى يسمى « من الألف إلى الياء Aroz » وكيفية وصولى بسرعة إلي فوسترز Fosters . كان كل شئ معدا وجاهزا . لذلك أصبح علىّ أن أرقب وأنتظر الفرصة الملائمة وعندما تتاح لى الفرصة أنفذ الفكرة على الفور . وكنت غريب الشأن بالفعل فى تلك الأيام إذ كنت أفكر فى كل شئ وفى كل الاحتمالات وكما لو كنت أقوم بمثل هذه الأعمال طوال حياتى . وكما لو كنت قد عملت من قبل كجاسوس أو مخبر سرّى .

وأخيرا وبعد عشرة أيام حدث ذلك الأمر مثلما يحدث أحيانا مع الفراشات . أقصد أن المرء قد يذهب إلى مكان وهو يدرك أنه ربما يشاهد شيئا ما نادراً ولكنه لا يشاهد شيئا من هذا القبيل ولكن فى المرة التالية والتى لا يبحث فيها عن ذلك الشئ فانه يشاهده فوق زهرة أمامه مباشرة ومقدما له على طبق من فضة كما يقولون .

فى هذه الليلة كنت خارج محطة السكة الحديدية التى هى تحت الأرض كالمعتاد مع سيارتى الفان فى شارع جانبى . كان يوما جميلا ولكن سرعان ما بدأ الرعد والمطر . وكنت واقفا فى فتحة باب إحد الدكاكين فى مواجهة باب الخروج الخاص بمحطة السكة الحديدية الموجودة تحت الأرض . وشاهدتها تصعد على السلالم فى نفس اللحظة التى بدأ فيها المطر ينهال مدراراً ، وأدركت أنها لا ترتدى معطف مطر وانما كانت ترتدى بلوزة من التريكو فقط . ثم شاهدتها وهى تجرى عند ناصية فى اتجاه الجزء الرئيسى من محطة السكة الحديدية . فعبرت الطريق وكانت هناك كتل من الجماهير تتدافع هنا وهناك . وبعدئذ شاهدتها وهى واقفة فى داخل كابينة تليفون . ثم خرجت من الكابينة وبدلاً من الاتجاه نحو التلّ كالمعتاد فانها سارت فى شارع آخر . فسرتُ وراءها وظننتُ أن سيرها فى ذلك الشارع ليس فى

صالحى لأننى لم أكن أعرف ما هى مقدمة عليه . وبعدئذ دخلت فجأة فى شارع جانبى وكانت هناك سينما فى ذلك الشارع وشاهدتها وهى تدخل إلى السينما .وعندئذ أدركت جوانب الموقف . فهى قد اتصلت تليفونيا بالمكان الذى تسكن فيه لكى تقول إن المطر يهطل مدراراً وأنها قد دخلت إلى السينما بهدف الانتظار لحين أن يصبح الجو صحوا . وأدركت أن فرصتى الذهبية قد حانت اللهم الاَّ إذا جاء شخص ما لمقابلتها . وبعد أن دخلتْ هى إلى السينما ذهبتُ إلى السينما لكى أعرف مدة العرض السينمائى . ان فترة العرض تستغرق ساعتين . وقمتُ بالمجازفة وربما أردت أن أعطى للقدر فرصة لايقافى ومنعى من تنفيذ الخطة الموجودة فى ذهنى . فذهبت إلى مقهى وتناولتُ طعام العشاء . ثم ذهبتُ إلى سيارتى الفان وأوقفتها فى مكان يسمح لى بمراقبة السينما . ولم أكن أعرف ما يمكننى أن أتوقعه فلربما هى كانت فى انتظار صديق لها . أقصد أنني شعرت وكأننى أنحدر نحو الهاوية مثل الشلالات بحيث كان هناك احتمال فى أن أرتطم فى شئ ما أو أتوصل إلي تحقيق هدفى .

وخرجت ميراندا من السينما بمفردها بعد مرور ساعتين على وجه الدقة وكانت الأمطار قد توقفت بعض الشئ وكان الجو يكاد يكون مظلما وكانت السماء ملبدة بالغيوم . وشاهدتها وهى ترجع متخذة الطريق الاعتيادى نحو التل . وبعدئذ قُدْتُ سيارتى متخطيا إياها إلي مكان كنت أعرف أنها ستمرّ من عنده بكل تأكيد . وهى الناصية التى ينحنى عندها الشارع الذى تعيش فيه مبتعدا عن شارع آخر . وكانت هناك أشجار وشجيرات على أحد الجانبين وعلى الجانب الآخر كان يوجد منزل ضخم وهائل يشغل مساحة كبيرة من الأرض . وأعتقد أن ذلك المنزل الهائل كان شاغرا . ومع ارتفاع الشارع كانت هناك منازل أخرى وكلها من المنازل الضخمة الهائلة الحجم . وتمت المراحل الأولى من مشيها فى شوارع مضاءة بأنوار ساطعة .

لم يكن هناك سوى ذلك المكان الوحيد . وكان هناك جيب صغير من البلاستيك محاط في داخل جيب معطف المطر الخاص بي . وكنت قد وضعت في ذلك الجيب البلاستيك قَدْراً من مادة الكلوروفورم ومادة الـ CTC ولذلك كان ذلك الجيب البلاستيك منتفخا وطريا . وحرصت على جعل حاشية الجيب أو قبعة الجيب متجهة لأسفل بهدف أن تظل الرائحة محجوزة في داخل الجيب وبعدئذ يمكن لى فى خلال ثانية واحدة استخراج تلك المواد فى وقت الحاجة إليها .

وظهرت امرأتان عجوزان تمسك كل منهما بمظلة (إذ بدأ المطر يتساقط مرة أخرى) .

وسارتا فى الشارع فى اتجاهى وهو أمر لم أكن أريد أن يحدث على الاطلاق . وكنت أدرك أن وصولها أصبح متوقعا وكنت على وشك أن أصرف النظر عن هذا الموضوع فى التوّ واللحظة . ولكننى انحنيتُ لأسفل ومرت المرأتان بجوارى وهما تتحدثان بسرعة وبدون انقطاع . ولا أظن أنهما شاهدتانى أو شاهدتا السيارة . وكانت هناك سيارات واقفة فى المساحات المخصصة لوقوف السيارات هنا وهناك فى تلك المنطقة . وبعد مرور دقيقة خرجتُ من سيارتى وفتحت الجزء الخلفى منها . وكان كل شئ مُعداً وفقا للخطة الموضوعة . وشاهدتها وهى تجئ مقتربة . وازداد اقترابها بدون أن تشاهدنى حيث كانت تسير بسرعة وأصبحت على مسافة عشرين ياردة منى فقط . ولو كانت السماء صافيةً فى تلك الليلة فاننى لا أعرف ما الذى كنت سأفعله . ولكن كانت هناك تلك الرياح العاصفة بين الأشجار . كان الجو عاصفا ومليئا بالزوابع . وأدركت أنه لا يوجد هناك أىّ شخص وراءها وبعدئذ أصبحت موجودة خلفى مباشرة وهى منطلقة على رصيف الشارع ومن الغريب أنها كانت تغنّى لنفسها .

قلتُ لها « لو سمحت . هل تعرفين أية معلومات عن الكلاب ؟ » .

فتوقفت عن السير فى دهشة وقالت :

« لماذا ؟ » .

فقلتُ « انه لأمر شنيع . فقد دهمتُ بسيارتى كلبا منذ لحظات . فهو قد انطلق مندفعا فارتطم بالسيارة . ولست أدري ما الذى أفعله من أجله » . ثم نظرت إلى الجزء الخلفى من سيارتى فى قلق واهتمام شديد وقلتُ « ولكنه لم يتعرض للموت . فهو مازال على قيْد الحياة » .

فقالت « أوه . يا له من كلب مسكين » .

واقتربت منى لكى تلقى نظرة . تماما على النحو الذى كنت آمله وأتوقعه .

وقلت لها « لا توجد به دماء . ولكنه لا يستطيع أن يتحرك » .

وبعدئذ اتجهتْ إلى حافة الباب الخلفى المفتوح واتخذت أنا خطوة للوراء وكأننى أفسح لها المكان لكى أدعها تلقى نظرة . وانحنتْ هى للأمام لكى تحملق فى داخل السيارة فنظرت أنا إلى الطريق وأدركت أنه لا يوجد هناك أى شخص وبعدئذ أمسكت بها . فلم تصدر عنها أية أصوات ويبدو أنها أصيبت بذهول تام . وأخرجت كيس البلاستيك الصغير الذى كنت ممسكا به فى داخل جيبى ووضعته على فمها وأنفها وشددت من قبضتى عليها وتصاعدت بعض الغازات الضارة إلى أنفى وبدأت أشم رائحتها . وراحت هى تقاوم مثل العصافير الصغيرة ولكنها لم تكن قوية بل وكانت أكثر ضآلة مما كنت أتصور . وصدر عنها نوع من الغرغرة والبقبقة . فنظرت إلى الطريق مرة أخرى . وكنت أتخيل بعد هذا الذى حدث أنها ستقاوم فى استماتة مما يضطرنى إلى إلحاق الأذى بها أو اللجوء للفرار . وكنت على استعداد لأن

ألوذ بالفرار فجأة . ولكنها ارتمت فجأة فى تراخ من شدة الإعياء . واضطررتُ لأن أرفعها لأعلى بدلا من مساندتها . وأدخلت نصف جسدها فى داخل السيارة ثم فتحت الباب الآخر ودخلت إلى السيارة وجذبتها تماما إلى داخل السيارة ثم أغلقت البابين فى هدوء . وتدحرجت وقمت برفعها ووضعها على السرير . لقد أصبحت مِلْكاً لى وشعرت فجأة بالاثارة البالغة وأدركت أننى نجحتُ تماما فى انجاز هذه الفكرة . ووضعت الكمامة فى فمها أولاً ثم قمت بعدئذ بربطها بالحبال والأشرطة فى غير تسرع وبدون هلع أو خوف تماما على النحو الذى وضعته فى خطتى . ثم تدافعتُ زاحفا إلي كرسى القيادة . كل ذلك استغرق فترة أقل من دقيقة . ثم انطلقت بالسيارة على الطريق فى بطء وهدوء وانحرفت بالسيارة نحو أرض بور تابعة للهامبستيد وهو مكان كنت قد لاحظت وجوده من قبل وأوقفت السيارة . ثم دخلتُ إلى المكان الخلفى بالسيارة مرة أخرى وقمت بربطها فى إحكام وبطريقة سليمة مستخدما التلفيعات وكل الأشياء الأخرى لكى لا تتعرض للأذى والضرر وبذلك لم يكن باستطاعتها أن تصرخ مستغيثة أو أن تطرق على جوانب السيارة من الداخل أو أى شئ من هذا القبيل . كانت لا تزال مغشيا عليها فى اغماء ولكنها كانت تتنفس كما لو كانت مصابة بالتهاب فى الغشاء المخاطى أو مصابة بالزكام حيث كنت أسمع أصوات تنفسها ولذلك أدركت أنها على مايرام .

وبالقرب من ريدهيل Redhill قدت سيارتى بعيداً عن الطريق الرئيسى وفقا للخطة الموضوعة . وانطلقتُ فى شارع جانبى مهجور وبعدئذ دخلتُ إلي الجزء الخلفى من السيارة لإلقاء نظرة عليها . وأضأت بطارية جيب تعطى ضوءًا خفيفا وتمكنت من مشاهدتها بوضوح . لقد كانت مستيقظة . وبدت عيناها متسعتين للغاية . لم يكن الخوف يطل من عينيها على ما يبدو .

بل وبدت عيناها وكأنهما فخورتان وكما لو كانت قد قررت ألاّ يتسرب الخوف إلى قلبها مهما كان الثمن .

قلتُ لها « لا تشعرى بالذعر والخوف . فأنا لن أسبب لك أى ضرر أو ايذاء » فاستمرتْ فى الحملقة فى وجهى .

كان الموقف مليئا بالارتباك والخجل . لم أكن أعرف ما ينبغى علىّ أن أقوله . فقلتُ لها : « هل أنت على مايرام ؟ هل تريدين أىّ شئ ؟ » ولكن بدا تساؤلى هذا سخيفاً . فأنا كنت أقصد فى الحقيقة ما إذا كانت ترغب فى الخروج من السيارة .

وراحت تهزّ رأسها وأدركت أنها تريد أن تقول إن الكمامة تسبب لها آلاماً .

فقلت لها « نحن على مسافة أميال فى أعماق الريف . ولا فائدة تُرجى من وراء الصراخ إذا شرعت فى الصراخ لأننى عندئذ سأعيد الكمامة إلى فمك بسرعة . هل تفهميننى ؟ » .

فأومأت برأسها . لذلك قمت بفك التلفيعة وقبل أن أتمكن من عمل أى شئ فانها ارتفعت بهامتها لأعلى بقدر ما تستطيع وراحت تتقيأ . وكان التقيؤ رهيبا . وترامت إلي أنفى رائحة الكلوروفورم ورائحة التقيؤ . ولم تقل لى أى كلام ، كانت تكتفى بالأنين والتأوه وفقدتُ صوابى وشعرتُ بالارتباك ولم أكن أعرف ماذا أفعل . وأدركت فجأة أنه ينبغى علينا الذهاب إلى منزلى بأسرع ما يمكن . لذلك وضعتُ الكمامة مرة أخرى بينما راحت هى تقاومنى وسمعتها تقول من تحت القماش : « لا . لا . الكمامة رهيبة » ولكننى أرغمت نفسى على الالتزام بضرورة وضع الكمامة حيث أدركت أن ذلك أفضل كاجراء وقائي . ثم جلست فى كرسى القيادة وانطلقنا بالسيارة .

ووصلنا إلى الكوخ بعد الساعة العاشرة والنصف مباشرة . واتجهت بالسيارة إلى الجراج . ثم ذهبت لإلقاء نظرة على الكوخ بغرض التأكد من أن شيئا ما لم يحدث أثناء غيابى وليس لأننى كنت أتوقع حدوث أى شئ . ولكننى لم أكن أرغب فى اتلاف السفينة من أجل كمية ضئيلة من القطران . فنزلت هابطا إلى حجرتها وأدركت أن كل شئ فى تلك الغرفة كان على مايرام حيث لم يكن الهواء بها فاسدا للغاية لأننى كنت قد تركت باب تلك الغرفة مفتوحا . ولقد سبق لى أن نمت فى تلك الغرفة فى احدى الليالى من قبل لكى أتأكد من أن بها قدراً كافيا من الهواء وتأكدت أن الهواء كافيا بها . وكانت توجد بالغرفة كل الأدوات التى تعين على إعداد الشاى وغير ذلك من المشروبات الأخرى . وكانت تبدو مريحة ودافئة ومتسمة بالجو العائلى .

وأخيرا جاءت اللحظات الهائلة العظيمة . اتجهتُ إلى الجراج وفتحت الباب الخلفى للسيارة الفان . كان كل شئ يسير وفقا للخطة الموضوعة مثل مراحلى السابقة فى العملية . قمتُ بفك الأشرطة عنها وجعلتها تجلس معتدلة بينما كانت ساقاها وقدماها مازالت مربوطة بالطبع . وراحت هى تركل وترفس هنا وهناك للحظات فاضطررت لأن أقول لها إننى سأضطر إلى اللجوء إلى الكلورو ومادة الـ CTC إذا لم تلتزم بالهدوء (وجعلتها تشاهد هذه المواد) ثم أوضحت لها أننى لن أسبب لها أى أذى إذا كفت عن المقاومة فالتزمت بالهدوء بالفعل . فقمت بحملها ولم يكن وزنها ثقيلا للغاية كما توقعت . ونزلت بها لأسفل فى سهولة كبيرة وتعرضنا لقدر ضئيل من الكفاح والمجهود عند باب غرفتها ولكن لم يكن بمقدورها أن تفعل الكثير آنئذ . ثم وضعتها على السرير . لقد تم انجاز الخطة تماماً .

كان وجهها شاحبا وكان قدّر من القيئ قد سقط على بلوزتها التريكو البحرية . كانت رائعة وفاتنة للغاية . ولكن لم يكن هناك خوف فى عينيها

وكان ذلك أمرا غريبا بالفعل . كانت مكتفية بالحملقة فى وجهى فى انتظار وترقّب .

قلتُ لها « هذه هى غرفتك . وإذا تصرفت وفقا لما أقوله لك لن تصابى بأي ضرر . ولا فائدة من وراء لجوئك للصراخ والصياح . فلن يصل صراخك إلى خارج الكوخ وحتى إذا وصل صراخك إلى الخارج فلا يوجد هناك أى شخص قريب من هذا المكان لكى يسمعك على الاطلاق . ولسوف أتركك الآن . ويوجد هنا قدْر من البسكويت والساندوتشات (وكنت قد اشتريت هذه المأكولات من هامبستيد) ويمكن لك أن تعدّى لنفسك الشاى أو الكاكاو إذا رغبت فى ذلك . ولسوف أرجع إليك فى صباح الغد » .

وأدركت أنها تريد منى أن أرفع الكمامة عن فمها ولكننى لم أوافق على ذلك . واكتفيت بأن قمت بفك قيود يديها ثم تراجعتُ خارجا على الفور . وراحت تقاوم محاولة التخلص من الكمامة ولكننى أغلقتُ الباب أولاً ثم أغلقتُ الترابيس . وسمعتها تصيح « إرجعْ إلىّ » ثم صاحت بنفس العبارة مرة أخرى بصوت منخفض . وحاولت أن تفتح الباب فى غير لجوء إلى العنف . وبعدئذ راحت تطرق على الباب فى عنف بعض الشئ مستخدمة شيئا ما . وأظن أنها استخدمت فرشاة الشعر . وعلى كل حال لم تصدر أصوات عالية للغاية عن هذه الفرشاة وكنت واثقا من أن تلك الأصوات لن تصل مطلقا إلي خارج الكوخ . وظللت منتظرا لمدة ساعة فى الغرفة التحتية الخارجية لمواجهة أية أمور طارئة . ولكن لم يكن هناك داعٍ لذلك . إذ لم يكن هناك أى شئ فى غرفتها يمكنها من أن تستعين به لكسر الباب حتى ولو كانت عندها القوة التى تعينها على ذلك فقد حرصت على أن تكون كل الأطباق والفناجين مصنوعة من البلاستيك وبراد الشاى وما يلزم المائدة من سكاكين وملاعق وشوكات مصنوعة من الألومنيوم .

وأخيراً صعدتُ وذهبت إلي سريرى . لقد أصبحتْ هى ضيفتى أخيراً وذلك هو كل ما كان يهمنى . وظللتُ مستيقظا لفترة طويلة مفكراً فى الأمور والأشياء . وشعرت بأننى غير متأكد من أن سيارتى الفان قد اقتُفى أثرها . ولكن كانت هناك مئات السيارات الفان التى تشبهها . والناس الوحيدون الذين شعرت بالقلق من ناحيتهم ها هاتان المرأتان اللتان مرتا بجوارى .

حسنا . واستلقيت فى سريرى مفكرا فى كيانها الموجود أسفلى حيث تخيلتها وهى مستيقظة هى الأخرى . ثم استغرقتُ فى أحلام اليقظة وحلمت أحلاماً جميلة : حلمت أننى نزلت إليها بالغرفة السفلية ورحت أهدئ من روعها وأواسيها وكنت أشعر بالاثارة أثناء الحلم ربما أكون قد تماديت بعض الشئ فيما يتعلق بما سمحت لنفسى أن أحلم به ولكننى لم أكن أشعر بالقلق فى حقيقة الأمر حيث كنت أدرك أن حبى كان جديرا بها . وبعدئذ أسلمت نفسى للنوم .

وبعدئذ كانت تقول لى إننى فعلت أمرا سيئا وأنه ينبغى علىّ أن أحاول وأدرك فى مزيد من الدقة مدى ما أقدمت عليه من سوء وأذى . ويمكننى القول إننى كنت سعيدا للغاية فى ذلك المساء كما سبق أن قلت . إذ كنت أشعر أننى أقدمت على شئ ما يتسم بالجرأة الشديدة .. شئ ما أشبه بتسلق قمة جبل إيفرست أو أشبه بعمل شئ ما فى أرض الأعداء . كانت مشاعرى تموج بالسعادة والغبطة الهائلة لأن نواياى كانت من أفضل النوايا . وهو أمر لم تفهمه هى فى أىّ وقت من الأوقات على الاطلاق .

قصارى القول أن تلك الليلة كانت تعبْر عن أفضل شئ فعلته طوال حياتى (فيما عدا كسبى لليانصيب الذى يجئ فى المرتبة الأولى) . كان الأمر أشبه ما يكون بإمساكى بالمازارين بلو Mazarine Blue مرة أخرى أو بإمساكى لفراشة الفريتيلاريا التى تسمى ملكة أسبانيا

Queen of Spain Fritillary أقصد أنه كان يشبه شيئا ما لا تفعله سوى مرة واحدة طوال حياتك ... شيئا ما تحلم به أكثر مما تتوقع أن تشاهده يتحقق .

لم أكن بحاجة للمنبه لكي يوقظني . فقد استيقظت من النوم قبل أن يدق المنبه . ثم نزلت هابطا وأغلقت باب السرداب بالقفل ورائي . كنت قد وضعت خطة لكل شئ . ثم طرقتُ على بابها وصحت قائلا « استيقظي من النوم لو سمحت » . وانتظرت عشر دقائق ثم سحبت الترابيس ودخلت إلى حجرتها . كانت حقيبة يدها معي وكنت قد فتشت في تلك الحقيبة بالطبع . لم يكن هناك شئ بها يمكنها استخدامه سوى شفرة الحلاقة التي نقلتها إلى مكان آخر .

كان المصباح الكهربائي مضاء بالحجرة وكانت هي واقفة بجوار الكرسي الفوتيه . وكانت مرتدية ملابسها بالكامل ثم راحت تحملق في وجهي مرة أخرى بدون أن يبدو عليها أي دلائل تدلّ على خوفها بل وكانت جريئة إلى درجة الوقاحة . وكان من الغريب أنها لم تبد على النحو الذي كنت أتخيلها عليه دائما . وأنا بالطبع لم يسبق لي أن شاهدتها عن كثب شديد للغاية من قبل .

قلت لها « آمل أن تكوني قد نمت نوما هادئا وعميقا » .

فقالت في برود شديد وفي غير عنف على الاطلاق « أين يوجد هذا المكان ومَنْ تكون أنت ولماذا قمت باحضاري إلى هنا ؟ » .

« لا أستطيع الاجابة على أسئلتك هذه » .

فقالت « إنني أطالب باطلاق سراحي على الفور . فهذا أمر يتسم بالوحشية » .

كنا نقف ونحملق في بعضنا البعض .

ثم قالت « ابتعد عن طريقى . فأنا بصدد مغادرة هذا المكان » ثم سارت نحوى مباشرة فى اتجاه الباب . ولكننى لم أتزحزح من مكانى . وظننتُ للوهلة الأولى انها بصدد مهاجمتى ولكن من المؤكد أنها أدركت أن ذلك سيكون أمرا سخيفاً . فقد كنت مصمما ولم يكن بمقدورها أن تكسب الجولة . فتوقفت عن السير أمامى مباشرة وقالت « ابتعد عنّى » .

فقلت « لم يحن الوقت الملائم لذهابك . وأرجو ألا أضطر لاستخدام القوة مرة أخرى » .

فنظرت الىّ نظرات مليئة بالبرودة والشراسة ثم استدارت مبتعدة عنى وقالت « إذا كنت تظن أننى ابنة رجل غنى وبالتالى فأنك ستحصل على فدية كبيرة من المال فإنك ستصاب بصدمة كبيرة » .

فقلت لها « إننى أعرف مَنْ تكونين ، والمسألة لا تتعلق بالنقود » .

لم أكن أعرف ماذا أقول . كنت أشعر بالاثارة البالغة . بعد أن أصبحت موجودة أمامى أخيرا بجسدها وكيانها . كنت عصبيا للغاية . كنت أريد الاستمتاع بالنظر إلى وجهها وإلى شعرها الجميل فكل شئ فيها كان منمقا وجميلاً ولكننى لم أستطع ولذلك راحت هى تحملق فى وجهى . وكانت هناك فترة من الصمت تتسم بالغرابة .

وفجأة قالت فى لهجة مليئة بالاتهام « وهل أنا لا أعرف مَنْ تكون أنت ؟ » .

فبدأت الدماء تتصاعد إلي وجهى . لم يكن باستطاعتى أن أفعل شيئا إزاء تساؤلها هذا . فأنا لم أخطط أبداً لمواجهة ذلك . إذ لم يخطر على ذهنى مطلقا أنها ربما تعرفنى شخصيا .

وقالت فى بطء « دار البلدية » .

فقلت « لا أعرف ماذا تقصدين » .

فقالت « وأنت قد ربيت شاربك » .

كنت مازلت لا أعرف كيف عرفتنى . وأعتقد أنها قد شاهدتنى مرات قليلة من خلال نوافذ منزلهم فى بعض الأحيان . ولم يخطر ذلك على ذهنى من قبل . وشعرت أن ذهنى يدور فى دوامة .

وقالت « وصورتك الفوتوغرافية كانت فى الجريدة » .

لقد كنت أكره دائما أن يتم اكتشافى ولا أعرف السبب فى ذلك . ولقد حاولت دائما أن أشرح أقصد أن أبتكر قصصا وروايات لكى أشرح .

وفجأة تراءى لى مخرج .

فقلت « إننى لا أفعل سوى تنفيذ الأوامر الصادرة إلىَّ » .

فقالت « أوامر » وأضافت « أوامر صادرة عن مَنْ ؟ » .

قلت « لا أستطيع أن أخبرك » .

كانت لاتزال تحملق فى وجهى مع الاحتفاظ بمسافة بينها وبينى فى نفس الوقت . وأظن أنها كانت تعتقد أننى قد أهجم عليها .

وتساءلت مرة « مَنْ الذى أصدر لك تلك الأوامر ؟ » .

حاولت أن أفكر فى اسم شخص ما . كان الاسم الوحيد الذى اعتقدت أنها يمكن لها أن تعرفه هو المستر سنجلتون Singleton ولست أدرى السبب فى اعتقادى هذا . وكان هذا الرجل مديراً لبنك باركليز . وكنت أعرف أن والدها يودع نقوده فى ذلك البنك . فقد شاهدته مرات عديدة هناك عندما كنت موجوداً . وقد رأيته وهو يتحدث مع المستر سنجلتون .

فقالت « أوامر المستر سنجلتون » ؟!! .

وظهرت على وجهها دلائل الدهشة الشديدة لذلك سارعت إلى القول « من المفروض ألاً أخبرك بذلك وهو سوف يقتلنى إذا عرف أننى أخبرتك » .

فقالت كما لو كانت لا تسمعنى جيّداً : « المستر سنجلتون ؟ » .

فقلت « انه ليس على النحو الذى تظننيه » .

وجلست فجأة على ذراع الكرسى الفوتيه . كما لو كان الكرسى ضخما للغاية بالنسبة لجسدها الضئيل . ثم تساءلتْ « أنت تقصد أن المستر سنجلتون هو الذى أصدر لك الأوامر باختطافى ؟ » .

فأومأت برأسى .

فقالت «ولكننى أعرف إبنته . إنه ... أوه إن هذا عمل يتسم بالجنون» .

« هل تذكرين الفتاة التى كانت تسكن فى شارع بنهارست ؟ » .

« مَنْ هى تلك الفتاة التى كانت فى شارع بنهارست ؟ » .

« الفتاة التى اختفت منذ ثلاث سنوات » .

وكانت تلك قصة أقوم بتلفيقها . وكان عقلى نشطا للغاية وسريعاً فى ذلك الصباح . أو هكذا كنت أعتقد .

فقالت « ربما كنت في ذلك الوقت بعيدة فى المدرسة . ما الذى حدث لتلك الفتاة ؟ » .

« لست أدرى . كل ما أعرفه أنه هو الذى فعل ذلك » .

« ماذا فعل ؟ » .

« لست أدرى . لا أعرف ماذا حدث لها . ولكنه هو الذى فعل ذلك الأمر

مـهمـا كـانت نوعيـة ذلك الأمـر . إذ لم يعـرف عنهـا أحـد أية مـعلومـات منذ اختفائها » .

فقالت فجأة « هل لديك سيجارة ؟ » .

كنت مـرتبكا للغـاية . اسـتـخـرجت علبـة السـجـائر من جـيـبى كـمـا استخرجت الولاعة واتجهت إليها وأعطيتهما لها . ولم أكن أعرف ما إذا كان ينبغى على أن أشعل لها سيجارتها ولكن ذلك بدا سخيفاً .

وقلتُ لها « أنت لم تأكلى أىّ طعام » .

فأمسكت بالسيجارة بين أصابعها مثل سيدة محترمة للغاية . وكانت قد نظفت بلوزة التريكو الخاصة بها . وكان الجو خانقا بسبب عدم التهوية .

ولم تأبه لكلامى . وكان ذلك أمرا غريبا . وأدركت أنها عرفتْ أننى كنت أكذب عليها .

وقالت « أنت تريد أن تقول لى إن المستر سنجلتون هو إنسان مجنون بالنواحى الجنسية وأنه يختطف الفتيات وأنك تساعده على تحقيق ذلك ؟ » .

فقلت لها « إننى مضطر لأن أساعده . فأنا قد سرقت بعض النقود من البنك وسوف يتم إيداعى فى السجن إذا اكتشفوا ذلك . وكما ترين فانه يمسك علىّ هذه الغلطة » .

وطوال الوقت كانت تحملق فى وجهى . كانت لها عينان عظيمتان « كبيرتان صافيتان فضوليتان وكانت تلتزم دائما بالانتظار والترقب بغية اكتشاف الحقائق . (ولم تكن عيناها متعجرفتين بالطبع) .

« لقد ربحت قدرا كبيراً من الأموال فى اليانصيب . أليس كذلك ؟ » .

وأدركت أن الكلام الذى قلته كان مشوشاً ومتضاربا وشعرت بالدماء الساخنة تتدفق إلى وجهى ودبّ القلق والانزعاج فى نفسى .

وأضـــافت قـائلة « ولمـاذا لم تقـم بردّ النقود التى سرقـتـها من البنك بعد أن كسبت ورقة اليـانصيب ؟ وما هو مـقدار الأمـوال التى ربحـتـهـا فى اليانصيب ؟ هل هى ٧٠ ألف جنيه ؟ أعتقـد أنك لم تسرق من البنك كل ذلك المبلغ ؟ أم أنك ربما تساعده لمجرد تحقيق المتعة من وراء ذلك ؟ » .

فقلت « هناك أشياء أخرى لا أستطيع أن أقولها لك . فـأنا واقع تحت سيطرته » .

فـوقفت وقـد وضـعتْ يديهـا فى جيبى جـونلتـهـا . وراحت تحـملق فى نفسـها فى المرآة (وهى مرآة من المعدن بالطبع وليس من الزجـاج) لمجرد أن تغير من وضعها .

ثم تساءلت « وما الذى سيفعله هو معى ؟ » .

« لست أدرى » .

« وأين هو الآن ؟ » .

« أتوقع أنه سوف يجئ » .

وظلت صـامتة لمدة دقيقة . وبعدئذ بدا عليها وكـأنها قد فكرت فى شئ ما كريه أو فكرت فى أن ما قلته ربما يكون صـحيحا فى بعض جوانبه .

وقالت « من المؤكد أن هذا هو منزله الموجود فى سفولك . بالطبع » .

فـقلت « نعم » معتقدا أننى مـاهر فى اجابتى . فقالت فى برود شديد « إنه لا يمتلك منزلا فى سفولك » .

فقلت « أنت لا تعرفين » ولكن كلامى بدا واهنا ومتخاذلاً » .

وكانت على وشك أن تستـأنف الكلام ولكننـى أدركت أنه ينبغى على أن أوقف أسئلتها . إذ لم أكن أعرف أنها ذكية إلى هذه الدرجة الكبيرة .. فـهى لم تكن مثل الناس العاديين .

قلتُ لها « لقد جئت لكى أسألك عما تودين أن تأكليه فى وجبة الافطار ... توجد أكلة معدة من الحبوب كما يوجد بيض وغير ذلك من مأكولات » .

فقالت « لا أريد أىّ أفطار . فهذه الغرفة الصغيرة مريعة . انها تجعل المرء يشعر بالتخدير أو الغثيان لأى شىء كانت تُستخدم هذه الغرفة ؟ » .

« لم أكن أعرف أن هذه الغرفة ستجعلك تشعرين بالغثيان . حقا » .

فقالت « كان ينبغى على المستر سنجلتون أن يقول لك ذلك » . وكان من الواضح أنها لم تصدق تلك القصة التى أوردتها عن المستر سنجلتون . إذ قالت تلك العبارة على سبيل السخرية اللاذعة .

فقلت على وجه السرعة « أتودين تناول الشاى أو القهوة ؟ » فقالت « القهوة » وأضافت « بشرط أن تشرب من القهوة أمامى أولاً » . فتركتها وخرجتُ إلى الغرفة التحتية الخارجية . وقبل أن أغلق الباب قالت « لقد نسيت الولاعة الخاصة بك » .

فقلتُ لها « لدى ولاعة أخرى » . (ولم يكن لدى ولاعة أخرى) .

فقالت « شكرا » . ومن الغريب حقا أن طيف ابتسامة لاح على وجهها .

أعددت (القهوة) وذهبت بها إلى داخل غرفتها وراحت ترقبنى وأنا أحتسى كمية منها وبعدئذ شرعت فى تناول قدْر منها . كانت توجه لى أسئلة طوال الوقت . أو بالأحرى أحسست طوال الوقت أنها قد توجه إلي سؤالاً فى محاولة منها لايقاعى فى الشرك واستخلاص الحقائق منى . سؤالاً عن الفترة الزمنية التى ينبغى عليها أن تقضيها فى ذلك المكان أو سؤالاً عن السبب الذى دفعنى لأن أعاملها بمثل هذه الشفقة الشديدة . وأعددت الإجابات فى ذهنى على مثل هذه الأسئلة . ولكننى أدركت أنها إجابات ضعيفة وغير

شافية . إذ لم يكن من السهل تلفيق إجابات سريعة معها . وأخيرا قلت لها إنني بصدد الذهاب إلى الدكاكين لشراء بعض الحاجيات وأنه ينبغي عليها أن تخبرني بالأشياء التي تريدها لكي أشتريها لها . وقلت لها إنني على استعداد لشراء أيّ شيء تريده .

فقالت « أيّ شيء ؟ » .

فقلت « أي شيء في حدود المعقول » .

« هل طلب منك المستر سنجلتون أن تشتري لي أي شيء ؟ » .

« لا . فهذا العرض نابع مني شخصيا » .

فقالت « إن كل ما أريده هو إطلاق سراحي » .

ولم أستطع إرغامها على أن تقول أيّ كلام آخر . كان الأمر شنيعا . إذ أصرت فجأة على عدم التكلم . لذلك اضطررت لأن أتركها وأغادر الكوخ .

ظلّت ملتزمة بالصمت مرة أخرى أثناء تناول طعام الغداء . وقد طهيت وجبة الغداء في الغرفة التحتية الخارجية ونقلته إلي غرفتها ولكنها لم تأكل منه إلاّ قدْرا ضئيلاً للغاية . وحاولتْ الاستمرار في مخادعتي ومراوغتي مرة أخرى على الرغم من أنها كانت ملتزمة بالبرود والهدوء .

وفي ذلك المساء وعقب تناولها طعام العشاء الذي لم تتناول منه سوى قدر ضئيل للغاية ذهبتُ وجلستُ عند الباب . وجلستْ هي لبعض الوقت تدخن السيجارة وقد أغلقت عينيها كما لو كان منظري يسبب إرهاقا لعينيها .

« لقد كنت أفكر في الأمر . إن كل ما قلته لها عن المستر سنجلتون هو مجرد قصة ملفقة . وأنا لا أصدق هذه القصة . أولاً - لأنه رجل ليس من ذلك النوع من الرجال وثانيا - حتى لو كان هو من ذلك النوع من الناس فانه لن

يستعين بك للعمل لصالحه . فهو ليس من النوع الذى يقوم بكل هذه الاستعدادات العجيبة » .

فلم أردّ عليها بأى كلام . ولم يكن بمقدورى النظر إليها .

« لقد أتعبت نفسك كثيراً . فقد أحضرت كل تلك الملابس الكثيرة وكل هذه الكتب الفنية . ولقد رحت أحسب جملة تكاليف هذه الأشياء بعد ظهر هذا اليوم فاكتشفتُ أن جملة المبلغ ٤٣ جنيها » .

وكان يبدو عليها وكأنها تكلم نفسها . ثم أضافت : « إننى سجينتك . ولكنك تريد لى أن أكون سجينة سعيدة . لذلك فيوجد هناك احتمالان : الاحتمال الأول هو أنك تحتجزنى من أجل الحصول على فدية مالية . والاحتمال الثانى هو أنك عضو فى عصابة أوشئ من هذا القبيل » .

فقلت لها « لست كذلك » .

« أنت تعرف مَنْ أكون أنا . ومن المؤكد أنك تعرف أن والدى ليس غنيا أو أىّ شئ من هذا القبيل . ولذلك فأنا أستبعد أن تكون قد احتجزتنى من أجل الحصول على فدية مالية » .

وكان من الغريب أن أسمعها وهى تفكر على ذلك النحو السليم .

وأضافت « إذن فالشئ الوحيد المتبقى هو الجنس . أنت تريد أن تفعل بى شيئا ما » وراحت ترقبنى فى إمعان .

وكانت عبارتها الأخيرة على هيئة تساؤل . وقد صدمنى هذا التساؤل .

قلت « الأمر لا يتعلق بالجنس على الاطلاق . ولسوف أكون ملتزما بكل مبادئ الاحترام والتقدير لك . فأنا لست من ذلك النوع من الناس » . وبدا ردّى مقتضبا للغاية .

فقالت « اذن فأنت بكل تأكيد إنسان مجنون » وأضافت « بطريقة لطيفة شفوقة بالطبع » .

ثم تساءلت « هل أنت تعترف بأن القصة التى أوردتها عن المستر سنجلتون هى قصة غير حقيقية ؟ » .

فقلت « لقد أردت أن أفشى لك الأمر تدريجيا وفى رفق » .

فتساءلت « تفشى ماذا ؟ وأضافت متسائلة :

« أهى عملية اغتصاب ؟ أم عملية اغتيال ؟ » .

فقلت « إننى لم أقل ذلك أبداً » . ويبدو أنها كانت تضعنى دائما فى وضع المتحفز للدفاع . وفى أحلامى كان الوضع عكس ذلك دائماً .

« لماذا أنا محتجزة هنا ؟ » .

« أريد لك أن تكونى ضيفتى » .

« ضيفتك ؟! » .

ثم نهضت واقفة وسارت حول الكرسى الفوتيه وانحنت على ظهر الكرسى بينما عيناها مسلطتان علىّ طوال الوقت . وكانت قد خلعت بلوزتها التريكو الزرقاء ووقفت هناك مرتدية فستانا صوفيا مزخرفا بمربعات ملونة بلون أخضر داكن . وهو فستان شبيه برداء تلميذات المدارس علاوة على ارتدائها بلوزة بيضاء مفتوحة عند الرقبة . وكان شعرها ملقى على ظهرها على شكل ضفيرة . وكان وجهها رائعا ومحببا للنفس وممتعا . وكانت تبدو شجاعة وجريئة . ولست أدرى السبب فى أننى تخيلتها وهى تجلس فوق ركبتى فى هدوء شديد بينما رحت أقوم بالمسح على شعرها الأشقر المنساب على النحو الذى شاهدته بعد ذلك .

قلت لها فجأة « أنا أحبك . ولقد دفعنى حبك إلى الجنون بك » .

فقالت فى صوت غريب ووقور « أدرك ذلك » .

وبعدئذ لم تعد تنظر إلىّ على الاطلاق .

إننى أعرف أن القول – بأنك تحب امرأة – يعتبر موضة قديمة . ولم أكن أهدف إلى أن أقول تلك العبارة لها . فى أحلامى كنا دائما نتبادل النظرات العميقة وبعد فترة تبادلنا القبلات ولم نتبادل أى كلام بعد ذلك . ولقد كان هناك ولد يسمى نوبى فى الاكاديمية الملكية للبطريكية الرئيسية R.A.C.P. وكان يعرف كل الأمور المتعلقة بالنساء وكان يقول دائما إنه ينبغى على الشاب ألاّ يقول لامرأة أنه يحبها على الاطلاق . وحتى لو قال لها إنه يحبها فينبغى أن يقول لها ذلك على سبيل المزاح . وهو يؤكد أن ذلك يجعل الفتيات يداومن على ملاحقتك . إذ ينبغى أن تتلاعب بشدة لكى تتمكن من الحصول على ما تريده . والشئ السخيف هو أننى قلتُ لنفسى عشرات المرات أنه ينبغى علىّ ألاّ أقول لها « إننى أحبك » وانما أترك هذا الأمر ليحدث بشكل طبيعى من الطرفين فى آن واحد . ولكننى بعد أن امتلكتُها وأصبحتْ بين يدىّ تعرض رأسى للدوار والتخاذل بحيث أصبحت أقول فى الغالب كلاما لم أكن أقصد أن أقوله . ولا أعنى أننى أخبرتها بكل شئ . فقد حدثتها عن عملى فى دار البلدية وعن مشاهدتى لها وعن تفكيرى وانشغال ذهنى بها وبطريقة سلوكها ومشيتها وعن أنها أصبحت تمثل كل شئ فى حياتى ثم حدثتها عن حصولى على تلك الأموال الوفيرة وعن أنها لا يمكن لها أن تلتفت إلىّ على الرغم من حصولى على كل تلك الأموال وأوضحت لها أننى أشعر بالوحدة القاسية . وعندما انتهيتُ من كلامى كانت هى جالسة على السرير بينما نظراتها متجهة إلى السجادة . ولم نتحدث لفترة بدت طويلة للغاية . لم يكن هناك سوى صوت المروحة الذى كان يترامى من الغرفة السفلية الخارجية .

وشعرت بالخجل من نفسى . وتدفقت الدماء فى عنف إلى وجهى .

« هل تظن أنك ستجعلنى أحبك من خلال احتفاظك بى كسجينة لديك ؟ » .

« إننى أريد لك أن تتعرفى على جوانب شخصيتى » .

« طالما أننى موجودة هنا فأنت لست سوى إنسان مختطف من وجهة نظرى . هل تدرك ذلك ؟ » .

فنهضتُ واقفا . حيث لم أعد أرغب فى الوجود معها .

فقالت « انتظر » وسارت فى اتجاهى . وأضافت « إننى سأقدم لك تعهُّداً . فأنا الآن أدرك جوانب الموقف . حقا . دعنى أذهب . وأتعهد لك بأننى لن أبلغ أى شخص بما حدث ولن يحدث أىّ شئ لك بعد ذلك » .

وكانت تلك هى أول مرة تنظر فيها إلىّ نظرة مليئة بالعطف والشفقة وكررت القول بنظراتها التى هى فى نفس وضوح الكلمات « ضع ثقتك فىّ » . بل وظهرت ابتسامة خفيفة حول عينيها وهى تلقى بنظرها لأعلى نحوى وقد ظهرت اللهفة الشديدة فى عينيها وهى تقول :

« يمكن لك . يمكن لنا أن نكون صديقين . بل ويمكننى أن أقدم لك يد العون والمساعدة » .

وكانت نظراتها متجهة لأعلى نحوى .

لم يكن بمقدورى أن أعبر عما يجيش فى صدرى من مشاعر . فاضطررت للاكتفاء بأن أتركها . فقد سببت لى آلاما حقيقية . لذلك أغلقتُ الباب وتركتها بل وبدون أن أقول لها « طابت ليلتك » .

لن يفهمنى أحد . فهم سيعتقدون أننى قد تعقبتها من أجل الامساك

بها والاعتداء عليها . في بعض الأحيان عندما كنت أنظر إلى الكتب قبل مجيئها كان الأمر يتمشى مع ما أعتقده أو أنني لم أكن أعرف . ولكن بعد مجيئها فقط أصبح الأمر مختلفا تماما . إذ لم أفكر في الكتب ولا في طريقتها الخاصة في الوقوف أو الجلوس إذ أصبحت الأمور المماثلة لذلك تثير اشمئزازي لأنني كنت أدرك أنها ستثير اشمئزازها أيضا . كان هناك شئ ما في داخلها لطيف للغاية مما يجعلك تضطر لأن تكون لطيفا أيضاً ويمكن لك أن تدرك أنها كانت تتوقع ذلك على نحو ما . أقصد أن امتلاكي لها في عالم الحقيقة جعل الأمور الأخرى تبدو رديئة . فهي لم تكن مثل بعض النساء اللائي لا يحظين باحترامك وبالتالي فأنت لا تهتم بما تفعله . أما هذه الفتاة فكنت أحترمها وبالتالي فكان لزاما عليّ أن أكون حريصا وحذرا للغاية .

لم أنم نوما عميقا في تلك الليلة لأنني قد صُدمت من الاتجاه الذي سارت إليه الأمور ومن قولي لها كلاما كثيرا للغاية – في نفس اليوم الأول – ومن كونها جعلتني أبدو إنسانا مغفلا وعبيطا . وجاءت على لحظات فكرت فيها بأنه ينبغي على أن أهبط إليها وأصطحبها إلى سيارتي وأعيدها إلى لندن محققا لها رغبتها . وبعدئذ أسافر إلى خارج البلاد . ولكنني بعدئذ فكرت في وجهها الممتع وفي الطريقة التي تتدلى بها ضفيرتها على جانب بعض الشئ فوق ظهرها وطريقة وقفتها ومشيتها وعينيها الصافيتين المحببتين للنفس . وأدركت أنني لا يمكن لي أن أعيدها إلى لندن .

وبعد الافطار – وفي ذلك الصباح تناولت قدرا ضئيلا من الحبوب وبعض القهوة وبدون أن نتكلم على الاطلاق – نهضت وارتدت ملابسها ولكن سريرها كان مُرتبا بأسلوب مختلف عن ذي قبل مما يؤكد أنها قد نامت في السرير . وعلى كل حال فانها قد أوقفتني عندما كنت بصدد الخروج من غرفتها حيث قالت لي :

« أودّ أن أتحدث معك » .

فتوقفتُ .

قالت « إجلس » فجلستُ على الكرسى الموجود بجوار السلالم المتجهة لأسفل .

قالت « استمع إليّ . إن هذا التصرف من جانبك يتسم بالجنون . فاذا كنت تحبنى بالمعنى الحقيقى لكلمة حب فانه لا يمكن لك أن تحبسنى هنا . ولعلك تدرك أننى تعيسة للغاية هنا . فالهواء هنا رهيب حتى أننى لا أستطيع أن أتنفس بطريقة طبيعية أثناء الليل . ولقد استيقظت من النوم بسبب تعرضى للصداع . ولسوف أتعرض للموت إذا احتفظت بى هنا لفترة طويلة» .

وبدا عليها القلق الشديد بالفعل .

فقلت لها « لن يدوم ذاك لفترة طويلة . وأنا أعدك بذلك » .

فنهضت ووقفت بجوار صوان الملابس وحملقتْ فى وجهى .

ثم قالت « ما اسمك ؟ » .

فقلت « كليج Glegg » .

« ما هو إسمك الأول ؟ » .

« فرديناند » .

فألقت عليّ نظرة حادة سريعة .

وقالت « هذا ليس صحيحا » . وتذكرتُ أن حافظة نقودى الموجودة فى معطفى بها الحروف الأولى من اسمى فعرضت عليها محفظتى لكى تشاهدهابنفسها . فتشككت فى أن الحرف F يقابل كلمة Ferdinand . ولقد كنت أحب دائما الاسم فرديناند حتى قبل أن أعرفها . فهو اسم فيه شئ ما

أجنبى أو شئ ما مميز . ولقد اعتاد العم ديك أن ينادينى بهذا الاسم فى بعض الأحيان على سبيل المزاح . إذ اعتاد أن يقول لى : « اللورد فرديناند كليج . ماركيز البق والحشرات » .

قلت « انها مجرد مصادفة » .

قالت «أعتقد أن الناس ينادونك باسم فريدى Fredie أو فريد Fred» .

« يقولون » دائما فرديناند » .

« استمع إلىّ يا فرديناند . اننى لا أعرف الأمور التى تجعلك تنبهر بى . لا أعرف الأسباب التى جعلتك تقع فى حبى . ولربما أقع أنا فى حبك فى أى مكان آخر بخلافِ هذا المكان . اننى ... ... » وبدا عليها أنها لا تعرف ماذا تقول . واضافت « إننى أشعر بالارتياح بالفعل نحو الرجال الذين يتسمون بالعطف والشفقة والرقة . ولكننى لا يمكننى أن أقع فى حبك فى هذه الغرفة الرهيبة . ولا يمكنَ لى أن أقع فى حب أى إنسان على الاطلاق فى هذا المكان . أبداً » .

فقلت « اننى أريد فقط التعرف على جوانب شخصيتك » .

وطوال هذا الوقت كانت تجلس على صوان الملابس حيث كانت ترقبنى لتعرف مدى التأثير الذى أحدثه كلامها علىّ . لذلك كانت الشكوك تراودنى . وأدركت أن ذلك كان مجرد اختبار لى .

وقالت « ولكن لا يمكن لك أن تختطف الناس لمجرد التعرف على جوانب شخصياتهم ! » .

« اننى أريد التعرف أكثر على شخصيتك . ولا توجد أمامى فرصة لتحقيق ذلك فى لندن . وأنا لست إنسانا لبقا وماهرا . كما أننى لست من

نفس طبقتك الاجتماعية . ولا يمكن لك أن تصادقيني وأنت في لندن » ،

« ليس من العدل والانصاف أن تقول هذا الكلام . وأنا لست ممن يتكبرّ ويتعالى على أفراد طبقته الاجتماعية . وأنا أكره الذين يتعالون على طبقتهم الاجتماعية . فأنا لست من النوع الذى ينحاز ضد الناس » .

فقلت « إننى لا ألومك » .

فقالت فى عنف شديد « اننى أكره التنفجية Snobism (★) » . وكانت لها طريقة في قوْل بعض الكلمات فى عنف وتأكيد شديدين . وأضافت « فأنا لى أصدقاء حميمون فى لندن ينتمون لطبقة العمال . ونحن لا نفكر فى التفرقة الطبقية على الاطلاق » .

فقلت « لك أصدقاء من أمثال بيتر كاتسبى » (وكان ذلك هو اسم الشاب الذى يمتلك سيارة سباق تحمل إسمه) .

« هذا الشاب ! اننى لم أشاهده منذ عدة شهور . انه ولد ساذج وأحمق وهو من سكان الضواحى وينتمى للطبقة المتوسطة » .

كان لا يزال بمقدورى مشاهدتها وهى تصعد إلى سيارته ماركة M G . المبهرجة الزاهية الألوان . ولم أعرف ما إذا كان علىّ أن أثق فى كلامها .

« وأعتقد أن هذه المعلومات عنه قد وردت فى كل الجرائد » .

« إننى لم أتصفح الجرائد » .

« ربما يصدر عليك حكم بالسجن لعدة سنوات » فقلت « اننى أستحق هذا الحكم بل وأستحق السجن مدى الحياة . السجن المؤبد » .

(★) تقليد المرء للطبقة الاجتماعية الأعلى والتشبه بها مع احتقار طبقته الاجتماعية والطبقة الاجتماعية الأخرى التى هى أدنى من طبقته .

« إننى أعدك . وأقسم لك أنك إذا أطلقت سراحى فإننى لن أخبر أى شخص بما حدث . سأقول لهم جميعا أى رواية ملفقة . ولسوف أعمل الترتيبات اللازمة لكى أتقابل معك كلما أردت ذلك وكلما استطعتُ ذلك فى الأوقات التى لا أكون فيها مشغولة بانجاز الأعمال . ولن يعرف أى شخص اخر أى شئ عن هذه الترتيبات باستثنائك أنت فقط » .

فقلت « لا أستطيع أن أطلق سراحك . ليس الآن « وشعرت أننى مثل ملك يتسم بالقسوة .

« إذا سمحت لى بالانصراف الآن سأبدأ فى الاعجاب بك . وسأقول لنفسى (إننى قد وقعت تحت رحمته ولكنه كان متسما بالفروسية والشهامة وتصرف معى كجنتلمان حقيقى) » .

فقلت « لا أستطيع ذلك ولا تسألينى عن السبب . أرجوك ألا تسألينى عن السبب » .

« ينبغى أن أقول لنفسى إن شخصا كهذا يستأهل بكل تأكيد التعرف عليه وتعميق الصداقة معه » وكانت تجلس جاثمة هناك وراحت ترقبنى .

فقلتُ « ينبغى علىّ أن أنصرف الآن » ثم خرجتُ مهرولاً بسرعة كبيرة حتى أننى تعثرت ووقعت فوق السلّمة العليا . فنهضتْ من فوق صوان الملابس ووقفت تنظر إلىّ من خلال فتحة الباب وقد ظهرت على وجهها تعبيرات غريبة .

وقالت « أرجوك » . ونطقت تلك الكلمة فى رقة وعذوبة بالغة . وكان من الصعب على للغاية مقاومة كلمتها الرقيقة . كان الأمر أشبه بقيامك باصطياد - رغم عدم وجود شبكة معك - عيّنة تريدها والامساك بها باصبع الابهام والسبابة (ولقد كنت دائما ماهرا للغاية فى اصطياد الفراشات بتلك

الطريقة) بحيث تقترب خلفها فى بطء شديد وتمسك بها ولكن ينبغى عليك أن تضغط على القفص الصدرى الذى يكون فى حالة ارتعاش . ولم تكن هذه الطريقة فى الاصطياد سهلة مثل طريقة استخدام زجاجة القتل . ولقد واجهتُ صعوبة مضاعفة مع ميراندا لأننى لم أكن أرغب فى قتلها . فذلك هو آخر شئ كنت أريده .

وغالبا ما كانت تستطرد فى الكلام عن كيف أنها كانت تكره التمييز الطبقى . ولكنها لم تستطع إقناعى بذلك على الاطلاق . فالطريقة التى يتحدث بها الناس هى التى تفضحهم وتكشف سرهم وليس الكلام الذى يقولونه فى حدّ ذاته هو الذى يفضحهم . عليك فقط أن تشاهد طرائقها الأنيقة الرقيقة لكى تدرك الكيفية التى تربت عليها . صحيح أنها لم تكن متعجرفة مثل العديد من الفتيات ولكن العجرفة كانت موجودة هناك رغم كل ذلك . ويمكن لك أن تلحظ تلك العجرفة عندما تتحول إلى التهكم علىّ فى نفاد صبر لأننى لم أستطع أن أعرض وجهة نظرى أو لأننى فعلتُ أمورا خاطئة . إذ كانت تقول لى « توقف عن التفكير فى الطبقات الاجتماعية » مثل رجل غنى يأمر رجلاً فقيراً أن يتوقف عن التفكير فى النواحى المالية .

وأنا لا أمسك عليها هذه الغلطة فهى ربما قالت وفعلت بعض الاشياء الشنيعة التى فعلتها لكى تظهر لى أنها ليست مهذبة ولكنها كانت مهذبة وهى عندما كانت تغضب فانها كانت تعتلى حصانها العالى وتغير موقفها وتتحول إلى الجانب الآخر .

كانت الطبقة الاجتماعية تقف دائما حائلا بينى وبينها .

ذهبت إلى لويس فى ذلك الصباح . لأننى كنت أرغب فى إلقاء نظرة على الجرائد ولذلك اشتريت كمية كبيرة منها . وكل الصحف قد أوردت إشارة إلى هذا الحادث .. وبعض الجرائد التافهة تناولت هذا الحادث فى

اسهاب . واثنتان منها نشرتا صورا فوتوغرافية . وقرأت التقارير الواردة بتلك الصحف . وجاءت بها معلومات لم أكن أعرفها من قبل .

« ميراندا الفتاة الشقراء ذات الشعر الطويل البالغة من العمر عشرين عاما والطالبة فى مجال الفنون والتى حصلت على منحة دراسية كبرى فى مدرسة سليد للفنون بلندن قد فُقدت . ولقد كانت تعيش أثناء فترة الدراسة فى المنزل رقم ٢٩ شـارع هامنت N.W.3 مع عمتها الآنسة س . فابنروخ جونز . التى قامت فى فترة متأخرة من ليلة الأمس بابلاغ الشرطة .

وبعد الانتهاء من الدراسة فى يوم الثلاثاء اتصلت ميراندا تليفونيا لتقول إنها ستذهب إلى السينما وأنها ستصل إلى المنزل بعد الساعة الثامنة مساء .

وتلك كانت هى آخر مرة شوهدت فيها .

وكانت هناك صورة فوتوغرافية كبيرة لها وإلى جوار الصورة كُتبت هذه العبارة : هل شاهدت هذه الفتاة ؟

وأثارت جريدة أخرى ضحكاتى حيث جاء بها ما يلى :

ان سكان منطقة هامبستيد قد تزايد قلقهم فى خلال الشهور الأخيرة بسبب « الذئاب » التى تطوف خلسة فى أرجاء المنطقة مستخدمة السيارات . ولقد قال لى بيير بروجتون وهو زميل لميراندا وصديق حميم لها فى المقهى الذى كثيراً ما اصطحب ميراندا إليه إنها كانت تبدو سعيدة للغاية فى نفس اليوم الذى اختفت فيه وكانت قد عملت ترتيباتها للذهاب إلى مَعْرِض معه وأضاف قائلا » وميراندا تعرف لندن حقّ المعرفة وهى لا يمكن لها أن تسمح لشخص أجنبى لا تعرفه أن يوصلها بسيارته إلى أىّ مكان أو أىّ شئ من هذا القبيل . واننى لأشعر بالقلق الشديد ازاء اختفائها » .

ولقد قال متحدث رسمى عن مدرسة سليد ما يلى : « إن ميراندا من أحسن الطالبات المتفوقات فى الصف الثانى بالمدرسة وهى تبشر بتحقيق مستقبل باهر . ونحن واثقون تماما من أن هناك أسبابا غير ضارة تكمن وراء اختفائها . فالشبان والشابات المهتمون بالفنون لهم نزواتهم الخاصة بهم » .

وهنا يكمن السرّ وراء اختفائها .

ويقوم رجال الشرطة باستجواب أى شخص يكون قد شاهد ميراندا فى مساء يوم الثلاثاء أو يكون قد سمع أو لاحظ أى شئ مثير للشكوك فى منطقة هامبستيد حتى يمكنهم التوصل إلى كشف غموض هذا الحادث .

وجاءت بالصحف أوصاف للملابس التى كانت ترتديها وغير ذلك من أمور أخرى مع نشر صور فوتوغرافية لها . وقالت صحيفة أخرى إن الشرطة ستقوم بالتفتيش فى كل مكان فى جميع الأراضى البور التابعة لهامبستيد . وتحدثت صحيفة أخرى عن بيير بروجتون وكيف أنه وميراندا كانا مخطوبين على نحو غير رسمى . فساءلت نفسى فى تعجب : تُرى هل هو ذلك الشاب ذو الملابس الغريبة الذى شاهدتها معه ؟ . وقالت جريدة أخرى « ان ميراندا من أكثر الطالبات شعبية بين زملائها وكانت تبدى دائما رغبتها فى مساعدة الآخرين » . وأجمعت كل الجرائد على أنها كانت جميلة للغاية وكانت هناك صور فوتوغرافية لها . ولو كانت هى قبيحة المنظر لأوردت الصحف سطرين فقط عنها على الصفحات الأخيرة .

ولقد جلستُ فى سيارتى الفان الموجودة على حافة الممر فى طريق العودة إلى الكوخ وقرأت جميع الصحف سالفة الذكر . فأحسست بمشاعر النفوذ والقوة . ولست أدرى السبب فى ذلك . فكل هؤلاء الناس يبحثون ويتساءلون وأنا الوحيد الذى أعرف الاجابة على تساؤلاتهم .

وعندما بدأت فى قيادة سيارتى فى طريق العودة إلى الكوخ قررت ألاّ أخبرها بما قرأت فى هذه الصحف .

وكمـا توقـعت فـان أول شئ سـألتنى عنه لدى عـودتى إليـهـا كـان هـو الصحف والمجلات . إذ قالت « ألم تذكر الصحف أى شئ عنى ؟ » فقلت لها إننى لم ألق نظرة على الصحف وأننى سـأقوم بقراءتها . كما أوضحت لها أننى غير مشغوف بالصحف لأنها كلها تنشر كميات هائلة من الكلام الفارغ . فلم تبد إصرارها .

ولم أسـمح لهـا على الاطلاق بقـراءة الصـحف كـمـا لم أسـمح لهـا بالحصول على مذياع أو تليفزيون . ولقد تصادف أننى رحت أقرأ كتابا ذات يوم قـبل أن تجئ هى إلى المنزل وكـان ذلك الكتـاب تحت عنوان « أسـرار الجستـابو » - وكـان يتناول كل المعلومات التى تتعلق بوسـائل التعذيب وكل الأمور التى كان عليهم أن يفعلوها أثناء الحرب . وكيف أنهم يحرصون تماما إذا كنت سـجـينا لديهم على ألاَّ تعرف أية مـعلومـات عمـا يدور فى خـارج السجن . أقصد أنهم كـانوا يتعمدون عدم تمكين السجناء من معرفـة أية معلومات بل وعدم السمـاح للسجناء بالتحدث مع بعضـهم البـعض بحـيث يصبحون منعزلين تماما عن عالمهم القديم . وكانت تلك الوسيلة تسبب الانهيار التـام لهم . وأنا بالطبع لم أكن أريد لميراندا أن تصـاب بالانهيـار التـام على النحو الذى أراده الجستابو لسجنائهم . ولكننى كنت أعتقد أنه من الأفضل أن تُعزل ميراندا عن العالم الخـارجى وأن تنشـغل فى التـفكيـر فىّ بشكل أكبـر . ولذلك فـانه على الرغم من مـحـاولاتهـا العـديدة لحـفزى على تزويدها بالصحف وراديو فـاننى لم أدعها تحصل على هذه الأشيـاء على الاطلاق . وفى خـلال الأيام الأولى لـم أرد لهـا أن تقـرأ عن الاجـراءات التى تتـخـذها الشرطة لأن ذلك من شأنه أن يثير شجونها ويسبب لها الكثير من الازعاج . ويمكن لك أن تقول إن حجب الصحف عنها كان من قـبيل الشـفقـة والعطف عليها .

فى تلك الليلة طبخت لها عشاء مكونا من البازلاء الطازجة المجمدة والدواجن فى صلصة بيضاء فأكلت ذلك الطعام وبدا عليها أنها أحبت تلك الوجبة . وبعد أن انتهت من تناول طعامها قلتُ لها « هل يمكن لى البقاء هنا إلى جوارك قليلاً ؟ » .

فقالت « إذا كنت تريد ذلك » . كانت تجلس على السرير وقد طوت البطانية ووضعتها عند ظهرها على الحائط وكأنها وسادة . وكانت قدماها مطويتين تحتها . وراحت لبعض الوقت تدخن سيجارتها وتنظر فى إحدى الكتب الفنية المصورة التى أحضرتها لها .

ثم سألتنى « هل تعرف أي شئ عن الفن ؟ » .

« لا أعرف شيئاً عن الفن يمكن أن يقال عنه إنه معرفة حقيقية بالفن » .

« لقد كنت أدرك أنك لن تعرف الفن حق المعرفة . فلو كنت تعرف الفن لما قمت بايداع إنسانة بريئة فى السجن » .

فقلت « إننى لا أرى أية علاقة بين الفن وبين إيداعك فى السجن » .

فأغلقت الكتاب وقالت « حدثنى عن نفسك . وعما تفعله فى أوقات فراغك » .

فقلت « إننى عالم فى علم الحشرات . وأنا أجمع الفراشات » .

فقالت « بالطبع . وأنا أذكر أنهم قالوا ذلك فى الجريدة . وها أنت الآن قد قمت باصطيادى » .

وبدا عليها أنها تعتقد أن ذلك أمر هزلى . لذلك قلت لها » إننى قمت باصطيادك على سبيل المجاز » .

فقالت « لا . ليس على سبيل المجاز .وانما هو اصطياد حرفى وحقيقى وبدون أدنى مبالغة . فأنت قد حبستنى فى هذه الغرفة الصغيرة ويمكن لك أن تجئ وتنظر إلىّ فى نهم وشراسة وشماتة » .

« اننى لا أفكر فى ذلك على هذا النحو على الاطلاق » .

« هل تعرف أننى بوذية ؟ إننى أكره أى شئ من شأنه أن يسلب الحياة . حتى لو كان ذلك يتعلق بحياة الحشرات » .

فقلت لها « ولكنك أكلت الدواجن » وشعرت أننى أمسكت عليها هذه الغلطة .

فقالت « ولكننى أحتقر نفسى . فأنا لو كنت إنسانة أفضل مما أنا عليه لكنت قد أصبحتُ إنسانة نباتية » .

فقلت « إذا طلبت منى أن أتوقف عن جمْع الفراشات فاننى سأتوقف عن جمعها على الفور .فأنا على استعداد لأن أفعل أى شئ تطلبينه منى » .

« باستثناء إطلاق سراحى والسماح لى بالطيران بعيداً » .

« أفضل ألاّ نتكلم فى هذا الموضوع . فهو لن يفضى بنا إلى أية نتيجة » .

« على كل حال لا يمكننى أن أحترم أى شخص وخاصة أى رجل يقوم بعمل الأشياء لمجرد أن يدخل علىّ السرور . فأنا أريد له أن يفعل الأشياء لأنه يؤمن بأن ما يفعله هو الصواب » .

وقد اعتادت طوال الوقت أن تنتقدنى . فقد يخطر على بالك أننا نتحدث فى شئ ما يتسم بالبراءة التامة وإذا بها فجأة تطعننى بتعليقاتها اللاذعة . ولم أستطع أن أتكلم .

فقالت « كم من الوقت سأقضيه هنا ؟ » .

فقلت « لا أدرى . فهذا يتوقف » .

فقالت « يتوقف على ماذا ؟ » .

فلم أردّ بأى كلام . لم أستطع أن أقول أىّ شئ .

فقالت « يتوقف على وقوعى فى حبك ؟ » .

وبدا الأمر وكأنها تؤنبنى تأنيبا مستمرا .

واستطردت « لأنه لو كان الأمر يتوقف على حبى لك فاننى سأظل موجودة هنا إلى أن موت » .

فلم أردّ عليها .

وأضافت « انصرف من أمامى . انصرف من أمامي وفكر فى الأمر جيداً » .

وفى صباح اليوم التالى قامت بأول محاولة للهروب . وهى لم تضبطنى غافلا عن حراستها ولكننى تعلمت درسا مما حدث . فبعد أن تناولتْ طعام إفطارها أوضحت لى أن سريرها كان مفكوكا وغير ثابت وكانت رجل السرير الخلفية الموجودة فى الركن غير محكمة وغير مثبتة تماما وقالت لى أن هناك صامولة مفكوكة وأن السرير بصدد الانهيار على الأرض . ومثل أى إنسان مغفل ذهبت لمساعدتها فى الامساك بالصامولة وعندئذ قامت بدفعى دفعة قوية للغاية فى نفس اللحظة التى كنت فيها فاقدا للتوازن وانطلقت متخطية إياى وصعدت لأعلى على السلالم مثل البرق . وكان هناك خطاف أمان ممسك بالباب كالشنكل ليظل مفتوحاً كما كانت هناك قطعة من الخشب على هيئة حرف V من أجل أن يظل الباب مفتوحا وبينما كانت تحاول أن تركل بقدمها تلك القطعة الخشبية انطلقت وراءها فاستدارت وجرت وصرخت بأعلى صوتها : النجدة . النجدة . النجدة . وصعدت على السلالم إلى الباب الخارجي الذى كان مغلقا بالقفل بالطبع . فراحت تجذب فى ذلك الباب وتطرق عليه بيدها فى عنف وتصرخ فى حدة ولكننى أمسكت بها عندئذ . وكرهت ما فعلته بها ولكن الاجراء العملى كان ضروريا إذ أمسكت بها من خصرها ووضعت احدى يدى على فمها وجذبتها لأسفل عائداً بها وراحت

تركلنى بقدميها وتجاهد وتقاوم ولكنها بالطبع كانت ضئيلة الحجم للغاية وأنا ربما لا أكون المستر أطلاس ولكننى لست ضعيفا وفى نهاية الأمر ارتخت وارتمت من شدة الاعياء فرفعتُ قبضة يدى عنها . فوقفتْ للحظات قليلة وفجأة هجمت علىّ وضربتنى على وجهى . ولم أشعر بالألم الشديد فى حقيقة الأمر ولكن الصدمة النفسية كانت شديدة للغاية حيث جاءت الضربة بدون أن أكون متوقعا أن يحدث ذلك وفى الوقت الذى كنت فيه معقولاً معها للغاية وبدون أن أفقد صوابى على النحو الذى قد يفعله الآخرون فى مثل هذه المواقف . وبعدئذ دخلت إلى الغرفة وصفعتْ الباب وراءها فى عنف . وخطر على ذهنى أن أدخل إلى غرفتها وأصفى حسابى معها بالعراك أو المجادلة معها ولكننى أدركت أنها كانت غاضبة للغاية . وكانت هناك كراهية حقيقية فى عينيها . لذلك قمت بغلق الباب بالترباس ووضعت الباب الزائف . وكان تصرفها بعد ذلك هو الالتزام بعدم التكلم . وفى ذلك الغداء التالى لم تلفظ كلمة واحدة عندما تحدثتُ إليها وقلت لها « عفا الله عماً سلف » حيث اكتفت بإلقاء نظرة احتقار هائلة علىّ . وحدث نفس الشئ فى ذلك المساء . فعندما جئت إليها لآخذ الأوانى الشاغرة ناولتنى الصينية وأشاحت بوجهها بعيداً عنى . وجعلتنى أدرك فى وضوح تام أنها لا ترغب فى أن أبقى عندها . واعتقدت أنها ستتغلب على هذه الحالة النفسية ولكن الأمور كانت أسوأ فى اليوم التالى . فهى لم تكتف بعدم الكلام وانما امتنعت عن تناول الطعام أيضا .

فقلت لها : « أرجوك ألا تفعلى هذا . فهذا ليس بالأمر الحسن » .

ولكنها لم تنطق بكلمة واحدة بل ولم تنظر إلىّ نظرة واحدة .

وفى اليوم التالى ظل الحال على ما هو عليه . إذ امتنعت عن الكلام والطعام . وكنت قد ظللتُ منتظرا لأن أشاهدها ترتدى بعض الملابس التى

اشتريتها لها . ولكنها ظلت مرتدية البلوزة التريكو البيضاء ورداءها النسائى الصوفى ذا المربعات . وبدأت أشعر بالقلق الشديد عليها ولم أكن أعرف الفترة الزمنية التى يمكن للناس أن يظلوا على قيدْ الحياة بدون تناول طعام . وبدا الشحوب على وجهها والضعف فى جسدها أو هكذا خُيِّل إلىّ . وكانت تقضى كل الوقت جالسة على السرير معطية ظهرها للحائط وقد تقوس ظهرها وظهرت عليها التعاسة الشديدة حتى أننى لم أكن أعرف ماذا ينبغى علىّ أن أفعل .

وفى اليوم التالى ذهبتُ إليها ومعى القهوة وبعض التوست الشّهى وبعض الحبوب والمربة لكى تتناول طعام الافطار . وظللتُ منتظراً بالطعام لحظات قليلة حتى أتيح لها الفرصة لكى تشم رائحته الشهية .

وبعدئذ قلتُ « اننى لا أتوقع لك أن تفهمينى . ولا أتوقع منك أن تحبينى مثلما تحبين معظم الناس . كل ما أريده منك أن تحاولى وأن تفهمينى بقدر ما تستطيعين مع الشعور بالارتياح نحوى قليلا إذا أمكنك ذلك » .

فلم تتحرك من مكانها .

فقلت لها « سأعقد اتفاقا معك . لسوف أقول لك متى يمكنك أن تنصرفى ولكن سيكون ذلك وفق شروط معينة » .

ولا أعرف لماذا قلت لها تلك العبارة .

كنت أدرك أننى لا يمكن لى فى حقيقة الأمر أن أتركها تذهب إلى حال سبيلها . ومع ذلك فهذه لم تكن مجرد كذبة وقحة أفاكة . فأنا فى كثير من الأحيان كنت أعتقد أنه يمكن لها أن تنصرف عندما نتوصل إلى اتفاق ما ونتبادل كلمة شرف وغير ذلك من أمور . وفى أوقات أخرى كنت أعتقد أننى لا يمكن أن أسمح لها بالانصراف على الاطلاق .

استدارتْ عندئذ وحملقت فى وجهى . وكانت هذه هى أول مرة تبدى فيها دليلا على أنها على قيْد الحياة على مدى ثلاثة أيام .

وقلتُ لها « شروطي هي أن تأكلي الطعام وتتحدثي معي مثلما كنت تفعلين في بداية الأمر مع عدم المحاولة للهروب على ذلك النحو مرة أخرى » .

فقالت « لا أستطيع مطلقا الموافقة على الشرط الأخير » .

فقلت « وماذا عن الشرطين الأولين ؟ » .

(واعتقدت أنها حتى إذا وعدتني بالفعل بأنها لن تحاول الهرب مرة أخرى فانه ينبغي عليّ اتخاذ كافة الاحتياطات والتدابير اللازمة ولذلك فان ذلك الشرط لم تكن له علاقة بالموضوع . فهو شرط لا طائل تحته ولا أهمية له) .

وقالت « أنت لم تقل متى ستطلق سراحي » .

فقلت « في خلال ستة أسابيع » .

فاكتفت بالاشاحة بوجهها مرة أخرى .

فقلت بعد لحظات قليلة « إذن . بعد خمسة أسابيع » .

« سوف أبقى هنا أسبوعا واحدا فقط . ولا يوم واحدا زيادة بعد انقضاء الأسبوع » .

فقلت « وأنا لا يمكنني الموافقة على ذلك » فأشاحت بوجهها بعيداً عني مرة أخرى . وبعدئذ انخرطت في البكاء حيث شاهدت كتفيها يهتزان . وأردت أن أتقدم مقتربا منها واقتربت بالفعل من سريرها فاستدارت في حدة شديدة نحوي حتى أنني ظننت أنها اعتقدت أنني بصدد القيام بمهاجمتها . وكانت عيناها مليئتين بالدموع وكانت وجنتاها مبللتين . وشعرت بالهمّ والقلق الشديد عندما شاهدتها وهي على هذا النحو .

« أرجوك أن تكوني معتدلة وحكيمة في رأيك . فأنت وضعك مهم بالنسبة لي الآن . ألا ترين معي أنني لا يمكن لي أن أقوم بكل تلك الترتيبات من أجل أن تمكثي معي أسبوعا فقط ؟ » .

« إننى أكرهك . وأمقتك بشدة » .

فقلت « إننى سأعطيك كلمة شرف . عندما ينتهى الوقت المحدد يمكن لك الانصراف بسرعة كما يحلو لك » .

ولم تقتنع بكلامى . وانخرطت فى البكاء مرة أخرى وهى تحملق فى وجهى وقد امتقع وجهها كله فى احتقان شديد وخُيِّل إلىّ أنها بصدد الهجوم علىّ مرة أخرى إذ بدا عليها وكأنها ترغب فى ذلك . ولكنها بدأت بعدئذ تجفف الدموع فى عينيها . ثم أشعلت سيجارة . وقالت « أسبوعين » .

فقلت « أنت تقولين أسبوعين وأنا أقول خمسة أسابيع . ولسوف أوافق على أن تكون المدة شهراً . بمعنى أن موعد انصرافك سيكون يوم ١٤ نوفمبر » .

وسادت فترة صمت . ثم قالت « بعد أربعة أسابيع يكون موعد انصرافى هو ١١ نوفمبر » .

كنت أشعر بالقلق الشديد عليها وأردت أن أحسم الأمر نهائيا لذلك قلت لها « لقد كنت أعنى شهرا شمسيا . ولكن فلنجعله شهرا يضم ٢٨ يوما . ولسوف أمنحك الأيام الثلاثة الوترية » .

فقالت فى تهكم لاذع بالطبع « شكراً جزيلاً » .

ثم ناولتها فنجان القهوة فمدت يدها ممسكة به . وقالت قبل أن تشرع فى احتساء القهوة : « وأنا لى بعض الشروط أيضا . فأنا لا يمكننى أن أعيش طوال الوقت فى هذه الغرفة السفلية هنا . إذ ينبغى أن أحصل على قدْر من الهواء الطلق والضوء . وينبغى لى الاستحمام من وقت لآخر . وينبغى أن تتوافر لدى الأدوات والمواد الخاصة بالرسم . ويجب أن يكون لدى راديو أو جهاز للاسطوانات الفوتوغرافية . كما أريد أشياء من الصيدلية . ويجب أن أحصل على الفواكه الطازجة والسلطات الخضراء الطازجة . ويجب أن أحصل على نوع من الرياضة البدنية » .

فقلت « إذا سمحتُ لك بالخروج من هذا الكوخ فسوف تلوذين بالفرار » .

فاعتدلت فى جلستها . ومن المؤكد أنها كانت تمثّل علىّ فى تظاهر بعض الشئ من قبل حيث تغيرت حالتها بسرعة كبيرة وقالت « هل تعرف معنى الارتباط بوعد شرف أقطعه على نفسى ؟ » .

فقلت « نعم » .

« يمكن لك أن تسمح لى بالخروج من هنا على أساس أن أقدم لك وعد شرف . فأنا أعدك بألاّ أصرخ أو أحاول الهرب » .

فقلت لها « تناولى طعام الافطار وأنا سوف أفكر فى ذلك الأمر » .

فقالت « لا . فأنا لا أطلب منك شيئا له أهمية . فلو كان هذا المنزل منعزلا حقيقة فلن تكون هناك مخاطرة من وراء السماح لى بالخروج من هذه الغرفة السفلية » .

فقلت « ان هذا المنزل منعزل بالفعل بما فيه الكفاية . ولكننى لا أستطيع اتخاذ قرار فى هذا الشأن » .

فاستدارت وقالت « لسوف أواصل الاضراب عن الطعام » وكانت بذلك تمارس ضغوطا حقيقية علىّ كما يقولون .

فقلت « بالطبع يمكن لك الحصول على المواد والأدوات الخاصة بالرسم . عليك فقط أن تطلبى ما تريدين . وجراموفون وأية اسطوانات وتسجيلات تريدينها . وأية كتب . ونفس الأمر ينطبق على الطعام . ولقد سبق أن قلت لك أنه ما عليك إلاّ أن تطلبى ما تريدين وأنا سوف ألبى أى طلبات لك من هذا القبيل » .

وظلت معطية ظهرها لى وقالت « وماذا عن الهواء الطلق ؟ » .

« انه لأمر خطير للغاية » .

وساد الصمت للحظات قصيرة . ولكنها عندما تكلمت جاء كلامها واضحا وبسيطا ومقنعا مما جعلنى أذعن لرغبتها فى نهاية الأمر . فقلت لها :

« ربما سأسمح لك بذلك فى فترات الليل . ولسوف أنظر فى هذا الأمر » .

فاستدارت لتواجهنى وقالت « متى ؟ » .

« الأمر يتطلب منى التفكير جيداً فى هذا الموضوع . ولسوف أضطر لأن أربطك وأقيدك » .

« ولكنى سأكون ملتزمة بالوعد الشرف الذى قطعته على نفسى » .

فقلت « يمكنك أن تلتزمى به أو لا » .

« وماذا عن الحمام ؟ » .

فقلت « يمكن لى أن أضع الترتيبات اللازمة لذلك » .

فقالت « إننى أريد أن آخذ حماما حقيقيا فى غرفة حمام حقيقية . ومن المؤكد أن هناك حماما بالدور العلوى » .

ومن الأمور التى كنت أفكر فيها كثيراً هى اننى كنت أرغب فى أن أجعلها تتجول فى أرجاء منزلى وتشاهد كل التجهيزات والأثاثات الموجودة فيه . وكانت أحلامي تنصب جزئيا على أننى أرغب فى أن أشاهدها تتجول فى داخل منزلى فى الدور العلوى وليس حبيسة على هذا النحو فى الغرفة السفلية . وأنا أحيانا أتصرف وفق نزواتى وأدخل فى مخاطر لا يمكن للآخرين القيام بها .

فقلت « سأنظر فى الأمر . وعلىّ اتخاذ الترتيبات اللازمة لذلك » .

« إذا أعطيتك كلمة الشرف . فلن أحنث فى وعدى » .

فقلت لها « وأنا متأكد من ذلك » .

وسارت الأمور على ذلك النحو .

ويبدو أن ذلك قد أدى إلى تنقية الأجواء بيننا إن صحّ هذا التعبير . إذ زاد الاحترام المتبادل بيننا بعد ذلك . وأول شئ فعلته هى عقب تنقية الأجواء هو أنها قامت بكتابة قائمة الأشياء التى تريدها . وكان علىّ أن أعثر على محل لبيع الأدوات الفنية فى لويس لكى أشترى لها ورقا من نوع خاص علاوة على شراء جميع أنواع الأقلام الرصاص والأشياء الأخري : حبر السبيدج والحبر الصينى وأنواع الفرش التى لها شعر معين وماركات معينة وأحجام معينة . وبعدئذ كانت هناك أشياء مطلوبة من الصيدلية : مواد لازالة الرائحة وغير ذلك من أمور . وكان من المخاطرة أن أقوم بشراء أشياء حريمى لا يمكن لى أن أريدها لنفسى ولكننى أقدمت على هذه المخاطرة . وبعدئذ قامت بكتابة قائمة بأنواع من الأطعمة . كانت ترغبُ فى الحصول على قهوة طازجة وكميات كبيرة من الفواكه والخضراوات الطازجة الخضراء اللون – وكانت مهتمة للغاية ومدققة تماما بشأن تلك المأكولات . وبعد أن اعتادت أن تكتب لى فى كل يوم تقريبا ما ينبغى علىّ أن أشتريه من مأكولات فانها اعتادت أن توضح لى كيفية طهى تلك المأكولات أيضا وبدا الأمر وكأننى أمتلك زوجة ... زوجة مريضة أو عاجزة بحيث ينبغى أن أقوم بشراء الحاجيات نيابة عنها . وكنت ألتزم بالحرص والحذر فى لويس حيث لم أذهب مطلقا إلى دكان مرتين لشراء الحاجيات لكى لا يشكوا فى أننى اشترى كميات كبيرة بالنسبة لى كفرد واحد . فعلى نحو ما كنت أظن دائما أن الناس يعرفون أننى أعيش بمفردى .

وفى نفس ذلك اليوم قمت بشراء جهاز جراموفون أيضا . وهو جهاز صغير . ولكن ينبغى علىّ أن أوضح أنها بدا عليها السرور الشديد . ولم أرغب

لها أن تعرف أننى لم أكن أعرف أية معلومات عن الموسيقى ولكنني شاهدت اسطوانة مسجلا عليها موسيقى للاوركسترا من تأليف موزارت فاشتريتها . وكان ذلك شراء حسنا لأنها أعجبت بهذه الاسطوانة واعجبت بى بالتالى لقيامى بشراء هذه الأسطوانة . وذات يوم عقب الشراء بفترة طويلة شاهدتها تبكى أثناء إدارة تلك الأسطوانة للاستماع إليها . أعنى أننى شاهدت عينيها مليئتين بالدموع . وبعد ذلك قالت إن موزارت كان فى النزع الأخير حيث كان يلفظ أنفاسه الأخيرة عندما ألف وكتب هذه الموسيقى وكان يدرك أنه يلفظ أنفاسه الأخيزة . وبدت لى هذه الاسطوانة عادية مثل باقى الأسطوانات ولكنها كانت إنسانة ذات عقلية موسيقية بالطبع .

وفى اليوم التالى أثارت مسألة رغبتها فى أن تأخذ حماما مع الحصول على قدر من الهواء الطلق مرة أخرى . لم أكن أعرف ماذا أفعل : فذهبت إلى غرفة الحمام الموجودة بالدور الأول لكى أفكر فى ذلك الأمر بدون أن أوعدها بأى شئ . كانت نافذة غرفة الحمام تطل على الشرفة المحيطة بباب الغرفة التحتية . وهى تقع فى الجزء الخلفى من المنزل وهو أمر يوحى بالمزيد من الأمن والأمان . وفى النهاية أحضرت بعض الأخشاب وكسوت الإطار بالألواح الخشبية وثبتها بمسامير قلاووظ طولها ثلاث بوصات وذلك لكى لا تعطى اشارات ضوئية بالمصباح أو تقفز خارجة من النافذة . ولو أنه لم يكن من المحتمل أن يوجد شخص ما فى الجزء الخلفى من المنزل فى فترة متأخرة من الليل .

وأصبحت مطمئنا من جهة الحمام بعد غلق نافذته على ذلك النحو .

وما فعلته بعدئذ هو أننى تخيلتها موجودة معى ثم صعدنا سويا لأعلى من الغرفة السفلية لكى أشاهد نقاط الخطر التى يمكن أن تواجهنى . كان لأبواب الغرف السفلية شيش خشبى من الداخل وكان من السهل جذب

الشيش وغلقه وذلك حتى لا يمكنها أن تجذب الانتباه من خلال نافذة ولكى لا يتمكن المتطفلون من النظر إلى داخل المنزل ومشاهدة الأشياء والأمور . وفى المطبخ حرصتُ على أن تكون جميع السكاكين وما شابهها بعيدة عن الخطر . وفكرت فى كل شئ يمكنها أن تفعله من أجل محاولة الهرب . وفى نهاية الأمر شعرت أن كل التدابير تعتبر كافية .

وبعد تناول العشاء تطرقتْ مرة أخرى إلى موضوع الحمام وتركتها تلجأ للعبوس فى بادئ الأمر وبعدئذ قلت لها « وهوكذلك . سأجازف وأسمح لك بالصعود لكى تأخذى حماما ولكنك إذا نقضت وعدك فإننى سأضطر إلى ابقائك دائما فى الغرفة السفلية » .

« اننى لا أنقض وعودى على الاطلاق » .

« هل ستعديننى وعْد شرف ؟ » .

« اننى أعدك بكلمة شرف بأننى لن أحاول الهرب » .

« أو تحاولى اعطاء اشارات ضوئية ؟ مع العلم بأننى سأقوم بربطك وتقييدك » .

« ولكن ربطى يتضمن اهانة بالغة لى » .

فقلت « لن ألومك إذا نكثت فى وعدك » .

« ولكننى ... ... » ولم تكمل عبارتها واكتفت بهزّ كتفيها واستدارت ومدت يديها خلفها . وكنت قد جهزت كوفية أو تلفيعة لكى أستخدمها فى ربط يديها بدلاً من الحبْل وقمت بربط يديها بالفعل على نحو محكم ولكن ليس على النحو الذى يسبب لها الآما وبعدئذ شرعت فى وضع الكمامة على فمها ولكن بعد أن جعلتنى أجمع لها أشياء الاستحمام التى هى بحاجة إليها وكانت قد اختارت - وهذا مما أسعدنى كثيرا - بعض الملابس التى سبق أن اشتريتها لها .

وحملتُ لها الأشياء والملابس الخاصة بها وذهبت أولاً صاعدا على السلالم إلي الغرفة السفلية العلوية وانتظرت هى قليلا إلى أن فتحت قفل الباب ثم صعدت لأعلى عندما أمرتها بذلك عقب قيامى بالاصغاء أولاً للتأكد من أنه لم يكن هناك أى شخص موجودا بالقرب من المنزل .

كان الجو مظلما للغاية بالطبع ولكنه كان صافيا . إذ كان بالمستطاع مشاهدة بعض النجوم . وأمسكت بذراعها فى إحكام وجعلتها تقف هنالك لمدة خمس دقائق . وتمكنت من سماع أنفاسها اللاهثة العميقة . كان المشهد رومانتيكيا للغاية حيث كان رأسها يصل إلى مستوى كتفى .

قلتُ لها « يمكن أن تدركى أن هذا المنزل يقع على مسافة بعيدة من أى مكان آخر» .

وعندما انتهت الدقائق الخمس كان علىّ أن أجذبها لأعلى وصعدنا إلى المطبخ وغرفة الطعام ومنها إلى الصالة ومنها إلى السلالم الصاعدة إلى غرفة الحمام .

وقلتُ لها « لا يوجد ترباس على الباب بل ولا يمكن لك أن تغلقى الباب إغلاقا تاما . ولكنى سأحترم خلوتك بنفسك بشرط أن تحافظى على وعدك لى . ولسوف أكون فى انتظارك هنا » .

وكنتُ قد وضعت كرسيا على بسطة السلم بالخارج .

وقلتُ « وأنا سأقوم الآن بفكّ قيود يديك إذا وعدتنى بالابقاء على الكمامة فى فمك . أومئى برأسك » .

فأومأت برأسها فقمتُ بفكّ قيود يديها . وراحت تحك يديها قليلاً ثم دخلت فى غرفة الحمام .

وسارت الأمور على مايرام بدون متاعب . وسمعتها وهى تأخذ الحمام وتطرطش فى الماء على نحو طبيعى للغاية . ولكنى شعرت بالصدمة لدى

خروجها . إذ لم تكن الكمامة موضوعة على فمها . وكانت تلك هى الصدمة الأولى . أما الصدمة الثانية فقد نجمت عن التغير الذى حدث لها بعد أن ارتدت الملابس الجديدة وغسلت شعرها حيث كان شعرها متدليا ومنسابا ومبللا على كتفيها . وبدت لى أكثر رقة بل وأصغر سنا وشعرت أنها لم تكن فى أى وقت من الأوقات متصفة بالصلابة أو القبح . ومن المؤكد أن الغباء قد ظهر علىّ وأنا أتفجر بالغضب لأنها قد رفعت الكمامة عن فمها مع عدم التمكن من اظهار غضبى لأنها بدت رائعة الجمال وفاتنة للغاية .

وتكلمتْ بسرعة كبيرة للغاية .

« استمع إلىّ . الكمامة بدأت تسبب لى آلاما رهيبة . ولقد اعطيتك كلمتى ووعدى . وأنا أوعدك مرة أخرى . يمكن لك أن تعيد الكمامة إلى فمى إذا كنت ترغب فى ذلك الآن . ولكنى أوضح لك أنه كان باستطاعتى أن أصرخ فى خلال الفترة منذ أن خلعتُ الكمامة وحتى الآن إذا كنت مصممة على الصراخ » .

ثم ناولتنى الكمامة وكان هناك شئ ما فى نظراتها فلم أستطع وضع الكمامة على فمها مرة أخرى . وقلت « يكفى تقييد اليدين » . وكانت ترتدى فستانها الصوفى ذا المربعات الخضراء ولكنها ارتدت معه أحد القمصان التى اشتريتها لها . وقد خمنتُ أنها ارتدت الملابس الداخلية الجديدة .

ثم قمت بتقييد يديها خلف ظهرها وقلت لها « آسف لأننى متشكك للغاية . كل ما هنالك أنك الإنسانة الوحيدة التى تملأ علىّ حياتى وتجعل حياتى لها قيمة » . وكنت أدرك أن الوقت غير ملائم لأن أقول لها ذلك الكلام ولكنى لم أتمالك نفسى عندما شاهدتها واقفة أمامى على ذلك النحو وقد بهرتنى بجمالها الساحق .

وقلت لها « إذا ذهبت سأتعرض للانهيار التام » .

« أنت بحاجة إلى طبيب لكى يعالجك من هذه الحالة النفسية » .

فاكتفيت بالزمجرة بعض الشئ .

« انني أود أن اقدم لك يد العون والمساعدة » .

« انت تعتقدين أنني مجنون بسبب ما أقدمت عليه من أفعال غريبة . ولكنني في حقيقة الأمر لستُ مجنونا . فأنا على ما يرام وانه لمن الملائم تماما أنني ليس لدى أى إنسان آخر . ولم تكن هناك أية إنسانة أخرى أريد أن أعرفها سواك » .

فقالت « ذلك هو أسوأ أنواع الأمراض » واعطتني وجهها بعدئذ . وكان كل ذلك الكلام قد تم أثناء قيامي بربط يديها خلف ظهرها ثم نظرت بعينيها لأسفل وقالت « إنني أشعر بالأسف من أجلك » .

ثم غيرتْ موضوع الحديث حيث تساءلتْ :

« وماذا عن غسيل الملابس ؟ فلقد قمت بغسل بعض الأشياء . هل يمكن لى أن أعلقها في الخارج لكى تجف ؟ أم أنه يوجد مغسل لغسل الملابس وكيّها ؟ » .

فقلت « سأقوم بتجفيف ملابسك في المطبخ . إذ لا يمكن لك أن ترسلى أى شئ إلى المغسل » .

« وماذا الآن ؟ » .

ثم نظرتْ فيما حولها . كان هناك شئ ما يتسم بالشقاوة والمشاغبة في تصرفاتها في بعض الأحيان إذ كانت تبحث عن المتاعب بطريقة لطيفة . كانت من النوع المثير للمتاعب والمضايقات . قالت « ألن تجعلنى أشاهد جميع أرجاء منزلك ؟ » .

وكانت تبتسم ابتسامة حقيقية . أول ابتسامة حقيقية أشاهدها على وجهها . فلم أملك إلا أن أردّ عليها بابتسامة من جانبى .

وقلت « الوقت متأخر للغاية » .

فقالت وكأنها لم تسمعنى « ما هو العمر الزمنى لمنزلك هذا ؟ » .

فقلت لها « هناك لافتة حجرية عند الباب تفيد بأنه شُيِّد فى عام ١٦٢١ » .

فقالت « هذه السجادة لونها لا يتماشى مع هذا المكان . كان ينبغى أن تضع حصيرة مشغولة من السَّمار النباتى أو أى شئ من هذا القبيل . وتلك اللوحات الزيتية - إنها رهيبة ! » .

وتحركتْ على طول منبسط الدرج لكى تشاهد اللوحات الزيتية . فى براعة ومهارة .

فقلتُ « هذه اللوحات كلفتنى أموالا كثيرة » .

« المسألة ليست هى النقود » .

ولا يمكننى القول إن وقوفنا هنالك سويا كان أمرا غريبا . وكانت تقوم بالنقد الفنىّ مثل امرأة مثالية ونموذجية .

« أيمكن لى إلقاء نظرة على الغرف ؟ » .

كنت إنسانا مختلفا ولم أستطع مقاومة المتعة التى سأحصل عليها من وراء السماح لها بمشاهدة باقى المنزل لذلك وقفتُ إلى جوارها فى مداخل الغرف وأتحت لها الفرصة لمشاهدة كل الغرف : الغرفة المعدة من أجل العمة آنى والغرفة الخاصة بمابيل إذا ما قُدِّر لهما المجئ فى أى وقت ثم الغرفة الخاصة بى . وألقت ميراندا نظرات فاحصة على كل غرفة من تلك الغرف . وبالطبع كانت الستائر مُسدلة .

وقلتُ لها عندما وصلنا إلى باب الغرفة الخاصة بى « لقد استعنتُ بشركة لانجاز كل هذه الأشياء » .

فقالت « أنت أنيق للغاية » .

ثم شاهدتْ بعض صور قديمة لفراشات اشتريتها من محلّ قديم فقلت لها « لقد قمتُ باختيار تلك الصور » .

فقالت « انها الأشياء الوحيدة الظريفة هنا » .

وهكذا كنا متواجدين سويا . وكانت هى تبدى تهانيها وأعترف أننى كنت مسرورا بذلك .

ثم قالت « يا له من مكان هادئ للغاية ! لقد كنت أصغى لصوت السيارات وأعتقد أن هذا المكان يقع فى إسيكس الشمالية North Essex » وأدركت أنها كانت تختبرنى حيث كانت ترقبنى .

فقلت متظاهرا بالدهشة « تخمينك جاء صحيحا » فقالت فجأة « من الغريب أنه كان ينبغى على أن أرتعد رعبا ولكننى أشعر بالأمن والأمان معك».

« لن أسبب لك الأذى أبداً اللهم الا إذا ارغمتنى على أن أفعل ذلك » .

وبدا الأمر فجأة وكأنه يسير على النحو الذى كنت آمله دائما . إذ بدأنا فى التعرف على بعضنا البعض فى مزيد من العمق وبدأت هى تشاهدنى على طبيعتى الحقيقية .

وقالت « ذلك الهواء كان رائعاً . لا يمكنك أن تتصور ذلك . حتى هذا الهواء . انه هواء طلق . انه هواء حرّ طليق بعكسى أنا تماما » .

ثم سارت مبتعدة عنى لذلك اضطررت للسير وراءها هابطا على السلالم . وعند أسفل الصالة قالت « هل يمكن لى أن ألقى نظرة هنا ؟ » فرحتُ أفكر : ان مَنْ يسرق ينبغى عليه أن يسرق جملاً وعلى كل حال فقد كان الشيش مغلقاً وكانت الستائر مسدلة . ثم دخلتْ هى إلى غرفة الصالون ونظرت فيما حولها وتجولتْ هنا وهناك وهى تنظر إلى كل شئ بينما يداها ملقاتان وراء ظهرها مما جعل المنظر يبدو هزليًا بالفعل .

وقالت « انها غرفة محببة للنفس . ومن الحماقة أن تملأ هذه الغرفة بهذه الأشياء الرديئة غير متقنة الصنع . إنها مزبلة . انها كومة من النفايات».

بل وقامت بركل احد الكراسي بقدمها . وأظن أن مشاعر الإساءة قد ظهرت على وجهي لأنها قالت « ولكن كان ينبغي عليك أن تدرك أن هذه الديكورات غير ملائمة ! » ووقع بصرها فجأة على لمبات حائطية فأضافت « وتلك اللمبات الحائطية Chichi الرهيبة انها ليست من نوع البط البرى الصينى » .

ثم نظرت إلىّ فى غضب حقيقي ثم رجعت ببصرها إلى البطّ .

وقالت « أشعر بالآلام تسرى فى ذراعى هل يمكن لك أن تربط يدىّ بحيث تكونان موجودتين أمامى كنوع من التغيير ؟ » .

فلم أرغب فى اتلاف المزاج النفسى كما يقولون . وكنت أدرك أنه لا يوجد أى ضرر من وراء إحداث ذلك التغيير . وبمجرد أن انتهيت من فك القيود عن يديها (وكنت على استعداد لمواجهة أية متاعب قد تلجأ اليها) استدارت ورفعت يديها أمامى لكى أقوم بربطها مرة أخرى ففعلت ذلك على الفور . وبعدئذ أصابتنى بصدمة ، إذ ذهبت إلى المدفأة حيث يوجد البط البرى الصينى – وكانت هناك ثلاثة بطات معلقة وثمن الواحدة منها ٣٠ شلناً – ورفعتهما عن الخطاف الخاص بهما وألقت بهما على الأرض المحيطة بالمدفأة فتحطمت فى صوت مرتفع على الفور . وتناثرت الأشتات المحطمة .

فقلت لها فى سخرية لاذعة « شكراً جزيلاً » .

فقالت « ان أى منزل قديم كهذا له روح معينة . وأنت لا يمكن لك أن تفعل أمورا كهذه فى أشياء جميلة مثل هذه الغرفة الموغلة فى القدم والتى عاش فيها أناس عديدون للغاية من قبل . ألا تشعر بذلك ؟ » .

فقلت لها « ليس لدى أى خبرة سابقة فى مجال تأثيث الأماكن وتجهيزها بالمفروشات » .

فاكتفت بأن نظرت إلىّ نظرات غريبة وتخطتنى ودخلت إلى الغرفة المقابلة .

وهى الغرفة التى سميتها بغرفة الطعام وإن كان رجال الديكوات قد سموها الغرفة المزدوجة الغرض حيث كانت مجهزة بعض الشىء من أجلى لكى أعمل بها . وكان يوجد بها الدواليب الثلاثة الخاصة بى فشاهدت تلك الدواليب على الفور .

« هل ستسمح لى بمشاهدة زملائى من الضحايا »؟ .

وأنا لم أكن أريد شيئا أفضل من هذا بالطبع فجذبتُ درجا أو درجيْن من أجمل الأدراج عندى – وهما من نفس أدراج الأجناس لمجرد أن أجعلها تلقى نظرة .

« هل قمت بشرائها »؟ .

فقلتُ « بالطبع لا . إنها جميعا قد تم اصطيادها بمعرفتى أو تم تربيتها بمعرفتى علاوة على قيامى بتصنيفها وترتيبها .

« إنها مرتبة ترتيباً جميلا » .

وجذبت لها درجا آخر يضم تشوكهيل Chalkhill وأدونيس بلوز Adonis Blues وأوضحت لها أن تلك الفراشات المعروضة أمامها أفضل من المعروض منها فى متحف التاريخ الطبيعى . وكنت أشعر بالفخر لتمكنى من اخبارها بمعلومات لا تعرفها . فهى لم يسبق لها أن سمعت عن aberations .

« إنها جميلة للغاية . ولكنها حزينة » فقلت « كل شىء يكون حزينا اذا جعلته حزيناً » .

فقالت وهى تحملق فى وجهى عبْر الدّرج : « ولكنك أنت الذى جعلتها حزينة » وأضافت : « كم عدد الفراشات التى قمت بقتلها ؟ » .

يمكنك أن تعرفى العدد من مشاهدة كل هذه الفراشات الموجودة بالأدراج » .

« لا . يمكننى أن أعرف العدد الحقيقى . فأنا أفكر فى الفراشات التى كانت ستنجبها هذه الفراشات التى قمت باصطيادها اذا كنت قد أبقيتها على قيْد الحياة . إننى أفكر فى كل الجمال النابض بالحياة والذى وضعت حداً لحياته » .

« لا يمكنك معرفة العدد الحقيقى » .

« ومَنْ الذى يشاهد هذه الفراشات ؟

إن موقفك مثل انسان بخيل . إنك تكتنز كل هذا الجمال فى هذه الأدراج .

فشعرتُ بالفعل باحباط شديد واعتقدتُ أن كل كلامها كان كلاما سخيفا . فماذا لو أخذتُ ١٢ عينة من نوع معين من الفراشات ؟

وما هو التأثير الذى قد يصيب نوعا معينا من الفراشات إذا أخذت منه مجرد عينات ؟

ثم قالت « إننى أكره العلماء وأكره الناس الذين يقومون بجمع الأشياء وتصنيف الأشياء واعطاء أسماء للأشياء وبعدئذ ينسون كل ما يتعلق بتلك الأشياء . وذلك هو ما يفعله الناس دائما فى الفنون فهم يقولون عن رسام أنه تأثيرى أو تكعيبى أو أىّ صفة من هذه الصفات وبعدئذ يضعونه فى أحد الأدراج ويكفون عن النظر إليه كانسان فرد رسام مفعم بالحياة . ولكننى ألاحظ أنك قمت بترتيب الفراشات ترتيبا حسنا » .

كانت تحاول أن تكون لطيفة معى مرة أخرى . وبعدئذ قلت لها إننى أعشق التصوير الفوتوغرافى أيضاً .

وكنت قد قمت بالتقاط صور فوتوغرافية للغابات التى تقع خلف المنزل وصور لمياه البحر التى تهجم على الأسوار فى منطقة سيفورد وهى لقطات جميلة بالفعل ثم قمت بتكبير تلك اللقطات بنفسى ، فوضعت تلك اللقطات الفوتوغرافية على المنضدة حيث يمكن لها مشاهدتها .

فنظرتْ إليها ولكنها لم تعلّق عليها بأية تعليقات .

فقلت لها « ولكننى لم ألتقط مناظر فوتوغرافية كثيرة . لأننى لم ابدأ فى هذه الهواية منذ فترة طويلة » .

« انها مناظر ميتة وغير مليئة بالحياة » ثم نظرتْ الىَّ نظرة جانبية وأضافت : « ليست هذه اللقطات الفوتوغرافية التى قمت بالتقاطها بصفة خاصة . فأنا أقصد أن جميع الصور الفوتوغرافية تعتبر صورا ميتة . ولكنك عندما ترسم شيئا ما فان ذلك الشىء يعيش ولكن عندما تلتقط صورة فوتوغرافية لشىء ما فانه يموت » .

فقلت « الصور الفوتوغرافية مثل التسجيل » .

فقالت « نعم . كلها جافة وميتة » .

وكنت على وشك أن أتجادل معها ولكنها أضافت قائلة « هذه اللقطات الفوتوغرافية تتسم بالمهارة . فهى لقطات جيدة من حيث هى لقطات فوتوغرافية . وبعد برهة قصيرة قلت لها » اننى أود أن التقط لك الصور الفوتوغرافية » .

« لمـاذا » ؟

« لأن وجهك من النوع الذى يسمونه فوتوجنيك أى وجه يصلح لصورة فوتوغرافية رائعة » .

فنظرت لأسفل ثم نظرت لأعلى نحوى وقالت :

« وهو كذلك . اذا كنت ترغب فى ذلك . غداً » .

وعندئذ شعرتُ باثارة وغبطة حقيقية .

فلقد تغيرت الأمور تغيرا جوهريا .

واعتقدتُ أن الوقت الملائم قد حان لأن تذهب إلى الغرفة السفلية . فلم تعترض اعتراضا شديداً واكتفت بهز كتفيها ودعتنى أربط لها الكمامة وسارت الأمور على ما يرام .

وبعد أن نزلنا إلى الغرفة السفلية أرادت أن تتناول فنجانا من الشاى (وهو نوع معين من الشاى الصينى كانت قد طلبت منى أن اشتريه من أجلها) . وقمتُ بنزع الكمامة عن فمها وخرجتْ إلى الغرفة السفلية الخارجية (وكانت يداها مازالتا مربوطتين) وراحت تنظر إلى المكان الذى أطهى فيه الوجبات لها وكل ما تريده من طلبات أخرى . ولم نتبادل أطراف الحديث . وكان الموقف لطيفا . وكان براد الشاى يغلى وكانت هى موجودة هنالك . وبالطبع كنت حريصا على مراقبتها فى حذر شديد باستمرار . وعندما انتهيت من إعداد الشاى قلت لها « هل أقوم بتدليلك مثل تدليل الأم لابنتها » ؟ .

فقالت « ذلك تعبير رهيب » .

« وما هو الخطأ فى ذلك التعبير » ؟ .

« إنه تعبير شبيه بتلك البطات البريات الصينيات . انه تعبير له طابع ضواحى المدينة . انه تعبير مبتذل . انه تعبير ميت . انه .... أوه .... دقّة قديمة . هل تفهمنى » ؟ .

فقلت « أظن أنه من الأفضل لك أن تصحبنى أُمّـا » .

وعندئذ تغيّر موقفها على نحو غريب . اذ ابتسمت ابتسامة وكأنها على وشك أن تنفجر ضاحكة ثم توقفتْ عن الابتسام وذهبت إلى حجرتها فسرتُ وراءها ممسكا بالصينية . وقامت بصب الشاى لنفسها ولكن يبدو أن شيئا ما قد جعلها تشعر بالغضب لأنها لم تنظر لأعلى نحوى .

فقلتُ « اننى لم أقصد أن أسىء اليك أو أجرح مشاعرك » .

فقالت « لقد فكرت فجأة فى أسرتى . فهم لن يكونوا مبتهجين لدى تناولهم الشاى فى هذا المساء » .

فقلت « أربعة اسابيع » .

« لا تذكرنى بذلك » .

كان شأنها شأن جميع النساء . لا يمكن للمرء أن يتنبأ بحالتهن النفسية . فهن اذا ابتسمْن فى احدى اللحظات قد يظهرن الضغينة والحقد فى اللحظة التالية .

وقالت « أنت مثير للضجر والاشمئزاز . كما أنك تجعلنى مثيرة للضجر أيضا » .

« لن تكون الفترة طويلة » .

وبعدئذ قالت كلاما لم أسمعه من قبل من أية امرأة على الاطلاق ، مما سبب لى صدمة حقيقية .

فقلت لها « إننى لن أحب سـماع كلمات كهـذه . إنها كلمات مثيرة للضجر » .

ولكنها قالت نفس الكلمات مرة أخرى وهى تصرخ بها فى وجهى .

ولم يكن بمقدورى تتبع حالاتها النفسية فى بعض الأحيان .

كانت على ما يرام فى صباح اليوم التالى رغم أنها لم تعتذر لى عن قولها تلك الكلمات . وأيضا كانت الزهريتان الموجودتان بغرفتها مكسورتين على السلالم لدى دخولى إلى غرفتها . وكانت هى كالمعتاد دائما مستيقظة وفى انتظارى عندما دخلتُ إلى غرفتها حاملا معى طعام إفطارها .

وكان أول شىء أرادت أن تعرفه هو ما اذا كنت سأسمح لها بمشاهدة ضوء الشمس . فأوضحتُ لها أن المطر ينهمر مدراراً .

فقالت « ولماذا لا يمكن لى الخروج إلى الغرفة السفلية الخارجية والتريض بها جيئة وذهابا . فأناأريد أن اتريض قليلا » .

ودخلنا فى نفس المناقشات القديمة القوية التى تتعلق بهذا الموضوع . وفى نهاية الأمر تم التوصل إلى أنها أذا أرادت أن تمشى وتتريض هناك فى فترات النهار فانه ينبغى عليها أن توافق على وضع الكمامة على فمها اذ لم يكن بمقدورى أن أغامر لأنه من المحتمل أن يظهر شخص ما بطريق المصادفة عند الجزء الخلفى من المنزل – ولو أن ذلك لم يكن محتملاً بالطبع حيث كانت البوابة الأمامية وبوابة الجراج مغلقتين بالقفل دائماً .ولكن فى الليل فان الاكتفاء بربط يديها سيفى بالغرض المطلوب . فقلت لها إننى لن أعدها بأكثر

من أخذ حمّام واحد أسبوعيا . ولا شيء بالنسبة لضوء النهار . واعتقدتُ للحظات أنها ستلجأ إلى حالة العبوس الصامت مرة أخرى ولكنها كانت قد بدأت تدرك بحلول ذلك الوقت أنه لا فائدة من وراء لجوئها للعبوس الصامت لذلك اضطرت لأن توافق على القرارات التى أصدرتُها .

ربما كنت صارما أكثر من اللازم .فقد تجاوزت الحدّ المعيّن لتفادى الضّرر . ولكن كان ينبغى أن أكون ملتزما تماما بالحرص والحذر .ففى أجازات نهاية الأسبوع - على سبيل المثال - كان هناك المزيد من حركة مرور السيارات فى هذه المنطقة . وفى أيام الآحاد المشرقة الساطعة كانت هناك تمرّ كل خمس دقائق وكثيرا ما كانوا يبطئون من سرعة سياراتهم لدى مرورهم بجوار فوسترز Fosters بل وكان بعضهم يتراجعون بسياراتهم للوراء لالقاء نظرة أخرى بل وكان بعضهم يصل به حدّ الجرأة إلى دفع كاميراتهم من خلال البوابة الأمامية لكى يلتقطوا الصور الفوتوغرافية . ولهذا السبب فاننى لم أسمح لها على الاطلاق بترك غرفتها خلال عطلات نهاية الأسبوع .

وذات يوم بينما كنت أخرج بسيارتى من المنزل من أجل الذهاب إلى مدينة لويس استوقفنى رجل جالس فى سيارة وسألنى « هل أنت صاحب هذا المنزل ؟ » وكان واحدا من هؤلاء الناس العميقى الثقافة الذين تتوقف الكلمات فى حلوقهم والذين يوحون لك بأنهم على صداقة وطيدة مع الجهات الحكومية .

وتحدث معى كثيرا عن منزلى هذا وكيف أنه يكتب مقالاً عن منزلى من أجل احدى المجلات وطلب منى السماح له بالقاء نظرة على المنزل والتقاط

بعض الصور الفوتوغرافية كما أفاد بأنه يرغب في إلقاء نظرة على معبد القسيس بصفة خاصة .

فقلت له « لا يوجد معبد هنا » .

فقال .. ولكن من الغريب ألاّ يكون هناك معبد . فهذه المعلومة قد وردت في سجلات « تاريخ المقاطعة » كما وردت في عشرات الكتب » .

فقلت كما لو كنت قد أدركت ما يهدف اليه فجأة « أنت تقصد ذلك المكان القديم الموجود في السرداب بالمنزل . لقد تمّ سدّ واغلاق ذلك السراب. تمّ غلقه بالطوب » .

« ولكن ذلك المبنى من المباني الموثّقة والتي يوجد بشأنها بيان بكافة محتوياتها من غرف » .

فقلت « حسنا . السرداب مازال موجوداً في مكانه . كل ما هنالك أنك لاتستطيع أن تشاهد شيئا فقد تم غلق هذا السرداب قبل مجيئي » .

وبعدئذ أراد أن يلقي نظرة على المنزل من الداخل . فقلت له « انني في عجلة من أمري . ولا أستطيع الانتظار . ويمكن لك أن تجيء إلى هنا مرة أخي » فقال « حدّد لي يوما أجيء لك فيه » فقلت « لا أستطيع . فأنا لدى الكثير من طلبات الناس الذين يرغبون في إلقاء نظرة » .فاستمر في دسّ أنفه بل وشرع في تهديدي بأنه سيستصدر أمرا من الجهات المختصة لكي يتمكن من إلقاء نظرة على المنزل وأشار إلى أن رجال الآثار القديمة سيساندون مطلبه وكان انسانا مزعجا وكريها إلى حدّ بعيد في آن واحد . وفي نهاية الأمر انطلق بسيارته . وكانت كل التهديدات التي قالها هي تهديدات جوفاء ولكن كان ينبغي عليّ أن أفكر في مثل هذه المواقف التي قد تتكرر .

التقطت الصور الفوتوغرافية لها في ذلك المساء . مجرد صور فوتوغرافية عادية لها أثناء جلوسها وقراءتها فى الكتب أو المجلات . وكانت لقطات جديدة للغاية .

وفى يوم ما بعد ذلك بقليل قامت ميراندا برسم لوحة زيتية لى وكأنها تردّ على مجاملتى لها بالتقاطى صورا فوتوغرافية لها . وكان علىّ أن أجلس على كرسى وأنظر نحو ركن الغرفة . وبعد نصف ساعة قامت بتمزيق الرسم قبل أن أتمكن من منعها من ذلك . (وكانت تمزق اللوحات فى كثير من الأحيان . وأعتقد أن ذلك يرجع إلى المزاج الفنى عندها) .

قلتُ لها « من المؤكد أن الرسم كان سيعجبنى » ولكنها لم تردّ على كلامى واكتفت بالقول : « عليك فقط بعدم التحرك من مكانك » .

وكانت تنهض وتتمشى من وقت لآخر ، وكانت تبدى تعليقات لها الطابع الشخصى فى معظمها .

قالت « من الصعب للغاية الإلمام بجوانب شخصيتك . فأنت بدون ملامح أو صفات مميزة .فكل شىء فيك لا يتميز بصفة خاصة . كل شىء عادى للغاية . حتى « انني أفكر فيك من حيث إنك مجرد شىء وليس شخصا » .

وبعد قليل قالت « أنت لست قبيحا . ولكن وجهك له كل أنواع العادات القبيحة . وأسوأ شىء فيك هو شفتك السفلية . انها تفضحك وتفشى عن أسرارك » . فنظرتُ فى المرآة فى الدور العلوى ولكننى لم أفهم المعنى الذى كانت تقصده ميراندا .

وفى بعض الأحيان كانت تسألنى فجأة أسئلة غريبة . اذ سألتنى ذات مرة :

« هل تؤمن بالله ؟ »

فأجبتُ « ليس كثيراً » .

« ينبغى أن يكون ردك جازما ... إما بنعم أو لا » .

« إننى لا أفكر فى هذا الأمر . وفى رأيى أن ذلك أمر ليست له أهمية معينـــة » .

فقالت « أنت هو الشخص المسجون فى البدروم »

فتساءلت « هل أنت تؤمنين بالله » ؟

فقالت « بالطبع أنا أؤمن بالله . لأننى إنسانة » وعندما كنت بصدد الاستطراد فى المناقشة قالت لى « كفُ عن الكلام » .

ثم اشتكت من الضوء الكهربائى الاصطناعى . فأنا لا يمكننى أبداً أن أرسم تحت هذا الضوء .

إنه ضوء ممعن فى الكذب » .

وأدركت ما كانت تهدف اليه . لذلك أبقيت فمى مغلقا .

وبعدئذ قالت لى فجأة – وربما لم يكن ذلك الصباح الأول الذى قامت فيه برسمى فأنا لا أذكر فى أىّ الأيام قالت لى ذلك – « من حسن حظك أنك ليس لديك والدان . أماً والداى فقد حرصا على أن يظلا يعيشان سويا بسبب أختى وأنا » .

فقلت « وكيف عرفت ذلك ؟ »

فقالت « لأن والدتى قد قالت لى ذلك . ولقد قال لى والدى ذلك أيضا .

مع العلم أن والدتى امرأة داعرة وكلبة . كلبة رديئة طموحة من الطبقة الاجتماعية المتوسطة . وهى تحتسى الخمور بكثرة » .

فقلت « لقد سمعت ذلك عنها » .

« ولا يمكن أن يدوم معى أصدقائى أبداً .

فقلت « أنا آسف » فألقت علىّ نظرة حادة ولكننى لم أنطق تلك العبارة فى سخرية لاذعة . وأخبرتها بأن والدى ووالدتى كانا يحتسيان الخمر بكميات هائلة .

وقالت « والدى رجل ضعيف . ومع ذلك فأنا أحبه حبا شديدا . هل تعرف ما قاله لى ذات يوم ؟ لقد قال لى (إنى لا أعرف كيف أن والدين سيئين للغاية مثلى أنا وأمك قد أنجبا إبنتين رائعتين للغاية مثلك أنت وأختك) وهو فى الواقع كان يفكر دائما فى أختى . فهى الانسانة التى تتمتع بذكاء ومهارة حقيقية » .

« بل أنت التى تتمتعين بالذكاء والشطارة . فأنت قد حصلت على منحة دراسية عظيمة » .

فقالت « إننى رسّامة هندسية ممتازة » .

وأضافت .. وربما أصبح مهندسة معمارية بالغة المهارة . ولكنى لن أصبح مهندسة معمارية عظيمة إلى حدّ بعيد . على الأقل لا أعتقد ذلك » .

فقلت « ومنْ يدرى ؟ فقد يحدث ما لا يتوقعة أحد » .

فقال « أنا لست ممن يركز اهتماماته فى ذاته أولاً . ليست اهتماماتى متركزة على ذاتى . فأنا امرأة . وينبغى علىّ أن أستند على شىء ما » ولست

أدرى السبب الذى جعلها تغيّر موضوع الحـــديث فجأة حيث قالت متسائلة « هل أنت انسان شاذ » ؟

فقلت لها وقد احمرّ وجهى خجلاً بالطبع : « لا . بكل تأكيد » .

فقالت « هذا أمر لا يسبب الخجل . فهناك الكثير من الرجال الممتازين مصابون بالشذوذ » ثم أضافت « أنت تريد أن تستند عليّ وتعتمد عليّ . وهذا هو ما أشعر به . وأنا أتوقع أن الأمر يرجع إلى والدتك . فأنت بصدد البحث عن والدتك » .

فقلت « اننى لا أؤمن بكل هذا الكلام » فقالت « علاقاتنا سويا لن تعود بالخير علينا . لأننا نحن الاثنان بحاجة لأن نستند على شىء ما أو شخص آخر ما » .

فقلتُ « يمكن لك أن تعتمدى عليّ من الناحية المالية » .

« وأنت تعتمد عليّ بالنسبة لكافة الأمور الآخرى ؟ لا قدّر الله » .

وهنا رفعتْ اللوحة الزيتية لأعلى . كانت ممتازة بالفعل مما جعلنى أشعر بالوحشة والذهول من التشابه الشديد بينى وبين الرسم . وبدا الرسم وكأنه جعلنى أكثر وقارا واحتراما بل وأكثر جمالاً مما أنا عليه .

فتساءلت « هل تفكرين فى بيع هذه اللوحة ؟ » فقالت « اننى لم أفكر فى بيعها . ولكننى سوف أبيعها . بمبلغ ٢٠٠ جنيه ؟ » .

فقلت « وهو كذلك . أنا موافق على هذا الثمن » .

فألقت نظرة حادة عليّ مرة أخرى وتساءلت : « ستعطينى ٢٠٠ جنيه من أجل تلك اللوحة ؟ .

فقلت « نعم . لأنك أنت التى قمت برسمها » فقالت « اعطنى اللوحة ». فأعطيتها اللوحة فقامت على الفور بتمزيقها إلى نصفين قبل أن أدرك أنها تفعل ذلك .

فقلت « أرجوك لا تفعلى ذلك » فتوقفت ولكن اللوحة كانت قد مُزقت إلى نصفين .

- وقالت « انها رديئة . ورديئة ورديئة » ثم فجأة ألقت باللوحة الممزقة نحوى وقالت « إليك ما طلبتْ . ضعها فى الدرج مع الفراشات » .

وفى المرة التالية التى ذهبتُ فيها إلى مدينة لويس اشتريت لها المزيد من الأسطوانات الموسيقية حيث اشتريت لها كل الأسطوانات التى هى من تأليف موزارت والتى أمكننى العثور عليها لأنها كانت تحب موزارت على ما يبدو .

وفى يوم آخر قامت برسم سلطانية مليئة بالفاكهة . وقامت برسم نفس المنظر عشرة مرات . ثم ثبتت جميع هذه اللوحات بالدبابيس على الشاشة وطلبت منى أن أختار أفضل لوحة بينها . فقلت لها إن اللوحات كلها جميلة بالفعل .

ولكنها أصرت فقمت باختيار واحد أفضل بعض الشىء من الأخريات من وجهة نظرى .

فقالت « تلك هى أسوأ اللوحات جميعا فهى مجرد رسم يقوم به طالب فنون مجتهد « وأضافت » ولكن توجد بين هذه الوحات لوحة جديدة بالفعل . وقيمتها الفنية تساوى مئات أضعاف باقى اللوحات الأخرى . فاذا تمكنت من اختيارها وتحديدها من خلال ثلاثة تخمينات فاننى سأعطيها لك مجانا عندما

أنصرف من هنا . اذا ما قُدّر لى أن أذهب من هنا . وإذا لم تتمكن من معرفة تلك اللوحة فانه يجب عليك أن تعطينى عشرة جنيهات ثمنا لها » .

وتجاهلتُ ملاحظاتها القاسية وقمت باختيار ثلاثا من خلال التخمين ولكنها كانت خاطئة فاللوحة الممتازة من وجهة نظرها قد بدت لى غير مكتملة بعض الشىء من وجهة نظرى . اذ كان من الصعب على المرء معرفة نوعية الفواكه بل وكانت كلها مائلة وغير متوازنة .

وقالت « اننى فى هذه اللوحة بصدد أن أقول شيئاً ما عن الفواكة . وأنا فى حقيقة الأمر لا أفصح عن ذلك الشىء ولكن ينبغى على المرء أن يصل إلى الفكرة التى كنت أنا بصدد التعبير عنها . هل تشعر بذلك ؟ » .

فقلت « إننى لم أشعر بذلك فى حقيقة الأمر » فذهبت وأحضرت كتابا يضم صورا بقلم سيزان Cezanne .

وقالت وهى تشير إلى صورة ملونة عن طبق به تفاح « فى هذه اللوحة . إنه لا يقول فقط إن كل شىء بالوحة يتعلق بالتفاحات وانما يقول كل شىء يتعلق بجميع أنواع التفاح بل وكل الأشكال والألوان » .

فقلت « كل الصور التى رسمتها جميلة » .

فاكتفت بالنظر إلىّ . ثم قالت « يا فرديناند . كان ينبغى عليهم أن يطلقوا عليك اسم كالبيان Caliban (*) » .

(*) بول سيزان : رسام فرنسى يتبع مذهب الانطباعية المتأخرة ١٨٢٩ - ١٩٠٦ .

(*) كالبيان : هو اسم العبد الخاص ببروسبيرو فى « العاصفة » لشكسبير .

وذات يوم عقب حصولها على الحمّام الأول بثلاثة أيام أو أربعة أيام ظهر عليها القلق الشديد . وراحت تجوب الغرفة السفلية الخارجية جيئة وذهابا عقب تناول طعام العشاء ثم جلست علي السرير وبعدئذ نهضت واقفة . وكنت أنا ألقى نظرة على الرسوم التى رسمتها بعد ظهر ذلك اليوم . وكانت كلها على ما أعتقد نسخا منقولة عن صور واردة بالكتب الفنية وكانت متشابهة للغاية .

ثم قالت فجأة « ألا يمكن لنا أن نذهب للنزهة والتريض ؟ مع الارتباط بوعد الشرف الذى قطعته على نفسى ؟ » .

فقلت « ولكن الجو ممطر وبارد » حيث كان الوقت هو الأسبوع الثانى من شهر أكتوبر .

فقالت « ولكننى سأتعرض للجنون بسبب حبسى هنا . ألا يمكن لنا أن نكتفى بمجرد التريض حول الحديقة ؟ » .

واقتربت منى للغاية وهو أمر دائما ما كانت تتجنبه عادة . ومدت لى معصميها . وكانت قد اعتادت على التسريحة المنسابة للشعر مع ربط شعرها بشريط أزرق كان من ضمن الأشياء التى كتبتها فى القائمة لكى أشتريها . وكان شعرها جميلا دائما . لم يسبق لى فى حياتى أن شاهدتُ شعرا أجمل من شعرها . وكثيرا ما كانت لدى رغبة شديدة فى أن ألمس شعرها . مجرد لمسه والاحساس به . وكانت الفرصة تتاح لى عندما أقوم بوضع الكمامة على فمها .

وخرجنا معا . وكانت ليلة غريبة . كان هناك قمر خلف السحب وكانت تتحرك ولكن فى الأماكن القريبة من الأرض لم تكن هناك أية رياح على

الاطلاق تقريباً . ولدى خروجنا فانها أمضت دقائق قليلة فى مجرد استنشاق الهواء فى عمق . وبعدئذ أمسكت بذراعها فى احترام شديد وسرتُ بها فى الممر الذى يقع ما بين الحائط وبين المساحة المزروعة بالحشائش . وتخطينا السياج الخاص بالحديقة ودخلنا إلى حديقة الخضراوات التى توجد بها أشجار فاكهة . وكما سبق أن قلت فاننى لم تكن لدى أية رغبات خسيسة فى استغلال الموقف حيث كنت ملتزما دائما بالاحترام الشديد لها (إلى أن فعلت هى ما فعلته) ولكن ربما كان الأمر يرجع إلى الظلام حيث كنا نسير معا هناك وكنت أشعر بذراعها من خلال كُمّها وكنتُ أتمنى بالفعل أن أحتضنها بين ذراعى وأقوم بتقبيلها بل وكانت الرعشة تدبّ فى أوصالى فى حقيقة الأمر . وكان علىّ أن أقول لها أىّ كلام لكى لا أصاب بالارتباك وأفقد السيطرة علي أعصابى .

قلت لها « هل ستصدقيننى إذا قلت لك إننى أشعر بسعادة وغبطة غامرة ؟ » ولكن لم يكن بمقدورها أن تردّ علىّ بالطبع .

وأضفتُ قائلا « ولأنك تعتقدين أننى لا أشعر بأىّ شىء على النحو الصحيح فانك لا تدركين أننى لدى مشاعر عميقة للغاية ولكننى لا أستطيع التعبير عن تلك المشاعر مثلما تستطيعين أنت » .

واستطردت قائلا « اذ كان المرء لا يستطيع العبير عن مشاعره فهذا لا يعنى أن مشاعره غير عميقة » وطوال ذلك الوقت كنا نواصل السير تحت أغصان الأشجار المظلمة .

ثم قلتُ « كل ما أريده منك هو أن تدركى مدى حبى الشديد لك ومدى احتياجى الشديد اليك وأن مشاعرى نحوك عميقة للغاية » .

كما قلتُ لها « اننى أبذل مجهوداً فى بعض الأحيان . ولكننى أحب أن أتفاخر . وأريد لك أن تفكرى مليا فيما كان سيفعله الناس الآخرون معك اذا ما قُدّر لهم الاستحواذ عليك تحت سيطرتهم .

ووصلنا إلى المساحة العشبية عند الجانب الآخر مرة أخرى ومنها إلى المنزل ، ودوّت سيارة وأصبح دويّها قريبا وواصلت انطلاقها على الحارة متخطية المنزل . فشددتُ من قبضة يدى عليها .

ووصلنا إلى باب الغرفة السفلية فقلت لها « أتودين التريض مرة أخرى ؟ »

فهزت رأسها مما أثار دهشتى . فعدتُ بها لأسفل مرة أخرى . وبعد أن نزعتُ عنها الكمامة والحبال قالت « أود تناول الشاى . لو سمحت . اذهب وأعدّ لى بعض الشاى . وأغلق الباب بالمفتاح . ولسوف أبقى هنا » .

وأعددتُ الشاى . وبمجرد أن ذهبت به إليها تكلمتْ قائلة :

« **أريد أن أقول لك شيئا ما . وهو أمر قد حان الوقت لأن أقوله لك** » .

فأصغيت لها .

« لقد كنتَ تريد أن تقبلنى ونحن بالخارج هنالك . أليس كذلك ؟ » .

فقلت لها « إننى آسف لذلك » وبدأ وجهى يحمرّ خجلا كالمعتاد .

أولا أودّ أن أشكرك على عدم قيامك بتقبيلى . لأننى لا أريد لك أن تقبلنى . وإننى أدرك أننى واقعة تحت رحمتك . وأنا أدرك أننى سعيدة الحظ للغاية لأنك مهذب تماما فيما يتعلق بهذا الأمر » .

فقلت لها « لن يحدث ذلك منى مرة أخرى » فقالت « ذلك هو ما أردت

أن أقوله لك . واذا خطر على ذهنك هذا الموضوع مرة أخرى فى مزيد من العمق وعلى نحو يجعلك ترضخ لرغبتك فأنا أريد منك أن تعدنى بشىء ما » .

فقلتُ « لن يحدث ذلك منى مرة أخرى » فأضافت « أريد منك أن تعدنى بألاّ تفعل ما تريده منى بطريقة وضيعة . بمعنى أن تعدنى بالاّ تفقدنى الوعى من خلال ضربة قوية أو عن طريق إعطائى الكلوروفورم أو أى شىء من هذا القبيل . فأنا سوف أستسلم لك ولن أقاومك . ولسوف أسمح لك بأن تفعل ما يحلو لك » .

فقلتُ لها « لن يحدث ذلك منى مرة أخرى . لقد نسيت نفسى . ولا أستطيع توضيح الأمور لك » .

فقالت « وأحب أن أوضح لك أنك اذا فعلت أىّ شىء من هذا القبيل معى فلن أشعر بأىّ احترام نحوك على الاطلاق مرة أخرى ، هل تفهمنى ؟ .

فقلت لها « وأنا أتوقع منك أن تشعرى نحوى بالاحتقار اذا فعلتُ ذلك » وكان وجهى قد تفجّر بالاحمرار الشديد آنئذ .

ثم مدتْ يدها نحوي فصافحتها . ولا أدرى كيف تمكنت من الخروج من الغرفة . لقد سببتْ لى اضطرابا شديدا فى ذلك المساء .

وكان كل يوم يشهد نفس الروتين :

كنت أنزل إليها فيما بين الساعة الثامنة والتاسعة صباحا وأحضر لها طعام الافطار وأفرغ الجرادل وفى بعض الأحيان كنا نتحدث قليلا أو كانت تعطينى قائمة ببعض المشتريات التى تحتاجها .

وفى بعض الأحيان كنت أظل موجودا بالمنزل ولكنى كنت أخرج من

المنزل فى معظم الأحيان بهدف إحضار الخضراوات الطازجة واللبن الطازج الذى تحبه وفى معظم الفترات الصباحية كنت أقوم بتنظيف المنزل عقب عودتى من مدينة لويس ثم أقدم لها طعام الغذاء وبعد الغذاء كنا فى العادة نجلس ونتحدث سويا لبعض الوقت أو كانت هى تقوم بتشغيل الأسطوانات الموسيقية التى اشتريتها لها أو كنت أجلس بجوارها وأرقبها وهى ترسم اللوحات . وبعدئذ كان يجيء موعد تقديم طعام العشاء لها وبعد تناولها العشاء كنا فى الغالب نتجاوز أطراف الحديث لفترة أطول . وفى بعض الأحيان كانت ترحب بوجودى معها وعادة ما كانت ترغب فى التريض فى الغرفة السفلية الخارجية . وأحيانا كانت تطلب منى الانصراف بمجرد انتهائها من تناول طعام العشاء .

وكنت ألتقط لها صورا فوتوغرافية كلما سمحت لى بذلك . وقد أخذت منى بعض هذه اللقطات الفوتوغرافية . كما أخذت صورا فى أوضاع عديدة مختلفة وكانت كلها لقطات جميلة بالطبع . وكنت أريد لها ارتداء ملابس خاصة ولكننى لم أحب أن أطلب منها ذلك . وكانت دائما ما تقول لى « اننى لا أعرف الأسباب التى تجعلك ترغب فى التقاط كل هذه الصور لى . فأنت باستطاعتك أن تشاهدنى فى كل يوم » .

لذلك لم يحدث شىء ما فى حقيقة الأمر . كانت هناك فقط تلك الأمسيات التى كنا نجلس فيها معا ولم يخطر على بالى على الاطلاق أن تلك الأمسيات يمكن أن تتوقف فى المستقبل . بدا الأمر لى وكأننا الشخصان الوحيدان فى العالم ولن يدرك أحد على الاطلاق مدى السعادة التى كنا نرفل فيها – باستثنائى أنا بالطبع ولكن كانت هناك أوقات أدركت فيها أنها لم يكن يهمها ، على الرغم مما قالته ، اذا هى فكرت فى ذلك الأمر . وكنت على

استعداد لأن أجلس هناك طوال الليل لأستمتع بالنظر اليها والنظر إلى شكل رأسها والطريقة التى ينسدل بها الشعر من رأسها فى تموج معين على نحو رائع للغاية مثل شكل ذيل عصفور السنونو . كان شعرها شبيها بالحجاب أو بالسحاب وكان من الممكن أن يظل ملقى مثل خصلات من الحرير المفكوكة غير الممشطة ومع ذلك يبدو رائعاً للغاية فوق كتفيها . وأتمنى لو كانت لدى الكلمات التى تعيننى على وصف شعرها مثلما يفعل الشعراء أو الفنانون . وكانت لها طريقة خاصة فى إلقاء شعرها للوراء فى حالة سقوط كميات كبيرة منه للأمام . وكانت تلك مجرد حركة طبيعية متسمة بالبساطة تقوم بها من وقت لآخر . وفى بعض الأحيان كنت أرغب فى أن أقول لها « لو سمحت افعلى تلك الحركة مرة أخرى لو سمحت إجعلى شعرك يسقط للأمام ثم القى به إلى الوراء مرة أخرى » ولكننى اذا قلت هذا الكلام فيكون ذلك أمرا سخيفا منى بالطبع . كان كل شىء تفعله رقيقا ولطيفا على ذلك النحو . مجرد قيامها بتصفح ورقة فى كتاب . مجرد نهوضها واقفة أو جلوسها أو تناولها للمشروبات أو تدخينها للسيجارة أو أى شىء آخر تفعله . بل وحتى إذا فعلت أشياء من الأشياء التى تُعتبر قبيحة . إذ كانت آية من الفتنة والجمال الأسطورى .

وكانت دائما تتصف بالنظافة الشديدة . لم تظهر عليها أية رائحة معينة على الاطلاق . ولا شىء سوى الرائحة الجميلة والمنعشة وذلك بخلاف بعض النساء الأخريات اللائى يمكن لى أن أذكر أسماءهن . كانت تكره القذارة كرها شديدا مثلى تماما ولو أنها قد اعتادت أن تسخر منى بسبب كراهيتى الشديدة للقذارة . ولقد قالت لى ذات مرة إنه من الجنون أن يرغب المرء فى أن يكون كل شىء نظيفا تماما . فاذا كان الأمر كذلك فاننا بالتأكيد نكون نحن الاثنان من المجانين .

وبالطبع لم نكن نرفل طوال الوقت فى الهـدوء والسـلام والتـهلل والإشراق . فهى قد حاولت الهروب مرات عديدة ولكن من حسن حظى أننى كنت دائما فى غاية التيقظ والحذر الشديد .

فذات يوم كادت أن تنجح فى خداعى وايقاعى فى الشرك . اذ كانت غاية فى المكر والدهاء . فعندما ذهبت إلى غرفتها كانت تتعرض لمتاعب صحية وبدت وكأنها تعانى بالفعل من اضطراب حقيقى . فظللت أقول لها «ما هى الأمور الخاطئة التى حدثت ؟ ماذا حدث لك ؟ » ولكنها اكتفت بالاستلقاء هنالك وبدا عليها وكأنها تعانى من الآلام .

ثم نهضت فى نهاية الأمر وقالت « اننى مصابة بالالتهاب الزائدة الدودية » .

فتساءلت « وكيف عرفت ذلك ؟ » .

فقالت « لقد اعتقدت أنني سأتعرض للموت فى الليل » كانت تتكلم وكأنها تجد صعوبة فى الكلام .

فقلت « ربما تكونين مصابة بمرض آخر وليس الزائدة الدودية .

ولكنها اكتفت بأن أدارت رأسها نحو الحائط وقالت « أوه . يا إلهى » .

وعندما امتصصتُ الصدمة وتغلبتُ على مشاعر القلق التى اجتاحتنى أدركت أن الأمر ربما يكون خدعة من جانبها .

وبعدئذ راحت تتضور فى ألم وكأنها تعانى من نوبة تشنج ثم اعتدلتْ فى جلستها ونظرت إلىّ وقالت إنها على استعداد لأن تعدنى بأىّ شىء فى سبيل أن أحضر لها طبيبا . أو السماح لها بالذهاب إلى مستشفى .

فقلت لها « سيؤدى هذا الاجراء إلى القضاء علىّ قضاء مبرما . لأنك ستقومين باخبارهم بما حدث لك » .

فقالت « انني أعدك . انني أعدك » وكان كلامها مقنعا لى تماما . اذ كانت قديرة فى التمثيل بكل تأكيد .

فقلت لها « سأعدّ لك كوبا من الشاى » كنت أريد أن أتيح لنفسى بعض الوقت لكى أفكر فى الأمر مليا . ولكنها راحت تتضور من الألم مرة أخــرى .

وكانت هناك كمية من القىء فوق الأرض . وتذكرت كلام العمة آنى عن التهاب الزائدة الدودية وأنه يمكن أن يؤدى إلى موت المريض وقالت أن الولد الذى كان يسكن فى المنزل المجاور قد أصيب بذلك المرض منذ عام وتباطأ أهله فى عرضه على طبيب لعلاجه أكثر من اللازم وحدثت المعجزة لأنه قد ظل على قيد الحياة رغم عرضه على الطبيب .لذلك كان ينبغى علىّ أن أتخذ أىّ اجراء .

وقلت لميراندا « يوجد منزل به تليفون فى آخر الشارع الفرعى . ولسوف أنطلق إلى هناك » .

فقالت « انقلنى إلى المستشفى . فذلك أكثر أمنا بالنسبة لك » .

فقلت « ماذا فى الأمر » وكنت أبدو وكأننى أشعر باليأس الحقيقى . وأضفت « إنها النهاية بالنسبة لى . هذا معناه أننى أودعك للأبد . » وكان باستطاعتى أن أمثّل عليها أيضا .

ثم اندفعت خارجا مدعيا أننى فى حالة من القلق الشديد . وتعمدتُ أن أترك الباب مفتوحا وكذلك الباب الخارجى تركته مفتوحا . ثم ظللتُ منتظراً هنـــاك .

وبعدئذ خرجت ميراندا فى خلال دقيقة . كانت فى صحة وعافية مثلى تماما . ولم تحدث متاعب بيننا . إذ اكتفت بالقاء نظرة واحدة علىّ ثم رجعنا معا إلى أسفل نحو الغرفة السفلية . وتعمدتُ أن يظهر علّى الضيق والبذاءة والقرف لمجرد أن أدخل عليها الخوف والرعب منّى .

كانت تغيّر حالاتها النفسية بسرعة كبيرة حتى أننى كنت أجد نفسى فى معظم الأحيان عاجزا عن متابعتها وكانت تستمتع لدى مشاهدتها لى وأنا أتعثر خلفها (حيث سبق أن قالت فى يوم ما : « مسكين كاليبان .. إنه يتعثر دائما وراء ميراندا ..) وأحيانا كانت تنادينى باسم كاليبان وأحيانا أخرى كانت تنادينى باسم فرديناند . فى بعض الأحيان تبدو بذيئة معى ولاذعة . حيث كانت تتهكم علىّ وتقلدنى فى سخرية وتجعلنى أشعر باليأس والقنوط وتسألنى أسئلة لا أستطيع التمكن من الإجابة عليها . وبعدئذ فى أوقات أخرى كانت تتعاطف معى تعاطفا حقيقياً مما كان يجعلنى أشعر بأنها أول إنسانة تفهمنى بعد العمّ ديك .

وأذكرَ الكثير من الأمور الصغيرة .

فذات يوم كانت تجلس وتقوم بتوضيح أسرار بعض اللوحات الفنية لى – وكانت الأسرار هى الأمور التى ينبغى أن تفكر فيها لكى تشاهدها وهى الأسرار التى تسميها ميراندا بالنسب والهارمونى . وجلسنا وقد وضُع الكتاب بيننا وراحت هى تتحدث عن اللوحات الفنية . وكنا نجلس على السرير (وقد

جعلتنى أحضر وسائد وبطانية صوفية من أجل ذلك اليوم) متقاربين للغاية ولكن بدون تلامس . وقد حرصتُ على عدم التلامس عقب أحداث النزهة فى الحديقة . ولكنها ذات مساء قالت لى : « لا تكن متخشبا وجامدا على هذا النحو . فاننى لن أقتلك اذا تلامس كُمك مع كُمى » .

فقلتُ لها « وهو كذلك » ولكننى لم أتحرك قيْد أنملة .

وبعدئذ تحركتْ هى مما جعل أذرعنا وأكتافنا تتلامس . وطوال الوقت ظلت تتكلم وتتكلم عن اللوحة الفنية التى كنا ننظر اليها . واعتقدتُ أنها لم تكن تفكر فى ذلك التلامس الذى حدث ولكنها عقب تصفح بعض الصفحات القليلة ألقتْ علىّ نظرة فجائية وقالت :

« أنت لا تصغى إلى كلامى » .

فقلت « اننى أصغى اليك فى انتباه » فقالت « لا . أنت لا تستمع الىّ . انك تفكر فى مسألة التلامس معى . وأنت متخشب للغاية الآن . عليك بالاسترخاء » .

ولم أستطع الخلود إلى الاسترخاء اذ كانت تسبب لى توترا شدديدا . ثم نهضتْ هى واقفة . كانت ترتدى جونلة زرقاء قصيرة كنت قد اشتريتها لها علاوة علي بلوزة تريكو سوداء وبلوزة بيضاء وكانت ألوان الملابس تتماشى معها تماما . وظلت واقفة أمامى للحظات ثم قالت « أوه . يا إلهى » .

ثم ذهبتْ وراحت تطرق بُجماع يدها على الحائط . وقد اعتادتْ أن تفعل ذلك فى بعض الأحيان . ثم قالت :

« هناك صديق لى يقوم بتقبيلى فى كل مرة يشاهدنى فيها . وهو

لا يقصد أىّ شيء من وراء ذلك – فقبلاته لا معنى لها . وهو يقوم بتقبيل كل شخص آخر . وهو على العكس منك تماما . فأنت لا تجرى أىّ اتصال مع أىّ شخص وهو يجرى كل الاتصالات مع كل فرد . وأنتما الاثنان مريضان على حد سواء » .

فابتسمت لها . وقد اعتدتُ أن أبتسم لها لدى قيامها بانتقادى وذلك كنوع من الدفاع عن نفسى .

فقالت : « لا تلجأ إلى هذه الابتسامة الشنيعة » . فقلت « لا يوجد هناك شيء آخر يمكنني أن أفعله . فأنت دائما على حق » .

« ولكننى لا أريد أن أكون على حقّ دائماً . قلْ لى إننى على خطأ » .

فقلت « أوه . أنت على حق . وأنت تدركين أنك على حقّ » .

فقالت « أوه . يا فرديناند » ثم كررت كلمة فرديناند مرتين وانخرطتْ فى نوع من الصلاة لله وتظاهرتْ بأنها تعانى من آلام رهيبة مما جعلنى أضطر للانفجار فى الضحك ولكنها ظهرت عليها ملامح الجدية فجأة أو ربما كانت تتظاهر بالجدية .

« هذا ليس أمرا يسيرا . إنه لأمر شنيع لأنك لا تستطيع أن تعاملنى كصديقة لك . عليك أن تنسى الجنس الخاص بى . عليك أن تنسى أننى فتاة . وهدىء من روعك وارخ عضلاتك » .

فقلت « سأحاول أن أسترخى » . ولكنها لم تعد تجلس إلى جوارى مرة أخرى حيث استندت بظهرها إلى الحائط وراحت تقرأ فى كتاب آخر .

وفى يوم آخر وبينما كنا بالغرفة السفلية قامت بالصراخ فجأة . ولم

يكن هناك سبب يدعو للصراخ على الاطلاق حيث كنت أقوم بتثبيت لوحة فنية كانت قد انتهت من رسمها وأرادت أن تشاهدها وهى معلقة على الحائط واذا بها تجلس فجأة على السرير وتصرخ . وكانت صرخة تقشعرّ لها الأبدان مما جعلنى أقفز فيما حولى وأسقط الشريط . ثم انفجرتْ هى فى الضحك علىّ .

قلتُ « ماذا حدث ؟ » .

فقالت « لقد شعرتُ فقط بالرغبة فى الصراخ بصرخة هائلة مدوية » .

كانت من النوع الذى لا يمكن لك أن تتنبأ بما سيقدم عليه .

وكانت دائما ما تنتقد طريقتى فى التكلّم . وأذكر أنها قالت لى ذات يوم « هل تعرف ما الذى تفعله ؟ هل تعرف كيف تمحو الأمطار الألوان عن شىء ؟ ذلك هو ما تفعله أنت فى اللغة الانجليزية . فأنت تحدث تشويشا وتعتيما فى كل مرة تفتح فيها فمك » .

وذلك هو مثال واحد فقط من الأمثلة العديدة التى توضح الطريقة التى كانت تعاملنى بها .

وفى يوم آخر أثارت معى موضوع والديها . واستمرت فى التطرق الى ذلك الموضوع لأيام عديدة موضحة كيف أنهما يعانيان بالتأكيد من القلق والهمّ والكرب الشديد وكيف أننى أُعتبر انسانا وضيعا للغاية لأننى لا أسمح لهما بمعرفة أية معلومات عنى . فقلت لها « اننى لا أستطيع أن أقدم على هذه المخاطر المميتة » . ولكنها فى يوم ما عقب تناول العشاء قالت لى : «لسوف أقول لك كيف تعطى معلومات عنى لوالدى بدون أن تعرّض نفسك لأية مخاطر : عليك بأن تضع قفازا فى يدك . وتشترى ورقا وبعض الأظرف من محل وولورث Woolworrh ثم تُملى علىّ خطابا لكى أكتبه بخط يدى .

وتذهب بعد ذلك إلى أقرب مدينة كبيرة وتضع الخطاب فى صندوق للبريد ، وبهذه الطريقة لا يمكن للشرطة أن تعرف مكانك . فهناك فروع كثيرة لمحلات وولورث منتشرة فى أرجاء البلاد » .

وظلت تلحّ علىّ لكى أنفذ تلك الخطة إلى أن قمتُ بتنفيذ اقتراحها ذات يوم واشتريت أوراقا أظرف . وفى ذلك المساء ناولتها ورقة وطلبتُ منها أن تكتب ما أمليه عليها .

وقلتُ لها « أكتبى هـــذه العبـــاراة (اننى فى أمان ولست فى خطر I am Sble And not in danger) فراحت تكتب تلك العبارة وهى تقول « تلك لغة انجليزية ركيكة . ولكن هذا لا يهمّ » .

فقلت لها « عليك فقط أن تكتبى ماأمليه عليك بالنص الحرفى » ثم استطردتُ : « لا تحاولا البحث عنى والعثور علىّ لأن ذلك من رابع المستحيلات » . فقالت « لاشيء يعتبر مستحيلاً » وقد بدت عليها الجرأة والوقاحة كالمعتاد .

وأضفتُ قائلا « وأنا أتلقى الرعاية الكاملة عن طريق أحد الأصدقاء » ثم قلتُ لها « وذلك هو كل ما فى الأمر . وعليك الآن أن تكتبى إسمك فى أسفل الخطاب » .

فقالت ألا يمكن لى أن أقول لهما إن المستر كليج يبلغكما تحياته ؟ » .

فقلت لها « هذا شيء طريف للغاية » ثم كتبتْ هى شيئا ما آخر وناولتنى الورقة وقرأت العبارة التى أضافتها . لقد كتبت فى أسفل الورقة جملة « آمل أن أشاهدكما فى القريب العاجل . حبيبتكما : ناندا Nanda » .

فسألتها : « ما هذه العبارة الأخيرة ؟ » فقالت « ناندا هو إسمى عندما كنت طفلة رضيعة . وعندئذ سيتأكدان أننى الذى أرسلتُ الخطاب لهما » .

فقلتُ لها « اننى أفضل اسم ميراندا . فهو أجمل إسم من وجهة نظرى » وبعد أن قامتْ بكتابة العنوان على الظرف قمتُ أنا بوضع الورقة المكتوبة بخط يدها فى داخل الظرف وعندئذ ولحسن حظى نظرتُ فى داخل الظرف . ففى داخله وعند القاع بالظرف كانت هناك قصاصة صغيرة من الورقة لا يزيد حجمها على نصف الورقة التى تلف فيها السيجارة . ولست أدرى كيف تمكنت هى من فعل ذلك ولكن من المؤكد أنها كانت قد جهزّت تلك الورقة ودفعت بها إلى داخل الظرف بدون أن أتمكن من مشاهدتها وهى تفعل ذلك . وفتحتُ تلك الورقة الصغيرة ونظرتُ إلى ميراندا . كانت صفيقة الوجه وجريئة للغاية إذ اكتفت بالقاء ظهرها إلى الوراء فى الكرسى وراحت تحملق فى وجهى . لقد كتبتْ حروفا صغيرة ودقيقة للغاية بقلم رصاص رفيع للغاية ولكن الحروف كانت واضحة . وكان نص العبارات التى كتبتها كالآتى :

لقد اختطفنى رجل مجنون يسمى ف . كليج وهو كاتب حسابات فى المبنى الملحق بدار البلدية والذى كسب مبلغا كبيراً فى اليانصيب . وأنا مسجونة فى غرفة سفلية بكوخ منعزل مشيد بالأخشاب وتوجد له لافتة حجرية مكتوب عليها أن الكوخ شيد فى عام ١٦٢١ والكوخ يقع فى منطقة تلال علي مسافة ساعتين من لندن . وأنا فى حالة من الأمن والآمان تماما . ولكنى أشعر بالخوف .

م . (ميراندا)

وعندئذ شعرت بالغضب الحقيقى يتصاعد فى داخل كيانى بل وشعرت بالصدمة الهائلة . ولم أعرف ماذا ينبغى علىّ أن أفعل . وفى نهاية الأمر قلت لها : « هل تشعرين بالخوف ؟ » فلم تردّ بأىّ كلام واكتفت بأن أومأت برأسها .

وسألتها « ولكن ما الذى فعلته لك لكى تشعرى بالخوف ؟ » .

« أنت لم تفعل لى شيئا . وذلك هو السبب فى أننى أشعر بالخوف » .

« اننى لا أفهم ما تهدفين اليه » .

فنظرت ببصرها لأسفل . ثم قالت : « إننى فى حالة انتظار وأتوقع أنك سوف تفعل شيئا ما » .

فقلتُ لها «لقد وعدتك . ولسوف أعدك مرة أخرى . وأنت تشعرين بالغرور والكبرياء لأننى لا أصدقك . وأنا لا أعرف لماذا الأمر مختلف بالنسبة لى » .

« اننى لآسفة » .

فقلتُ لها « لقد وثقتُ فيك . وكنت أعتقد أنك قد أدركت أننى لطيف معك وشفوق نحوك . ولكننى لن أسمح لك باستغفالى واستغلالى . ولن أعطى أىّ اهتمام لرسالتك »

ثم وضعتُ الخطاب فى جيبى .

وسارت فترة طويلة من الصمت . وكنت أدرك أنها كانت تنظر إلىّ فى تمعُّن ولكننى لم أنظر اليها . ثم نهضتْ هى فجأة ووقفتْ أمامى ووضعتْ يديها على كتفىّ لكى ترغمنى على أن أنظر اليها . وأرغمتنى على أن أنظر لأسفل

إلى عـينيـهـا . ولا أسـتطيع أن أوضح الموقف فـهى عندمـا تكون مـخلصـة وصادقة فإنه يمكنها أن تسحب روحي من داخل كياني بحيث أصبح في حالة ذوبان كامل بين يديها .

وقالت « أنت الآن تتصرف مثل ولد صغير فى السن . هل نسيت أنك تحتفظ بى هنا بالقوة ؟ وأنا أعترف أنك تستخدم معى نوعا من القوة التى تتسم بالذوق واللطّف ولكن الموقف مثير للخوف بالفعل » .

فقلت وقد تصاعدتْ دماء الغضب إلى وجهى بالطبع « سأحافظ على وعدى لك بقدر ما تحافظين على وعدك معى » .

« ولكننى لم أعدك بأنني لن أحاول اللجوء للهرب . أليس كذلك ؟ »

فقلتُ « انك تتطلعين إلى اليوم الذى تهربين فيه بحيث لا تشاهديننى بعد ذلك على الاطلاق . فأنا مازلت بمثابة شخص نكرة لا قيمة له بالنسبة لك . أليس كذلك ؟ » .

فاستدارت قليلاً وقالت « إننى أتطلع إلى مجىء اليوم الذى لا أشاهد فيه هذا المنزل .

ولا أتطلع إلى اليوم الذى لا أشاهدك فيه» .

فـقلت « وتقـولين عنى إننى رجل مـجنون . هل تظنين أن الرجل المجنون كان سيعاملك بالطريقة التى عاملتك بها ؟ هل تعرفين ما ذا كان سيفعل الرجل المجنون معك ؟ انه كان من المتوقع له أن يكون قد قتلك بحلول هذا الوقت . اننى افترض أنك تعتقدين أننى بصدد تقطيعك بسكينة من النوع الذى يستخدم فى تقطيع شرائح اللحم من أجل الشواء أو شىء ما من

هذا القبيل مثلما فعل ذلك الشخص الذى يسمى كريستى . (وكنتُ متضايقا منها للغاية فى ذلك اليوم) يا لك من انسانة حمقاء . كيف تصبحين حمقاء إلى هذا الحد ؟ أنت تعتقدين أننى انسان غير طبيعى لأننى احتفظ بك هنا على هذا النحو . وليكن الأمر كذلك . ولربما أكون بالفعل انساناً غير طبيعى من هذه الناحية . ولكن يمكننى أن أقول لك إنه كانت ستكون هناك المزيد من الأعمال اللعينة المماثلة لهذا العمل الذى قمتُ به لو أن المزيد من الناس قد توافر لهم المال والوقت اللازمان لذلك . وعلى كل حال فهناك المزيد من تلك الأفعال المماثلة ولكن أحدا لا علم له بها . والشرطة تعرف الأرقام الحقيقية لمثل هذه الأحداث ولكنهم لا يجرأون على الاعلان عنها لجماهير الناس » .

كانت تحملق فى وجهى . وبدا الأمر وكأننا شخصان غريبان عن بعضهما البعض تماما . ومن المؤكد أننى قد ظهرت أمامها انسانا غريباً للغاية . وكان ذلك هو الحدّ الأقصى لما قلته لها من كلام فى هذا الشأن .

وقالت « لا تبدو على ذلك النحو . ان ما أخاف منه هو شىء ما فى داخلك ولكنك لا تعرف أنه موجود فى داخلك » . فقلت « وما هو ذلك الشىء ؟ » وكنت لا أزال أموج بالغضب .

فقالت « لا . أدرى . انه شىء ما متربص وكامن فى مكان ما فى هذا المنزل فى هذه الغرفة فى هذا الموقف وبصدد الخروج من حالة الكمون والقفز إلى السطح . ونحن الاثنان على نحو ما نقف فى صف واحد ضد ذلك الشىء .

« ذلك هو مجرد كلام »

فقالت « نحن جميعا نريد أشياء لا نستطيع أن نحصل عليها . والانسان المهذب هو الذى يتقبل تلك الحقيقة » .

فقلت « نحن جميعا نأخذ ما يمكننا الحصول عليه . واذا كنا لم نحصل على الكثير فى معظم فترات حياتنا فاننا نعوض ذلك عندما تتحسن الظروف . وبالطبع أنت لم تسمعى عن تلك الحقائق » .

وبعدئذ راحت تبتسم فى وجهى كما لو كانت أكبر منى فى السن بكثير وقالت « أنت بحاجة إلى علاج من الناحية النفسية » .

« ان العلاج الوحيد الذى أنا بحاجة إليه أن تعاملينى كصديق لك » .

فقالت « اننى أعاملك كصديق . ألا تدرك ذلك » ؟

وسادت فترة طويلة من الصمت وأخيراً تكلمت هى قائلة « ألا ترى معى أن هذا الأمر قد استغرق فترة طويلة بيننا أكثر من اللازم »

فقلت « لا » .

« ألن تسمح لى بالانصراف الآن ؟ »

« لا » .

« يمكن لك أن تضع الكمامة على فمى وتقيدنى بالحبال وتعود بى بسيارتك إلى لندن . ولن أخبر أىّ شخص بما حدث »

« لا »

« ولكن من المؤكد أن هناك شيئا ما تريد أن تفعله معى ؟ »

« كل ما أريده هو أن أكون معك . طوال الوقت » .

« معى فى السرير » ؟

« لا بالطبع . وسبق أن أوضحت ذلك »

« ولكنك تريد أن تضطجع معى . أليس كذلك ؟ »

« أفضل عدم الكلام فى هذا الشأن » وعندئذ توقفتْ عن الكلام .

فقلت « اننى لا أسمح لنفسى بالتفكير فى شىء أعرف أنه شىء خاطىء . وأنا لا أنظر إلى الاضطجاع معك فى السرير على أنه أمر لطيف » .

« أنت انسان غير عادى » .

فقلت « شكرا »

« اذا سمحت لى بأن أنصرف فإننى سأشعر بالرغبة فى مقابلتك لأنك تثير شغفى وانتباهى إلى حدّ بعيد »

فتساءلتُ « أثير شغفك على ذلك النحو مثلما تودين الذهاب إلى حديقة الحيوان ؟ »

« من أجل أن أحاول أن أفهمك » .

فقلت « ولكنك لن تفعلى ذلك على الاطلاق » . (ولعلى أعترف لكم أيضا أننى كنت أحب ذلك الجانبَ من حديثنا الذى يتناول غموض الجنس الخشن - الرجل - حيث شعرت بأن ذلك قد أوضح لها أنها لم تعرف كل شىء) .

« لا أظن أنه ينبغى علىّ أن أفعل ذلك » .

وفجأة شاهدتها وهى تركع أمامى وقد رفعت يديها لأعلى مع لمس أعلى قمة رأسها بأسلوب شرقى تماما . ثم فعلت هذه الحركة ثلاث مرات .

وقالت « هل سيتقبّل السيد العظيم الغامض اعتذارات العبدة المتواضعة الذليلة للغاية ؟ »

فقلت « سأفكر فى ذلك الأمر » فقالت « عبدة ذليلة تأسف تماما على هذا الخطاب غير الرحيم » .

ووجدت نفسى مضطرا لأن أضحك فقد كان بمقدورها أن تقوم بتمثيل أىّ شىء .

وظلت هنالك راكعة وقد وضعت يديها على الأرض بجوارها فى مزيد من الجدية والوقار مستعرضة فتنتها وسحرها وجمالها .

ثم تساءلت « هل ستقوم بارسال الخطاب ؟ وجعلتها تسأل مرة أخرى ولكننى رضختُ بعدئذ . وكانت تلك هى تقريبا الغلطة الكبرى فى حياتى .

وفى اليوم التالى ذهبت بسيارتي إلى لندن وقلتُ لها - مثل رجل مغفل وعبيط - إننى ذاهب إلى لندن فأعطتنى قائمة بأشياء لكى أشتريها لها . وكانت القائمة تضم أشياء كثيرة للغاية (وعرفت السبب فى ذلك فيما بعد حيث كانت ترغب فى أن أظل مشغولا لفترة طويلة) اذ كان علىّ أن أشترى لها نوعا معينا من الجبن الأجنبى وأذهب إلى مكان معين فى سوهو يباع فيه السجق الألمانى الذى تفضله . كما كانت القائمة تضم بعض الأسطوانات الموسيقية والملابس وأشياء عديدة أخرى . كما كانت تريد ل وحات فنية مرسومة بمعرفة أحد الفنانين الكبار وينبغى أن تكون اللوحات عليها توقيع نفس هذا الفنان الكبير ولا أحد غيره . وكنت سعيدا بالفعل فى ذلك اليوم حيث كانت السماء صافية تماما وخالية من السحب . وظننتُ أنها قد نسيت مسألة الأسابيع الأربعة وربما هى لم تنس وانما توقعت أننى أرغب فى مدّ

هذه الفترة ورضيت بالأمر الواقع . وانشغل ذهنى بعالم ملىء بالأحلام .

ولم أتمكن من العودة إلا فى الوقت الذى يقدم فيه الشاى . واتجهت على الفور بالطبع إلى الغرفة السفلية مباشرة لكى أشاهدها ولكننى أدركت على الفور الاطلاق أنها مسرورة لمشاهدتى بل ولم تنظر إلى الأشياء التى أشتريتها لها .

وسرعان ما أدركت جوانب الموقف . اذ أدركت أنها قامت بتفكيك أربعة أحجار من أجل أن تعمل نفقا تحت الجدار على ما أعتقد . وكان هناك تراب ورماد فوق السلالم . وظلت جالسة على السرير بدون أن تنظر إلىّ . وأدركت اللعبة التى لعبتها علىّ وعرفتُ الأسباب التى جعلتها تطلب منى شراء السجق واللوحات الفنية الخاصة وكل تلك الأشياء . لقد كانت تراوغ وتتملق على نحو جيّد .

قلتُ لها « لقد حاولت أن تهربى » فصرختْ « أوه . إخرس ! » وبدأتُ أبحث عن الآلة التى استخدمتْها فى الحفر . وفجأة طار شىء ما فى الهواء متخطيا اياى وقعقع مرتطما بالأرض . كان عبارة من مسمار قديم طوله ست بوصات ولا أعرف كيف حصلت عليه .

وقلتُ لها « هذه هى آخر مرة أتركك فيها لمدة طويلة . ولا يمكن لى أن أثق فيك بعد ذلك » .

فاكتفت بالاستدارة ولم تردّ على كلامى . وبدأتُ أشعر بالخوف الشديد حيث خشيتُ أن تلجأ إلى الاضراب عن الطعام مرة أخري . لذلك لم أمارس ضغطاً عليها وتركتها . وبعدئذ أحضرت لها طعام العشاء الخاص بها . فلم تتكلم معى لذلك اضطررت إلى تركها .

وفى اليوم التالى كانت على ما يرام مرة أخرى . ولو أنها لم تتكلم سوى كلمات قليلة عن هربها الذى كان علي وشك أن يتحقق . ولكنها لم تتطرق إلي ذلك الموضوع مرة أخرى فيما بعد على الاطلاق . ولكننى شاهدتُ جرحا شديدا فى معصم يدها مما جعلها تلوى فمها فى ازدراء عندما حاولتْ الامساك بقلم رصاص بغية البدء فى الرسم .

لم أضع الخطاب فى صندوق البريد . فالشرطة تتسم بالدهاء الشديد مع بعض الأمور . اذ كنت أعرف شخصا يعمل فى أسكتلانديارد . وعرفت منه أن الشرطة لا تحتاج إلاّ لشنّ غارة وبعدها يعرفون كل شىء بالتفصيل .

وبالطبع عندما سألتنى عما إذا كنت قد وضعتُ الخطاب فى صندوق البريد احمرّ وجهى بسبب مشاعر الاضطراب التى اجتاحتنى . وقلتُ لها إن السبب فى احمرار وجهى هو أننى كنت أدرك أنها لن تصدقنى ولن تثق فى كلامى . ويبدو أنها قد اقتنعت بوجهة نظرى . وربما كان هذا التصرف من جانبى لا يتسم بالعطف على والديها ولكن من واقع ما قالته عن والديها فانهما لن يكونا مشغولى البال كثيرا ولا يمكن للمرء أن يفكر فى مشاعر كل انسان آخر . فهناك أوليات للأمور كما يقولون .

وفعلتُ نفس الشىء فيما يتعلق بالنقود التى أرادت لى أن أرسلها إلى الحركة السياسية الاجتماعية الخاصة بالقنبلة الهيدروجينية . اذ قمت بتحرير شيك وجعلتها تشاهده ولكننى لم أرسله .. وأرادت أن تشاهد دليلاً على ارسالى ذلك الشيك (الايصال) فقلت لها إننى أرسلته بدون ذكر اسمى على طريقة « فاعل خير » وقد قمت بهذا التصرف (تحرير الشيك) أمامها بهدف أن أجعلها تشعر بالتحسّن ولكننى أرى أنه لا داعى لتبذير الأموال على أمور

لا أؤمن بها . وأنا أعرف أناسا أغنياء يهبون أموالاً طائلة لمثل هذه الأغراض ولكنهم يفعلون ذلك من أجل أن تُنشر أسماؤهم أو لتفادى دفع الضرائب الهائلة المستحقة عليهم وذلك من وجهة نظرى .وفى كل مرة تأخذ فيها ميراندا حماما كنت أضطر لاعادة تثبيت المسامير القلاووظ فى الألواح الخشبية مرة أخرى . وكان كل شيء يسير على ما يُرام . وذات مرة كان الوقت متأخرا للغاية (الساعة الحادية عشرة) لذلك قمتُ برفع الكمامة عن فمها عندما دخلتْ وكانت ليلة عاصفة للغاية كانت عاصفة هوجاء حقيقية تهبّ . وعندما كنا بصدد النزول لأسفل أرادت أن تجلس في غرفة الجلوس وكانت يداها مربوطتين بالطبع . وبدا لى أنه لا ضرر من وراء جلوسها فى غرفة الجلوس لذلك قمتُ بتشغيل التدفئة الكهربائية . (وأشارت علىّ أن أشعل نيرانا حقيقية باستخدام الكتل الخشبية) وجلسنا هناك لبعض الوقت . كانت هى تجلس على السجادة حيث تجفف شعرها المبتل بالطبع وأنا كنت مكتفيا بمراقبتها . كانت ترتدى بنطلونا فضفاضا كنت قد اشتريته لها . وكانت تبدو فاتنة وجذابة للغاية فى ملابسها السوداء باستثناء تلفيحة صغيرة حمراء اللون . وكانت قد ضفرت شعرها إلى ضفيرتين طوال اليوم قبل أن تدخل إلى الحمام . ومن دواعى سرورى الشديد أن اشاهد الكيفية التى يكون عليها شعرها فى كل يوم . ولكن شعرها أثناء جلوسها أمام النيران كان مسدلاً ومنشوراً وهو أفضل منظر لشعرها من وجهة نظرى .

وبعد برهة نهضتْ واقفة وراحت تتجول فى أرجاء الغرفة وهى تموج بالقلق الشديد . وظلت تردد كلمات « اننى أشعر بالملل والسأم الشديد » مرات ومرات عديدة . وبدا ذلك أمرا غريبا مع وجود الرياح العاصفة بالخارج وغير ذلك من الأحوال الجوية السيئة .

وتوقفت عن السير فجأة أمامى وقالت :

« حاول أن تدخل التسلية علىّ بأن تفعل أىّ شىء »

فتساءلتُ « حسنا . مثل ماذا ؟ ألتقط لك صورا فوتوغرافية ؟ » . ولكنها لم ترد لى أن ألتقط لها صوراً .

وقالت « لست أدرى . يمكنك أن تغنى أو ترقص أو تفعل أىّ شىء » .

فقلت « ولكنى لا أعرف كيف أغنى أو أرقص » .

« قُصّ علىّ كل القصص الطـــريفة التى تعرفهـــا » فقلت « ولكنى لا أعرف أية قصص » وكانت هذه حقيقة اذ لم أستطع أن أتذكر أية قصص .

« ولكن ينبغى عليك أن تفعل أىّ شىء . ولقد كنت أعتقد أن جميع الرجال يعرفون بالتأكيد النكات القذرة غير الأخلاقية » .

« ولكنى لست على استعداد لأن أحكى لك أيا من النكات القذرة اذا كنت أعرف تلك النكات غير الأخلاقية » .

« ولم لا ؟ » .

« لأنها نكات يتداولها الرجال فيما بينهم فقط . فهى نكات خاصة بالرجال » .

فقالت « وما هى الموضوعات التى تتحدث فيها النساء من وجهة نظرك ؟ أراهن على أننى أعرف عدداً من النكات القذرة يزيد على ما تعرفه أنت من هذه النوعية من النكات » .

فقلت « لن أندهش اذا كنت تعرفين نكاتا قذرة أكثر منى » .

فقالت « أوه . أنت تشبه الزئبق ولذلك فانه من الصعب التعرف على جوانب شخصيتك » .وسارت مبتعدة عنى . ثم التقطت فجأة وسادة من فوق كرسى واستدارت وركلتها فى اتجاهى مباشرة . فاعترتنى الدهشة بالطبع ونهضت واقفا . وبعدئذ قامت بعمل نفسى الشىء مع وسادة أخرى ثم مع وسادة ثالثة أخطأت اتجاهها وأطاحت ببراد شاى نحاسى من فوق الكومودينو .

فقلت لها « هدئى من روعك »

فصرخت قائلة « أقبلى أيتها السلحفاة البطيئة » (وأظن أن تلك العبارة كانت عبارة أدبية اقتبستها) وعلى كل حال . فانها انتزعت فجأة وعاءً فخاريا من فوق رف المستوقد وألقت به الىّ قائلة على ما أظن « إمسك » ولكننى لم أتمكن من الامساك به فارتطم بالحائط وتناثر حطامه .

فقلت لها « إلتزمى بالثبات والهدوء » .

ولكنها ألقت بآنية فخارية أخرى . وكانت مستغرقة فى الضحك طوال الوقت . ولم تكن هناك وحشية وقسوة فى تصرفاتها ولكنها بدت وكأنها مجنونة ومتهورة مثل الأولاد . وكانت هناك لوحة خضراء جميلة تضم منظراً لكوخ بالحفر البارز وكانت تلك اللوحة معلقة على الحائط بجوار النافذة فنزعتها عن الحائط وقامت بتهشيمها . ولا أعرف الأسباب التى دفعتها للقيام بهذه التصرفات وقد كنت أحب دائما تلك اللوحة ولم أحب أن أراها تحطم تلك اللوحة لذلك، صرختُ فيها بشدة قائلا « توقفى عن هذه الأعمال »

وكل ما فعلته هو أنها وضعت أصبع الإبهام على أنفها وقامت بحركة وقحة وأخرجت لي لسانها ، كانت تشبه تماما ولدا من أولاد الشوارع .

وقلت لها «كان ينبغى عليك أن تكونى أكثر دراية» فقالت مقلدة كلامى فى سخرية «كان ينبغى عليك أن تكونى أكثر دراية» ثم أضافت « لو سمحت تعالى إلى هذا الجانب من الغرفة حتى يمكننى الوصول إلى تلك اللوحات الجميلة الموجودة خلفك » وكانت هناك لوحتان جميلتان عند الباب واستطردت قائلة « اللهم إلاّ إذا كنت ترغب فى تحطيم هذه اللوحات الجميلة بنفسك » .

فقلت مرة أخرى « توقفى عن هذه الأعمال يكفى ما قمت به من تدمير » .

ولكنها وصلت إلى خلف الأريكة فجأة متجهة نحو اللوحات ، ووقفت أنا فى مكان متوسط بينها وبين الباب فحاولت هى المراوغة والمرور من تحت ذراعى ولكننى تمكنت من الامساك بها .

عندئذ تغيرت حالتها النفسية فجأة إذ قالت فى هدوء تام « أتركنى ، دعنى ، ولكننى لم أرفع قبضتى عنها بالطبع لأننى ظننت أنها ربما تكون مستمرة فى مزاحها .

ولكنها قالت فجأة فى صوت بذئ « أتركنى » فتركتها على الفور . وبعدئذ ذهبت وجلست بجوار المدفأة .

وبعد برهة قالت « أحضر مقشة ، لسوف أقوم بكنس هذا الحطام » .

« سأفعل ذلك غدا » .

« ولكننى أريد أن أنظف هذا المكان بنفسى » وقالت تلك العبارة فى لهجة توحى وكأنها زوجتى بالفعل . فقلت « سأنظف كل شئ بنفسى » .

الغلطة هى غلطتك »

«بالطبع»

« أنت بمثابة أفضل عينة لانحراف البرجوازية الصغيرة شاهدتها فى حياتى »

« أنا ؟»

« نعم أنت أفضل عينة لذلك النوع . وأنت تحتقر الطبقات الاجتماعية البرجوازية الحقيقية لما يتميزون به من تنفجية (*) Snoberry وأصوات مميزة للنفاج وطرائق تتمشى مع النفاج ، أنت تتصـــرف على ذلك النحو ، أليس كذلك ؟ ومع ذلك فإن كل ما تضعه فى مكانهم هو رفض مريع لأن تكون لديك أفكار رديئة أو إتيان أمور سيئة أو أن تكون رديئا بأية طريقة هل تعرف أن كل شئ عظيم فى تاريخ الفنون وكل شئ جميل فى الحياة هو فى حقيقة الأمر ماتسميه رديئا ؟ من خلال العاطفة من خلال الحب من خلال الكراهية من خلال الحقيقة ، هل تدرك ذلك ؟ »

فقلت « إننى لا أعرف عمّ تتحدثين »

« بل أنت تعرف ، لماذا تداوم على استخدام هذه الكلمات الغبية – ردئ – لطيف – سليم – صحيح ؟ ولماذا أنت قلق للغاية فيما يتعلق بما هو سليم ؟ أنت تشبه خادمة عجوزا بعض الشئ تعتقد أن الزواج يتسم بالقذارة وأن كل شئ آخر يعتبر قذرا باستثناء فنجان شاى خفيف فى غرفة قديمة فاسدة الهواء ، لماذا تسلب الحياة كلها من الحياة ؟ لماذا تقتل الفتنة والجمال ؟ « لم يسبق لى على الاطلاق أن حصلت على نفس المزايا التى تتمتعين بها » .

(*) التنفجية : تقليد وتملق الطبقة الاجتماعية الأعلى مع احتقار الطبقة الاجتماعية التى هى أدنى .

« يمكن لك أن تغير من طبيعتك . وأنت الآن مازلت شابا صغيرا ، كما أن لديك الآن أموالا وفيرة، ويمكن لك أن تدرس .. ما الذى فعلته ؟ لقد عشت فى حلم صغير من نفس نوع الأحلام التى تراود الأولاد الصغار والتى تجعلهم يمارسون العادة السرية وأنت تخوض معركة مع نفسك لكى تبدو لطيفا معى ولكى لا تضطر لأن تعترف لنفسك أن احتفاظك بى محبوسة هنا هو اجراء سيىء لغاية . »

وتوقفت عن الكلام فجأة ثم قالت « لا فائدة من وراء كلامى هذا ، يبدو كلامى وكأنه باللغة اليونانية »

فقلت « إننى أدرك أننى غير متعلم وغير مثقف » .

فقالت فى شبه صرخة « أنت فى غاية الغباء وأحمق ومنحرف وفاسد »

ثم أضافت « أنت لديك نقود كثيرة – وأنت فى حقيقة الأمر لست غبيا، إذ بإمكانك أن تصبح على النحو الذى تريده ، عليك فقط أن تزيح عن نفسك غبار الماضى ، ينبغى عليك أن تقتلع من ذهنك عمتك والمنزل الذى عشت فيه والناس الذين عشت معهم ، يجب أن تصبح إنسانا آدميا جديدا » ودفعت بوجهها على نحو ما نحوى كما لو كان ذلك أمرا سهلا يمكننى أن أفعله ولكننى لا أرغب فى تنفيذه .

فقلت « هناك بعض الأمل » .

فقالت « أنظر إلى الأمور التى يمكن لك أن تفعلها ، باستطاعتك أن .. تجمع الصور واللوحات الفنية ولسوف أرشدك إلى اللوحات التى ينبغى عليك أن تقتنيها ولسوف أعرفك على أناس وخبراء يرشدونك عن كيفية جمع اللوحات الفنية ، ويمكن لك أن تفكر فى الفنانين المساكين الفقراء الذين يمكن

لك أن تقدم لهم يد العون والمساعدة وذلك بدلا من اغتيال الفراشات مثل تلميذ المدارس الغبى العبيط » .

فقلت لها « هناك بعض النـــاس الأذكياء الذين يقومون بجمع الفراشـــات » .

فقالت « أوه .. الأذكياء .. وما الفائدة من وراء ذلك ؟ هل هى عناصر آدمية ؟ »

فتساءلت « ماذا تقصدين » .

فقالت « إذا كـــان عليك أن تسأل فـــإننى لا أستطيع أن أقدم لك الإجابة » .

ثم أضافت « يبدو أننى دائما ما أنتهى إلى التكلم معك بطريقة مبسطة للغاية على أساس أنك تجهل الموضوع الذى أتطرق اليه ، وأنا أكره ذلك ، وأنت السبب فى ذلك فأنت دائما ما تتدنى وتتلوى لمسافة خطوة أسفل ما يمكننى الذهاب إليه » .

وكانت تنتقدنى على هذاالنحو فى بعض الأحيان وبالطبع كنت أغفر لها ذلك وإن كان ذلك يؤذى مشاعرى فى حينه ما كانت تنشده هو شخص اخر ما مختلف عنى ، شخص ما آخر يتعذر على أن أكونه ، مثال ذلك أننى طوال تلك الليلة عقب ما قالته عنى بأنه يمكن لى أن أجمع اللوحات الفنية رحت أفكر فى ذلك الأمر مليا .. رحت أحلم بأننى أجمع اللوحات والصور الفنية وأننى أمتلك منزلا ضخما به لوحات لمشاهير الفنانين معلقة على الحوائط بداخله مع مجئ أناس كثيرين إلى منزلى لمشاهدة تلك اللوحات ، وكانت ميراندا موجودة بالمنزل بالطبع ، ولكننى طوال الوقت كنت أدرك أن

ذلك أمر سخيف ، وكنت أدرك أننى لن أجمع أى شئ فى أية فترة من فترات حياتى بخلاف الفراشات .

فاللوحات الفنية لا تعنى أى شئ بالنسبة لى .

وإذا جمعت اللوحات فلن يكون ذلك نابعا من ارادتى الحرة ولذلك فلن يكون هناك دا ع على الاطلاق لأن أفعل ذلك وهى لم تستطع أن تفهم وجهة نظرى هذه على الاطلاق .

ورسمت لى العديد من اللوحات الأخرى وهى لوحات جيدة للغاية ولكن كان هناك شئ ما فى تلك اللوحات لا يعجبنى ، فهى لم يكن يهمها تحقيق التشابه بين شكلى الحقيقى وشكلى فى اللوحة بقدر ما كان يهمها الوصول إلى ما تسميه بشخصيتى الداخلية الحقيقية ولذلك فهى فى بعض اللوحات كانت تجعل أنفى مدببا للغاية حتى يكاد يثقب وجه من يشاهد اللوحة ، كما كانت تحرص على أن يكون فمى رفيعا للغاية وغير ممتع أعنى أنها ترسمه على نحو مبالغ فيه أكثر مما هو عليه فى حقيقة الأمر لأننى أدرك أننى لا أتمتع بأى مسحة من الوسامة ، ولم أجرؤ على التفكير فى مسألة انتهاء فترة الأسابيع الأربعة ولم أكن أعرف ماذا سيحدث عقب انتهاء تلك الفترة .

واعتقدت فقط أنه ستظهر مجادلات ومناقشات وبعدئذ تصاب بالتجهم والعبوس والامتناع عن الكلام ثم أجعلها تبقى لمدة أربعة أسابيع أخرى - أعنى أننى على ما أعتقد كان لدى بعض النفوذ والسيطرة عليها بحيث كانت تفعل ما أريده ، كنت أعيش يوما بيوم فى حقيقة الأمر ، أعنى أنه لم تكن لدى خطة ، كنت أكتفى فقط بالانتظار والترقب بل ولم أكن أتوقع كثيرا مجئ الشرطة إلى ولقد حلمت ذات ليلة حلما رهيبا حيث وصل رجال الشرطة إلى منزلى فى الحلم مما جعلنى أضطر إلى قتل ميراندا قبل أن يصلوا إلى

غرفتها السفلية وبدا لى الأمر وكأن قتلها هو واجب ملقى على عاتقى ولم يكن لدى سوى وسادة لأقوم بقتلها بها ، فرحت أضربها وأضربها بالوسادة وراحت هى تضحك وتضحك وعندما قمت بإبعاد الوسادة كانت هى مستلقية هنالك وغارقة فى الضحك وكانت تتظاهر فقط بأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة ، واستيقظت من النوم وأنا غارق فى العرق وكانت تلك هى أول مرة أحلم فيها أننى أقوم بقتل أى شخص .

وبدأت تتحدث عن رغبتها فى الانصراف قبل حلول الموعد المحدد بأيام عديدة ودأبت على القول بأنها لن تخبر أى مخلوق بما حدث لها وكان على أن أقول لها إننى أصدقها ولكنى كنت أدرك أنها تعنى أن الشرطة أو والديها سيتمكنون من استخلاص الحقائق منها فى نهاية الأمر ودأبت على القول بأننا سنكون صديقين حميمين وأنها ستساعدنى على اختيار اللوحات الفنية وسوف تعرفتى على الناس علاوة على رعايتها لشئونى وكانت لطيفة معى للغاية فى تلك الأيام وهى كانت لديها الأسباب التى تجعلها تتخذ هذا الاتجاه بالطبع .

وأخيرا جاء اليوم الحاسم .. اليوم المحتوم .

اليوم العاشر من نوفمبر ، حيث كان يوم ١١ نوفمبر هو يوم إطلاق سراحها ، وكان أول شئ قالته لى عندما قدمت لها القهوة الخاصة بها « هل يمكن لنا أن نقيم حفلة بهذه المناسبة ؟ فقلت مازحا » وماذا عن الضيوف ؟ ولم يكن كلامى هذا ناجما عن خلو بالى من الهموم « مجرد أنا وأنت فقط .. لأنه .. أوه لأننا قد خرجنا سالمين من هذه المحنة « أليس كذلك ؟ »

ثم أضافت وفى الدور العلوى فى غرفة الجلوس الخاصة بك ، ما رأيك ؟ .

ووافقت على رأيها لم يكن أمامي مجال للاختيار .

وبعدئذ أعطتني قائمة بأشياء أشتريها من البقال الممتاز في مدينة لويس وسألتني عما إذا كنت سأشتري خمرة الشيري وزجاجة من الشمبانيا وبالطبع قلت لها إنني سأشتري تلك الخمور وكانت في حالة من الاثارة والبهجة البالغة وعلى نحو لم أشهدها عليه من قبل ، وأعتقد أن مشاعر البهجة والاثارة قد تملكتني أيضا ، وحتى في تلك الآونة كنت أشعر بنفس المشاعر التي تحس هي بها .

ولكي أجعلها تضحك قلت لها « وأنت تحتاجين أيضا إلى فستان للسهرة بالطبع » فقالت « أوه ، أتمنى لو كان لدي فستان جميل للسهرة وينبغي أن أحصل على المزيد من الماء الساخن لكي أغسل شعري » .

فقلت « سأشتري لك فستانا ، قولي لي المواصفات واللون ولسوف أختار من بين الفساتين المعروضة في لويس .

ومن الغريب أنني كنت حريصا للغاية ومع ذلك بدأت الدماء الحمراء تتصاعد إلى وجهي بما يدل على شعوري بالخجل أو الارتباك ، ولكنها ردت على بابتسامة . وقالت « كنت أعرف أن هذا المكان الخاص بك قريب من لويس ، فهناك تيكت ملصق بإحدى الوسائد ، وأنا أفضل أن يكون لون الفستان إما أسود وإما أسمر فاتح وإما في لون الخوخ - أوه أنتظر » ثم ذهبت إلى صندوق الطلاء وراحت تمزج بين عدة ألوان مثلما كانت تفعل من قبل عندما كانت تريد لي أن أشتري لها تلفيحة ذات لون معين عندما كنت بصدد الذهاب إلى لندن ثم أضافت : « هذا هو اللون الذي أريده ، وهو لون يتميز بالبساطة بكل تأكيد ، ويصل طوله إلى الركبة لا أريده فستانا طويلا ،

والكمان لهما هذا الشكل ورسمت الشكل أو بدون أكمام ، شئ ما على هذا الشكل أو على ذلك الشكل » وكنت أستمتع كثيرا عندما أشاهدها وهى ترسم، إذ كانت ترسم بسرعة وفى رفرفة حيث تشعر أنها لا تستطيع الأنتظار لكى ترسم ما تريد أن ترسمه .

ومن الطبيعى أن تكون مشاعرى أبعد ما تكون عن السعادة فى ذلك اليوم ، ولم تكن لدى أى خطة فى ذهنى ولا أعرف ما يمكن أن تسفر عنه الأحداث ، بل ولم أكن أعرف ما إذا كنت سأحافظ على وعدى وأوفى بكلمتى أم لا رغم أن الوعد الذى وعدت به قد أرغمت عليه إرغاما ، والوعود التى تستخلص بالإرغام والضغط لا تعتبر وعودا كما يقولون .

وذهبت بالفعل إلى محل برينجتون وبعد أن ألقيت نظرة على العديد من الفساتين ، شاهدت الفستان الملائم تماما فى دكان صغير وكان فستانا فاخرا إلى أقصى درجة ولكنهم لم يرغبوا فى بيع ذلك الفستان لى بدون أن تتم تجربته على مقاس جسد الفتاة التى سترتديه رغم أن حجمه كان ملائما للغاية وأثناء رجوعى إلى المكان الذى أوقفت فيه سيارتى مررت على دكان آخر وهو محل جواهرجى وعندئذ خطر على ذهنى أن أشترى لها هدية من المجوهرات هذا بالإضافة إلى أن ذلك من شأنه أن يسهل الأمور عندما تجئ لحظة تنفيذ الوعد الذى قطعته على نفسى ، وكانت توجد قطعة من الياقوت الأزرق وماسة فى قلادة راقدة على قطيفة سوداء وكان الشكل على هيئة قلب على ما أذكر أقصد أن القلادة كانت على شكل قلب ، فدخلت إلى ذلك الدكان، وكان ثمن تلك القلادة ٣٠٠ جنيه ، كنت على وشك الخروج من المحل مرة أخرى ولكن طبيعتى التى تتصف بالكرم تغلبت وانتصرت ، هذا بالإضافة إلى أن الامكانيات المالية كانت جاهزة فى جيبى ، قامت البائعة فى ذلك المحل

بإرتداء تلك القلادة وبدت القلادة جميلة لغاية وغالية الثمن .

وقالت « القلادة مليئة بالماسات والأحجار الكريمة الصغيرة ولكنها ماسات وأحجار كريمة بالغة الصفاء والنقاء علاوة على ما بها من رسومات وتصميمات فكتورية » وتذكرت أن ميراندا قد حدثتني ذات يوم عن أنها تحب التصميمات الفكتورية للغاية ولذلك فإن هذه القلادة قد أوفت بالغرض المطلوب ، وكانت هناك بعض المتاعب بالنسبة للشيك بالطبع ، إذ رفضت البائعة أخذ الشيك في بادئ الأمر ولكنني جعلتها تتصل تليفونيا بالبنك الذى أتعامل معه فغيرت نغمة كلامها بسرعة كبيرة ، ولوكنت قد تكلمت بصوت متعجرف في كبرياء وقلت لها إنني اللورد ماك Mack أو أي اسم من هذا القبيل لكان الموقف قد تغير الموقف قد تغير .

ومن الغريب حقا أن الفكرة الواحدة كثيراً ما تؤدى إلى فكرة أخرى ، فبينما كنت أشترى القلادة شاهدت بعض الخواتم فهبطت على ذهنى فكرة : وهى أن أطلب منها أن تتزوجنى فإذا رفضت فكرة الزواج منى فإن ذلك قد يعنى أن ينبغى على الاحتفاظ بها ، وسيكون ذلك بمثابة مخرج لى من الوعد الذى قطعته على نفسى ، وكنت أدرك تماما أنها لن توافق على الزواج منى ، لذلك قمت بشراء دبلة ، وكانت دبلة جميلة للغاية ولكنها ليست غالية الثمن لمجرد أن أريها لها وأعرضها عليها . وعندما وصلت إلى المنزل قمت بغسل القلادة إذ لم أكن أرغب في أن يخطر في ذهنى أن القلادة قد تلامست مع بشرة تلك الفتاة الأخرى ، ثم أخفيتها حتى يمكننى استخراجها فى الوقت الملائم ، وبعدئذ قمت بإعداد كافة التجهيزات والترتيبات التى أشارت إليها وطلبتها : كانت الزهور موجودة ووضعت الزجاجات على الكومودينو ووضعت كل شئ بأسلوب الفنادق الكبيرة مع اتخاذ كافة الاحتياطات المعتادة بالطبع ،

كنا قد اتفقنا على أن أنزل إليها بالغرفة السفلية فى الساعة السابعة ولذلك فإننى لم أذهب لمشاهدتها عقب إحضارى الطرود واللفائف ، وكان الأمر شبيها بالفترة التى تسبق حفل الزفاف .

كنت قد قررت أن أدعها تصعد إلى غرفة الجلوس بدون الكمامة وبدون ربط ايديها فى هذه المرة قط وكانت هذه مخاطرة بالطبع ولكنى وضعت فى الحسبان أن أرقبها فى حذر شديد علاوة على وضع مادة الكلوروفوم ومادة CTC فى مكان قريب من تناول يدى لاستخدامهما فى حالة ظهور أية متاعب، وإذا قام شخص ما بالطرق على الباب فإنه يمكننى استخدام اللبادة مع القيام بربطها بالحبال ووضع الكمامة فى فمها فى المطبخ وفى وقت قصير للغاية وبعدئذ أقوم بفتح الباب .

وفى تمام الساعة السابعة ارتديت أجمل بدلة لدى وأفضل قميص وأحسن رباط للعنق ونزلت إلى الغرفة السفلية لمشاهدتها ، وكان المطر يهطل مدراراً وكان ذلك فى صالحى تماما ، وجعلتنى أنتظر خارج بابها لمدة عشر دقائق وبعدئذ خرجت من غرفتها ،وكان باستطاعتها أن تطرحنى أرضا إذا ضربتنى بريشة خفيفة ، وللحظات الأولى ظننت أنها ليست هى ، إذ كان منظرها وشكها مختلفا تماما .

كانت قد وضعت كمية كبير من العطور الفرنسية التى كنت قد أعطيتها لها وكانت قد وضعت مكياجا حقيقيا لأول مرة منذ أن جاءت إلى منزلى قد ارتدت الفستان الجديد وكان على مقاسها تماما وكان له لون أصفر شاحب كما بدا غاية فى الأناقة والبساطة وكان يكشف عن ذراعيها ورقبتها لم يكن فستان تلميذة صغيرة على الاطلاق ، كانت بدت فى الفستان الجديد امرأة متكاملة ناضجة وبدا شعرها ممشطا لأعلى وعاليا ورائعا للغاية ، وكانت هى

تطلق على هذه التسريحة إسم «الامبراطورية» انها تشبه إحدى الفتيات الموديلات اللاتى يشاهدهن المرء فى المجلات المصورة وقد دهشت للغاية من مقدرتها الفائقة على اتخاذ الشكل الذى تريده ، لا أذكر أن عينيها كانتا مختلفتين أيضا .. حيث رسمت خطوطا سوداء حولهما لكى تبدو رفيعة الثقافة وممتعة عقليا لكى تبدو عالية الثقافة Sophisticated وتلك بالضبط هى الكلمة المعبرة تماما ، وعندما ظهرت على بهذا المنظر الرائع شعرت بالارتباك الشديد بالطبع ، وهبط على نفس الشعور الذى كان ينتابنى عندما كنت أشاهد اليافعة (حشرة فى كامل نضجها الجنسى) تبزغ علىّ حيث كنت أضطر لأن أقتلها بعدئذ ، أقصد أن الجمال الخالق يصيب المرء بالتشويش والارتباك الشديد بحيث لا يعد يعرف ما الذى يريده أو ما ينبغى عليه أن يفعله قالت « ما رأيك ؟ » واستدارت فيما حولها فى تباه وفخر .

فقلت « رائعة للغاية » .

قالت « هل هذا هو كل ما هو مطلوب ؟ « وألقت على نظرة من تحت حاجبى عينيها ، وبدت مثيرة للغاية فى ناظرى .

فقلت « أنت جميلة للغاية » لم أكن أعرف ماذا أقول ، كنت أرغب فى النظر إليها باستمرار طوال الوقت كله ولكننى لم أستطع أن أفعل ذلك ، كما كنت أشعر بنوع من الخوف أيضا .

أعنى أنه بدا علينا وكأننا قد أصبحنا متباعدين عن بعضنا البعض أكثر من ذى قبل وبدأت أدرك فى مزيد من العمق أننى لا أستطيع أن أدعها تتركنى وتنصرف .

وقلت لها « حسنا هل نصعد الآن إلى الدور العلوى ؟ »

« بدون تقييد بالحبال وبدون كمامة ؟ »

فقلت « لم يعد هناك متسع من الوقت لذلك لقد انتهى كل ذلك » .

وقالت « أعتقد أن ما تفعله الآن وما ستفعله غداً سيعتبر من أحسن الأعمال والتصرفات التى قمت بها فى حياتك » .

ولم يسعنى إلا أن أقول « بل من أكثر اللحظات حزنا واكتئابا فى حياتى » .

فقالت « لا . ليس الأمر كذلك ، إنها نقطة البداية بالنسبة لك لكى تبدأ حياة جديدة وهذا مولد جديد لك » . ثم مدت يدها وأمسكت بيدى وقادتنى لدى العود على السلالم .

كان المطر يهطل بغزارة وأخذت هى نفسا واحدا فقط قبل دخولها إلى المطبخ ومنه إلى غرفة الجلوس .

وقالت « غرفة الجلوس لطيفة it is nice فقلت « أعتقد أنه سبق لك أن قلت أن تعبير it is nicc لا يعنى أى شئ ، بمعنى أنه ليس له معنى » .

فقالت « بعض الأشياء تكون لطيفة ، هل لى أن أتناول كأسا من الشيرى ؟ »

فملأت كأسين لنا ووقفنا هنالك .

ودفعتنى للضحك حيث ظلت تتظاهر بأن الغرفة مليئة بالناس وراحت تلوح لهم فى تحية وتحدثنى عنهم وتحدثهم عن حياتى الجديدة وبعدئذ وضعت أسطوانة موسيقية فى جهاز الجراموفون وكانت الموسيقى هادئة وخفيفة ، بدت ميراندا جميلة للغاية وكانت قد تغيرت تغييرا كبيرا حيث بدت عيناها مليئتين بالحياة والحيوية . ومع انتشار العطور الفرنسية فى أرجاء الغرفة

ومع وجود الشيرى وتصاعد الدفء من الكتل الخشبية الحقيقية بدأت أنسى ما ينبغى علىَّ أن أفعله بعد ذلك . بل ورحت أروى لها بعض النكت السخيفة ومع ذلك أخذت ميراندا تضحك .

وتناولت ميراندا كأسا أخرى . ثم دخلنا سويا إلى الغرفة الأخرى حيث قمت بوضع هديتى فى المكان الخاص بها فشاهدت الهدية على الفور .

وقالت « من أجلى أنا ؟ »

فقلت لها « أنظرى وشاهدى » فانتزعت الورقة التى تغلف الهدية . وعندئذ ظهرت تلك العلبة ذات الجلد الأزرق الداكن وقامت بالضغط على الزِّر ولم تنطق بأىّ كلام . وراحت تحملق فى محتويات العلبة .

وتساءلت « هل هذه الأحجار والماسات حقيقية ؟ » لقد شعرتْ بالرهبة والترويع الحقيقى .

فقلت « بالطبع . إنها ليست سوى أحجار صغيرة ولكنها من نوعية ممتازة للغاية » .

فقالت « إنه خيالية وعلى نحو لا يصدقه العقل » ثم مدت يدها بالصندوق نحوى وقالت « لا يمكن لى أن أقبل هذه الهدية ، وأظن أننى أفهم الأسباب التى دعتك لأن تقدم هذه الهدية إلىَّ وأنا أقدر تماما هذا التصرف من جانبك ... ولكننى لا يمكن أنس أقبل هذه الأشياء » .

فقلتُ « أنا أريد منك أن تقبلى هذه الهدية » .

فقالت « ولكن ...... يا فرديناند إذا قام شاب باعطاء فتاة هدية كهذه فإنه لا يكون هناك سوى معنى واحد » .

فتساءلت « ما هو المعنى ؟ »

فقالت « الناس الآخرون لهم عقليات رديئة »

فقلت « لو سمحت أرجوك أن تقبلى هذه الهدية »

فقالت « سأرتدى هذه الأشياء الآن مؤقتا . ولسوف أتظاهر بأنها ملكى » .

فقلت « إنها ملكك » .

فسارت حول المنضدة ومعها العلبة .

وقالت « ألبسنى هذه المجوهرات . فإذا قُمتَ باعطاء فتاة مجوهرات فإنه ينبغى عليك أن تلبسها المجوهرات بنفسك » .

ووقفتْ هنالك وراحت ترقبنى وكانت مقتربة منى للغاية وبعدئذ استدارت لدى التقاطى للمجوهرات ووضعها حول رقبتها . ووجدت صعوبة فى ربط سلسلة القلادة حيث كانت يداى ترتعشان . إذ كانت تلك هى أول مرة ألمس فيها بشرتها فى مكان بخلاف يدها . وكانت رائحة ميراندا جميلة للغاية حتى أننى كنت أرغب فى الوقوف هكذا طوال الليل . وبدا الأمر وكأن الحياة الحقيقية قد دبت فى إحدى تلك الاعلانات الدعائية . وأخيراً استدارت لكى تواجهنى ثم راحت تنظر إليهَ . ثم سألتنى « هل القلادة جميلة على صدرى ؟ » فأومأتُ برأسى حيث لم أستطع أن أنطلق بكلمة واحدة . وكنت أودّ لو تمكنتُ من قوْل كلام جميل يتسم بالثناء والمدح والمجاملة .

ثم تساءلتْ « هل تودّ أن تقبلنى على خدّى ؟ »

فلم أردّ عليها ولكنها وضعت يدها على كتفى وارتفعت بهامتها قليلاً

وقبّلت خدّى . ومن المؤكد أن قبلتها بدت ساخنة ولقد كان وجهى مضطرما بالاحمرار والتوهج فى ذلك الوقت حتى قبل أن تبدأ هى بتقبيلى .

وشرعنا فى تناول الدواجن الباردة وأشياء أخرى وقمت بفتح زجاجة الشمبانيا وقد أدهشنى أنها كانت لذيذة للغاية . وتمنيت لو كنت قد اشتريت زجاجة أخرى حيث بدا لى أنه من السهل تناولها كلها فى فترة وجيزة حيث لم تكن مسكرة للغاية . وضحكنا كثيراً حيث كانت انسانة لبقة وماهرة حقاً وكانت تتحدث مع أناس آخرين غير موجودين معنا مرة أخرى وغير ذلك من أمور .

وبعد تناول العشاء رحنا نُعدّ القهوة سويا فى المطبخ (وحرصت على التيقظ وسرعة الملاحظة بالطبع) ونقلنا فناجين القهوة إلى حجرة الصالون . وقامت بتشغيل أسطوانات موسيقى الجاز كنت قد اشتريتها لها . وجلسنا بالفعل سويا على الأريكة .

وبعدئذ بدأنا نلعب لعبة الفوازير . وراحت هى تمثل الأشياء ومقاطع الكلمات وأنا علىَّ أن أقوم بتخمين المعانى . ولم أظهر تفوقا فى هذه اللعبة سواء من حيث التمثيل أو التخمين . وأذكر أن من بين الكلمات التى مثّلتْها هى كلمة « فراشة » وظلت تمثل تلك الكلمة مرات عديدة ولكننى لم أتمكن من تخمين المعنى . حيث ذكرت لها الطائرة وكافة الطيور التى خطرت على ذهنى ولم أستطع التوصيل إلى كلمة « فراشة » وفى نهاية الأمر ألقت ميراندا نفسها فى انهيار على كرسى وقالت إننى انسان ميئوس منه . وبعدئذ جاءت مرحلة الرقص . حاولتْ أن تعلمنى كيف أرقص رقصات الجاز والسامبا العنيفة ولكن هذه الرقصات كانت تقتضى أن ألمسها فدبّ الارتباك الشديد فى كيانى ولم أستطع الحفاظ على الايقاع السليم فى الوقت المناسب . ومن المؤكد أنها ظنت أننى انسان بطىء الحركة فى حقيقة الأمر .

وبعدئذ كان عليها أن تنصرف لفترة قصيرة . ولم أشعر بالارتياح لذلك ولكنى أدركت أنه لا يمكن لى أن أتوقع لها أن تذهب إلى الغرفة السفلية واضطررت بأن أسمح لها بالصعود ثم وقفت على السلالم حيث يمكننى معرفة ما إذا كانت ستلجأ إلى النصب والاحتيال علىّ وذلك باستخدامها للأضواء . وكانت النافذة عالية وأدركت أنها لا يمكن لها أن تخرج من النافذة بدون أن أسمعها كما أن المسافة بين النافذة والأرض كانت كبيرة للغاية . وعلى كل حال فإنها قد رجعتْ فشاهدتنى واقفا عند السلالم .

فقالت فى حدة بعض الشىء « ألا يمكن لك أن تثق فىّ ؟ »

فقلت لها « إننى أثق فيك ، ولكن الموقف لم يكن على النحو الذى خطر على ذهنك » .

وسرنا سويا عائدين إلى غرفة الجلوس .

« اذن فما هو الموقف ؟ » .

فقلت « لو أنك تمكنت من الهرب الآن فإنه يمكن لك أن تقولى إننى كنت أحتفظ بك سجينة لدىّ . ولكننى إذا اصطحبتك إلى منزلك فإنه يمكن لى أن أقول إننى أطلقتُ سراحك » . وكنت أدرك أن كلامى هذا سخيف وأنا كنت بالطبع ألفق الكلام وأمثّل عليها بعضَ الشىء . وكان موقفى فى حقيقة الأمر فى غاية الصعوبة .

قالت « حسنا » ونظرت إلىّ ثم قالت : « فلنتحدث معا . تعال وأجلس هنا إلى جوارى » .

فذهبتُ وجلستُ إلى جوارها .

« ما الذى ستفعله عقب انصرافى ؟ »

فقلتُ « إننى لا أفكر فى هذا الأمر » .

« هل سترغب فى الاستمرار فى مشاهدتى ؟ »

« بالطبع سأرغب فى ذلك بكل تأكيد » .

قالت « من المؤكد أنك ستجىء لكى تعيش فى لندن ؟ ولسوف نخلق منك إنسانا عصريا تماما . سنخلق منك إنسانا « مودرن » يستمتع الناس بلقائه بالفعل ويسعدون بالتحدث معه » .

« ولكنك أنت وأصدقاءك ستخجلون من لقائى أو التحدث معى » .

وكانت هذه كلها أمور غير حقيقية . وكنت أدرك أنها تدّعى وتتظاهر مثلما كنت أدّعى وأتظاهر وشعرتُ بالصداع يدبّ فى رأسى . لقد كان كل شىء يسير فى الاتجاه الخاطىء .

وقالت « أنا لدى العديد من الأصدقاء والصديقات . هل تعرف السبب فى ذلك ؟ لأننى لا أخجل منهم على الاطلاق . أصدقاء من كافة الأنواع والأشكال . علما بأنك لست أكثرهم غرابة وشذوذا . فهناك واحد منهم يتصف بالبذاءة الأخلاقية وقلة الحياء إلى حدّ بعيد ولكنه فنان ورسّام ممتاز ولذلك فنحن نغفر له قلة أدبه . وهو لا يشعر بالخجل من نفسه ومن أخلاقه السيئة . وأنت ستكون مثل هذا الرجل فى شلة أصدقائنا . فلا تخجل ولسوف أساعدك ، وهو أمر سهل إذا حاولت ذلك » .

وبدا لى أن اللحظة المناسبة قد جاءت وعلى كل حال لم يعد بمقدورى تحمّل الموقف أكثر من ذلك .

قلتُ لها « أرجوك أن تتزوجينى . وأنا لدىّ الدبلة جاهزة فى جيبى »

فسادت فترة طويلة من الصمت .

وأضفتُ قائلا « كل شيء أمتلكه قد وهبته لك »

فقالت « الزواج معناه الحب »

فقلت « إنني لا أتوقع أيّ شيء . إنني لا أتوقع منك أن تفعلي أيّ شيء لا تريدين أن تفعليه . ويمكن لك أن تفعلي ما تحبينه مثل دراسة الفنون وغير ذلك من أمور . ولن أطلب منك أيّ شيء باستثناء أن تكوني زوجتي من الناحية الإسمية وأن تعيشي معي في نفس المنزل .

فجلستْ محملقة في السجادة .

وأضفتُ « وستكون لك غرفة نوم خاصة بك بحيث تغليقينها على نفسك في كل ليلة »

فقالت « ولكن ذلك أمر شنيع . ذلك؛ أمر لا انساني ، لن نفهم بعضنا البعض في أيّ وقت من الأوقات على الاطلاق . نحن ليس لنا نفس النوع من القلوب » .

فقلت « إنني لدّي الاستعداد لمواجهة كل ذلك » .

فقالت « إنني أفكر فقط في الأمور من حيث هي جميلة أم لا . ألا يمكنك أن تفهمني ؟ إنني لا أفكر في الأمور من حيث هي خيّرة أم شريرة . ولكن من زاوية الجمال أو القبح فقط . فأنا أنظر إلى كثير من الأمور الخيرة على أنها قبيحة وإلى كثير من الأمور الرديئة على أنها جميلة » .

فقلتُ لها « أنت تتلاعبين بالكلمات » .

فاكتفتْ بالحملقة في وجهي ثم ابتسمتْ ونهضتْ ووقفتْ بجوار المدفأة

وكانت رائعة الجمال للغاية . ولكن كان كل شيء منسحبا إلى الداخل . كان كل شيء متساميا ومتعاظما .

وقلت لها « إنني أعتقد أنك واقعة في حبّ ذلك الشاب الذي يسمى بييرز بروغتون » أردت بتلك العبارة أن أسبب لها صدمة نفسية فجائية فظهرت عليها الدهشة بالفعل . وتساءلت :

« وكيف عرفت تلك المعلومات عنه ؟ »

فقلت « لقد قرأت تلك الأنباء في الصحف . وقرأت أنكما مخطوبان لبعضكما البعض خطوبة غير رسمية »

وأدركتُ على الفور أنهما لم يكونا مخطوبين . وأكتفتْ بالضحك وقالت » إنه آخر شخص يمكنني أن أتزوجه . بل إنني أفضل الزواج منك على أن أتزوجه » .

« إذن فلماذا لا أكون أنا زوجا لك ؟ »

فقالت « لأنني لا أستطيع أن أتزوج رجلاً لا أشعر أنني أنتمي إليه من جميع النواحي . فعقلي ينبغي أن يكون هو عقله وقلبي ينبغي أن يكون هو قلبه وجسدي ينبغي أن يكون هو جسده . تماما مثلما ينبغي عليّ أن أشعر أنه ينتمي إليّ تماما .

فقلتُ لها « إنني أنتمي لك »

فقالت « ولكنك لا تنتمي إليّ . فالأنتماء له شيئان . الشخص الذي يُعطَي والشخص الذي يتقبل ما يُعطَى . وأنت لا تنتمي إليّ لأنني لم أستطيع أن أتقبلّك . وأنا لا أستطيع أن أردّ عليك باعطائك أيّ شيء » .

فقلت « إننى لا أريد الكثير » .

فقالت « أعرف أنك لا تريد الكثير .

لا شيء سوى الأمور التي أضطر لأن أقدمها مثل الطريقة التي أبدو عليها وطريقة كلامي وأسلوب حركاتي . ولكنني عبارة عن مجموعة أشياء أخرى . ولديّ أشياء أخرى أقدمها لمَنْ أحبّ وهذه الأشياء الأخرى لا أستطيع أن أقدمها لك لأنني لا أحبك »

فقلتُ « ذلك الكلام من شأنه أن يغيّر كل شيء . أليس كذلك ؟ » .

ثم نهضتُ واقفا . وكان رأسي يخفق نابضاً وأدركتْ هي ما كنت أهدف إليه على الفور . واستطعتُ مشاهدة ذلك على وجهها ولكنها تظاهرتْ بأنها لا تفهم . وتساءلتْ :

« ماذا تعنى ؟ » .

فقلت « أنت تعرفين ما أعنيه » .

فقالت « لسوف أتزوجك ، لسوف أتزوجك بأسرع ما يمكن كما تحب ».

فقلتُ ضاحكا « ها ، ها ، ها » .

قالت : « أليس هذا هو ما تريد لى أن أقوله ؟ » .

قلتُ « إننى أفترض أنك تعتقدين أننى لا أعرف أنك لست بحاجة إلى شهود وغير ذلك من إجراءات » .

فقالت « حسنا ؟ » .

فقلت « إننى لا أثق فيك على الاطلاق » .

وكانت تنظر إلىَّ بطريقة جعلتنى أشعر بالغثيان الحقيقى . كانت تنظر

إليّ كما لو كنت أنا غير آدمى لم تكن نظراتها مليئة بالسخرية والاستهزاء . وأنما كانت تنظر إليّ كما لو كنت شيئا ما خارج نطاق الفضاء الخارجى . شيئا ما يكاد يسلب القدرة على الحركة أو الهرب .

وقلت « هل تظنين أننى لا أدرك جوانب الموقف ؟ » فاكتفت بأن قالت «يا فرديناند » كما لو كانت تناشدنى . إنها خدعة أخرى من حيلها الخادعة .

فقلت لها « لا تملقينى بذكر كلمة فرديناند » .

فقالت « لقد وعدتنى . ولا يمكن لك أن تخلف وعدك »

فقلت « باستطاعتى أن أفعل ما يروق لى » .

فقالت « ولكننى لا أعرف ما الذى تريده منى . وكيف يمكن لى أن أبرهن لك على أننى صديقة لك إذا كنت لا تعطينى أبداً الفرصة للبرهنة على ذلك ؟ »

فقلت « اخرسى » .

وعندئذ لجأت فجأة للتمثيل . وكنت أدرك أنها ستلجأ لذلك وكنت مستعدا لمواجهة ذلك . ولكن الشىء الذى لم أكن مستعدا لمواجهته هو صوت سيارة بالخارج . وبمجرد أن توقفت السيارة عند المنزل فانها مدت قدمها وكأنها ترغب فى تدفئة قدمها ولكنها قامت فجأة بركل كتلة خشبية محترقة فاندفعت خارجة من المدفأة وسقطت على السجادة وفى نفس الوقت صرخت واتجهت نحو النافذة وبعدئذ اكتشفت أن النافذة مغلقة بالقفل . ولكننى تمكنت من الامساك بها أولاً . ولم أتمكن من احضار مادة الكلوروفورم التى كانت موجودة فى أحد الأدراج وتلاحقت الأحداث بسرعة حيث استدارت نحوى وراحت تخربشنى وتنشب أظافرها فى جسدى مع الاستمرار فى الصراخ

ولكننى لم أكن فى حالة تسمح لى بأن أكون لطيفا معها . حيث رحت أضرب ذراعيها فى عنف ثم تمكنتُ من وضع يدى على فمها . فأنشبت أظافرها فى يدى وعضتنى وركلتنى . ولكنى أصبت بحالة من الهلع والذعر الشديد بحلول ذلك الوقت . فأمسكتها من كتفيها ورحت أجذبها وأشدها نحو الدرج الذى يوجد به كيس البلاستيك الذى يحتوى على الكلوروفورم . وشاهدت ميراندا ذلك الكيس وعرفت محتوياته فحاولت التملص بعيداً وقد أمالت رأسها على جانب ولكننى تمكنت من استخراج الكيس ووضعه على فمها . وطوال الوقت كنت أصغى لصوت السيارة بالخارج بالطبع . وفى نفس الوقت كنت أرقب الكتلة الخشبية المحترقة . كانت تحترق على نحو ردىء للغاية بحيث أصبحت الغرفة مليئة بالدخان ، وما أن أصبحت ميراندا تحت سيطرتى تماما تركتها تذهب ورحت أطفىء النيران . وصببت الماء من زهرية على النيران وكان ينبغى علىَّ أن أتصرف بسرعة كبيرة . وقررت أن أصطحبها إلى الغرفة السفلية بمجرد أن يتوافر لدى الوقت لذلك . وقمتُ بذلك بالفعل ووضعتها على سريرها ثم صعدت لأعلى مرة أخرى لكى أتأكد تماما أن النيران قد أخمدت وأنه لا يوجد هناك أحد بالخارج .

وفتحت الباب الأمامى للمنزل بطريقة عرضية تماما ولم يكن يوجد هناك أىّ شخص بالخارج . كانت الأمور تسير على ما يرام .

كانت لا تزال فى حالة من الاعياء الشديد فوق السرير . وكان منظرها مثيرا للسخرية والاستهزاء . إذ كان الفستان منحسرا تماما عن إحدى كتفيها . وقد أحدث منظرها هذا نوعا من الاثارة فى داخلى بل وجعل بعض الأفكار تهبط علىَّ لدى مشاهدتها ملقاة هنالك على ذلك النحو . وبدا لى الأمر وكأننى قد أوضحت لها مَنْ هو صاحب السلطة الحقيقية فى ذلك المنزل . كان

الفستان منحسرا تماما عن كتفها حتى أننى تمكنت من مشاهدة الجزء العلوى من جوربها . ولست أعرف السبب الذى جعلنى أتذكر فيلما أمريكيا شاهدته ذات مرة (أو ربما هذا الذى شاهدته كان فى إحدى المجلات) عن رجل أخذ معه فتاة مخمورة إلى منزله وخلع لها ملابسها ووضعها فى السرير ولم يفعل بها أىّ شىء ردىء فهو قد اكتفى بهذا الاجراء ولا شىء أكثر من ذلك وعندما استيقظت تلك الفتاة وجدت نفسها مرتدية بيجامته .

لذلك فقد فعلتُ نفس الشىء مع ميراندا خلعتُ لها فستانها وجوربها وتركتها مرتدية بعض قطع الملابس الأخرى مثل حمالة الصَّدر وغيرها من ملابس داخلية وذلك لكى لا أمضى إلى نهاية الشَّوْط . وبدتْ مثل لوحة فنية حقيقية مستلقية هناك ومتجردة من ملابسها على حدّ تعبير العمة آنِى (ولقد قالت إن التجردّ عن الملابس وخلع الملابس بكثرة هو السبب فى أصابة المزيد من النساء بالسرطان) . كانت ميراندا تبدو وكأنها مرتدية مايوه بكينى .

وكانت تلك هى الفرصة التى كنت أنتظرها . فأمسكت بالكاميرا القديمة وقمت بالتقاط بعض الصور الفوتوغرافية لها . وكنت على استعداد لالتقاط المزيد من اللقطات لها ولكنها بدأت تتحرك قليلاً لذلك اضطررت لأن أكف عن ذلك وأسارع بالخروج .

وبدأت فى تحميض وطبع الصور على الفور . وكانت صوراً لطيفة للغاية . وصحيح أنها لم تكن متسمة بالطابع الفنى ولكنها كانت ممتعة .

ولم أستطع النوم على الأطلاق فى تلك الليلة بسبب ذلك الذى حدث . وجاءت علىَّ أوقات فكرت فيها بأن أنزل اليها وأعطيها الكلوروفورم مرة أخرى وألتقط لها المزيد من الصور الفوتوغرافية . وكان تفكيرى متردِّيا إلى ذلك

الحدّ . وأنا فى حقيقة الأمر لم أكن أميل إلى التردّى والسوء فى تلك الليلة بسبب كل ذلك الذى حدث وبسبب الضغوط التى وقعتْ على كاهلى . كما أن الشمبانيا كان لها تأثير سيّىء علىَّ هذا علاوة على كل ما قالته من كلام . إذ كانت هناك ظروف كثيرة متراكمة كما يقولون .

ولم تعد الأمور بينى وبينها إلى ما كانت عليه من قبل على الاطلاق على الرغم من كل ما حدث . إذ برهن هذا الحادث على نحو ما على أنه لا يمكن لنا أن نتوافق مع بعض أبداً لأنها لا يمكن لها أن تفهمنى وأعتقد أنها تقول لنفسها إننى لا يمكن لى أن أفهمها على الإطلاق وبالتالى فإنها لن تسمح لى بالحصول عليها بأية طريقة .

وعندما رحتُ أفكر فيما بعد فيما أقدمتُ عليه من حيث قيامى بنزع ملابسها أدركت أن ذلك العمل الذى قمتُ به لم يكن رديئاً للغاية . لأن أىّ شخص آخر فى مكانى كان سيفقد السيطرة على نفسه بحيث لا يكتفى بمجرد التقاط الصور الفوتوغرافية لها . وكانت تلك نقطة فى صالحى إلى حدّ كبير .

ورحت أفكر فيما ينبغى علىَّ أن أفعله . ورأيت أن أفضل وسيلة هى أن أقوم بكتابة خطاب لها . وأورد فيما يلى نص الخطاب الذى كتبته لها :

إننى آسف لما حدث فى الليلة الماضية . ويمكن أن أقول إنك تظنين الآن أنه لا يمكن أن تغفرى لى أبداً .

لقد سبق لى أن قلتُ لك إننى لن أستخدم العنف معك أبداً اللهم الاَّ إذا اضطررت إلى ذلك . وأعتقد أنك سوف تعترفين أنك أرغمتنى على استخدام العنف بسبب ما أقدمت عليه من أعمال .

وأرجو أن تفهمى أننى لم أفعل سوى الاجراءات الضرورية . ولقد قمتُ بخلع فستانك عنك حيث اعتقدت بأنك قد تتعرضين للمرض مرة أخرى .

ولقد أظهرتُ كل ما أستطيع من أحترام نحوك تحت تلك الظروف . وأرجو أن تعتزى بى وتثقى فىَّ لأننى لم أفعل معك ما كان سيفعله أىّ شخص آخر فى مكانى .

ولن أقول لك أىّ كلام آخر . باستثناء أنه يجب علىَّ أن أحتفظ بك هنا لفترة أطول .

المخلص

فرديناند

ولم أكتب أىّ بداية للخطاب . إذ لم أستطع أن أعرف بماذا أسميها : إذ بدت عبارة (عزيزتى ميراندا) عادية ومألوفة .

ونزلتُ إلى الغرفة السفلية حاملا معى طعام الافطار الخاص بها . وكان الموقف على النحو الذى تخيلته تماما . كانت جالسة فى الكرسى الخاص بها وكانت تحملق فى وجهى . قلت لها « صباح الخير » فلم تردّ علىَّ. فقلت لها « أتريدين تناول فطائر الكريز أم الكورن فليك ؟ » – فاكتفت بالحملقة فى وجهى . لذلك تركتُ لها طعام الأفطار على الصينية ووضعت الخطاب فى الصينية وانتظرت بالخارج لبعض الوقت وعندما رجعتُ إليها أدركت أنها لم تتناول الطعام ولم تفتح الظرف وكانت لا تزال تجلس هنالك محملقة فى وجهى . وعرفت أنه لا فائدة تُرجى من وراء التحدث معها . كانت مصممة على الالتزام بالصمت وعدم تناول الطعام .

وظلت على ذلك النحو أياما عديدة . وبقدر ما أعلم فإنها لم تتناول سوى بعض الماء . وكنت أتجادل معها مرة واحدة على الأقل يوميا عندما كنت أحضر لها الطعام فترفض دائما تناوله . وأحضرتُ لها الخطاب مرة أخرى فقرأته فى هذه المرة أو هى قد فضَّت الظرف على الأقل ولذلك فهى قد لمست الخطاب . وجربتُ معها كل الوسائل الممكنة : تكلمتُ معها فى لطف ورقة وتظاهرتُ أننى أشعر بالغضب والمرارة وتوسلت اليها ولكن لم تفلح معها كل هذه الوسائل . ففى معظم الحالات كانت تكتفى بالجلوس وقد أعطت ظهرها لى وكأنها لم تسمع كلامى . وأحضرتُ لها مأكولات خاصة مثل الشيكولاته الكونتنتال والكافيار وأغلى المأكولات التى يمكن شراؤها من مدينة لويس ولكنها رفضت تناول تلك المأكولات أيضا .

وبدأ الهمّ والقلق يسيطران علىَّ بالفعل . ولكن بعدئذ وفى صباح أحد الأيام عندما دخلتُ إلى حجرتها وجدتها واقفة بجوار سريرها وقد أعطت ظهرها نحوى . ولكنها استدارت لتواجهنى بمجرد أن دخلتُ إلى الغرفة وقالت « صباح الخير » . ولكن فى لهجة ساخرة ومليئة بالحقد والضغينة .

فقلت لها « صباح الخير . إنه لمن الطريف أن أسمع صوتك مرة أخرى » .

« صحيح ؟ لن يكون الأمر طريفا . ولسوف أجعلك تتمنى لو أنك لم تسمع صوتى أبداً » .

فقلت لها « لسوف نرى » .

فقالت « إننى سأقوم بقتلك . إننى أدرك أنك ستجعلنى أتضور جوعاً حتى الموت . ولذلك فأن سألجأ إلى قتلك مثلما تهدف أنت إلى قتلى . الجزاء من جنس العمل » .

فقلت لها « أعتقد أننى لم أحضر لك أىّ طعام فى خلال تلك الأيام الماضية ؟

فلم تستطع الردّ عن هذا السؤال واكتفت بالحملقة فى وجهى بطريقتها المعهودة .

وقالت « لن تحتفظ بى كسجينة عندك بعد اليوم وانما ستحتفظ بسجينة ميتة »

فقلت لها « تناولى شيئاً من طعام الإفطار بأية حال » .

ومنذ ذلك الوقت فصاعدا بدأت تأكل بطريقة طبيعية ولكن الأمور لم تعد على نفس ما كانت عليه من قبل . إذ نادراً ما كانت تتكلم . وإذا تكلمت كان كلامها يجىء دائما عنيفا وفى سخرية لاذعة . وكانت دائما تموج بالغضب الشديد حتى أنه لم يكن هناك مجال لى للبقاء معها لبعض الوقت . فإذا ظللتُ باقيا عندها لدقيقة أخرى بدون أن يكون هناك ما يدعو لذلك فانها كانت تأمرنى فى غضب بالخروج من غرفتها ، وذات يوم بعد ذلك بفترة قصيرة أحضرت لها طبقا من اللوبيا المخبوزة مع التوست بطريقة لطيفة فأمسكتْ بالطبق وقذفتْ به فى اتجاهى مباشرة . وبحلول ذلك الوقت كنت قد سئمتُ تماما من المسألة برمتها وبدا لى أنه لا جدوى فقد جربتُ كل شىء ولكنها ظلت على عنادها . وبدا الأمر وكأننا قد وصلنا إلى طريق مسدود .

وبعدئذ طلبت منى بالفعل شيئاً ما ذات يوم . وكنت قد اعتدت على أن أتركها على الفور عقب العشاء قبل أن تتمكن من الصراخ فى وجهى .. ولكنها فى هذه المرة قالت « انتظر قليلاً » .

وأضافت « أريد أن آخذ حماماً » .

فقلت لها « من غير الملائم أن يتم ذلك فى هذه الليلة » حيث لم أكن مستعدا لذلك .

فتساءلت « غداً ؟ »

« لا مانع أن يتم ذلك غــداً . ولكن مع اعطائى كلمة شرف . وعدْ شرف .

فقالت « سأقدم لك كلمة شرف » وقالت تلك العبارة بصوت جاف ردىء. وأدركت القيمة التى تنطوى عليها كلمة الشرف الخاصة بها .

وأضافت « وأنا أريد أن أتمشّى قليلا فى الغرفة السفلية » ثم مدت يديها أمامها فقمت بربطهما . وكانت تلك أول مرة ألمس فيها يديها منذ أيام . وكالمعتاد ذهبتُ وجلستُ على السلالم المؤدية إلى الباب الخارجي وراحت هى تسير جيئة وذهابا بطريقتها الغريبة . وكانت الرياح عاصفة للغاية حيث كان بالمستطاع سماع أصوات الرياح فى المنطقة العلوية وسماع صوت أقدامها فى المنطقة السفلية . ولم تتحدث على مدى فترة طويلة ولا أعرف السبب فى ذلك ولكننى كنت أدرك أنها كانت تريد أن تتكلم .

وأخيراً تكلمت فجأة متسائلة « هل أنت تستمتع بحياتك ؟ .

فأجبت عليها فى حذر « ليس كثيراً » فسارت جيئة وذهابا على مدى أربع أو خمس دقائق أخرى وبدأت بعد ذلك تدندن بالموسيقى .

فقلت لها « تلك نغمة موسيقية جميلة » .

فتساءلتْ « أتحب هذه النغمة ؟ » .

فقلت « نعم » .

فقالت « إذن فأنا لم أعد أحبّ هذه النغمة » ثم استأنفت سيرها جيئة وذهابا مرتين أو ثلاث مرات .

وقالت « تحدَّث معى » .

« عن أىّ شىء ؟ » .

« عن الفراشات » .

« عن الفراشات من أىّ زاوية ؟ » .

« عن السبب فى قيامك بجمْع الفراشات .

وعن الأماكن التى تعثر فيها على الفراشات . وعليك أن تستمر فى الكلام فى هذا الموضوع . »

وبدا لى ذلك أمرا غريبا ولكننى رحت أتكلم . وفى كل مرة أتوقف فيها عن الكلام كانت تقول : « استمرّ . تكلَّمْ » . ومن المؤكد أننى أخذت أتحدث على مدى نصف ساعة إلى أن توقفت عن السَّيْر وقالت « كفى » . ثم رجعتْ إلى داخل غرفتها وقمتُ بفك الحبال عن يديها وذهبتْ هى مباشرة وجلستْ على سريرها وقد أدارت ظهرها لى . وسألتها عما إذا كانت تريد أىّ قدْر من الشاى فلم تردّ علىَّ . وفجأة أدركتُ أنها قد أنحرطت فى البكاء . وكنت أشعر باكتئاب حقيقى كلما شاهدتها تبكى . إذ لم أكن أتحمل مشاهدتها وهى تعيسة إلى ذلك الحدّ . فاقتربتُ منها وقلت لها « قولى لى ما تريدين . إننى على استعداد لأن أشترى لك أىّ شىء تريدينه . » ولكنها استدارت لتواجهنى وكانت الدموع تنساب من عينيها ولكن عينيها كانتا ملتهبتين ومتقدتين بالشرر . ثم وقفتْ وسارت نحوى وهى تقول » أغرب عن وجهى . أخرج من هنا » وكانت رهيبة للغاية . وبدت وكأنها قد أصيبت بجنون حقيقى .

وفى اليوم التالى كانت ميراندا هادئة للغاية . ولم تنطق بكلمة واحدة . وجهزت لها الحمام وكل شىء وأظهرتْ لى أنها على استعداد تام عندما قامت بالتريض لبعض الوقت (فى صمت تام فى هذه المرة) . لذلك قمتُ بوضع الكمامة لها مع ربطها بالحبال واصطحبتها للصعود إلى الدور العلوى وأخذتْ الحمام الخاص بها ثم خرجت ومدت لى يديها على الفور لكى يتم ربطها مرة أخرى .

وكنت دائما أخرج من المطبخ أولاً وقد وضعت إحدى يدىّ عليها ولكن كانت هناك سلّمة وقد تعثرتُ فيها ذات مرة ولربما كانت هى نفس تلك السلّمة وعندما سقطت هى بدا لى الأمر طبيعيا وبدا من الطبيعى أيضاً أن كافة الفرشات والزجاجات والأشياء التى كانت تحملها فى فوطة . كانت يداها مربوطتين أمامها دائما ولذلك فهى كانت تحمل الأشياء مستندة على الجزء الأمامى من جسدها) أن تسقط محدثة ضجة وضوضاء فى الطرقة . ونهضتْ وقد ظهرتْ عليها البراءة الكاملة وانحنت وراحت تحك ركبتيها وأنا مثل أى انسان مغفل انحنيتُ لأسفل لكى ألتقط الأشياء التى وقعت على الأرض . وبالطبع ظللتُ واضعا إحدى يدىّ على الروب دى شامبر الخاص بها ولكن غلطتى أننى رفعتُ عينى عنها وكانت تلك غلطة مميتة .

والشىء التالى الذى أدركته هو أننى تلقيتُ ضربة رهيبة على جانب رأسى . ومن حسن حظى أن الضربة أخطأت رأسى . حيث تلقى كتفى أو ياقة معطفى قوة الضربة . وسقطتُ على الأرض فى انحراف محاولا تفادى الهجوم التالى أو الضربة الثانية . وكنت فاقدا لتوازنى ولم أتمكن من الوصول إلى ذراعيها رغم أننى كنت لا أزال ممسكا بالروب دى شامبر الخاص بها . وتمكنت من مشاهدتها وهى ممسكة بشىء ما فى يديها . وأدركت فجأة أن

ذلك الشيء هو الفأس القديمة التي أنجز بها الأعمال الطارئة العارضة المختلفة . وكنت قد استخدمتها في الحديقة في ذلك الصباح فقط عندما تهاوى غصن من احدى أشجار التفاح القديمة بسبب شدة الرياح في الليلة السابقة . وأدركتُ في ومضة سريعة أنني قد انزلقت إلى الهاوية في نهاية الأمر . حيث كنت قد تركت تلك الفأس على قاعدة نافذة المطبخ ومن المؤكد أنها اكتشفت مكانها . مجرد غلطة واحدة يمكن أن تجعل المرء يفقد كل شيء .

ووضعتني تحت رحمتها للحظات . ومن المعجزات أنها لم تقم بالفتك بي والقضاء عليَّ تماماً . وهبطت عليَّ بالفأس مرة أخرى ولم أتمكن الاَّ من رفع ذراعي لأعلى بعض الشيء فشعرت بضربة رهيبة قاطعة وعميقة فوق صدغي . مما جعل رأسي يدوّي بالرنين وبدا لي وكأن الدماء تدفقت على الفور . ولا أعرف كيف تمكنتُ من الافلات من هذا الموت المحقق . انها غريزة حبّ الحياة على ما أعتقد . حيث رحت أركل بقدمّي وأتلوىً مما جعلها تسقط على جانب فوقي إلى حدّ ما . وسمعت صوت الفأس وهو يرتطم بالأرض الحجرية .

فوضعتُ يدي على الفأس وجذبتها وألقيت بها فوق العشب وبعدئذ تمكنتُ من الإمساك بيديها قبل أن تتمكن هي من نزع الكمامة عن فمها . ودخلنا سويا في معركة أخرى . ولكن لمدة ثوان قليلة فقط . ومن المؤكد أنها قررت عدم الاستمرار في المعارك لأن ذلك لن يأتي بالنتيجة المرجوة بالنسبة لها فهي قد جاءت لها الفرصة الذهبية ولكنها أضاعتها . ولذلك توقفت فجأة عن القتال وقمت باصطحابها ونزلت بها لأسفل . وكنت شرساً معها وكانت معنوياتي متردية وهابطة للغاية حيث كانت الدماء تنسال من وجهي . ودفعتها

إلى داخل غرفتها في عنف وهي ألقت عليّ نظرة غريبة للغاية قبل أن أغلق بابها في عنف وأحكم الغلق بالترابيس . ولم أهتم بضرورة قيامي بنزع الكمامة عنها وفك قيود يديها . واعتقدت أنه ينبغي عليّ أن ألقنها درساً قاسياً .

وصعدت إلى الدور العلوى ورحت أغسل وجهي ورأسي . واعتقدتُ أنني كنت على وشك الإغماء عندما شاهدت وجهي في المرآة . حيث كانت الدماء موجودة في كل مكان . وعلى كل حال فقد كنت سعيد الحظ لأن الفأس لم تكن حادة للغاية كما أنها سقطت في انزلاق مبتعدة عن منتصف رأسي . وكان جرحي يبدو رهيباً ولكنه لم يكن عميقا . وجلستُ لفترة طويلة وقد ضغطت بقطعة من القماش على الجرح . ولم يخطر على ذهني أبداً أنني سأنجح في إيقاف تدفق الدماء بهذه الطريقة وقد أدهشني أنني تمكنت من إيقاف الدماء في ذلك المساء .

بالطبع كنت أشعر بالمرارة بسبب ما حدث . ولو لم أشعر بالإغماء بعض الشئ لما عرفت ما كنت سأقدم عليه . كان الأمر قد وصل إلى مرحلة القشة التي قصمت ظهر البعير كما يقولون حيث هبطت على ذهني بالفعل أفكار معينة . ولا أعرف ما كان ينبغي عليّ ألاّ أفعله إذا هي داومت على توبيخي مثلما كانت تفعل من قبل . وما زال هذا لا في العير ولا في النفير الآن .

وفي صباح اليوم التالي نزلتُ إلى الغرفة السفلية بينما الصداع كان لا يزال منتشراً في رأسي . لذلك كنت متأهبا ومستعدا لأن أكون شرسا ورديئا معها إذا كانت مصرة على الشراسة معي ولكنني كنت خائر القوى للغاية بحيث يمكن لأى شخص أن يطرحني أرضاً إذا ضربني بريشة . وكان

أول شئ فعلته ميراندا هو أنها نهضت واقفة وسألتنى عن حالتى الصحية وعن رأسي . وأدركتُ من الطريقة التى سألت بها أنها كانت تحاول أن تكون شفوقة علىّ ورقيقة معى .

فقلت لها « إننى سعيد الحظ لأننى لم أنتقل إلى رحمة الله » .

وكانت تبدو شاحبة الوجه للغاية كما كانت تبدو وقورة ورزينة ، ومدت لى يديها وكانت قد تمكنت من خلع الكمامة ولكن من المؤكد أنها نامت بينما يداها مربوطتان . (وكانت لا تزال مرتدية الروب دى شامبر) . فقمت بفك الحبال وتحرير يديها .

« دعنى ألقى نظرة على رأسك » .

فتراجعتُ إلى الوراء . فأمسكتْ بى فى عصبية وقلق وقالت « لا يوجد فى يدىّ أىّ شئ . هل قمت بغسل رأسك ؟ » .

« نعم » .

« هل قمت بتطهير الجروح من الجراثيم ؟ » .

« الجرح على ما يرام » .

فذهبتْ وأحضرت زجاجة صغيرة بها ديتول كانت تحتفظ بها وبللت قطعة من القطن الطبى بالديتول ورجعتْ إلىّ .

فقلت « وما الذى ستفعلينه الآن ؟ » .

قالت « أريد أن أربّت بهذه القطعة من القطن على الجرح إجلس . إجلس » . ونطقت تلك العبارة بطريقة توحي بأنها تريد لى خيرا . ومن الغريب أننى كنت أدرك فى بعض الأحيان أنها صادقة تماماً وغير قادرة على الكذب .

وانتزعتْ البلاستار فى حرص وبطء شديد . وشعرتُ بها وهى تجفل لدى مشاهدتها الجرح . لم يكن جرحا كبيراً للغاية ولكنها راحت تغسله بالديتول فى رفق شديد ثم وضعت البلاستار عليه مرة أخرى .

فقلت لها « شكرا جزيلاً » .

كان كل شىء يتم فى إطار رسمى . ثم ابتعدتْ عنى لكى تتناول طعام الافطار وانتظرت أنا بالخارج . وعندما قمت بالطرق على الباب لكى أدخل وأحمل الصينية الشاغرة وجدتها وقد ارتدت ملابسها ورتّبت سريرها فسألتها عما إذا كانت تريد أىّ شىء فأجابت بالنفى . ثم قالت إنه ينبغى على أن أشترى TCP لأعالج به جروحى . وناولتنى الصينية وهى تبتسم ابتسامة خفيفة للغاية .

ورغم ضآلة الابتسامة فقد دلت على حدوث تغيّر كبير . بل وشعرت أننى كنت على استعداد لأن تُشج رأسى فى سبيل الحصول على مثل هذه الابتسامة الخفيفة . وشعرتُ بالسعادة الغامرة فى ذلك الصباح وكأن الشمس كانت تشرق ساطعة مرة أخرى .

وبعد ذلك وعلى مدى يومين أو ثلاثة أيام كانت العلاقة بيننا عادية . فهى لم تتحدث كثيراً معى ولكنها فى نفس الوقت لم تكن وقحة أو بذيئة معى على الاطلاق . وفى يوم ما عقب تناولها طعام الافطار طلبت منى أن أجلس مثلما اعتدت أن أجلس فى البداية لكى تقوم برسم صورة لى . وكان ذلك لمجرد أن تعطى لنفسها المبّرر للتحدث معى .

قالت « أريد منك أن تساعدنى »

قلت « استمرى فى التعبير عما تريدين » .

قالت « إن لى صديقة وهى فتاة صغيرة وهناك شاب صغير فى السن واقع فى حبها » .

فقلتُ « استمرى فى عرض الموضوع » . فتوقفتْ عن الكلام لكى تثير تشوُّقى على ما أعتقد .

وأضافت « وهو غارق فى حبها تماما حتى أنه اضطر للقيام بخطفها . وأصبح يحتفظ بها كسجينة عنده » .

فقلت « يا لها من مصادفة » .

فقالت « أليست هى مصادفة بالفعل ؟ حسنا . وهى ترغب فى أن تصبح حرَّة طليقة مرة أخرى ولكنها فى نفس الوقت لا تريد أن تسبب له الأذى أو الضَّرر . وهى بذلك لا تعرف ماذا عليها أن تفعل . فما الذى تنصحها به ؟ » .

فقلت » أنصحها بالتحلّى بالصبر » .

فقالت « وما الذى يجب أن يحدث قبل أن يطلق سراحها ذلك الشاب؟».

قلتُ « قد يحدث أىّ شىء » .

فقالت « وهو كذلك . والآن لا داعى لأن نلعب على بعضنا . يجب أن نواجه بعضنا البعض فى صراحة تامة . والآن قلْ لى ما الذى ينبغى علىَّ أن أفعله لكى يتم اطلاق سراحى ؟ » .

ولم أستطع الاجابة على سؤالها ، واعتقدت أننى لو طلبت منها أن تعيش معى للأبد فإننا سنعود فقط إلى حيث بدأنا .

وقالت فجأة « هل ستطلق سراحى إذا نمت معك فى السرير ؟ » .

وتوقفتْ عن الرسم ولم أستطع أن أردّ عليها فقالت « ما رأيك ؟ » ..

فقلت « لم أكن أظن أنك من ذلك النوع من الفتيات » .

فقالت « إنني أحاول فقط العثور على الثمن الذي تريده أو معرفة الثمن أو السعر الخاص بك » .

كما لو كان الأمر بمثابة غسالة كهربائية جديدة مما يجعلها تتساءل عن الحجج المؤيدة والحجج المعارضة لها ..

فقلت لها « أنت تعرفين ما أريد » .

« ولكن ذلك هو بالضبط ما لا أريده » .

« أنت تدركين جوانب الموقف تماما » .

فقالت « أوه . يا الهي . استمع اليَّ . عليك بالاجابة بنعم أو لا على سؤالي هذا : هل تريد أن تذهب إلى الفراش معي ؟ » .

فقلت « ليس على النحو الذي نحن عليه الآن » .

فقالت « وما هو النحو الذي نحن عليه الآن ؟ » .

فقلت « لقد كنت أفترض أنك أكثر ذكاء مني » .

فأخذتْ نفسا عميقا . وكنت أستمتع بقيامي بكبح جماحها .

وقالت « هل تشعر أنني أبحث فقط عن وسيلة تعينني على الهرب ؟ وأن أيّ شيء أفعله هو من أجل تحقيق هذه الغاية ؟ فهل هذا هو موقفي بالضبط ؟ » .

فقلت « نعم » .

فقالت « وإذا شعرت أننى أريد أن أنام معك لسبب آخر ما ... لأننى أشعر بالميل نحوك والارتياح اليك .. أو لمجرد أننى أرغب فى اللهو والتسلية. فهل سترحب عندئذ بالنوم معى ؟ »

فقلت لها « باستطاعتى أن أشترى ما تتحدثين عنه فى لندن فى أىّ وقت »

وأسكتتها تلك العبارة فلاذتْ بالصمت لبعض الوقت وشرعتْ فى الرسم مرة أخرى .

وبعد برهة قالت « أنت لم تحضرنى إلى هنا لأنك ترانى جذابة من الناحية الجنسية » .

فقلت « أنت من وجهة نظرى جذابة للغاية من الناحية الجنسية » .

فقالت « أنت تشبه اللغز الصينى الذى يتعذر ايجاد الحلّ له » ثم استأنفت الرسم ولم تقل أىّ كلام بعد ذلك . وبعدئذ حاولت أن أتحدث معها مرة أخرى ولكنها قالت إن كلامى سيتلف ذلك الوضع المعين الذى أتخذته أثناء قيامها برسم صورة لى .

وأنا أعرف ما سيظنه البعض فيما يتعلق بهذه النقطة . فهم قد يظنون أن سلوكى شاذ وغريب وغير مألوف . فأنا أدرك أن معظم الناس كانوا سيفكرون فى انتهاز الفرصة حيث كانت هناك العديد من الفرص السانحة . ولقد كان باستطاعتى أن استخدم السرير معها بحيث افعل ما أريد ولكنى لم أكن من ذلك النوع من الناس على الاطلاق . لقد كانت ميراندا تشبه برقة فراشة يستلزم الأمر إطعامها وتغذيتها على مدى ثلاثة شهور ولكنى احاول اطعامها فى خلال أيام قليلة . وكنت أدرك أن ذلك لن ينجم عنه أىّ خير لأنها

كانت متسرعة للغاية . والناس فى هذه الأيام يريدون دائما الحصول على الاشياء وما يكادون يفكرون فى شىء حتى يرغبون فى الحصول عليه فى أيديهم . ولكننى انسان مختلف عنهم فأنا موضة قديمة . فأنا من النوع الذى يستمتع بالتفكير فى المستقبل ويدع الأمور تأخذ مجراها بطريقة طبيعية فى وقت كاف . ولقد اعتاد العم ديك أن يقول « يجب على المرء ألاَّ يتسرع لدى انجازه الأمور الضخمة »

والشىء الذى لم تفهمه ميراندا أبداً أن مسألة امتلاكى لها هو كل شىء بالنسبة لى يكفى مجرد امتلاكى لها . فأنا لست بحاجة لأن أفعل أىّ شىء معها . كل ما أريده هو الحصول عليها وأن تكون فى حالة من الأمن والأمان فى نهاية الأمر .

ومر يومان أو ثلاثة أيام . ولم تقل كلاما كثيراً أبداً ولكن بعدئذ قالت لى ذات يوم عقب تناولها طعام الغداء « يبدو أننى سأصبح سجينة مدى الحياة . أليس كذلك ؟ »

وبدا لى الأمر وكأنها تحدث نفسها فقط لذلك لم أردّ عليها .

ثم تساءلت « ألا يحسن بنا أن نبدأ فى توطيد الصداقة بيننا مرة أخرى ؟ »

فقلت « من ناحيتى أنا أرحب بذلك تماما »

فقالت « أود أن آخذ حماما الليلة »

« وهو كذلك »

« وبعدئذ هل يمكن لنا أن نجلس سويا فى الدور العلوى ؟ مشكلتى مع هذه الغرفة السفلية . فأنا فى مسيس الحاجة إلى التغيير والجلوس فى مكان لكى لا أصاب بالجنون »

فقلت « أدرك ذلك » .

وقمتُ بالفعل باشعال النيران وتجهيز كل شيء . وحرصت على عدم وجود أيّ شيء يمكنها أن تلتقطه وتستخدمه في الهجوم عليَّ مرة أخرى . فأنا لا أدعي أن ثقتي القديمة فيها قد عادت إليَّ .

وصعدتْ هي إلى الدور العلوي لتأخذ الحمام وسارت الأمور كالمعتاد . وعندما خرجت من الحمام قمت بربط يديها ولم أضع لها الكمامة ثم سرتُ وراءها وهي تهبط لأسفل ولاحظت أنها وضعت على جسدها كميات كبيرة من العطور الفرنسية وسرَّحت شعرها لأعلى بنفس التسريحة التي صنعتها من قبل وكانت ترتدي معطفا له لون قرمزي أبيض كنت قد اشتريته لها .

وطلبت مني أن أقدم لها بعض الشيري الذي لم نستهلكه أبداً (كان لا يزال هناك نصف زجاجة من الشيري) وصببتُ لها الشيري ووقفتْ هي بجوار كتل الخشب المشتعلة وراحت تحملق لأسفل نحوها وأخذت ترفع قدميها العارتين - الواحدة تلو الأخرى - لكي تدفئهما . ووقفنا هنالك نحتسي الشيري سويا . ولم ننطق بأيّ كلام ولكنها نظرت إليَّ مرتين بنظرات غريبة كما لو أنها كانت تعرف شيئا ما لا أعرفه أنا مما جعلني متوترا بعض الشيء .

ثم تناولت كأسا أخرى من الشيري وتجرعت الكمية بسرعة في خلال دقيقة ثم طلبت كأساً أخرى .

وقالت لي « إجلس » فجلستُ على الأريكة حيث أشارت لي بالجلوس عليها . وراحت ترقبني للحظات وأنا جالس هنالك على الأريكة . وبعدئذ وقفت أمامي على نحو غريب للغاية وأخذت تنظر لأسفل نحوي وقد راحت تتناقل

بقدميْها . وتقدمتْ نحوى فى التواء وألقت بنفسها جالسة فجأة على ركبتى . فأصبت بالدهشة البالغة . وعلى نحو ما وضعت ذراعيها حول رأسى وبدأت تُقبِّلنى فى فمى . ثم ألقت برأسها على كتفى .

وقالت « لا تكن متخشبا إلى هذه الدرجة »

وكنت فى حالة من الذهول الشديد . كان ذلك هو آخر شىء أتوقعه .

وقالت « ضع ذراعك حولى » وأضافت : « هنالك . أليس ذلك لطيفا ؟ هل أنا ثقيلة الوزن فوق ركبتيك ؟ » ثم استندت برأسها مرة أخرى على كتفى بينما كنت أضع يدى على خصرها ، كان الدفء الشديد ينبعث من كل جسدها وكان العطر يغلفها من جميع الجهات وينبغى علىَّ أن أقول إن معطفها المنزلى كان مفتوحا لمسافة منخفضة للغاية وملقى على جانب فوق الركبتين ولكنها لم تعبأ بذلك على ما يبدو وقامت بتمديد ساقيها على طول الأريكة .

قلتُ لها « ما الذى تنوين عليه ؟ »

فقالت « أنت متوتر للغاية . عليك فقط بالاسترخاء . لا شىء يدعوك للقلق » . وحاولتُ الاسترخاء واستقلت هى ساكنة . ولكننى أدركت أنه يوجد هناك شىء ما خاطىء فى الموقف .

قالت « لماذا لا تقوم بتقبيلى ؟ » .

وعندئذ أدركت أن هناك شيئا ما حقيقيا على وشك أن يحدث . ولم أعرف ماذا أفعل . وقمتُ بتقبيل الجزء العلوى من رأسها .

فقالت « ليس على ذلك النحو » .

فقلت « إننى لا أرغب فى ذلك »

فاعتدلتْ فى جلستها وهى مازالت موجودة فوق ركبتى ونظرت إلىّ وقالت :

« لا أرغب فى ذلك ؟ » .

فأشحتُ بوجهى . كان الأمر صعبا مع وجود يديها المربوطتين حول عنقى . ولم أعرف ماذا أقول لها لكى أوقفها .

وأضافت « ولم لا ؟ » فى سخرية واستهزاء .

فقلت « لأننى قد أتمادى كثيراً » .

فقالت « وأنا أيضا قد أتمادى » .

وأدركت أنها كانت تستهزىء بى وتسخر منى مرة أخرى .

فقلتُ لها « إننى أعرف الطبيعة التى أنا عليها » فقالت « وما هى طبيعتك ؟ » .

قلتُ : « طبيعتى ليست من النوع الذى يعجبك » .

فقالت « ألا تعرف أنه تجىء هناك أوقات يكون فيها كل رجل جذابا ؟ أتفهمنى ؟ » وقامت بهز رأسها هزة خفيفة كما لو كانت تريد أن تقول لى إننى إنسان غبىّ .

فقلت « لم أكن أعرف ذلك » .

فقالت « حسنا . إذن » .

فقلت « المسألة هى ما يمكن أن ينجم عن ذلك .

فقالت « لا يهمنى ما قد ينجم عن ذلك » وأضافت .

« أنت بطيء » وفجأة راحت تقبلنى مرة أخرى بل إننى شعرتُ بلسانها .

وتساءلتْ « أليس هذا ظريفا ؟ » .

فاضطررتُ لأن أقول لها : « بالطبع . نعم هذا ظريف » . لم أكن أعرف هدفها الحقيقى من وراء تلك اللعبة فزاد ذلك من شعورى بالعصبية والتوتر هذا علاوة على شعورى بالتوتر الشديد الناجم عن تقبيلها لى وعما كان يعتمل فى ذهنى فيما يتعلق بالأمور الأخرى .

فقالت « أقْبِلْ إذن وجرِّب . »

وقامتْ بجذب رأسى واضطررتُ لأن أقوم بتقبيلها وكان فمها ممتعا للغاية . ورقيقا وناعما للغاية .

كنت أدرك أننى ضعيف . وكان ينبغى على أن أقول لها مباشرة « لاتكونى مقرفة » . كنت ضعيفا للغاية . وبدا الأمر وكأننى كنت مسحوبا من أنفى ضد إرادتى الحرة .

ووضعتْ رأسها على مرة أخرى لكى لا أتمكن من مشاهدة وجهها .

وتساءلتْ « هل أنا أول فتاة تقوم بتقبيلها فى حياتك ؟ »

فقلت « لا تكونى سخيفة » .

وقالت « عليك فقط بالاسترخاء . لا لا تكن عصبيا ولا تكن خجولا أو مرتبكا » .

ثم استدارت وأخذت تقبلنى مرة أخرى وقد أغلقتْ عينيها . وهى

بالطبع كانت قد تناولتْ ثلاث كؤوس من الشيرى . وما حدث بعدئذ كان مخجلاً للغاية إذ بدأتُ أشعر بالاثارة الشديدة وكنت أعرف دائما (من شيء ما سمعت عنه فى الجيش) أن الجنتلمان يسيطر على نفسه دائماً فى اللحظة المناسبة ولذلك فأننى لم أكن أعرف ما ينبغى علىَّ أن أفعله ازاء ميراندا . واعتقدت أننى قد أسيء إلى مشاعرها ولذلك حاولتُ أن أجلس معتدلاً بعض الشيء عندما انتهتْ من تقبيلى ورفعتْ فمها عن فمى .

وتساءلتْ « ماذا فى الأمر من أخطاء ؟ هل أنا أسبب لك آلاما ؟ »

فقلتُ « نعم » .

وعندئذ رفعتْ نفسها مبتعدة عن ركبتى ورفعتْ ذراعيها عن رأسى ولكنها ظلتْ جالسة عن كثب شديد منى للغاية .

وتساءلتْ « ألن تقوم بفك قيود يدىّ ؟ » .

فنهضتُ واقفا بعد أن أخجلتنى بسؤالها هذا .. وكان علىَّ أن أتجه إلى النافذة مدعيا أننى أفعل شيئا ما فى الستارة بينما كانت هى طوال الوقت ترقبنى من فوق ظهر الأريكة وهى راكعة عليها .

وقالت « يا فرديناند . ماذا حدث ؟ هل حدث خطأ ما ؟ » .

فقلت « لم تحدث أية أمور خاطئة » .

فقالت « لا يوجد هناك شيء يمكن الخوف منه » .

« أنا لستُ خائفاً » .

فقالت « عليك إذن بالرجوع . وأطفيء الأنوار الكهربائية ولنكتف فقط بالأنوار المنبعثة عن النيران » .

وفعلتُ ما أمرت به حيث قمتُ بإطفاء الأنوار الكهربائية . ولكنني ظللتُ واقفا عند النافذة .

فقالت في ملاطفة شديدة « تعال إليّ » .

فقلت « الموقف ليس سليما . فأنت تلجئين فقط إلى التظاهر والإدعاء » .

« أنا ؟ » .

« وأنت تدركين أنك تتظاهرين » .

فقالت « ولماذا لا تجيء وتشاهد بنفسك ؟ » .

فلم أتحرك من مكاني . إذ كنت أدرك طوال الوقت أن الموقف ينطوى على غلطة شنيعة . والشيء الذى فعلته ميراندا بعد ذلك هو أنها نهضتْ ووقفتْ بجوار النيران .

ولكنني لم أعد أشعر بالاثارة حيث شعرتُ بالبرودة والفتور يسرى فى كيانى الداخلى . وتلك كانت هى المفاجأة .

قالت « تعال واجلس هنا » .

فقلتُ « إننى على ما يرام هنا » .

فجاءتْ إليّ فجأة وأمسكت بيدى فى يديها وجذبتنى نحو النيران فسمحتُ لها بذلك . وعندما أصبحنا عند النيران مدت يديها لى ونظرت إليّ نظرة معينة لذلك قمت بفك قيود يديها . وعلى الفور اقتربتْ منى وقبلتنى مرة أخرى وكان عليها أن تقف على أطراف أصابع قدميها لكى تتمكن من تقبيلى .

وبعدئذ فعلت شيئا ما مثيرا للذهول بالفعل . حتى أننى لم أصدق ما أشاهده بعينى . إذ اتخذتْ خطوة للوراء وراحت تفك أزرار معطفها المنزلى . ولم تكن مرتدية أية ملابس أخرى تحت المعطف . كانت عارية تماما . فلم ألق عليها سوى نظرة واحدة سريعة . وكانت هى مكتفية بالوقوف هنالك فى ابتسام وفى حالة انتظار من أجل أن أقوم أنا بالخطوة التالية . ثم رفعتْ يديها لأعلى وبدأت تفك شعرها . لقد كانت تتعمَّد إثارتى بوقوفها هنالك عارية تحت الظلال وتحت ضوء النيران . ولم أستطع أن أصدق ما أرى .

وكان الموقف رهيبا . وتسبب فى شعورى بالغثيان والارتعاش . وتمنيتُ لو كنت موجودا فى أبعد مكان فى العالم . كان الأمر أسوأ مما كان عليه مع المومس التى لم أشعر بالاحترام نحوها . ولكن مع ميراندا كنت أدرك أننى لن أتمكن من الصمود أمام الخجل والعار .

وقفت هنالك . وكانت هى واقفة أمامى مباشرة حيث كانت تفك شعرها وتهز نفسها لكى ينساب شعرها . فتزايدت مشاعر الخجل والارتباك فى داخلى . ثم اقتربتْ منى أكثر وبدأتْ تخلع لى معطفى ثم فكَّتْ رباط عنقى ثم راحت تفك أزرار قميصى الواحد تلو الآخر . كنت مثل المعجون بين يديها أو مثل شخص سلس ومنقاد تماما وراء شخصيتها . وبعدئذ شرعتْ فى خلع قميصى .

وظلت أفكارى تناشدها « توقفى عن هذا . كفى عن ذلك العمل الخاطىء » ولكننى كنت فى غاية الضعف والاستسلام أمامها ، وبعدئذ وجدت نفسى عاريا تماما وكانت هى واقفة فى مواجهتى وممسكة بى ولكننى كنت مشدودا ومتوترا للغاية فقد أصبحتُ انسانا مختلفا وأصبحت هى إنسانة مختلفة . وأنا أعرف أننى لم أكن إنساناً طبيعيا وسويا عندئذ بحيث كنت

لا أفعل الأمور المتوقعة وقامت هى بعمل بعض الأمور التى لم يخطر على بالى أنها كان يمكن أن تفعلها . وقامت بالاستلقاء إلى جوارى على الأريكة وغير ذلك من أمور ولكنى كنت ملتويا ومنسحبا إلى الداخل .

وجعلتنى أبدو وكأننى إنسان عبيط وأبله تماما . وأدركتُ ما كانت تفكر فيه . لقد كانت تفكر فى أن هذا هو السبب الذى جعلنى دائما أبدو محترما للغاية وأردتُ أن أفعل لها ذلك الأمر وأبيّن لها أننى باستطاعتى أن أفعل ذلك الأمر حتى يصبح بمقدورى أن أبرهن لها أننى كنت إنسانا محترما فى حقيقة الأمر . أردت أن أجعلها تدرك بنفسها أننى أستطيع أن أفعل ذلك الأمر وبعدئذ أقول لها أننى لن أفعل ذلك الأمر لأنه أمر لا يليق بى ولا يليق بها لأنه أمر مثير للاشمئزاز .

واستلقينا معا لبعض الوقت فى صمت وسكون . وشعرتُ أنها كانت تحتقرنى وكانت تنظر إلىَّ على أننى إنسان غريب الشأن عجيب الخلقة .

وفى النهاية نهضتْ عن الأريكة وركعتْ إلى جوارى وأخذتْ تمرّ بيدها فى رفق على رأسى .

ثم قالت « هذا يحدث مع عدد كبير من الرجال . فلا تقلق من هذه الناحية » ولدى سماعها وهى تقول لى تلك العبارة اعتقدتُ أن لها خبرة واسعة فى هذا الشأن .

ورجعتْ إلى جوار النيران وارتدتْ ثوبها النسائى الطويل وجلست هنالك وراحت ترقبنى . فقمتُ بارتداء ملابسى . وقلتُ لها إننى كنت أدرك أننى لا يمكن لى أن أفعل ذلك معها . وحكيتُ لها قصة طويلة ملفقة غير حقيقية بهدف أن أجعلها تشعر بالعطف علىَّ وكانت القصة مليئة بالأكاذيب

ولا أدرى ما إذا كانت قد صدقتْ تلك القصة التى تتلخص فى أننى أشعر بالرغبة فى ممارسة الحب ولكننى لا أستطيع ممارسته على الأطلاق . وأن ذلك هو السبب الذى جعلنى أضطر للاحتفاظ بها .

فتساءلت « ولكن ألا تشعر بالسرور على الاطلاق إذا قمت بوضع يدك على بشرتى ؟ ولقد بدا عليك أنك تحبّ تقبيلى » .

فقلتُ « لقد شعرتُ بعدم الارتياح عندما تجاوزت الأمور مرحلة التقبيل » .

فقالت « ما كان ينبغى علىَّ أن أسبب لك مثل هذه الصدمة » .

فقلت « الغلطة ليست غلطتك أنت » .

فأنا لستُ مثل باقى الناس الآخرين . ولا أحد يفهم ذلك » .

قالت : « لقد فهمتُ ذلك » .

وقلتُ « إننى أرى ذلك فى أحلامى . ولا يمكن لذلك أبداً أن يُصبح واقعيا وحقيقيا » .

فقالت « مثل تنتالوس Tantalus » . وشرحتْ لى شخصية تنتالوس .

وظلتْ ملتزمة بالهدوء لبعض الوقت . وشعرتُ بالرغبة فى أن أضع لها الكمامة واصطحبها للهبوط بها إلى الغرفة السفلية ثم أتركها فى داخل تلك الغرفة حيث كنت أرغب فى أن أكون بمفردى تماماً .

وتساءلتْ « وما هو تخصص ذلك الطبيب الذى قال لك إنك لن تتمكن أبداً من القيام بذلك العمل ؟ » .

(وكانت تلك هى الأكاذيب التى قلتها لها . فأنا لم أعرض نفسى على

طبيب من قبل على الاطلاق بالطبع) .

فقلت « إنه مجرد طبيب » .

فتساءلت « هل هو طبيب نفسانى ؟ » .

فقلت « إنه طبيب نفسانى . فى الجيش » .

فقالت « وما نوع الأحلام التى كانت تتعلق بى ؟ » .

« جميع أنواع الأحلام » .

« ألا يكون بينها أحلام جنسية ؟ » .

وكانت على استعداد للاستمرار فى المناقشة على ذلك النحو . لم تكن ترغب فى أن تتركنى وشأنى .

وقلت لها « كنت أحلم بأننى أمسك بك . وذلك هو كل ما فى الأمر . وكنا ننام جنبا إلى جنب بينما الرياح والأمطار تهب وتهطل بالخارج أو شىء ما هذا القبيل » .

فقالت « أتحب أن تجرب ذلك الآن ؟ » .

فقلت : « لا فائدة من وراء ذلك » .

قالت « سأفعل ذلك معك إذا كنت ترغب » .

فقلت « إننى لا أرغب فى أن تفعلى ذلك » ثم أضفتُ » ويا ليتك لم تبتدئى فى ذلك أبداً » فالتزمتْ بالصمت . [illegible] الصمت تقيلا وممتدا على مدى عهود وعصور .

ثم تساءلتْ » ما هو السبب الذى دعانى، لأن أفعل ذلك ؟ هل لمجرد أن ألوذ بالفرار ؟ » .

فقلتُ « أنت لم تفعلى ذلك بدافع من الحب » .

فنهضتْ واقفة وقالت « هل لى أن أقول لك ؟ » وأضافت « يجب عليك أن تدرك أننى قد ضحيت بكل مبادئى فى هذه الليلة . أوه . نعم . لقد فعلت ذلك من أجل أن أتمكن من الهرب . فأنا كنت أفكر فى الهرب . ولكننى أرغب بالفعل فى تقديم يدْ العون والمساعدة لك . ويجب عليك أن تؤمن بصحة ذلك . وكنت أحاول أن أبيِّن لك أن الجنس - الجنس هو مجرد نشاط مثل باقى الأنشطة الأخرى . فالجنس لا يتسم بالقذارة . إنه ليس سوى شخصين يقومان باللعب بجسد بعضهما البعض . مثل الرقص . مثل أىّ لعبة رياضية » . وبدا عليها أنها تتوقع منى أن أقول أىّ كلام كتعليق على كلامها ولكننى التزمت بالصمت لكى أتيح لها المجال لمواصلة الكلام . فاستطردتْ :

« إننى أفعل شيئا ما من أجلك وهو أمر لم أفعله مع أىّ رجل آخر فى حياتى على الاطلاق . و ... حسنا ... وأظن أنك مدين لى بشىء ما ..

وأدركتُ اللعبة التى تريد أن تلعبها بالطبع لقد كانت تتسم بالمكر والدهاء الشديد حيث كانت تغلف ما تقصده من معانى فى مجموعة من الكلمات. كانت تريد أن تجعلنى أشعر أننى مدين لها بالفعل بشىء ما .

وقالت « لو سمحت قلْ أىّ شىء » .

فقلتُ « ماذا أقول ؟ » .

قالت « قلْ إنك تفهم بالفعل ما قلته لك تواً » .

فقلت « إننى أفهم ما قلته لى » .

فقالت « أذلك هو كل ما فى الأمر ؟ » .

فقلت « إننى لا أشعر بالرغبة فى التكلم » .

فقالت « كان بامكانك أن تخبرنى بذلك . وكان بمقدورك أن توقفنى منذ البداية » .

فقلت « لقد حاولتُ ذلك » .

وركعتْ أمام النيران .

ثم قالت « الموقف غريب . فنحن متباعدان أكثر من ذى قبل » .

فقلت « لقد كنت تكرهيننى من قبل . واعتقد أنك الآن تحتقريننى أيضاً بالاضافة إلى كراهيتك لى » .

فقالت « إننى أشفق عليك . وأرثى لحالك بسبب ما أنت عليه وأرثى لحالك بسبب عدم إدراكك لما أنا عليه » .

فقلت « إننى أدرك ما أنت عليه . لا تعتقدى أننى لا أستطيع أن أفهمك » .

وظهرتْ الحدة فى صوتى حيث كنت أعانى بما فيه الكفاية . وراحت تنظر حولها بسرعة ثم انحنت لأسفل وقد غطت وجهها بيديها . وأظن أنها كانت تتظاهر بالبكاء . ولكنها قالت أخيراً بصوت هادىء تماما « اصطحبنى إلى الغرفة السفلية لو سمحت » .

لذلك ذهبنا لأسفل . واستدارت إلىَّ عندما أصبحتْ فى داخل الغرفة السفلية وكنتُ أنا على وشك الانصراف بعد أن قمت بفك قيود يديْها .

وقالت « لقد كنا عاريين تماما أمام بعضنا البعض . ولذلك لا يمكن لنا أن نتباعد أكثر عن بعضنا البعض » .

وأصبحت كالمجنون عندما خرجتُ من الغرفة السفلية . ولا أستطيع أن أشرح الأمر . اذ لم أتمكن من النوم طوال الليل . حيث ظل المشهد يعود إلى ذهني : أنا واقف أو مستلق هنالك بدون ارتداء أية ملابس والأسلوب الذى تصرفتْ به وما اعتقدتهْ فيَّ بالتأكيد . بل وكان بمقدورى مشاهدتها وهى تضحك عليَّ أثناء جلوسها هنالك فى غرفتها السفلية . وظلت هذه المشاهد تطاردنى فى كل وقت وخيّل إليَّ أن جسدى كله قد احتقن بالدماء الحمراء . ولم أرد لليّل أن ينتهى كنت أرغب فى أن يسود الظلام أرجاء الدنيا للأبد .

وظللتُ أتجول فى الدور العلوى لساعات . وفى النهاية أخرجتُ السيارة الفان وانطلقتُ بها بسرعة كبيرة فى اتجاه البحر ولم أهتم بما حدث .

كان بمقدورى أن أفعل أيَّ شىء . كان باستطاعتى أن أقتلها . وكل ما فعلته بعد ذلك كان بسبب تلك الليلة .

لقد بدتْ وكأنها غبية . وهى لم تكن بالطبع غبية فى حقيقة الأمر . كل ما هنالك أنها لم تدرك كيف يمكن لها أن تحبنى بالأسلوب السليم . وكانت توجد هناك العديد من الوسائل والطرائق التى يمكن لها استخدامها لكى تدخل السرور عليَّ .

كانت ميراندا مثل باقى النساء فى العالم . حيث لم يشغل بالها فى الحياة سوى شىء واحد فقط .

لم أشعر نحوها بالاحترام بعد ذلك على الأطلاق . وهذا الذى فعلته معى قد أثار غضبى لأيام عديدة . لأننى كان بمقدورى أن أفعل ذلك الأمر .

واعتدتُ أن أنظر إلى الصور الفوتوغرافية الخاصة بها فى بعض الأحيان . وكنت أتأمل تلك الصور على مهل . ولكنها صور لا تتجاذب معى أطراف الحديث ولا تردّ على كلامى .

وذلك هو ما لم تعرفه على الاطلاق .

ذهبتُ إلى الغرفة السفلية فى صباح اليوم التالى وبدا الأمر وكأن ذلك العرى لم يحدث بيننا على الاطلاق . فهى لم تتحدث بكلمة واحدة عن ذلك الموضوع . ونفس الشيء بالنسبة لى . وأحضرتُ لها طعام الأفطار الخاص بها وقالت لى إنها لا تريد منى أن أشترى لها أىّ شيء من لويس . ثم خرجت إلى السرداب للتريض بعض الشيء وبعدئذ رجعتْ إلى مكانها فأغلقتُ عليها الباب وانطلقتُ . ثم رحت فى نوم عميق .

وكان ذلك المساء مختلفاً .

قالت « أودّ التحدث معك » .

فقلت « نعم » .

فقالت « لقد جربت معك كل شيء . ولا يتبقى أمامى الآن سوى شيء واحد أجربه معك . وهو أن أبدأ فى الصوم والاضراب عن الطعام مرة أخرى . فأنا لن أبدأ فى تناول الطعام الاّ بعد أن تطلق سراحى » .

فقلت « أشكرك على هذا الإنذار » .

فقالت « اللهم الاّ إذا ..... » .

فقلت « أوه . أذن فهناك استثناء » .

فأضافت « اللهم الاّ إذا توصلنا إلى اتفاق » .

وبدا عليها وكأنها تنتظر الردّ منى . فقلتُ لها : « إننى لم أسمع كلامك بعد » .

فقالت « إننى مستعدة لأن أوافق على ألاّ تطلق سراحى على الفور .

ولكننى لست على استعداد للبقاء فى هذه الغرفة السفلية هنا بعد اليوم . أريد أن أكون سجينة بالدور العلوى . فأنا بحاجة إلى ضوء النهار وبعض الهواء الطلق » .

فقلتُ « على ذلك النحو » .

فقالت « على ذلك النحو » .

فقلت « اعتباراً من هذا المساء على ما أعتقد ؟ » .

فقالت « فى أقرب وقت ممكن » .

فقلت « إننى أفترض أن لدىّ نجارا فى هذا المنزل ولدى مهندسى الديكور وكافة الأمور اللازمة » .

فتنهدت عندئذ . وبدأتْ تتلقى الرسالة . فقالت « لا تكن على ذلك النحو. لا تكن على هذا الشكل لو سمحت » وألقتْ علىَّ نظرة غريبة وأضافت « كل هذه السخرية اللاذعة . إننى لم أهدف إلى إيذاء مشاعرك » .

ولم يحدث كلامها أىّ تأثير علىَّ لأنها كانت قد قتلتْ فى داخلى كل الرومانسيات وجعلتْ نفسها مثل باقى النساء الأخريات فلم أعد أشعر بالاحترام نحوها على الأطلاق . لم يكن هناك شىء ما تبقى يدعونى لأن أحترمها . وأدركتُ أنها رجعتْ إلى عادتها القديمة . وأدركت أنها إذا خرجت من غرفتها السفلية فانها ستصبح فى حكمْ مَنْ أطلق سراحه . بمعنى أنها ستتمكن من الهرب بالفعل إذا سمحتُ لها بالاقامة فى الدور العلوى .

ولكننى فى نفس الوقت لم أرغب فى لجوئها إلى الامتناع عن الطعام مرة أخرى . لذلك كان من الأفضل بالنسبة لى أن ألعب لكى أكسب بعض الوقت .

قلتُ « كيف يمكن لى أن أفعل ذلك بسرعة كبيرة ؟ » .

قالت « يمكن لك أن تحتفظ بى فى إحدى غرف النوم العلوية . ويمكن وضع كافة الحواجز على تلك الغرفة . وبحيث أنام فى تلك الغرفة . وبعدئذ يمكن لك أن تربط يدىّ وتضع الكمامة فى فمي وتدعنى أجلس فى بعض الأحيان بالقرب من نافذة مفتوحة . وذلك هو كل ما أريده منك » .

فقلت « وذلك هو كل ما تريدينه . وماذا سيقول الناس عندما يشاهدون النوافذ مغلقة بالألواح الخشبية والقضبان فى جميع أرجاء هذا المنزل ؟ » .

فقالت « إننى أفضل الامتناع عن الطعام حتى الموت على أن أبقى فى هذه الغرفة السفلية .

أربطنى فى سلاسل بالدور العلوى . إفعل أىّ إجراء معى . ولكن دعنى أحصل على قدْر من الهواء الطلق وضوء النهار وأشعة الشمس » .

فقلت « سأفكر فى ذلك الأمر » .

فقالت « لا . فكرَّ الآن » .

فقلت « أنت تنسين مَنْ هو سيدّ الموقف » .

فقالت « الآن » .

فقلت « لا يمكن أن أحدّد موقفى الآن . فالأمر يحتاج لقدر من التفكير » .

فقالت « حسنا . قلْ لى رأيك فى صباح الغد . إماً أن تقول لى إنه يمكننى الاقامة بالدور العلوى وإلاّ فسوف أمتنع عن تناول أىّ طعام . وذلك

سيكون بمثابة ارتكابك لجريمة اغتيال » . وبدا وجهها متوحشا وكريها . فاكتفيتُ بالاستدارة والانصراف .

ورحت أفكر فى ذلك الأمـر طوال الليل . كنت أدرك أنه ينبغى علىَّ الحصول على المزيد من الوقت وأنه ينبغى علىَّ أن أتظاهر بأننى سأسمح لها بالاقامة بالدور العلوى . وأقوم بالروتين المطلوب كما يقولون .

والشىء الآخر الذى فكرت فيه هو شىء ما يمكننى أن أفعله إذا اقتضت الظروف وإذا لم يكن هناك أىّ مفرّ .

وفى صباح اليوم التالى نزلت إليها إلى الغرفة السفلية . وقلتُ لها أننى قد فكرت فى الأمر ملياً وأننى قد أدركت جوانب وجهة نظرها وبحثت فى الأمر جيدا - وأنه يمكن لى القيام بتحويل إحدى الغرف بحيث تصلح لها ولكن ذلك من شأنه أن يستغرق أسبوعاً . وتصورت أنها ستبدأ فى اللجوء إلى الصمت والاشياء ولكنها وافقت على رأيى تماماً .

ثم قالت « ولكن إذا كان هذا هو مجرد تسويف فإننى سألجأ إلى الصيام والاضراب عن الطعام . هل تدرك ذلك ؟ » .

فقلت « سأبدأ بعمل التجهيزات بتلك الغرفة غداً ولكن الغرفة ستكون بحاجة لكمية من الأخشاب والحواجز الخصوصية . وسأحتاج ليوم أو يومين من أجل الحصول على الأخشاب والحواجز الحديدية » .

فرمقتنى بإحدى نظراتها القديمة الفاحصة . ولكننى اكتفيت بالامساك بالجردل الخاص بها .

وبعدئذ سارت الأمور بيننا بطريقة سلسلة فيما عدا أننى أدعى وأتظاهر طوال الوقت . ولم نكن نتبادل كلاما كثيرا مع بعض ولكنها لم تكن

عنيفة معى . وذات ليلة كانت تريد أن تأخذ حماما وأرادت أن تشاهد الغرفة وما قمتُ به من إجراءات فى تلك الغرفة . ولقد كنت أتوقع منها أن تطلب مشاهدة الغرفة ولذلك فاننى كنت قد أحضرتُ بعض الأخشاب وجعلتُ المنظر يوحى بأننى بصدد القيام بأعمال جدية فى النافذة (وكانت غرفة نوم خلفية) . وقالت لى إنها تريد منى أن أحضر لها أحد هذه الكراسى الوندسور القديمة وأضعه فى الغرفة التى أقوم بتجهيزها . (رجعت إلى عادتها القديمة من حيث قيامها بطلب أشياء منى) فأحضرت لها ذلك الكرسى فى اليوم التالى وحملته بالفعل إلى الغرفة السفلية لكى تراه بنفسها . فلم ترغب فى الاحتفاظ به فى الغرفة السفلية وأبدت رغبتها فى أن أرجع به إلى الدور العلوى . وأوضحت لى أنها لا ترغب فى نقل أىّ أثاث من الغرفة السفلية إلى الغرفة العلوية . وأصبحت الأمور سلسلة للغاية فهى بعد أن شاهدت الغرفة العلوية وشاهدت ثقوب مسامير القلاووظ بدا عليها أنها تعتقد بالفعل أننى سأكون رحيما بها على نحو يسمح بالموافقة على صعودها إلى الغرفة العلوية .

وكانت الخطة تقضى بأن أنزل إليها إلى الغرفة السفلية وأصطحبها إلى أعلى وبحيث نتناول طعام العشاء بالدور العلوى وبعدئذ ستتمكن من قضاء أول ليال لها بالدور العلوى مما يمكنها من مشاهدة ضوء النهار فى الفترات الصباحية .

وسيطرتْ عليها البهجة الشديدة فى بعض الأحيان . واضطررتُ لأن أضحك . ولكنى كنت عصبيا أيضا عندما جاء اليوم الموعود .

وأول شىء قالته لى عندما نزلتُ إليها بالغرفة السفلية فى الساعة السادسة هو أنها قد أصيبتْ بالزكام بعد أن انتقلت العدوى منّى اليها وهو نفس الزكام الذى أصبتُ به عند الحلاق فى مدينة لويس .

وكانت هى على ما يرام كما كانت متسلطة ومُتحكِّمة . وكانت تضحك فى سرِّها فى نوع من الشماتة فىَّ . ولكنها هى التى ستقع فى الفخّ أو المقلب الذى أعددته لها .

وقالت « هذه هى الأشياء الخاصة بى والتى سأحتاجها فى هذه الليلة . ويمكن لك أن تحضر لى باقى الأشياء غداً . هل الغرفة جاهزة ؟ . وكانت قد وجهتْ ذلك التساؤل فى فترة الغداء فقلتُ لها « نعم » .

فقالت « إذن هيّا بنا أينبغى أن يتم ربط يدىّ ؟ » .

فقلتُ « يوجد هناك شىء واحد فقط . أقصد يوجد شرط واحد » .

فقالت « شرْط ؟ » وقد تهدَّل وجهها . فقد أدركتْ الموقف على الفور .

قلتُ « لقد ظللتُ أفكر فى ذلك الأمر » .

فقالت بينما الشَّرر يتطاير من عينيها « نعم ؟ » .

قلت « أودّ أن ألتقط بعض الصور الفوتوغرافية » قالت « تلتقط صورا لى ؟ لقد قمتَ بالتقاط كميات كبيرة من الصور بالفعل » .

فقلت « لا . أقصد أننى لم ألتقط تلك النوعية من الصور التى أريدها » .

فقالت « إننى لا أفهم ما تهدف إليه » ولكنى كنت أدرك أنها قد فهمت ما أرمى إليه .

فقلت لها « أريد أن ألتقط صوراً لك على النحو الذى كنت عليه فى ذلك المساء » .

فجلستْ على حافة سريرها وقالت :

« إفعل كما يحلو لك » .

فقلت « وينبغى أن تظهرى أنك تستمتعين بتصويرى للأوضاع المختلفة التى ستقومين بها . ويجب أن تتخذى الأوضاع التى آمرك باتخاذها » .

فاكتفت بالجلوس هنالك بدون أن تنطق بكلمة واحدة . وظننتُ أنها ستموج بالغضب على الأقل . ولكنها اكتفت بالجلوس هناك وراحت تمسح أنفها .

وتساءلت « وإذا فعلتُ ذلك ؟ » .

فقلتُ سأحافظ على الجانب الخاص بى فى الاتفاق » لأننى أريد أن أحمى نفسى من المسئولية . فأنا أريد أن التقط لك صوراً فوتوغرافية تجعلك تشعرين بالخجل من نفسك إذا شاهدها أىّ شخص آخر » .

فقالت « تعنى أنه ينبغى علىَّ أن أتخذ أوضاعا منافية للآداب العامة وفاحشة بحيث إذا هربتُ منك فإننى لن أجرؤ على إبلاغ الشرطة عنك » .

فقلتُ « تلك هى الفكرة على وجه الدقة . ولا أريد لقطات بذيئة وفاحشة. وانما أريد لقطات لا ترغبين فى طبعها ونشرها . أريد مجرد لقطات فوتوغرافية فنية » .

« لا » .

« إننى أطلب منك فقط أن تفعلى ما أقدمتِ عليه فى ذلك اليوم . علما بأنك قد فعلت ذلك منذ أيام بدون أن أطلب منك أن تفعلى ما فعلته » .

فقالت « لا . لا . لا » .

فقلتُ « إننى أدرك اللعبة التى تريدين أن تلعبيها » .

فقالت « ما فعلته فى ذلك اليوم كان عملاً خاطئا . ولقد أقدمتُ على ذلك العمل بدافع من اليأس والقنوط حيث لا يوجد شىء بيننا سوى الوضاعة

والحقارة والشكوك والكراهية . أما ما تطلبه منى الآن فهو شىء مختلف . إنه شىء كريه وشرّير » .

فقلتُ « إننى لا أجد أىّ فارق » .

فنهضتْ واقفة واتجهتْ إلى حائط النهاية .

وقلت « لقد فعلتِ ذلك مرة . وباستطاعتك أن تفعلى ذلك مرة أخرى » .

فقالت « يا الهى . الأمر شبيه بمستشفى المجانين » . وراحت تنظر فيما حولها فى جميع الاتجاهات كما لو كنت أنا غير موجود هناك وكما لو كان هناك شخص ما آخر يصغى ويستمع لها أو كأنها بصدد القيام بتحطيم الحوائط حولها .

فقلت لها « إما أن ترضخى لرغبتى بالتقاط صور لك أو لن تخرجى من هنا على الاطلاق . ولن أسمح لك بالتريض والخروج إلى هناك . ولن أسمح لك بأخذ حمامات . ولا أىّ شىء آخر » . وأضفت قائلاً « أنتِ لا يوجد فى ذهنك سوى فكرة واحدة ألا وهى الهرب منىّ واستغفالى وابلاغ الشرطة لكى يقوموا بالقاء القبض علىّ » .

واستطردتُ قائلاً « وأنت لست أفضل من أىّ موس أو عاهرة . ولقد اعتدتُ أن أحترمك لأننى كنت أتصور أنك تترفعين عن الأعمال التى فعلتهما كنت أتخيل أنك لست مثل الفتيات الأخريات . ولكننى أكتشفت أنك مثل الأخريات تماما . فأنت على استعداد لأن تفعلى أىّ شىء مثير للقرف والاشمئزاز من أجل الوصول إلى ما تريدين » .

فصرخت « إخرس . توقف عن ذلك الكلام » . وقلتُ « باستطاعتى الحصول على الكثير من الفتيات الأكثر منك خبرة فى لندن . فى أىّ وقت وأفعل معهن ما أريد كما يحلو لى » .

فقالت « أنت إنسان مقرف وبذىء ومتخلف عقليا وابن زنا » .

فقلت لها « هات ما عندك . استمرى . فتلك هى اللغة الخاصة بك » .

فقالت « أنت تحطم كل القوانين والمبادىء الانسانية المحترمة وكل العلاقات الانسانية اللائقة . وكل الأمور اللطيفة التى حدثت منذ أقدم العصور بين جنس الرجال وجنس النساء » .

فقلتُ « لقد سبق أن خلعت ملابسك وطلبت منى أن أفعل معك ذلك الأمر . »

« أغرب عن وجهى . أخرج من هنا » وقالت تلك العبارة فى صرخة حقيقية .

فقلت لها « ردّى علىَّ بـ : نعم أم لا » فاستدارتْ والتقطتْ زجاجة حبر كانت موجودة فوق منضدتها وألقت بها نحوى .

وعندئذ خرجتُ على الفور وأغلقتُ الباب بالمزلاج . ولم أحضر لها أىّ طعام للعشاء وجعلتها تتحمل نتائج تصرفاتها وتقاسى مما جنت يداها . وتناولتُ الدواجن التى كنت قد اشتريتُها كما تناولت قدْرا من الشمبانيا وسكبتُ باقى الزجاجة فى الحوض .

وشعرت بموجة من السعادة تغمرنى فقد أدركتُ أننى كنت انسانا ضعيفا من قبل ولكننى أصبحتُ قادرا على الانتقام من الأقوال والأفعال التى أقدمت عليها . وتجولتُ فى الدور العلوى وذهبتُ وألقيتُ نظرة على غرفتها ... مما جعلنى أضحك من كل أعماقى عندما فكرت فى وجودها بالغرفة السفلية هنالك فهى الانسانة التى ستظل مقيمة وباقية فى المكان السفلى بكل المعانى. وحتى لو لم تكن هى تستحق تركها بالغرفة السفلية منذ البداية فانها بتصرفاتها الأخيرة أكدّت لى أنها كانت تستحق ذلك . وكانت لدى أسباب حقيقية تدعونى لأن ألقنها درساً لن تنساه .

وكــان علىَّ أن أذهب للنوم فى نهــاية الأمــر . ونظرتُ إلى الصــور الفوتوغرافيـة السابقـة وإلى بعض الكتب وهبطتْ علىَّ بعض الأفكار . وكان هناك أحد هذه الكتب الذى يسمى « الأحذية » والذى يتضمن صورا رائعة لفتيات مع التركيز أساسا على سيقانهن المرتدية أنواعا مختلفة من الأحذية وبعض الصور كانت تعرض فقط الأحذية والأحزمه وكانت كلها صورا فنية وغير عادية .

وعندمـا نزلتُ إليـهـا بالغرفة السفلية فى الصباح طرقتُ على بابها وانتظرتُ كالمعتـاد قبلْ الدخول إلى غرفتـهـا ولكننى عندمـا دخلتُ أصبتُ بالدهشة البالغة لأنها قد نامت وهى مرتدية كل ملابسها تحت قمة البطانية وبدا عليها للحظات وكأنها لا تعرف المكان الذى توجد فيه بل ولا تعرف مَنْ أكون أنا . فاكتفيتُ بالوقوف هنالك منتظرا منها أن تنفجر فى وجهى بالسباب والشتائم ولكنها جلست فقط على حافة السرير ووضعتْ يديها على ركبتيها ووضعت رأسها بين يديها كما لو أن الأمر كله كان بمثابة كابوس بحيث لم تستطع تحمُّل الاستيقاظ .

وتعرضتْ لنوبة من الكحة . وكانت الكحة صادرة عن الصَّدر بعض الشىء . وبدا عليها وكأنها تتعرض لاضطراب وتشويش حقيقى .

لذلك قررتُ ألاَّ أقول لها أىّ كلام وخرجتُ وقمت باحضار طعام الافطار الخاص بها وقامتْ باحتساء القهوة عندما أحضرت الطعام كما تناولت وجبة الافطار المعدة من الحبوب . وأدركتُ أنها تخلت عن فكرة الاضراب عن الطعام . وبعدئذ رجعتْ إلى نفس وضعها السابق حيث وضعتْ رأسها بين ذراعيها . وأدركتُ اللعبة التى تقوم بها فهى تحاول انتزاع شعورى بالشفقة عليها . وكانت تبدو منسحقة بالفعل ولكنى اعتقدتُ أنها لجأتْ إلى ذلك الوضع لكى تجعلنى أخرّ ساجداً أماما وأطلب منها العفو عنى

والغفران لى أو تجعلنى أفعل أىّ شىء سخيف من هذا القبيل .

تساءلتُ « أتريدين عقار الكولدريكس Coldrex الذى يعالج نزلات البرد ؟ » وكنتُ أدرك أنها أصيبت بنزلة برْد بالفعل .

فأومأتْ برأسها التى كانت لا تزال بين يديها لذلك ذهبتُ وأحضرتُ لها دواء الكولدريكس وعندما رجعتُ إليها لم تكن هى قد غيرَّت من وضعها وكان بمقدور المرء أن يدرك أنها كانت تبالغ فى التمثيل وكانت عابسة ومتجهمة لذلك قلتُ لنفسى : « حسنا . دعها تعبس وتتجهم وتظهر استياءها من خلال الصمت وما علىَّ الاَّ أن ألوذ بالانتظار والترقب » وسألتها عماً إذا كانت تريد أىّ شىء فهزت رأسها بالنفى لذلك تركتها وغادرت الغرفة .

وفى وقت تناول طعام الغداء كانت فى سريرها عندما نزلتُ إليها . واكتفتْ بالنظر عبرْ أغطية وملايات السرير نحوى وقالت إنها لا تريد سوى الحساء والشاى فأحضرتهما لها وغادرتُ الغرفة وحدث نفس الموقف تقريبا فى وقت تناول العشاء . وطلبتْ منى أن أحضر لها أسبرين . ولم تأكل سوى قدْر ضئيل للغاية من الطعام . ولكن تلك كانت هى نفس اللعبة التى لعبتها علىَّ من قبل . ولم نتبادل أكثر من عشرين كلمة طوال ذلك اليوم .

وتكرر نفس المشهد فى اليوم التالى حيث كانت موجودة فى السرير عندما جئت إليها . وكانت مستيقظة بالفعل لأنها كانت ترقبنى وهى مستلقية.

تساءلتُ « أأنت على ما يرام ؟ » فلم تردّ علىّ واكتفتْ بالاستلقاء هنالك .

فقلت « إذا كنت تظنين أنك ستخدعيننى بالاستلقاء هكذا فى السرير فإنك تكونين مخطئة » .

فدفعتها عبارتى تلك إلى أن تفتح فمها حيث قالت « أنت لست انساناً. أنت مجرد دودة صغيرة حقيرة تزاول العادة السرية » .

فتصرفتُ وكأنني لم أسمع عبارتها واكتفيتُ بالخروج واحضار طعام الافطار لها . وعندما ذهبت لأحضر لها قهوتها قالت « لا تقترب مني ! » وكان السمّ الحقيقي والكره الشديد يقطر من صوتها .

فقلت لها في سخرية مازحة « ولنفرض أنني تركتك هنا وانصرفتُ للأبد . فما الذي ستفعلينه عندئذ ؟ » .

قالت « أتمنى لو كانت لديّ القوة التي تعينني على أن أقتلك . فأنا لدي الرغبة في أن أقتلك مثلما أقتل عقربا . ولسوف أقتلك بكل تأكيد عندما تتحسن صحتي . ولن ألجأ إلى الشرطة على الاطلاق . فالسجن يعتبر عقوبة بسيطة للغاية بالمقارنة بما أقدمتَ عليه . سأجيء إليك وأقتلك » .

وأدركتُ أنها كانت غاضبة للغاية لأن حيلتها وخدعتها لم تنطل عليَّ فأنا شخصيا قد أصبت بنفس نزلة البردْ هذه ولم تكن التجربة قاسية إلى هذه الدرجة التي تتظاهر بها .

قلتُ لها « أنت تتكلمين كثيراً للغاية . وأنت تنسين مَنْ هو السيّد في هذا المكان . ويمكن لي أن أنسى أنك موجودة في هذه الغرفة السفلية . ولن يعرف أحد أيّ شيء عنك » .

فاكتفتْ باغلاق عينيها لدى سماعها كلامي هذا وبعدئذ تركتها وذهبت إلى مدينة لويس وأحضرتُ الطعام . وفي الغداء بدا عليها وكأنها مستغرقة في النوم عندما قلتُ لها « الغذاء جاهز » ولكنها تحركتْ بعض الشيء . لذلك غادرتُ غرفتها .

وفي وقت العشاء كانت لا تزال في سريرها ولكنها كانت جالسة وكانت تقرأ أحد كتب شكسبير التي أحضرتها لها .

وسألتها فى نوع من السخرية اللاذعة بالطبع عما إذا كانت صحتها قد تحسنت .

فاستمرتْ فى القراءة ولم تردّ عليّ . وخطر على ذهنى أن أنتزع منها الكتاب لكى ألقنها درساً ولكننى تحكمتُ فى مشاعرى . وبعد نصف ساعة وعقب تناول طعام العشاء الخاص بى رجعتُ إليها مرة أخرى واكتشفت أنها لم تأكل طعامها فقلت لها « لماذا لم تأكلى الطعام ؟ » فقالت « إننى أشعر بالمرض وأعتقد أننى أصبت بالانفلونزا » .

ولكنها كانت سخيفة للغاية عندما تساءلت بعد ذلك قائلة « وما الذى ستفعله إذا احتجتُ إلى طبيب ؟ » .

فقلت « فلننظر ونرى ما تسفر عنه الأمور » فقالت « إننى أشعر بالآلام فى صدرى عندما أتعرض لنوبة من الكحة » .

فقلت « إنها فقط نزلة بردْ وزكام » فصرخت فى وجهى « أنها ليست نزلة بردْ » فقلت « إنها بالطبع نزلة بردْ . وكفى عن التظاهر والتمثيل . فأنا أعرف اللعبة التى تلعبينها » .

« أننى لا أتظاهر ولا أمثل عليك » .

فقلت « أنت لم تمثلى أبداً فى حياتك . بالطبع أنت لم تمثلى على الاطلاق » .

فقالت « أوه . يا الهى . أنت لست رجلاً لو كنت فقط تتسم بالشهامة والرجولة » فقلت « قولى ذلك مرة أخرى » .

وكنت قد تناولت المزيد من الشمبانيا أثناء تناولى طعام العشاء حيث

كنت قد اشتريت مجموعة من زجاجات الشمبانيا الصغيرة من أحد الدكاكين في لويس لذلك لم أكن في حالة تسمح لى بتحمّل سخافاتها .

وقالت « لقد قلتُ أنك لست رجلاً ولست شهْماً » .

فقلت لها « وهو كذلك . أتركى السرير . هيا . غادرى السرير . وابتداء من الآن فصاعدا سأصدر لك الأوامر » .

وكنت قد ضقت ذرعاً بها ومن المؤكد أن معظم الرجال كانوا سيضيقون ذرعاً بها منذ فترة طويلة سابقة . واتجهتُ إليها ونزعت عنها الملايات وأغطية السرير وأمسكت بذراعها لكى أرغمها على الوقوف وبدأت هى فى مقابلتى وأنشبت أظافرها فى وجهى .

فقلتُ « وهو كذلك . سألقنك درساً » .

وكانت الحبال والقيود موجودة فى جيبى . وبعد مقاومة بسيطة تمكنت من ربط يديها بالحبال ثم وضعت الكمامة على فمها . وإذا كانت الأربطة قد ربطتْ بشدة حول يديها فإن الغلطة هى غلطتها ثم ربطتها فى السرير وذهبت لإحضار الكاميرا ومعدات الفلاش . وراحت تقاوم بالطبع وتهزّ رأسها ونظرت إلىَّ شذرا بعينيها كما يقولون بل وحاولتْ استرضائى واستمالتى ولكننى ظللتُ على عنادى . ونزعتُ عنها ملابسها ولم تمتثل لأوامرى فى بادئ الأمر ولكنها فى نهاية الأمر رضخت وأخذت تستلقى وتقف وفقا للأوامر التى أصدرها لها (وكنت أرفض التقاط الصورة فى حالة عدم تعاونها معى) ولذلك حصلت على اللقطات الفوتوغرافية التى أريدها منها . ورحت ألتقط لها الأوضاع المختلفة إلى أن نفدت كل اللمبات الكهربائية التى لدىّ .

ولم تكن الغلطة هى غلطتى . إذ كيف كان لى أن أعرف أنها كانت

بالفعل أكثر مرضاً ممَّا بدتْ عليه . كان منظرها يوحى بأنها مصابة بنزلة بردْ فقط .

وقمت بتحميض وطبع الصور فى تلك الليلة . وكانت أفضل اللقطات هى تلك التى لم يظهر فيها وجهها . وعلى كل حال فإن وجهها لم يكن جميلاً بسبب وجود الكمامة فى فمها بالطبع . وكانت أفضل اللقطات لها عندما وقفتْ مرتدية حذاءها ذا الكعب العالى وأخذتُ لها اللقطة من الخلف . وخلقتْ اليدان المربوطتان فى السرير ما يسمونه بالعنصر الرئيسى الرائع فى العمل الفنىّ . ويمكننى القول إننى كنت مسروراً للغاية من اللقطات التى حصلتُ عليها .

وفى اليوم التالى كانت مستيقظة عندما دخلتُ عندها . وكانت مرتدية ثوبها النسائى وكأنها كانت فى انتظار مجيئى . وما فعلتْه كان مثيرا للدهشة البالغة . إذ اتخذتْ خطوة للأمام وسجدتْ عند قدمىّ . وبدت وكأنها مخمورة وسكرانة . وكان وجهها محتقنا للغاية باللون الأحمر فأدركتُ ذلك على الفور ونظرت إلىَّ ثم انخرطت فى البكاء وبعدئذ ثارت ثائرتها فى موجة من الغضب الشديد . وقالت :

« إننى فى حالة من المرض الشديد . إننى مصابة بالتهاب رئوى . أو مصابة بالتهاب فى الغشاء البللورى . ويجب عليك أن تحضر لى طبيباً » .

فقلت لها « إنهضى وارجعى إلى السرير » ثم ذهبتُ لكى أحضر لها القهوة .

وعندما رجعتُ إليها قلتُ لها « أنت تعرفين أنك لست مريضة . ولو كنت مصابة بالالتهاب الرئوى لما تمكنت من مجرد الوقوف على قدميك » .

فقالت « إننى لا أستطيع التنفس أثناء الليل . وأشعر بألم فى هذا المكان مما يضطرنى إلى أن أنام على جنبى الأيسر . وأرجوك أن تقيس درجة حرارتى . لكى تعرف مدى ارتفاع حرارتى » .

وقمت بأخذ درجة حرارتها . وأشار الترمومتر الى أن حرارتها وصلت الى ٤٢ درجة . ولكننى كنت أعرف أن هناك وسائل تستخدم لتزييف درجات الحرارة .

قالت لى : « الهواء هنا خانق للغاية » .

فقلت لها : « يوجد قدْر من الهواء هنا » . وكانت الغلطة هى غلطتها لأنها استخدمت نفس هذه الخدعة من قبل .

وعلى كل حال فقد أقنعت الصيدلى بمدينة لويس باعطائى دواء قال عنه انه ممتاز للغاية لعلاج الاحتقان كما أعطانى حبوبا مخصصة لعلاج الأنفلونزا وبخاخة تعين على استنشاق الهواء . وأخذت ميراندا كل هذه الأشياء عندما قدمتها لها ، وحاولت ميراندا أن تتناول أى طعام فى العشاء ولكنها لم تتمكن من ذلك فقد كانت مريضة للغاية وكانت تبدو شاحبة اللون بالفعل آنئذ ويمكننى القول إننى بدأت أصدق لأول مرة أنها تعانى من مرض حقيقى . واحتقن وجهها باللون الأحمر مرة أخرى والتصقت خصلات من شعرها على جبينها بسبب كثرة العرق ولكن كان من المحتمل أن يكون ذلك أمرا متعمدا .

ونظفتُ المكان من القيء الذى تقيأته وقمتُ باعطائها الأدوية وعندما تهيأت للانصراف طلبت منى أن أجلس على السرير لكى لا تضطر للتحدث بصوت مرتفع .

وقالت : « هل تظن أننى على استعداد للتحدث معك ؟ اننى مضطرة للتحدث معك لأننى فى حالة من المرض الشديد . فأنا لا أرغب فى التحدث معك بعدما فعلت بى كل هذه الأفعال » .

فقلت : « أنت طلبت ما قمت أنا بفعله » .

فقالت : « من المؤكد أنك تدرك بنفسك الآن أنني مريضة على نحو شنيع بالفعل » .

فقلت : « أنت تعانين من الأنفلونزا فقط . والأنفلونزا منتشرة بعض الشيء في مدينة لويس » .

- « إنها ليست الأنفلونزا .. فأنا مصابة بالتهاب رئوى .. مصابة بشيء شنيع . فأنا لا أستطيع أن أتنفس » .

فقلت : « لسوف تتحسن صحتك . وتلك الحبوب الصفراء ستؤدى الى شفائك تماما . فقالت لقد قال الصيدلى عن تلك الحبوب أنها أفضل علاج » .

فقلت : « عدم احضارك لطبيب للكشف علىَّ يعتبر جريمة قتل . فأنت الآن بصدد التسبب فى اغتيالى » .

فقلت : « انني أقول لك إنك على ما يرام . فأنت مصابة بالحمَّى فقط » . وبمجرد أن أثارت فكرة إحضار طبيب لها ساورتنى الشكوك فى نواياها .

فقالت : « هل يمكن لك - لو سمحت - أن تمسح العرق المتصبب على وجهى بالفانلة الداخلية الخاصة بى ؟ » .

فقمتُ بمسح العرق لها ولأول مرة أشعر بالشفقة عليها بعض الشيء . فقد كانت تلك حقا هى مهمة النساء . أقصد أنه كان الوقت الملائم الذى تحتاج فيه النساء لنساء أخريات . ثم قالت لى : « شكرا » .

فقلت : « لسوف أنصرف الآن » .

فقالت : « لا تذهب .. فأنا سأموت بكل تأكيد » .

وحاولت بالفعل أن تمسكنى من ذراعى .

فقلت لها : « لا تكونى عبيطة إلى هذه الدرجة » .

فقالت : « ينبغى عليك أن تصغى إلىَّ .. يجب عليك أن تستمع إلىَّ » .. وانخرطت فجأة فى البكاء مرة أخرى .. وشاهدت عينيها وقد امتلأت بالدموع وراحت تضرب برأسها فى عنف على الوسادة من جانب لآخر . وعندئذ شعرتُ بالأسف والحزن الحقيقى عليها ، ولذلك جلستُ على السرير وأعطيتها منديلا وقلت لها : « إننى سأحضر لك طبيبا بكل تأكيد اذا كنت تعانين من مرض حقيقى خطير . بل وأنا مازلت أحبك وأنا آسف تماما على كُل ما بَدَر منى فى حقك » ولكن الدموع ظلت تنساب من عينيها وبدا عليها وكأنها لم تسمع كلامى .. بل ولم تسمع كلامى عندما قلت لها إن صحتها تحسنت عن اليوم السابق وهو كلام لم يكن صادقا أو حقيقيا .

وأخيرا نزل الهدوء عليها حيث استلقت هنالك .. وقد أغلقت عينيها لبعض الوقت وبعدئذ قالت عندما تحركت فى مكانى : « أيمكن أن تفعل شيئا ما من أجلى ؟ » .

فتساءلتُ : « ماذا تريدين ؟ » .

فقالت : « هل يمكن لك أن تبقى معى هنا وتترك باب غرفتى مفتوحا لكى يدخل الهواء ؟ » .

فوافقتُ على ذلك . وأطفأنا الأنوار الكهربائية فى غرفتها ولم يعد يوجد سوى الضوء المترامى من الخارج ومن المروحة . وجلست الى جوارها لفترة طويلة .. وبدأت هى تتنفس بطريقة غريبة وسريعة وكأنها قد صعدت توا

على السلالم الى الدور العلوى جريا .. لقد كانت تشعر بالفعل بالاختناق كما سبق أن أوضحتْ لى . وتكلمتْ مرات عديدة حيث قالت فى إحدى المرات : « لا لو سمحت » . وفى مرة أخرى ذكرتْ إسمى ولكن فى جملة مشوشة غير واضحة . ويبدو أنها قد استغرقت فى النوم وبعد أن ناديت عليها باسمها ولم تردّ علىّ خرجتُ من غرفتها وأغلقت عليها الباب بالمزلاج .. وقمتُ بعد ذلك بضبط المنبه لكى يوقظنى فى وقت مبكر عن المعتاد فى صباح اليوم التالى . وظننت أنها قد استغرقت فى النوم فى يُسر وسهولة واعتقدتُ أن ذلك سيؤدى الى تحسن صحتها مع شروق صباح اليوم التالى خاصة إنها قد تناولت حبوب الدواء . بل وأحسست أنه من الأفضل أن تكون مريضة بالفراش لأنها لو لم تكن مريضة لكانت قد أثارت نفس المتاعب التى أثارتها من قبل .

وما أحاول أن أقوله لكم هو أن كل شىء قد جاء على نحو غير متوقع ، وأنا أعرف أن ما فعلتُه فى اليوم التالى كان غلطة ولكننى حتى حلول ذلك اليوم كنت أظن أننى أتصرف على النحو الأفضل وفى نطاق حقوقى .

الجــزء الثـــانى

١٤ أكتوبر :

انها الليلة السابعة .

ظللتُ أفكر فى نفس الأمور . لو كانوا فقط يعرفون . لو كانوا فقط يعرفون .

المشاركة فى الغضب والحنق .

لذلك فأنا أحاول الآن أن أقص ذلك على الوسادة التى اشتراها لى فى هذا الصباح . المعروف الذى تفضل علىَّ به .

فى سكون وهدوء .

فى الأعماق السفلية يتزايد خوفى ورعبى تدريجيا . انه فقط الهدوء الذى يبدو على السطح .

لا بذاءة ولا أمــور جنســيــة . ولكن الجنون يشعّ من عــينيــه . عــيناه رماديتان مع وجود ضوء مفقود رمادى فيهما . فى بادىء الأمر رحت أرقبه طوال الوقت . واعتقدت أن الأمر يتعلق بالجنس بكل تأكيد ولذلك عندما كنت أدير ظهرى فاننى كنت أفعل ذلك ، فى مكان لا يتمكن منه من الهجوم علىَّ وكنت أصغى فى انتباهه . وكان علىَّ أن أعرف على وجه الدقة المكان الذى يوجد فيه فى داخل الغرفة .

القوة ، لقد أصبحت أمرا حقيقيا للغاية .

اننى أدرك أن القنبلة الهيدروجينية تعتبر شيئا خاطئا ، ولكن أن يكون المرء ضعيفا للغاية يبدو لى الآن أمرا خاطئا أيضا .

أتمنى لو كنتُ قد علمت لعبة الجودو ، لأننى عندئذ كنت سألقنه درسا وأجعله يصيح طلبا للرحمة .

هذه الغرفة الخفية السرية فاسدة الهواء للغاية وهى غرفة ضيقة وحوائطها تُطبق علىَّ . أثناء قيامى بالكتابة أحاول الاصغاء فى حذر لخطواته لكى لا أفاجأ بمجيئه عندى والأفكار التى تراودنى تشبه الرسومات واللوحات الفنية الرديئة التى ينبغى تمزيقها على الفور .

حاولى حاولى أن تهربى .

ذلك هو كل ما أفكر فيه .

أمر عجيب .. انه يسلبنى القدرة على الحركة أو الهرب ، اننى أشعر نحوه بالاحتقار والاشمئزاز والبغض الشديد ، ولا أستطيع أن أتحمل هذه الغرفة ، فأى شخص يقيم بها سيتعرض للاختناق والانزعاج الشديد . فأنا الآن أشعر تماما بأحاسيس الناس الذين يُقدِر لهم أن يعيشوا فى غرفة مماثلة .

كيف يمكن له أن يحبنى ؟ وكيف يمكن للمرء أن يحب إنسانة لا يعرفها ؟

إنه يريد إدخال السرور علىَّ بكل الوسائل الممكنة وفى يأس وتهوّر شديد . ولكن ذلك هو ما يبدو عليه الناس المجانين بكل تأكيد . والناس المجانين لا يتعمَّدون أن يكونوا مجانين . ومن المؤكد أنهم قد تعرضوا لصدمة

مثلما يتعرض كل شخص آخر للصدمات عندما يفعلون شيئا ما رهيبا فى نهاية الأمر .

اننى لم أستطع التحدث عنه على هذا النحو إلا فى هذا اليوم الأخير أو هذين اليومين الأخيرين .

وطوال المسافة من مكان اختطافى الى هنا فى العربة « الفان » كان الأمر بمثابة كابوس رهيب .. حيث كنت أرغب فى التقيؤ ولكنى كنت أخشى فى نفس الوقت من التعرض للاختناق بسبب وجود الكمامة فى فمى . وكنت أشعر آنئذ بالغثيان ، حيث كنت أعتقد أنه سيتم اجتذابى من السيارة وادخالى فى إحدى الغابات واغتصابى ثم اغتيالى ، وكنت واثقة من حدوث ذلك عندما توقفت السيارة « الفان » فى نهاية المطاف ، وأظن أن ذلك هو السبب الذى جعلنى أشعر بالغثيان ، وليس مجرد الكلوروفورم البغيض .

وظللتُ أتذكر قصص المهجع الرهيبة المروِّعة التى روتها « بينى ليستير Penny Lester » عن كيف أن أمها قد تمكنت من البقاء على قيد الحياة عقب انتهاكها على أيدى اليابانيين . وظللتُ أقول لنفسى : لا تقاومى .. لا تقاومى .. وبعدئذ تذكرت شخصا ما آخر فى « لاديمونت Ladymont » والذى قال فى يوم ما أن الأمر يستلزم وجود رجليْن اثنين حتى يتمّ انتهاك الفتاة . أما الفتيات اللاتى يسمحْن لتعريض أنفسهن للانتهاك بمعرفة رجل واحد فهن يرغبن فى أن يحدث لهن الانتهاك . وأدرك الآن أنه لن يلجأ الى هذا الأسلوب، فهو قد يستخدم الكلوروفورم مرة أخرى أو قد يستخدم أىّ شىء آخر . ولكننى كنت ملتزمة فى خلال تلك الليلة الأولى بمبدأ عدم المقاومة .

وكنت أشعر بالامتنان والشكر لله على بقائى على قيد الحياة ، فأنا

انسانة جبانة للغاية ولا أرغب فى التعرض للموت وأحب الحياة حبا جما ، ولم أكن أعرف من قبل مقدار حبى الشديد للحياة ورغبتى فى البقاء على قيد الحياة ، واذا ما قدّر لى الخروج سالمة من هذه الورطة فلن تظل شخصيتى على النحو الذى كانت عليه من قبل على الاطلاق .

ولا يهمنى الأفعال والتصرفات التى يقوم بها طالما أننى أحتفظ بكيانى على قيد الحياة .

كان بمقدوره أن يفعل كل الأمور الشريرة التى لا توصف .

ولقد قمت بالبحث فى كل مكان عن سلاح ولكن لم يكن هناك أى شىء يمكن استخدامه كسلاح حتى لو كانت لدىّ القوة والمهارة التى تعيننى على ذلك . وكنت أضع كرسيا وراء الباب الحديدى فى كل ليلة وذلك لكى أتنبه على الأقل اذا ما حاول الدخول الى غرفتى بدون أن أسمعه .

المكان بدائى وكريه وشنيع ..

الباب ذو الكتلة الصماء ، ولا يوجد به ثقب للمفتاح .. ولا أى شىء آخر .

الصمت .. لقد تعودتُ على الصمت بعض الشىء الآن .. ولكنه أمر رهيب .. اذ لا توجد أية أصوات على الاطلاق .. الصمت يجعلنى أشعر أننى فى حالة انتظار باستمرار .

اننى باقية على قيد الحياة .. اننى حية بالطريقة التى يكون عليها الموت حيا .

مجموعة الكتب التى تتناول الفنون ، لقد أحصيت ثمنها وأدركت أن قيمتها تزيد على خمسين جنيها .. فى تلك الليلة الأولى خطر على ذهنى فجأة

أن تلك الكتب قد وضعت هناك من أجلي ، وأنني لم أكن ضحية عشوائية في آخر الأمر .

وبعدئذ كانت هناك الأدراج المليئة بالملابس - القمصان والجونلات والفساتين والجوارب الحريمي الملونة ، علاوة على وجود مجموعات من الملابس الداخلية غير العادية ماركة (أجازة عطلة نهاية الأسبوع في باريس) بالاضافة الى قمصان النوم ، وأدركت أنها كلها على مقاسي تقريبا ، وكانت المقاسات كبيرة ولكنه يقول إنه قد شاهدني أرتدي ملابس لها نفس الألوان .

كل شيء في حياتي بدا على مايرام ، ولكن حتى ذلك كان غريبا ، مثيرا ، مثيرا .

وبعد هذا نمتُ قليلا - مع ترك الأنوار مضاءة - على السرير . وكنت أرغب في احتساء كأس من الخمر ولكنني خشيت أن تكون بها مواد مخدرة . بل وكنت لا أزال أتوقع بعض الشيء أن يكون بالطعام مواد مخدرة .

مرت سبعة أيام ، وقد بدت لي وكأنها سبعة أسابيع .

كان يبدو بريئا وساذجا للغاية عندما أوقفني أثناء سيري في الطريق .. وقال لي إنه قد دَهَمَ كلبا بسيارته . وأعتقد أن الجو كان مليئا بالضباب ، وكان هو من ذلك النوع من الرجال الذين لا يمكن لك أن تساورك الشكوك فيهم ، فشكله أبعد ما يكون عن شكل الذئاب البشرية .

وبدا الأمر وكأنني أسقط هاوية عند حافة نهاية العالم ، حيث تكونت فجأة نهاية لحافة العالم .

في كل ليلة كنت أفعل شيئا ما لم أكن قد فعلته منذ سنوات ، اذ كنت أرقد وأصلي .

كنت أرقد وأصلى وأتضرع الى الله لكى يطيب خاطر والدتى ووالدى وميِنّى وكارولين التى تشعر بالذنب بكل تأكيد ولكى يواسى كل شخص آخر بل ويواسى الناس الذين سيكون فى صالحهم المعاناة من أجلى (أو أىّ شخص آخر) ، مثل بييرز Piers وأنطوانيت Antoinette ، وأطلب من الله أن يساعدنى على مواجهة محنتى ، وأطلب منه تقديم يد العون والمساعدة لى ، وأطلب منه ألا يسمح بانتهاكى أو إساءة استخدامى أو سبىّ أو اغتيالى . وأطلب من الله أن يوفر لى الضوء ، أقصد ضوء النهار على نحو محدد .

اننى لا أستطيع تحمّل الظلام الشديد ، لا أطيق الظلام المطلق ، وهو قد اشترى لى بطاريات للاضاءة الليلية ، وعندما أذهب للنوم أضىء احدى هذه البطاريات وأتركها متوهجة بالضوء الى جوارى الآن . وقبل ذلك كنت أترك ضوء المصباح الكهربائى مشتعلا فى غرفتى .

وأسوأ شىء هو الاستيقاظ من النوم . فأنا عندما أستيقظ أعتقد للوهلة الأولى أننى موجودة بمنزلى أو فى منزل كارولين ، وبعدئذ أدرك الحقيقة المريرة التى تنزل علىَّ كالصاعقة محدثة لى الصدمة النفسية .

لا أعرف ما اذا كنت مؤمنة بالله ، ورحت أصلى لله فى غضب بالسيارة « الفان » عندما اعتقدتُ أننى بصدد التعرض للموت . (أستطيع سماع الـ G.P. وهو يقول لى إن ذلك دليل مناهض) ولكن الصلاة لله تجعل الأمور أكثر يُسّرًا .

كل تلك هى حاجيات المرء أو متاعبه الشخصية ، لا أستطيع أن أركز ذهنى ، لقد سبق أن فكرتُ فى أمور عديدة للغاية ، ولكننى الآن لا أستطيع التفكير فى أى شىء .

ولكن هذا يجعلنى أشعر بأننى أكثر هدوءًا ، إنه الوهم على كل حال ، مثلما يحسب المرء كمية النقود التى أنفقها بهدف أن يعرف كميات النقود المتبقية لديه .

١٥ أكتوبر :

لم يكن لديه والدان على الاطلاق ، ولقد قامت عمته بتربيته ، باستطاعتى مشاهدة عمته ، انها امرأة نحيلة لها وجه أبيض وفم ضيق كريه وعينان رماديتان وضيعتان ، وهى ترتدى قبعات بالية عتيقة لها أغطية صوفية لحفظ الحرارة ولها لون الصوف الخام البيج ، ودائما ما يكتنفها شىء من القذارة والتراب ، فالقذارة والتراب هما كل شىء خارج عالم شارعها الخلفى الصغير القذر الشنيع .

قلت له إنه كان يبحث عن الأم التى لم يحصل عليها فى حياته على الاطلاق ولكنه لم يكن على استعداد للاصغاء لكلامى بالطبع .

وهو لا يؤمن بالله ، وموقفه هذا هو الذى يجعلنى أرغب فى الايمان بالله .

وحدثته عن نفسى وعن والدتى ووالدى بصوت واقعى وواضح ومجرد من العواطف ، وكانت لديه فكرة عن والدتى وأعتقد أن المدينة كلها تعرف نفس المعلومات التى يعرفها هو عن والدتى .

ومن رأيى ألا ألجأ الى تعذيبه أو قتله .

الوقت فى السجن هو وقت لانهائى .

فى الصباح الأول ، قام بالطرق على الباب وانتظر لمدة عشر دقائق (مثلما يفعل دائما) . لم تكن عشر دقائق مريحة ، فكل أفكار المواساة التى كنت قد جمعتها مع بعضها البعض خلال الليل هربت بعيدا وتركتنى بمفردى، وقفتُ هنـــالك وقلت لنفسى : « اذا أراد أن يفعل بى شـــيئا ، لا أقاوم ، لا أقاوم » . وكنت بصدد أن أقول له : « إفعل بى كما يحلو لك . ولكن لا تقتلنى . لا تقتلنى وباستطاعتك أن تفعل ذلك الأمر مرات أخرى » .. كما لو كنت شيئا قابلا للغسل الكثير بدون أن يتلف ، كما لو كنت ثيابا من النوع الذى يتحمل الأعمال الشاقة .

ولكن الموقف كان مختلفا تماما ، دخل الى الغرفة واكتفى بالوقوف هنالك وكأنه شخص أخرق وبعدئذ تعرفتُ على شخصيته على الفور بمجرد أن شاهدته وهو غير مرتد قبعته ، وأدركت أنه هو الكاتب الذى كان يعمل فى مبنى البلدية والذى كسب اليانصيب الهائل وأنه هو الذى ظهرت له صور فوتوغرافية فى الصحف والجرائد ، وكلنا قلنا عنه إننا سبق لنا أن شاهدناه فى أماكن قريبة .

وحاول أن ينكر تلك الحقائق ولكن وجهه اكتسى باللون الأحمر خجلا وارتباكا ، وهو دائما ما يحمّر وجهه ويشعر بالخجل ازاء كل شىء .

وهو من السهل وضعه فى حالة من الدفاع عن نفسه ، ووجهه به نوع من « الآلام » الطبيعية ، وهو خجول وساذج وأخرق ، بل له طابع الزرافة ، فهو مثل زرافة مفرطة فى الطول والنحافة وثقيلة الحركة ، وظللتُ أمطره بوابل من الأسئلة ولكنه لم يكن يرد علىّ وكل ما كان يستطيع أن يفعله هو

النظر اليَّ وكأنني ليس لي الحق في توجيه الأسئلة اليه ، وكأن « هذا » لم يكن هو الهدف الذي تكبد من أجله تلك المتاعب على الاطلاق .

وهو لم تسبق له أية علاقات مع الفتيات ، مع فتيات من أمثالي على كل حال .

انه ولد ناصع البياض .

وهو يبلغ في الطول ستة أقدام ، وهو أطول مني بثماني أو تسع بوصات ، وهو نحيل ونحيف ومن ثم فهو يبدو أكثر طولا مما هو عليه ، وهو طويل ونحيل مما يجعله يبدو مرتبكا في تحركاته . يداه كبيرتان للغاية وممتلئتان ولهما لون أبيض وردي ، ليستا يدي رجل ، وتفاحة آدم في حلقه كبيرة للغاية ومعصماه كبيران للغاية وذقنه كبير أكثر من اللازم ، وشفته السفلية متجهة الى الداخل وحافتا أنفه تميلان الى اللون الأحمر ، زائدة أنفية ، وهو يتحدث بإحدى تلك الأصوات الغريبة البين – بيْن لأنه انسان غير متعلم يحاول أن يكون متعلما ومثقفا ، ووضعه هذا يسبب له دائما الشعور بالاحباط ، ووجهه في مجموعه طويل للغاية ، وهو له شعر أسود معتم مستلق في تموجات منتظمة ومتراجع الى الوراء وهو شعر خشن ، شعر ناشف ، ومستقر دائما في مكانه ، وهو دائما ما يرتدي معطفا « سبور » وبنطلونا ورباط عنق به دبوس من أجل التزيين والتثبيت . بل ويرتدي أزرارا لكُمّ القميص .

انه من النوع الذي يقول عنه الناس :

« انه شاب ظريف » .

ويبدو عليه تماما أنه خالٍ من مظاهر الأنوثة أو الرجولة تماما .

وله طريقة فى الوقوف مع وضع يديه الى جانبه أو خلف ظهره وكأنه لا يعرف كيف يتصرف مع يديه ، ودائما ما ينتظرنى فى احترام لكى أصدر له أوامرى وتعليماتى .

عيناه مثل عينى السمكة ، عيناه ترقبان . وذلك هو كل ما فى الأمر ، عيناه خاليتان من التعبير .

انه يجعلنى أشعر أننى هوائية وغريبة الأطوار ومتقلبة النزعات ، مثل زبونة غنية ومتبرمة وغير راضية عن أى شىء (وهو مثل بائع فى محل لبيع الملابس والأقمشة) .

هذه هى المهنة التى تتمشى معه ، فهو من النوع الذى يتظاهر بالتواضع وتواضعه من النوع الزائف المصطنع ، وهو من النوع الذى يقول دائما « آسف للغاية » .

أجلس وأتناول وجباتى وأقرأ كتابا بينما هو يرقبنى ، واذا أصدرت له أوامرى بالانصراف فانه ينصرف على الفور .

لقد ظل يرقبنى خفية على مدى سنتين تقريبا ، وهو يحبنى حبا شديدا فى تهور ويأس ، وكان يشعر بالوحدة القاسية ، وكان يدرك أننى دائما فى وضع « أعلى » منه ، وكان ذلك شنيعا حيث كان يتكلم فى ارتباك شديد وكان عليه أن يقول الكلام بطريقة ملتوية وغير مباشرة كما كان عليه دائما أن يلتمس التبريرات لنفسه فى نفس الوقت . وكنت أجلس وأصغى له وهو يتكلم ، لم يكن بمقدورى أن أنظر اليه .

كانت المسألة تتعلق بقلبه ومشاعره ، وكنت أشعر أنه قد يهاجمنى فوق السجادة الشنيعة ذات اللون اليوسفى ، واكتفينا بالجلوس هنالك عندما انتهى

من مـهمتـه ، وعندما نهض واقفا لكي ينصرف حـاولت أن أقول له إنني قد فهمت جوانب الموقف وأنني لن أقول أى كلام لأى شخص اذا ما أخذني الى منزلى ولكنه رفض أن يعـدنى باصطحـابى الى منزلى ، وحـاولت أن أبدو متجاوبة ومتعاطفة معه للغاية ولكن يبدو أن هذه المحاولات من جانبى كانت تسبب له الخوف والذعر .

وفى صباح اليوم التالى حاولت معه مرة أخرى ، وتمكنت من معرفة إسمه (مصادفة شريرة) وكنت ملتزمة بالحكمة والاعتدال معه الى أقصى درجة ، ونظرت لأعلى نحوه وقمت بالتوسل اليه ومناشدته ، ولكن يبدو أن نظرتى اليه أثارت فى داخله مشاعر الخوف مرة أخرى ولا شيء غير ذلك .

وفى فترة الغداء قلت له إننى أعتقد أنه يشعر بالخجل من الأعمال التى أقدم عليها وأوضحتُ له أن زمام الموقف لم يفلت تماما حيث يمكنه البدء فى أصلاح الأمور ، عندما أقوم بمناشدة ضميره فانه يذعن بعض الشيء ولكن ضميره لا يؤنبه على الاطلاق فهو يقول : « اننى أشعر بالخجل من نفسى ، كما أننى أدرك أنه ينبغى علىَّ أن أشعر بالخجل مما أقدمت عليه » . وقلت له إنه لا يبدو عليه أنه شخص خسيس وشرير فقال : « ان هذا الذى فعلته هو أول عمل شرير أقدم عليه فى حياتى » .

من المحتمل أن يكون ذلك بالفعل هو أول عمل شرير قام به ، ولكنه كان يدَّخر .

وفى بعض الأحيان يخطر على ذهنى أنه انسان ماهر للغاية ، فهو يحاول أن يستعين بتعاطفى من خلال الادعاء أنه واقع تحت سيطرة شيء ما ثالث .

وفى تلك الليلة حاولت ألا أكون ملتزمة بالذوق والرقة معه فلجأت الى معاملته فى حدة وسلاطة لسان وقباحة ، فبدت عليه مشاعر الامتهان والاساءة اليه على نحو أكثر من ذى قبل وهو ماهر للغاية من حيث اظهار مشاعر الاهانة على وجهه .

كان يضع مجسات شعوره بالاهانة حولى .

انه ليس من نفس الطبقة الاجتماعية التى أنتمى اليها .

وأنا أعرف مَنّ أكون أنا بالنسبة له ، فأنا بمثابة فراشة كان يريد دائما اصطيادها والامساك بها ، وأذكر أن الـ .G.P قال لى فى أول مرة تقابلت فيها معه أن جامعى اللوحات هم أسوأ الحيوانات على الاطلاق ، وكان يقصد بذلك جامعى ومقتنى اللوحات الفنية بالطبع ولم أفهم ما يهدف اليه حقا واعتقدتُ أنه كان يحاول فقط أن يصدم كارولين – ويصدمنى . ولكنه على حق بالطبع ، فهم مناهضون للحياة .. ومناهضون للفن ومناهضون لكل شىء .

اننى أكتب فى هذا الصمت الرهيب الذى يشبه صمت الليل وكأننى أشعر أننى طبيعية وعادية .. ولكننى لستُ كذلك ، فأنا أشعر بالملل الشديد والخوف الشديد بل وأشعر بالوحدة المريرة القاسية ، والشعور بالوحدة والعزلة هو أمر لا يمكن تحمله . وفى كل مرة يفتح فيها الباب أشعر بالرغبة فى الاندفاع والخروج منه ، ولكننى أدرك الآن أنه ينبغى علىَّ أن أدَّخر محاولات الهرب الخاصة بى ، بمعنى أنه ينبغى علىَّ أن أتفوق عليه من حيث المُكر والدهاء . يجب أن أضع خططا لكى تُنَفَّذ مستقبلا ، وبحيث تضمن لى البقاء على قيد الحياة .

١٦ أكتوبر :

الوقت هو فترة ما بعد الظهر ، ينبغى أن أكون الآن فى حصة رسم النماذج البشرية العارية .

هل عجلة الحياة فى العالم تسير كالمعتاد ؟

هل الشمس مازالت تشرق كالعادة ؟ فى الليلة الماضية ظننت أننى مجنونة . فهذا هو الموت بعينه ، وهذا هو الجحيم نفسه ، ولن يكون هناك أناس آخرون فى جهنم ، أو ربما يكون هناك شخص واحد فقط مثله ، والشيطان نفسه لن يكون شيطانى النزعة وجذابا بعض الشىء وانما سيكون مثله وعلى شاكلته .

لقد قمت برسم صورة فى هذا الصباح له ، كنت أريد الوصول الى أغوار وجهه وتصوير هذه الأغوار بالرسم . ولكن الصور لم تجىء على النحو المطلوب ، وأراد هو الحصول على تلك الصور وقال إنه على استعداد لأن يدفع ٢٠٠ جنيه ثمنا لتلك الصورة ، إنه شخص مجنون .

الأمر يتعلق بى شخصيا ، فهو مجنون بى ، أنا الجنون الخاص به .

ولقد ظل هو يبحث لسنوات عن شىء ما يضع جنونه فيه ، وأخيرا عثر علىّ .

لا أستطيع أن أكتب فى فراغ كهذا ، لا أستطيع أن أكتب كلاما غير موجه لأحد ما ، عندما أقوم بالرسم فإننى أفكر دائما فى شخص ما مثل G.P. وأتخيله ولقفا الى جوارى .

اذا كان كل الآباء والأمهات مثل أبى وأمى عندئذ تكون الأخوات البنات أخوات بالمعنى الحقيقى العميق وبحيث تكون العلاقة بين الأخوات البنات مثل

العلاقة التى تربط بينى وبين أختى « مينى Minny » .

لقد انقضى على وجودى هنا ما يزيد على أسبوع ولذلك فأنا أفتقدكِ للغاية يا عزيزتى مينى كما أفتقد كثيرا الهواء الطلق المنعش والوجوه الوقحة القليلة الحياء لجميع أولئك الناس الذين كنت أكرههم للغاية فى قطار السكة الحديد الذى ينطلق تحت الأرض فى لندن كما أفتقد الأمور الجديدة التى كانت تحدث فى كل ساعة يوميا وأتمنى الآن مشاهدة تلك الأمور الجديدة المتجددة مرة أخرى . وأكثر الأمور التى أفتقدها هى الضوء الطازج النقى .. الطبيعى .. إننى لا أستطيع العيش بدون الضوء فالضوء الاصطناعى هو ضوء كاذب وغالبا ما يجعل المرء يشتاق للظلام .

إننى لم أحدثكم عن محاولتى للهرب ، لقد كنت أفكر فى الهرب طوال الليل ولم أستطع الخلو للنوم وكان الجو خانقا للغاية بسبب عدم وجود التهوية الكافية وكانت معدتى وأمعائى تموج بالاضطراب الشديد (وهو يبذل كل ما فى جهده لكى يطبخ الطعام بطريقة جيدة ولكن بدون جدوى) وتظاهرت بأن هناك شيئا ما غير سليم فى السرير وبعدئذ استدرت ولذت بالفرار ولكننى لم أتمكن من الاسراع بغلق الباب بالمزلاج وحبسه فى داخل غرفتى ، وتمكَّن هو من الامساك بى فى السرداب الآخر ، وتمكنتُ من مشاهدة ضوء النهار من خلال ثقب المفتاح .

إنه يفكر فى كل شىء ، فهو يغلق بالمفتاح الأبواب الخارجية ، وكان ضوء النهار يستأهل منى أن أفعل ذلك ، كمية من الضوء فى حجم ثقب مفتاح الباب فى خلال سبعة أيام . وكنت أتخيل أننى سأتمكن من الخروج وأحبسه فى الغرفة السفلية .

وبعدئذ عاملته على مدى ثلاثة أيام بأسلوب جديد : كنت أعطيه ظهرى وأتجهم فى عبوس وأضرب عن الطعام وأخلد الى النوم لفترات طويلة ، وعندما أتأكد من أنه لن يجيء الى بالغرفة السفلية كنت أتهض من فوق السرير وأرقص فى الغرفة بعض الشيء ، وأقرأ فى الكتب الفنية وأشرب الماء فقط ولكنى لا أتناول الطعام على الاطلاق .

وحاولت أن أتوصل معه الى اتفاق .وكان شرطه أن أبقى معه لمدة ستة أسابيع ، ومنذ أسبوع مضى كان الاشتراط بابقائى ستة أسابيع يعتبر فترة طويلة للغاية لا يتحملها الانسان ، فانخرطتُ فى البكاء ، وأرغمته على تخفيض المدة الى أربعة أسابيع . إن رعبى وخوفى الشديد من الاقامة معه لم يقلّ ، ولقد بدأت أعرف كل بوصة فى هذا القبْو الصغير الشنيع الموجود تحت الأرض ولقد بدأت أتعودّ على هذا القبوْ وبدا ذاك القبوْ يحدق بى وينمو فوقى مثلما تلك المعاطف الحجرية فوق الديدان فى الأنهار ، ولكن الأسابيع الأربعة تبدو أقل أهمية .

لا يبدو علىّ أن لدى أى نشاط أو حيوية أو عزيمة أو ارادة ، فأنا أعانى من الامساك والحصار بكافة الطرق .

يا مينّى : لقد صعدتُ معه الى الدور العلوى بالأمس ، وأول ما لاحظت هو الهواء الخارجى ووجودى فى مساحة أكبر من ١٠ × ١٠ × ٢٠ ، وجودى تحت النجوم واستنشاقى للهواء الرائع رغم أنه كان هواء مليئا بالرطوبة والضباب .

ورحت أفكر ربما يكون باستطاعتى الجرى والهرب ، ولكنه أمسك بذراعى ووضع الكمامة فى فمى وربط يدى ، وكان الجو مظلما للغاية ومقفرا

تماما ولا توجد أنوار ولا شيء سوى الظلام الحالك ، بل إننى لم أكن أعرف الاتجاه الذى ينبغى علىَّ أن أسلكه أثناء الهرب .

المنزل هو من نوع الألواح القديمة ، وأظن أن هذا الكوخ مُدعَّم ومكسو بالأخشاب من الخارج ومن الداخل توجد الكثير من الدعامات الخشبية الأفقية ، والأرضيات بالغرف كلها مرتخية بعض الشيء والأسقف منخفضة للغاية ، وهو منزل قديم محبب للنفس وممتع حقًا وهو مُشيد وفق « الذوق الرفيع » الشديد الايلام الذى يُشاهد فى معظم المجلات النسائية ، تضاربات فى الألوان شنيعة للغاية وخلْط بين أساليب ونماذج الأثاث وملامح من اللخبطات التى تتميز بها الضواحى وقطع من الآثار القديمة الزائفة وحليات من النحاس الأصفر شنيعة ، أما الصور واللوحات الزيتية فهى رهيبة وشنيعة للغاية ! ولن تصدقونى اذا وصفت لكم مدى شناعة تلك الصور واللوحات ، ولقد قال لى إنه استعان باحدى الشركات لتختار له كل المفروشات والأثاث والديكورات ، ومن المؤكد أن تلك الشركة قد تخلصت من كل الأشياء التافهة البالية الموجودة فى مخازنها .

وكانت غرفة الحمام مبهجة ، وكنت أدرك أنه يندفع بقوة وهو يدخل اليها أو يخرج منها (لا يوجد قفْل فى الباب بل ولا يستطيع غلق الباب تماما ، وكانت توجد قطعة من الخشب مثبتة بلولب الى الداخل) . ولكنى أدركت على نحو ما أنه لم يكن يفعل ذلك ، وكان من الممتع للغاية أن أشاهد بانيو مليئا بالماء الساخن وأن أشاهد مكانا ملائما حتى أننى كدت لا أهتم بالكارثة التى وقعتُ فيها ، وكنت أجعله ينتظرنى فى خارج الحمام ساعات طويلة ، ويبدو أنه لم يكن يهتم أو يتضايق من ذلك ، فقد كان « طيبا » .

ولكننى أدركت أن هناك وسيلة تعيننى على إرسال رسالة الى خارج

الكوخ ، اذ كان باستطاعتي أن أضع رسالة في زجاجة وألفّ الزجاجة بشريط له ألوان زاهية ، على أمل أن يشاهد تلك الزجاجة شخص ما في مكان ما في يوم ما ، ولسوف أنفذ هذه الفكرة في المرة القادمة .

كنت أرهف السمع لكي أسمع أصوات حركة مرور السيارات ولكن لم تكن هناك أية أصوات ، وسمعت صوت بومة ، ثم سمعت صوت طائرة .

لو كان الناس يعرفون ما يطيرون فوقه .

نحن جميعا في طائرات .

كانت نافذة غرفة الحمَّام مغطاة بألواح من الخشب ، والألواح مثبتة بمسامير قلاووظ كبيرة ، كنت أبحث في كل مكان عن سلاح ، تحت الحمام وخلف الأنابيب ، ولكني لم أعثر على أي شيء ، وحتى لو عثرتُ على سلاح فإنني لا أعرف كيفية استخدامي له ، كنت أرقب فرديناند وكان هو يرقبني ، ولم نعط بعضنا البعض أية فرصة ، إنه لا يبدو قويا للغاية ولكن من المؤكد أنه أقوى مني بكثير ، ومن ثم فانه ينبغي عليّ أن أستخدم معه عنصر المفاجأة في حالة هجومي عليه .

كل شيء مغلق بالقفل وباثنين من الأقفال ، بل ولاحظت وجود جرس انذار على باب غرفتي السفلية .

وهو قد فكر في كل شيء ودرسه جيدا ، لقد فكرتُ في أن أضع رسالة مع الملابس المتسخة التي تُرسل الى المغسل لغسلها وكيّها ، ولكنني اكتشفتُ أنه لا يرسل الملابس المتسخة الى المغسل . وعندما سألته عن الملاءات المتسخة وما اذا كان سيرسلها الى المغسل قال لي : « إنني أشترى ملاءات جديدة باستمرار وعليك أن تخبريني إذا كنت تريدين المزيد من الملاءات » .

الفرصة الوحيدة أمامى هى فى الغرفة السفلية .

يا مينّى : إننى لا أكتب كلاما موجها اليك ، ولكنى أتكلم مع نفسى .

عندما خرجتُ مرتدية أقل القمصان التى اشتراها لى بشاعة فانه نهض واقفا (وكان جالسا طوال الوقت بجوار الباب) . وشعرت أننى مثل فتاة فى حفلة راقصة تهبط على السلالم الفخمة الكبيرة ، فطار صوابه ونظر الىَّ فى افتتان شديد وأظن أن السبب فى ذلك هو مشاهدته لى وقد ارتديت احدى « قمصانه » التى اشتراها لى بالاضافة الى مشاهدته لشعرى المسدل لأسفل على كتفىّ .

أو ربما أنها كانت مجرد صدمة لدى مشاهدتى بدون ارتداء الكمامة ، وعلى كل حال فاننى ابتسمت له ودرتُ حول نفسى ، لقد سمح لى بالاستمرار فى عدم وضع الكمامة وسمح لى بأن أجول ببصرى هنا وهناك ، وظل مقتربا للغاية منى . وكنت أدرك أننى لو اتخذت خطوة واحدة خاطئة فانه سيبادر إلى الهجوم علىَّ .

فى الدور العلوى توجد غرف للنوم وهى غرف لطيفة فى حد ذاتها ولكنها كلها تنبعث منها روائح الرطوبة العفنة حيث لا يسكنها أحد .. هناك هواء فاسد غريب يغلف كل شىء . وفى الدور السفلى توجد الغرفة التى يسميها « صالة الجلوس Lounge » وهى غرفة جميلة وأكبر كثيرا من باقى الغرف الأخرى وهى مربعة الشكل على نحو غريب . وبها عارضة قوية ضخمة مستندة على ثلاثة قوائم عمودية فى منتصف الغرفة ، كما توجد بها عوارض أخرى وأركان صغيرة منعزلة وزوايا لطيفة لا يمكن أن تخطر على بال مهندس معمارى مرة واحدة فى خلال ألف عام ، وكل ذلك قد تعرَّض لمذبحة واغتيال

بسبب الأثاث بالطبع ، كانت توجد بطة برية صينية فوق مدفأة قديمة جميلة ، ولم أستطع تحمل مشاهدة هذه البطة ، فطلبتُ منه أن يربط يدىّ مرة أخرى بحيث تكون يداى أمامى ثم نزلتُ بيدىّ على المكان المحيط بالمدفأة .

وأدت هذه الحركة الى إيذاء مشاعره الى حد كبير والى نفس الدرجة تقريبا عندما صفعته على وجهه لعدم سماحه لى بالهرب .

انه يجعلنى أغير من حالاتى النفسية ، انه يجعلنى أرغب فى الرقص حوله واثارة حيرته وارتباكه وابهار عينيه وزغللته وإذهاله ، وهو انسان بطىء للغاية وغير خلّاق تماما وخامد ولا حياة فيه على الاطلاق ، إنه أوكسيد الزنك الذى يُستخدم فى الصبغة ، وفى رأيى أن هذا بمثابة نوع من الطغيان والاستبداد الذى يفرضه على ، فهو يرغمنى على أن أكون متقلبة الأهواء وعلى اللجوء الى التمثيل والتظاهر ، ويرغمنى على التباهى . ولقد قال G.P. عن ذلك ذات مرة أنه الطغيان الكريه الذى يمارسه الناس الضعفاء .

ان الرجل العادى هو لعنة الحضارة .

ولكنه انسان عادى أكثر من اللازم لدرجة أنه يعتبر انسانا غير عادى.

وهو يلتقط لى الصور الفوتوغرافية ، وهو يريد أن يرسم صورة زيتية لى تُظهر وجهى بصفة خاصة .

وبعدئذ كانت هناك الفراشات الخاصة به وأعتقد أنها فراشات جميلة بعض الشىء ، نعم فهى مرتبة ومنظمة تنظيما جميلا الى حدّ ما مع انتشار كافة أجنحتها الصغيرة المسكينة عند نفس الزاوية ، وشعرت بالحزن والعطف على هذه الفراشات المسكينة الميتة وأحسست أنها ضحية مثلى تماما ، وكانت الفراشات التى يفتخر بها أكثر من الأخريات هى من النوع الذى

يسـميه « المنحرف غير السوى Aberrations ! » .

وفى الطـابق السـفلى سمح لى أن أرقبـه أثنـاء قيـامـه باعداد الشـاى (فى السرداب الخارجى) وقال كلاما مثيرا للضحك والسخرية مما جعلنى أضحك – أو أرغب فى الضحك .

أمر رهيب وشنيع .

لقد أدركتُ فجأة أننى بصدد التعرضّ للجنون أيضا كما أدركت أنه إنسان ماكر ومخادع وخبيث على نحو ردىء للغاية ، وهو بالطبع لا يكترث بما أقوله عنه ، ولا يكترث بقيامى بتحطيم البطة الصينية التعيسة الخاصة به ، لأنه فجأة يجدنى أضحك عليه وأسخر منه وأصبّ له الشاى الخاص به كما لو كنت أفضل الصديقات المقرّبات اليه (وهذا جنون لأنه قد قام باختطافى) .

وأنزلتُ عليه وابلا من السباب والشتائم ، فقد كنتُ ابنة لوالدتى ، فأنا انسانة سليطة اللسان وكلبة مثل والدتى .

ها هى حالتى يا مينّى ، أتمنى لو كنتِ موجودة معى هنا لكى ندردش ونتجاذب أطراف الحديث معا فى الظلام ، لو كنتُ فقط أتمكن من التحدث مع أى شخص ولو لدقائق قليلة ، مع شخص ما أحبه ، إننى أجعل الأمور تبدو أكثر إشراقا بكثير مما هى عليه بالفعل .

إننى بصدد الانخراط فى البكاء مرة أخرى .

إنه ظلم فادح .

١٧ أكتوبر :

إننى أكره التغير الذى طرأ علىَّ ، فأنا أصبر وأتحمل كثيرا للغاية . ولقد اعتقدت منذ البداية أنه ينبغى علىَّ أن أرغم نفسى على أن أكون انسانة واقعية وغير خيالية ومجردة من العواطف ، وبحيث لا أسمح لحالته غير السوية أن تسيطر على الموقف ، ولكنه ربما وضع الخطط التى تكفل له السيطرة علىَّ ، لأنه يجعلنى أتصرف على النحو الذى يريده تماما .

وهذا ليس مجرد موقف خيالى وعجيب . إنه تغير عجيب لموقف خيالى ، أتمنى أنه قد وضعنى الآن تحت رحمته وأنه ليس بصدد أن يفعل تلك الأفعال التى قد يتوقعها أى شخص ، وهوبذلك يجعلنى أشعر بالشكر والامتنان على نحو زائف ، واننى لأشعر بالوحدة القاسية للغاية ، ومن المؤكد أنه يدرك تلك الحقيقة ، وبمقدوره أن يجعلنى أعتمد عليه .

إننى عصبية ومتوترة للغاية ، وأنا لست هادئة على النحو الذى قد أبدو عليه (عندما أقوم بقراءة ما كتبته) .

كل ما هنالك أنه يوجد وقت كثير للغاية أريد أن أستهلكه ، وقت لانهائى لانهائى لانهائى .

ما أكتبه ليس طبيعيا ، انه أشبه بشخصين يحاولان الاستمرار فى تجاذب أطراف الحديث بينهما سويا .

الموقف على النقيض تماما من الرسم ، فالانسان عندما يرسم خطا فانه يعرف على الفور ما اذا كان الخط جيدا أو رديئا ، ولكنه عندما يكتب سطرا ويبدو له أن ذلك السطر صادق فانه يقرؤه مرة أخرى فيما بعد ليعرف مدى الصدق فى التعبير .

فى مساء الأمس أراد أن يلتقط لى صورة فوتوغرافية ، فسمحتُ له بالتقاط صور عديدة لى ، وأظن أنه ربما يكون غير حريص ومهملا بحيث قد يشاهدنى شخص ما راقدة فى منزله ، ولكنى أعتقد أنه من المؤكد أنه يعيش بمفرده تماما فى هذا المنزل ، هذا أمرٌ مؤكد تماما . ومن المؤكد أنه قد قضى الليلة الأخيرة كلها فى تحميض وطبع الصور التى التقطها لى . لم أكن أحب ضوء الفلاش الكهربائى لأنه كان يؤذى عينى .

لم يحدث شىء ما اليوم باستثناء أننا قد توصلنا الى نوع من الاتفاق بشأن الرياضة البدنية بالنسبة لى . لم أمنح حق الاستمتاع بضوء النهار حتى الآن ، ولكن يمكن لى الذهاب الى الدهليز الخارجى ، وشعرتُ بالوجوم ولذلك ظهر العبوس على وجهى ، وطلبت منه الانصراف من أمامى عقب الغذاء كما طلبت منهُ أن يغرب عن وجهى عقب العشاء أيضا فانصرف على الفور فى كلتا المرتين ، كان باستطاعتى أن أطلب منه أى شىء باستثناء أن أطلب منه اعطائى حريتى .

وهو قد أعطانى ساعة سويسرية غالية الثمن ، فقلت له : « إننى سأستخدمها أثناء وجودى هنا ولكننى سأردها اليه عندما يتم أطلاق سراحى وأغادر هذا المكان » . كما قلت له إننى لم أعد أطيق اللون البرتقالى للسجادة فاشترى لى بعض السجاجيد الهندية والتركية ، ثلاث من الحصير الهندى وسجادة تركية جميلة لها لون أرجوانى عميق وذات أهداب بيضاء - برتقالية - وردية . (وقال عن السجادة إنها الوحيدة التى وجدها « عندهم » فى المحل ولذلك فلا مجال لأن يفتخر بذوقه) .

وهذه السجادة قد جعلت الزنزانة التى أقيم يها معقولة عن ذى قبل من حيث امكانية الاقامة بها . لأن الأرضية لينة للغاية ومرنة ، ولقد قمت بتكسير وتحطيم كل طفايات السجاير والآنية القبيحة الشكل ، فالزخارف والحليات والديكورات القبيحة المنظر يجب أن تختفى من الوجود .

إننى متعالية للغاية عليه ومتعجرفة ومستخفة به ، وأنا أدرك أن هذا يوحى بأننى مغرورة بنفسى على نحو شرير للغاية ، ولكننى مغرورة بالفعل .

وأشعر أنه ينبغى على أن أعرف كيف يعيش ويسلك الآدميون المهذبون .

إنه بمثابة القبح فى حدّ ذاته ، ولكن لا يمكن للمرء أن يحطم القبح البشرى .

منذ ثلاث ليالٍ كان الموقف غريبا للغاية ، اذ كنت أشعر بالاثارة البالغة لدى تركى هذا القَبْو الموجود تحت الأرض ، شعرتُ أننى أقرب ما تكون الى السيطرة الكاملة ، بدا لى فجأة كل شىء وكأنه مغامرة هائلة وكأنه شىء ما سأحكيه لجميع الناس فى يوم ما فى القريب العاجل ، وكأنه نوع من لعبة الشطرنج مع الموت وهى لعبة كسبتها بشكل فجائى وعلى نحو غير متوقع بعض الشىء ، إنه شعور بأننى قد تعرضتُ لمخاطر رهيبة ولكن كل شىء أصبح بصدد أن يسير على ما يرام ، بل إنه إحساس بأنه سيسمح لى بالمغادرة والانصراف .

مجنون .

ينبغى علىّ أن أعطيه إسما ، سأطلق عليه اسم : كاليبان Caliban ببيرو Piero ، لقد قضيت معه اليوم بأكمله ، ولقد قرأت كل المعلومات عنه

وألقيت نظرة متفحصة على كافة الصور الموجودة بالكتاب وعشتُ مع هذه الصور ، كيف لى أن أصبح رسامة ممتازة بينما أنا لا أعرف سوى معلومات ضئيلة للغاية عن الهندسة والعلوم الرياضية ؟ لسوف أطلب من كاليبان أن يشترى لى كُتبا ، ولسوف أصبح عالمة فى العلوم الهندسية ، لدى شكوك مُحطِّمة عن الفن الحديث ، وتخيلتُ بيرو وهو واقف أمام لوحة رسمها شخص مثل جاكسون بولوك Pollock Jackson أو حتى مثل بيكاسو أو ماتيس Matisse (*) عيناه ، إننى لا أشاهد سوى عينيه .

الأشياء التى يقولها بيرو فى يد من الأيادى ، فى طية كُم من الأكمام ، اننى أعرف كل هذا ، لقد قيل لنا هذا أكثر من مرة وأنا قد قلت هذا أيضا ، ولكننى شعرت بهذا شعورا حقيقيا اليوم ، شعرت أن عصرنا بأكمله كان خدعة وادعاء كاذبا ، الطريقة التى يتحدث بها الناس كثيرا عن الاختزالية Tachism وعن التكعيبية Cubism(*) وعن هذه الـ Ism وعن تلك الـ Ism وكافة تلك الكلمات الطويلة التى يستخدمونها - جلطات ملطخة هائلة من الكلمات والعبارات ، وكل ذلك من أجل إخفاء حقيقة واضحة : وهى أن الانسان إما أن يكون قادرا على الرسم أو غير قادر عليه .

إننى أريد أن أرسم مثلما ترسم بيرت موريسوت Berthe Morisot ولا أعنى أننى أريد أن أرسم مستخدمة ألوانها أو قوالبها وأشكالها أو أى شىء مادى ملموس مما تتميز به ولكنى أريد استخدام نفس البساطة والضوء الذى تستخدمه . وأنا لا أنشد أن أكون ماهرة للغاية أو عظيمة أو « ذات شأن

(*) هنرى ماتيس : رسام فرنسى ١٨٦٩ - ١٩٥٤ .

(*) التكعيبية : مذهب فى الرسم والنحت تمثل فيه الأشياء بمكعبات وأشكال هندسية أخرى .

وأهمية كبيرة » أو تنصبّ علىّ كل تلك التحليلات الخرقاء التى تبرز الفحولة ، وانما أريد أن أرسم ضوء الشمس الذى يسقط على وجوه الأطفال أو أرسم الأزهار الموجودة فى سياج من الشجيرات أو أرسم شارعا عقب سقوط أمطار فى الربيع .

الأمور الجوهرية ، وليست الأشياء فى حدّ ذاتها .

الأضواء التى تغمر أصغر الأشياء .

أو هل أنا أميل الى النزعة العاطفية ؟

إننى أموج بالاكتئاب الشديد .

إننى بعيدة للغاية عن كل شىء ، بعيدة عن الضوء ، بعيدة عما أريد أن أكون عليه .

١٨ أكتوبر :

يا G. P. – أنت ترسم بكل كيانك ، أنت تتعلم ذلك أولا ، والباقى مُرْتَهن ومتوقف على الحظ .

الحل السليم : يجب ألا أكون مخبَّلة ومشئومة . فى هذا الصباح قمت برسم مجموعة كاملة من الاسكتشات السريعة لسلطانيات بها فواكه ، ونظرا لأن كاليبان يرغب دائما فى أن يعطى فاننى لا يهمنى كميات الورق الكبيرة التى أستهلكها ، ثم قمت بتعليق الاسكتشات وطلبتُ منه أن يختار أفضلها ، وهو بالطبع قد اختار جميع تلك الاسكتشات التى كانت تشبه كثيرا سلطانية

الفاكهة اللعينة ، وبدأت أحاول أن أشرح له ، وأبديت تفاخرى بواحدة من تلك الاسكتشات (الاسكتش الذى فضلته أكثر على باقى الاسكتشات) . فضايقنى عندما قال إن ذلك الاسكتش لم يكن يعنى أى شىء بالنسبة له ثم قال : « اذا كان ذلك الاسكتش هو الذى يعجبك فاننى أثق فى رأيك وأضمّ رأيى الى رأيك » ، فأدركت أنه لم يكن يهتم بذلك اهتماما حقيقيا ، فأنا من وجهة نظره كنت مجرد طفلة تُسلى نفسها .

عالم آخر أعمى .. كفيف وضرير .

غلطتى ، كنت أتباهى وأتفاخر ، كيف كان يمكن له أن يدرك سحر وأهمية الفن (ليس الفن الخاص بى وانما الفن بوجه عام) بينما كنت أنا مغرورة الى ذلك الحدّ ؟

ودخلنا فى نقاش عقب الغذاء ، كان دائما يسألنى عما إذا كان يظل باقيا ، وأنا فى بعض الأحيان أشعر بالوحدة المريرة القاسية وأشعر بالملل الشديد من الأفكار الخاصة بى مما يجعلنى أطلب منه البقاء ، إننى « أريد » له أن يبقى ، وذلك هو ما يفعله السجن ، ويوجد الهرب الهرب الهرب .

وكان النقاش يدور حول نزع السلاح النووى الذرى ، كانت لدىّ شكوك فى ذلك الأمر منذ أيام ، ولكن ليس الآن .

(حوار ما بين ميراندا وكاليبان) :

ميراندا : (كنت جالسة على سريرى أدخن سيجارة ، وكان كاليبان جالسا على كرسيه المعتاد بجوار الباب الحديدى ، وكانت المروحة تدور بالخارج) .. ما هو رأيك فى القنبلة الهيدروجينية ؟

كاليبان : ليس لدى أفكار كثيرة فى هذا الشأن .

ميراندا : ينبغي أن يكون لك رأى ما .

كاليبان : آمل ألا تسقط هذه القنبلة عليك أو عليَّ .

ميراندا : إنني أدرك أنك لم يسبق لك أن عشت مع أناس يأخذون الأمور بجدية ويناقشونها في جدية .

(تعمد أن تبدو على وجهه مشاعر الاهانة التى لحقت به)

فلنحاول الآن مرة أخرى ، ما رأيك فى القنبلة الهيدروجينية ؟

كاليبان : لو قلت لك أى كلام يتسم بالجدية والخطورة والأهمية فانك لن تأخذى كلامى مأخذ الجد (فرحت أحملق فى وجهه الى أن اضطر الى الاستئناف فى الكلام) الأمر واضح للغاية ، فلا يمكن لك أن تفعلى أى شىء ، والقنبلة أمر واقع فى دنيانا حاليا .

ميراندا : ألا يهمك ما يحدث للعالم ؟

كاليبان : وهل اهتمامى سيغير من الأمر شيئا ؟

ميراندا : أوه .. يا الهى .

كاليبان : ليس لدينا أى كلام أو رأى فى الأشياء .

ميراندا : استمع اليَّ .. لو كان هناك عدد كبير ممن يؤمنون بأن القنبلة الهيدروجينية تضمر الشر للعالم وأن الأمة المهذبة لا يمكن لها التفكير مطلقا فى امتلاكها مهما كانت الظروف والأحوال التى تمر بها عندئذ فان الحكومة ستضطر لأن تفعل أى إجراء ، أليس كذلك ؟

كاليبان : عندئذ سيكون هناك قليل من الأمل فقط .

ميراندا : كيف نشأت المسيحية على ما تظن ؟ أو كيف بدأ أى شىء

آخر ؟ انها بدأت بمجموعة ضئيلة من الناس ممن لم يفقدوا الأمل .

كاليبان : اذن فما الذى سيحدث إذا جاء الروس ؟ (وهو يظن أن هذه نقطة بالغة الأهمية) .

ميراندا : لو كان الاختيار ما بين اسقاط القنابل الهيدروجينية عليهم أو السماح لهم بالوجود بيننا هنا كفاتحين وغازين لأراضينا - فان الاختيار الثانى هو الأفضل فى كل مرة يحدث فيها ذلك .

كاليبان (وقد قفزت الى ذهنه لعبة كش ملك فى الشطرنج) : هذا يعنى حلّ النزاع بين الدول بالطرق السلمية فقط .

ميراندا : انه بالطبع حلّ المشاكل بالوسائل السلمية ، أنت شديد الغباء ، هل تعرف أننى قد سرتُ مشيا على الأقدام على طول المسافة من آلديرماستون الى لندن ؟ وهل تعرف أننى قضيت الساعات والساعات الطويلة من وقتى لكى أوزع المنشورات ولكى أكتب العناوين على الأظرف ولكى أتناقش مع أناس تعساء من أمثالك ممن لا يؤمنون بأى شىء ممن يستحقون بالفعل إسقاط القنبلة الهيدروجينية على رؤوسهم ؟

كاليبان : ذلك لا يوضح أى شىء ولا يبرهن على أى شىء .

ميراندا : انه اليأس من فقدان المشاعر وفقدان الحب وفقدان الحكمة فى العالم (اننى أزيف وأخدع فأنا لم أقل كل هذا الكلام - ولكننى سألت ما أريد أن أقوله بالاضافة الى ما قلته بالفعل) . انه اليأس والقنوط من أن أى شخص يمكن أن تراوده فكرة إلقاء قنبلة من ذلك النوع أو يصدر أوامره بالفعل بالقاء تلك القنبلة .. وانه اليأس والقنوط من أن عددا قليلا للغاية من الجنس البشرى تؤرقه هذه المشكلة ، وانه اليأس والقنوط من وجود قدر

هائل من الوحشية وقسوة القلوب فى جميع أرجاء العالم ، وانه اليأس والقنوط من أن الشبان الأسوياء تماما يمكن أن يتحولوا الى الشرور والرذائل لأنهم قد ربحوا كميات هائلة من النقود فى اليانصيب وعندئذ يفعلون ما فعلته أنت بى .

كاليبان : لقد اعتقدتُ أنك ستصلين فى كلامك الى هذه النقطة .

ميراندا : أنت جزء من هذا الوضع المشين الذى يسود العالم ، فكل شىء حر ولطيف فى الحياة يتم عزله بعيدا وحبسه فى سراديب صغيرة قذرة بمعرفة أناس لا أخلاق لهم ولا يهتمون بما يقدمون عليه من أعمال بهيمية خسيسة .

كاليبان : إننى أعرف ذلك الصنف من الناس الذى أنت منه ، فأنت تعتقدين أن العالم المشرق المزدهر بأكمله ينبغى أن يتم تنظيمه كله بحيث تسير كافة الأمور به بالطريقة التى تروق لك .

ميراندا : لا تكن مخطئا وبعيدا عن الصواب الى هذه الدرجة .

كاليبان : لقد كنت جنديا بدون رتبة بالجيش ، ولا يمكن لك أن تصدقيننى ، فالجنود فى فرقتى يلتزمون بتنفيذ الأوامر التى تصدر لهم .

ميراندا : أنت الآن انسان غنى ، ولن يتسبب أى شىء فى الحاق الضرر والأذى بك .

كاليبان : النقود لا تؤدى الى كل ذلك التباين .

ميراندا : لم يعد أحد يستطيع القاء الأوامر اليك .

كاليبان : أنتِ لا تفهميننى بالمرة .

ميراندا : بل إننى أفهمك تماما ، وأنا أدرك أنك لست شابا من النوع

الذى يفرط فى التأنق وينزع أحيانا إلى أعمال العنف ، ولكنك فى أعماق نفسك تشعر أنك شاب من ذلك النوع ، فأنت تكره أن تكون انسانا مغلوبا على أمره ومظلوما ومُستغلا ، وأنت تكره أن تكون غير قادر على التعبير عن نفسك بطريقة سليمة ، انهم يذهبون ويحطمون الأشياء وأنت تجلس وتتجهم وأنت تقول : « اننى لن أساعد العالم ولن أقدم أدنى عمل خيّر من أجل البشرية ، ولسوف أفكر فى نفسى فقط ، أما البشرية فتتحمل نتائج أعمالها ولتقاسى مما جنته يداها » . (وبدا الأمر وكأننى أصفع شخصا ما على وجهه بصفة مستمرة) وما فائدة النقود من وجهة نظرك اللهم إلا اذا استخدمت ؟ هل تفهم ما أتحدث عنه ؟

كاليبان : نعم .

ميراندا : حسنا ..

كاليبان : أوه ... أنت على حق ، كما هو الحال دائما .

ميراندا : هل أنت تتهكم فى سخرية لاذعة مرة أخرى ؟

كاليبان : أنت تشبهين عمتى آنّى ، فهى تتصرف دائما على النحو الذى يتصرف به الناس فى هذه الأيام . والناس حاليا لا يهتمون .

ميراندا : يبدو أنك تعتقد أنه من الصواب أن تكون على خطأ .

كاليبان : أتريدين تناول الشاى الخاص بك ؟

ميراندا (تبذل جهودا خارقة) : إستمع الىَّ ... إكراما للمناقشة ، أنت تريد أن تقول أنك مهما حاولت أن تفعل قدرا كبيرا من الخير فى المجتمع فانك فى حقيقة الأمر لا تقدم أى خير أبدا ، وذلك أمرٌ مثير للسخرية ولكن لا يهم ، فمازلت أنت بنفسك موجودا ، ولا أعتقد أن الحملة التى تنشد

نزع السلاح النووى لهـــا فرصة كبيرة فى مجـــال التأثير الحقيقى على الحكومة ، وهذه من أوائل الأمور التى ينبغى على المرء أن يواجهها ، ولكننا نفعل ذلك لكى نحافظ على احترامنا لأنفسنا ولكى نبين لأنفسنا - رجالا ونساء - أننا نهتم بتلك المشكلة ، ولكى ندع الناس الآخرين جميع الناس الكسالى والمتجهمين واليلئسين من أمثالك يدركون أن هناك مَنْ يهتم بتلك المشكلة ، فنحن نحاول أن نشجعك على التفكير فى هذه المشكلة والى النزوع الى اتخاذ موقف عملى إزاءها (سادت فترة صمت - ثم صحتُ قائلة) : قل أى كلام !!

كاليبان : اننى أعرف أن القنبلة الهيدروجينية هى شرٌ مستطير .

ميراندا : إذن عليك أن تفعل أى شىء (فنظر الىَّ بطريقة سخيفة وكأننى طلبتُ منه أن يسبح فى المحيط الأطلنطى) إستمع الىَّ ، لقد اشترك صديق لى فى مسيرة اتجهت إلى قاعدة جوية أمريكية فى اسيكيس Essex ، ولقد تم وقفهم خارج البوابة بالطبع وبعد برهة من الوقت ، خرج عليهم الشاويش المكلف بالحراسة وتحدث اليهم ودخل معهم فى جدال ومناقشات واشتدتْ حدة المناقشة لأن ذلك الشاويش كان يؤمن بأن الأمريكيين يشبهون فرسان العصور القديمة الذين ينقذون فتاة عذراء أحدقت بها المخاطر ، وأوضح لهم أن الطائرات القاذفة للقنابل الهيدروجينية ضرورية للغاية ... الخ ، وتدريجيا وأثناء مناقشتهم معه بدأوا يدركون أنهم معجبون الى حد ما بالانسان الأمريكى ، لأنه انسان يشعر بقوته الكبيرة وبايمانه الصادق بأرائه، ولم يكن صديقى هو الوحيد الذى أعجب بالانسان الأمريكى ولكنهم جميعا وافقوا على وجهة نظر الشاويش فيما بعد ، فالشىء الوحيد الذى يهم حقا هو أن تحس وأن تستغرق فيما تؤمن به - طالما أن الأمر هو شىء ما يندّ عن

مجرد الايمان بالراحة الخاصة بك ، وقال صديقى أن ذلك الشاويش الأمريكى أصبح أقرب الى قلبه من جميع أولئك البلهاء المبتسمين الذين كانوا يرقبون المسيرة أثناء اتجاهها فى طريقها الى القاعدة الجوية الأمريكية ، إن الموقف شبيه بمباراة كرة القدم ، فكل فريق يرغب فى الحاق الهزيمة بالآخر ، ولكن اذا جاء شخص ما وأوضح للفريقين أن كرة القدم هى أمر سخيف ولا تستحق أن يلعبها أحد أو يهتم بها عندئذ سيشعر الفريقان بنفس الأحاسيس الجديدة وتلك الأحاسيس الجديدة هى الشىء المهم ، أتدرك معنى ما أقوله لك ؟

كاليبان : لقد اعتقدتُ أننا كنا نتحدث عن القنبلة الهيدروجينية .

ميراندا : أغرب عن وجهى ، إنصرف ، أنت تسبب لى الارهاق والتعب ، أنت تشبه بحرا من القطن الطبى .

كاليبان (نهض واقفا على الفور) : إننى أستمتع كثيرا بسماعك وأنت تتكلمين ، وأفكر مليا فى الكلام الذى تقولينه .

ميراندا : لا .. أنت لا تُمعن النظر فى كلامى .. أنت تضع ما أقوله من كلام فى ذهنك ، وتغلّف هذا الكلام وتطويه جيدا ، ثم يختفى هذا الكلام للأبد .

كاليبان : اذا أردت أن أرسل شيكا الى ... حملة نزع السلاح النووى ... فما هو العنوان ؟

ميراندا : وما هو الخطأ فى ذلك ؟

ميراندا : نحن بحاجة إلى النقود بالفعل ، ولكننا بحاجة أكثر الى الأحاسيس والمشاعر ، وأنا لا أعتقد أنك ليس لديك أية مشاعر وأحاسيس

كاليبان (سادت فترة صمت مليئة بالحرج والارتباك) ... الى اللقاء فيما بعد .

(يخرج كاليبان ، وأقوم بضرب مخدتى بقوة شديدة حتى أنها نظرت الىّ فى عتاب ولوْم) .

(فى هذا المساء أقنعته بالملاطفة وأرغمته فقام بتحرير شيك بمبلغ مائة جنيه ووعد بارسال الشيك فى صباح اليوم التالى ، وأنا أدرك أن الاجراء سليم من جانبى ، ومنذ عام كنت سألتزم بالمغزى الأخلاقى الصارم ، مثل الماجور باربارا Major Barbara ، ولكن الشيء الجوهرى هو أن يكون لدينا النقود ، وليس من أين تجيء النقود أو لماذا أُرسلتْ النقود ؟ أو ما هو الدافع وراء إرسال النقود ؟) .

١٩ أكتوبر :

كنتُ فى حالة من التعب والإرهاق الشديد ، فقد ظللتُ طوال فترة ما بعد الظهر أرسم نسخا من لوحات بييرو وانتابتنى الرغبة التى كانت تنتابنى فى الظروف العادية – فى ضرورة الخروج للذهاب الى السينما أو المقهى / البار أو أىّ مكان آخر ، المهم الخروج وتغيير المكان الذى أنا فيه .

فجعلته يأخذنى بتسليم نفسى له كالعبدة ، وقلت له : « أربطنى كما تريد ولكنى أريدك أن تأخذنى الى مكان آخر » .

فقام بربط يدى ووضع الكمامة فى فمى وأمسكنى من ذراعى وسرنا معا فى أرجاء الحديقة ، انها حديقة كبيرة للغاية ، وكانت الدنيا حالكة الظلام، وكنت أتبين بصعوبة الممر وبعض الأشجار ، والمكان موحش ومنعزل

للغاية ، فهو موجود فى مكان ما فى أعماق الريف .

وعلى نحو فجائى فى الظلام أدركت أن هناك شيئا ما غير طبيعى فى كاليبان ، لم يكن بمقدورى مشاهدته بسبب الظلام ولكننى شعرت فجأة بالخوف ، حيث أدركت فجأة أنه يرغب فى تقبيلى أو فى عمل شىء ما أسوأ من ذلك ، وحاول أن يقول بعض الكلام الذى يدور حول شعوره بالسعادة الغامرة وكانت نبرات صوته متوترة للغاية ، بل وكان صوته مخنوقا ، ثم قال اننى لا أعتقد أن لديه أية مشاعر حقيقية عميقة ولكنه لديه مثل هذه المشاعر العميقة ، وأنه لشىء رهيب ألا أكون قادرة على التكلم ، فلسانى هو خط دفاعى معه ، أو لسانى ونظراتى ، وسادت فترة قليلة من الصمت ولكننى أدركت أنه كان مكبوتا .

كنت أتنفس طوال الوقت هواء طلقا منعشا وجميلا ، وذلك كان أمرا رائعا للغاية حتى أننى لا أستطيع أن أصفه ، كان هواء مليئا بالحياة للغاية ومليئا بروائح النباتات ومفعما بروائح الريف وبآلاف من الروائح الليلية المبللة الغامضة .

وبعدئذ مرت سيارة ، إذن فهناك طريق أمام المنزل تستخدمه السيارات ، وبمجرد أن سمعنا صوت موتور السيارة شدد قبضته على ذراعى ، وصليت لله لكى تتوقف السيارة ولكن أنوارها ترامت خلف المنزل وهى تنطلق بعيدا .

ومن حسن حظى أننى كنت قد أمعنت النظر فى موضوع الهرب وقلت لنفسى أننى اذا حاولت الهرب وفشلت فى ذلك فانه لن يسمح لى بالخروج مرة أخرى على الاطلاق ، لذلك ينبغى علىّ ألا أقفز عندما تلوح لى أول فرصة ،

كما أنني كنت أدرك أنه يفضل أن يقتلني على أن يتركني ألوذ بالفرار اذا حاولت الجرى بغية الفرار (وعلى كل حال لم يكن بمقدورى أن أهرب لأنه كان ممسكا بذراعى مثل الرذيلة) .

ولكن الموقف كان شنيعا نظرا لأننى أدركت أن هناك أناسا آخرين قريبون للغاية ومع ذلك فلا أحد يدرك الورطة التى وقعت فيها .

وسألنى عما إذا كنت أرغب فى التريض فى أرجاء الحديقة مرة أخرى ، ولكننى هززت رأسى بالنفى ، فقد كنت خائفة للغاية .

وعندما نزلت الى غرفتى السفلية مرة أخرى أردت توضيح المسألة الجنسية بينى وبينه فى صراحة .

وقلت له أنه اذا رغب فجأة فى اغتصابى فإننى لن أقاومه وسأسمح له بأن يفعل بى ما يحلو له ولكننى بعد ذلك لن أتحدث معه على الاطلاق فى حياتى مرة أخرى ، وقلت له إننى أدرك أنه سيخجل من نفسه أيضا ، انه مخلوق بائس وتعيس ، إذ كان يبدو عليه الخجل والارتباك بالفعل وكأنه قد انتهكنى بالفعل وقال لى : « لقد كانت لحظة ضعف من جانبى فقط » ، ولقد جعلته يقرِّ بهزيمته ، ولكنى أراهن على أنه تنفس الصعداء فى ارتياح عندما انطلق خارجا من غرفتى مرة أخرى .

لن يصدق أحد هذا الموقف ، فهو يحبنى حبا مطلقا ، ولكننى أعتبر سيدة الموقف فى كل شىء آخر ، وأنا أدرك أنه يشجعنى على ذلك فهذه وسيلة تجعلنى لا أشعر بالاستياء على النحو الذى ينبغى أن أكون عليه .

ونفس الشىء حدث عندما قمت بالقاء دونالد فجأة فى الماء فى الربيع الماضى ، وبدأت أشعر أنه كان ملِك يدىّ وأننى كنت أعرف كل شىء عنه ،

ولقد شعرت بالضيق عندما انطلق إلى إيطاليا على ذلك النحو بدون أن يخبرني ، ولم يكن سبب شعوري بالضيق هو أنني غارقة في حبه الى درجة هائلة وإنما السبب هو أنه كان على نحو غامض ملكا لي ومع ذلك لم يحصل مني على تصريح له بالسفر .

انه يبقيني في عزلة تامة عن العالم الخارجي ، لا صحف ولا جرائد ولا راديو ولا تليفزيون ، انني أفتقد الأخبار والأنباء على نحو رهيب ، ولم أكن أهتم بالأنباء من قبل على الاطلاق ، ولكنني بدأت أشعر الآن أن العالم قد توقف عن التواجد .

انني أطلب منه في كل يوم أن يحضر لي جريدة ولكن الصحف من بين تلك الأمور التي يصر على حرماني منها ، ولا يوجد مبرر معقول يدعوه لأن يمنع عني الصحف ، الأمر غريب ، وأنا أعرف أنه متشبث برأيه ولن يحضر لي الصحف ، وأعرف أن مطلبي هذا يتوازى مع طلبي منه أن يصطحبني بسيارته لينزلني عند أقرب محطة أتوبيس .

وعلى كل حال سأداوم على طلبي بأن يشتري لي جريدة .

وهو يقسم بالايمان المغلظة أنه أرسل الشيك الى حملة نزع السلاح النووي C. N. D. ، ولكني لا أعرف مدى صدقه ، ولسوف أطلب منه أن يريني الايصال الذي يدل على أنه أرسل الشيك .

حادث هام : لقد طلبت اليوم على الغذاء صلصة وورشستر ، وهو نادرا ما ينسى أن يحضر لي أي شيء أطلبه منه ، ولكني لاحظت عدم وجود صلصة الوورشستر مع طعم الغذاء ، ولذلك فانه ينهض واقفا ويخرج ويفك القفل الذي يمسك بالباب ويجعله مفتوحا ثم يغلق الباب بالمفتاح ويحضر

الصلصة فى السرداب الخارجى ثم يفتح قفل الباب ويعيد غلقه بالمفتاح ويعود الىَّ ، وبعدئذ تبدو عليه الدهشة عندما أضحك .

انه لا ينسى أبدا روتين غلق الأقفال وفتح الأقفال ، وحتى اذا خرجتُ إلى السرداب الخارجى بدون أن تكون يداى مربوطتين فما الذى يمكننى أن أفعله ؟ اننى لا أستطيع أن أحبسه فى الداخل لأننى لا أستطيع الخروج ، الفرصة الوحيدة التى قد تتاح لى هى عندما يدخل الى غرفتى ومعه الصينية ، فهو فى بعض الأحيان لا يقوم بغلق الباب أولا ، لذلك اذا ما تمكنتُ من تخطيه بسرعة فى اتجاه الباب فانه يمكن لى أن أحبسه فى داخل الغرفة وأتربس الباب عليه ، ولكنه لا يبتعد كثيرا من الباب إلا اذا كنت أنا على مسافة بعيدة عن الباب ، وعادة ما كنت أذهب وآخذ الصينية .

ومنذ أيام قليلة لم أذهب لأخذ الصينية منه واكتفيت بالاستناد على الحائط بجوار الباب ، فقال لى : « إبتعدى لو سمحت » ووقف هنالك فى تردد بعض الشىء ، وبعدئذ انحنى فى حرص وحذر شديدين وراح يرقب كل حركة تصدر عنى ثم وضع الصينية فى المدخل ، ثم رجع الى السرداب الخارجى .

وكنت جائعة ، وانتصر هو .

ليس الأمر على مايرام ، لا أستطيع النوم .

كان يوما مسليا على ما يبدو ، حتى فى هذا المكان . لقد التقط لى المزيد من الصور الفوتوغرافية فى هذا الصباح ، وهو يستمتع بذلك بالفعل ، وهو يحب لى أن أبتسم للكاميرا لذلك نظرت مرتين فى شناعة الى الكاميرا ، فلم يشعر بالارتياح لذلك ، وبعدئذ رفعت شعرى لأعلى باحدى يدىَّ متظاهرة بأننى احدى الموديلات ، وقال لى فى جدية : « ينبغى عليك أن تكونى موديلا » وهو لم يدرك أننى كنت أسخر من الفكرة بأكملها .

اننى أعرف السبب الذى جعله يحب مسألة التصوير الفوتوغرافى ، فهو يظن أن ذلك يجعلنى أعتقد أنه ميال للنواحى الفنية ، وهو بالطبع ليس لديه أدنى فكرة عن الأمور الفنية ، أقصد أنه يضعنى فى بؤرة الاهتمام ومركز الاهتمام وذلك هو كل ما فى الأمر ، ولا يوجد لديه خيال فنى أو روح خلاقة .

الأمر غريب وغير طبيعى وشاذ ومخيف ، ولكن هناك نوعًا من العلاقة بيننا ، وأنا أسخر منه وأهاجمه فى تهكم طوال الوقت ، ولكنه يحس ويشعر عندما أكون « مهذبة » ، عندما يتمسك بموقفه ولا يثير غضبى ، ولذلك فنحن ننزلق إلى حالات من المضايقات المازحة التى تتخذ طابع الود غالبا ، ويرجع ذلك إلى أننى أشعر بالوحدة القاسية كما يرجع من ناحية أخرى الى أننى أتعمد ذلك . فأنا أريد له أن يسترخى ويبتعد عن التوتر لأن ذلك من أجل منفعته الذاتية ولأن ذلك قد يجعله يقع فى خطأ ما ذات يوم .. ولذلك فان تصرفى هذا يرجع الى مزيج من الضعف والمكر والخداع والبر والاحسان ، ولكن ذلك يرجع أيضا الى سبب آخر رابع لا أستطيع تحديده على وجه الدقة، وهو سبب لا يمكن أن نقول عنه أنه الصداقة فأنا أمقته وأكرهه كرها شديدا .

ربما هو مجرد المعرفة ، مجرد معرفة قدر كبير من المعلومات عنه ، ومعرفة أى شخص عن كثب يجعل المرء يشعر بشكل تلقائى أنه وثيق الصلة به ، حتى ولو كان يرغب أن يكون ذلك الشخص موجودا فى كوكب آخر .

فى خلال الأيام الأولى لم يكن بمقدورى أن أفعل أى شىء إذا كان هو

موجودا بالغرفة ، كنت أتظاهر بأننى أقرأ فى كتاب ولكن لم يكن باستطاعتى أن أركز ذهنى فى القراءة ، ولكننى الآن أصبحت أنسى فى بعض الأحيان أنه موجود عندى بالغرفة ، فهو يجلس عند الباب وأنا أقوم بالقراءة وأنا جالسة فى الكرسى الخاص بى وعندئذ نبدو وكأننا شخصان متزوجين منذ سنوات عديدة .

وليس هذا يعنى أننى قد نسيتُ الحالة التى يكون عليها الناس الآخرون ، ولكن يبدو أن الناس الآخرين قد فقدوا الحقيقة الواقعة ، الشخص الوحيد الحقيقى فى العالم هو كاليبان .

لا يمكن فهْم ذلك ، انه موجود فقط .

٢٠ أكتوبر :

الساعة الحادية عشر صباحا .

لقد حاولت توا الهرب .

لقد انتظرت لحين قيامه بفتح ترباس الباب الذى يفتح الى الخارج ، ثم قمت بدفع الباب إلى الوراء بعنف شديد بقدر ما أستطيع ، وهو باب مبطن بالمعدن على هذا الجانب فقط وهو مصنوع من الخشب ولكنه ثقيل للغاية ، وتصورت أنه يمكن لى أن أضربه بالباب وأطرحه أرضا اذا فعلت ذلك فى اللحظة المناسبة تماما .

وبمجرد أن بدأ الباب يتحرك للوراء قمت بدفعه بأقصى قوتى فاصطدم به الباب فى ضربة قوية فاندفعت أنا الى الخارج ، ولكن الأمر توقف بالطبع على مدى الدوار والدوخان الذى أصابه وعلى مدى الصدمة التى لحقت به ، ولكنه لم يصب بأى دوار أو صدمة على الاطلاق ، ومن المؤكد أن الضربة قد أصابت كتفه وليس رأسه .

وعلى كل حال فقد تمكن من الامساك بى من ثوبى وفى خلال الثوانى الأولى بظهور ذلك الجانب من شخصيته : العنف والكراهية والتصميم الرهيب على ألا يدعنى أفلت من يديه وألوذ بالفرار ، لذلك قلت له : « وهو كذلك » ثم استعدت رباطة جأشى واستجمعت قواى ورجعت .

وقال : « كنت ستتسببين فى الحاق الضرر والأذى بى ، لأن ذلك الباب ثقيل للغاية » .

فقلت له : « إنك تسبب لى الأذى فى كل ثانية وكل لحظة تحتجزنى فيها هنا » .

فقال : « لقد كنت أظن أن المنادين بحل المشاكل بالطرق السلمية لا يؤمنون بفكرة اللجوء للعنف والحاق الأذى والضرر بالآخرين » .

فاكتفيت بهز كتفى وأشعلت سيجارة .

وكان جسدى كله يرتعش ويرتعد .

وقام هو بتنفيذ كافة روتين الصباح فى صمت ، وقام بدعك كتفه مرة واحدة بشكل واضح بعض الشيء ، وانتهى الموقف عند هذا الحدّ .

وأنا الآن بصدد القيام بالبحث عن قطع من الحجارة السائبة ، إنها فكرة أن أشق نفقا تحت الجدار ، وأنا بالطبع سبق لى البحث عن حجارة سائبة ولكننى لم أبحث فى جدّية تامة ، ولم أتفحص جميع الأحجار حجرا

حجرا فى كل حائط من القمة الى القاع .

الوقت فى المساء ، انه قد خرج من المنزل لتوه ، وكان قد أحضر لى قبل خروجه طعام العشاء الخاص بى ، ولكنه كان ملتزما بالصمت الشديد ، وكان يبدو عليه الاستهجان ، ولقد انفجرت فى الضحك بصوت مرتفع عندما انصرف آخذا معه أطباق العشاء الشاغرة ، إنه يتصرف كما لو كان ينبغى علىّ أن أشعر بالخجل مما أقدمت عليه .

إنه لن يقع مرة أخرى فى خدعة الباب ، لا توجد أية أحجار سائبة ، فكلها متماسكة بالمونة الخرسانية ، وأعتقد أنه قد فكر فى أمر الحوائط مثلما فكر فى باقى الأمور الأخرى .

لقد أمضيت معظم فترات النهار فى التفكير ، فى نفسى وفى الورطة التى أحدقت بى ، وما الذى سيحدث لى ؟ اننى لم يسبق لى أن شعرت بمدى غموض المستقبل بالنسبة لى مثلما شعرت به هنا ، ما الذى سيحدث ؟ ماذا سيحدث لى ؟

وتفكيرى لا ينصب فقط على الحالة التى أنا عليها الآن فى هذا الموقف الذى أمر به ، وانما ينصب تفكيرى أيضا على وضعى عندما يتم إطلاق سراحى من هذا المكان ، ما الذى سوف أفعله ؟ إننى أريد أن أتزوج وأرغب فى انجاب أطفال ، وأريد أن أثبت لنفسى أن جميع حالات الزواج ليست بالضرورة متشابهة مع حالة الزواج ما بين والدى ووالدتى ، إننى أريد أن أتزوج رجلا له عقلية مثل عقلية G. P. ولكن بشرط أن يكون عمره متقاربا كثيرا مع سنى وبشرط أن تكون لوجهه الملامح التى أفضلها وبشرط ألا تكون لديه نقطة الضعف الوحيدة الرهيبة الخاصة به ، ولكننى عندئذ أريد أن

أستخدم مشاعرى إزاء الحياة ، اننى لا أريد استخدام مهاراتى هباء وسُدى أو أريد استخدامها من حيث هى مهارات فقط ، ولكنى أريد أن « أخلق » الفتنة والسحر والجمال ، والزواج وانجاب الأطفال وتحولى الى أم يرعبنى لنفس ذلك السبب ، لأننى بذلك سأنهمك تماما فى المنزل وشئون المنزل وعالم الأطفال الرُّضَّع وعالم الأطفال الأكبر سنا وعالم الطهو واعداد الطعام وعالم التسويق وشراء الحاجيات من السوق ، وأنا لدىَّ إحساس بأننى بقرة كسولة مما قد يجعلنى أرحب بالحياة الزوجية ومما قد يجعلنى أنسى ما كنت أرغب فى تحقيقه ذات يوم وبحيث أصبح مجرد سيدة أنثوية ممتلئة ضخمة الجثة ، أو ربما قد أضطر للقيام ببعض الأعمال البائسة التافهة مثل تزويد الكتب أو المجلات بالصور التوضيحية الزخرفية أو حتى القيام ببعض الأعمال التجارية من أجل الابقاء على سير عجلة الحياة بالمنزل ، أو التحول الى انسانة تعيسة داعرة مدمنة خمور « الجن » مثل والدتى (لا .. لا يمكن لى أن أصبح مثل والدتى) . والأسوأ من ذلك كله أن أصبح شبيهة بكارولين التى جرت على نحو مثير للشفقة وراء الفن الحديث والأفكار والنظريات الحديثة بدون الوصول إلى أى شىء وبدون تحقيق أى شىء لأنها انسانة مختلفة تماما فى حقيقة الأمر ومع ذلك فهى لا تدرك أبدا تلك الحقيقة .

إننى أفكر وأفكر هنا فى هذا القبوْ الموجود تحت الأرض ، واننى أدرك الآن أشياء لم يسبق لى أن فكرت فيها من قبل على الاطلاق .

شيئان اثنان : والدتى ، اننى لم يسبق لى أن فكرت فى والدتى بطريقة موضوعية من حيث هى شخص آخر – على الاطلاق ، فهى كانت دائما الأم التى كرهتها أو التى كنت أشعر بالخجل من تصرفاتها ، ومع ذلك فهى كانت أكثر النساء إثارة للشفقة بين جميع النساء المماثلات اللاتى تقابلتُ معهن أو

سمعتُ عنهن ، اننى لم أعطها أبدا قدرا كافيا من التعاطف ، ولم أقدم لها فى خلال هذه السنة الأخيرة (منذ أن تركت المنزل) نصف الاهتمام الذى أعطيته لذلك المخلوق الحيوانى الكريه الموجود بالدور العلوى خلال هذا الأسبوع الأخير ، إننى أشعر الآن أنه يمكننى أن أغمرها بالحب ، لأننى لم أشعر بالأسف من أجلها والحزن عليها لسنوات عديدة ، وكنت دائما ألتمس العذر لنفسى وكنت أقول لنفسى : « اننى انسانة شغوفة ومتسامحة مع كل انسان آخر وهى الانسانة الوحيدة التى لا يمكن أن أتسامح معها وينبغى أن يكون هناك استثناء للقاعدة العامة ، ولذلك فهذا لا يهم » . ولكن ذلك خطأ بالطبع ، إنها ينبغى أن تكون آخر إنسانة أطبق عليها الاستثناء من القاعدة العامة .

وغالبا ما كنت أشعر أنا ومينّى Minny بالاحتقار نحو والدى بسبب معاملته لوالدتى فى وقاحة ، وكان ينبغى علينا أن نتضرع ونتوسل اليه .

أما الشىء الآخر الذى أفكر فيه فهو G. P. عندما تقابلت معه لأول مرة تحدثت عنه مع كل شخص آخر وقلت عنه أنه انسان رائع للغاية ، وبعدئذ استمرت ردود الفعل وأظن أننى كنت أنظر اليه مثلما تنظر تلميذة عبيطة فى اعجاب شديد لمدرس لها وكأنه بطل من الأبطال ، وبدأ يحدث الشىء الآخر ، وكان الأمر مغرقا فى الاتجاه العاطفى أكثر من اللازم .

لأنه قد أحدث بى تغييرا أكثر من أى شىء آخر أو أى شخص ، بل وأكثر من لندن وأكثر من مدرسة السليد Slade للفنون .

لم يكن الأمر هو فقط أنه قد شاهد قدرا كبيرا للغاية من الحياة وشاهد وعاش تجربة فنية أكبر ، وأنه انسان مشهور ، ولكنه يقول ما يعتقده

على وجه الدقة ، كما أنه يدفعني دائما الى أن أفكر ، وذلك هو الشيء الكبير الرائع ، انه يجعلني أسائل نفسي دائما : كم عدد المرات التى اختلفتُ فيها فى الرأى معه ؟ وبعدئذ أجد نفسى بعد مرور أسبوع أتجادل مع شخص ما آخر بنفس البراهين والحجج التى كان يسوقها ، بل وكنت أحكم على الناس من خلال معاييره .

إنه قد قضى على كل السخافات الموجودة فى داخلى (أو قضى على بعض منها على كل حال) وقضى على أفكارى الغبية فيما يتعلق بالفن والحياة ... والفن الحديث ، وقضى على شؤمى وتخبُّلى . ولقد تغيرت شخصيتى تماما منذ أن قال لى أنه يكره النساء المشئومات المخبلات الى حدّ كبير ، بل اننى تعلمتُ منه نفس الكلمة التى استخدمتها : كلمة Fey أى مشئوم .

لقد أحدث تغييرا فى حياتى بوسائل عديدة للغاية ، سواء أكان ذلك بطرق مباشرة أو من خلال تغييرات راسخة فى طور التنفيذ ، وهى قائمة من الوسائل على النحو الآتى :

١ - اذا كنت فنانا صادقا فانك تعي كيانك كله للفن ، واذا فعلت أى شيء أقل من ذلك فانك لا تكون فنانا ، أو لن تكون « خلاقا أو صانعا » على حدّ تعبير G. P. .

٢ - لا تندفع فى الكلام فى حماس شديد ولا تحاول أن تحدث تأثيرا على الناس من خلال أفكار معينة .

٣ - ينبغى أن تكون يساريا من الناحية السياسية لأن الاشتراكيين هم الناس الوحيدون الذين يبدون اهتمامات بكل ما يقعون فيه من أخطاء ، فهم

لديهم المشاعر والأحاسيس وهم يرغبون فى تحسين أوضاع العالم .

٤ - يجب عليك أن تكون « خلاقا » دائما ويجب أن تتصرف اذا كنت تؤمن بشىء ما ، والتحدث عن التصرف هو شبيه بالمفاخرة بلوحات أنت بصدد القيام برسمها ، وذلك هو أشنع أنواع القوالب والأشكال .

٥ - إذا شعرت بشىء ما بإحساس عميق فأنت لا تخجل من إظهار مشاعرك .

٦ - أنت تتقبل أنك انجليزى ، وأنت لا تدّعى أنك تفضل لو كنت فرنسيا أو ايطاليا أو أى شىء آخر (بييرز يتحدث دائما عن جدته الأمريكية) .

٧ - ولكن يجب عليك ألا تحاول أن تتوافق مع البيئة الاجتماعية السابقة الخاصة بك ، اذ ينبغى عليك أن تقطع الأواصر التى شكلت شخصيتك القديمة والتى تعترض طريقك وطريق شخصيتك الجديدة الخلاقة الابتكارية ، واذا كنت من سكان الضواحى (وأنا أعرف أن والدى ووالدتى من سكان الضواحى - وأعرف أن سخريتهم من سكان الضواحى هو من قبيل التعتيم والتضليل) فانه ينبغى عليك أن تنبذ (تعالج بالكى) الضواحى ، واذا كنت من يبقة العمال فانه ينبغى عليك أن تقضى على روح طبقة العمال الموجودة فى داخل كيانك ، ومهما كانت الطبقة الاجتماعية التى تنتمى اليها فانه ينبغى عليك أن تفعل نفس الشىء لأن الطبقة الاجتماعية هى مسألة بدائية ومتسمة بالسخف والغباء .

ولم يكن الأمر مقصورا علىّ فقط ، أنظر الى تلك المرة التى تقابل فيها صديق لويزى - وهو ابن رجل من عمال المناجم فى ويلز - معه . وكيف أنهما

يتجادلا فى عنف وشراسة مع بعضهما البعض وعندئذ وقفنا جميعا ضد G.P. نظرا لاحتقاره الشديد لطبقة العمال وحياة طبقة العمال . حيث كان يصفهم بأنهم حيوانات وليسوا آدميين ، ودافيد ايفانز قال لى فى تلعثم شديد وقد شحب وجهه أن والدى حيوان لعين وبذلك ينبغى علىَّ أن أزيحه من طريقى ، وقال لى G.P. أننى لم أقم بالحاق الأذى بأى حيوان فى حياتى على الاطلاق وأنه يمكن لى دائما أن أتمكَّن من الحاق الضرر والأذى بالآدميين ، ولكن الحيوانات البشرية تستحق كل العطف ، وبعدئذ جاء الىَّ دافيد ايفانز فى الشهر الماضى معترفا لى بأن المناقشة فى ذلك المساء قد غيَّرته بالفعل .

٨ - ينبغى عليك أن تكره العمل السياسى للقوميات ، وينبغى عليك أن تكره كل شىء فى مجال السياسة والفنون وفى كل مجال آخر لا يتصف بأنه أصيل وعميق وضرورى ، اذ لا ينبغى أن تخصص أى وقت من أجل الأمور التافهة السخيفة ، يجب أن يعيش المرء حياة جادة بحيث لا يذهب لمشاهدة الأفلام السخيفة حتى ولو كان يرغب فى مجرد الترويح عن نفسه ولا يقرأ الصحف والجرائد الحقيرة التافهة ولا يصغى للكلام الفارغ الذى يُبثّ فى المذياع والتلفزيون ولا يضيع وقته فى مناقشة الموضوعات التافهة ، بمعنى أن المرء ينبغى عليه أن « يستخدم » حياته فى الاتجاه الصحيح .

ومن المؤكد أننى كنت أرغب دائما فى الايمان بتلك الأمور ، ولقد كنت أؤمن بالفعل بهذه الأمور على نحو ما غامض قبل أن أتقابل معه ، ولكنه قد جعلنى أؤمن بهذه الأمور ، وانها الفكرة التى غرسها فى ذهنى هى التى تجعلنى أشعر بالذنب عندما أخرق هذه القواعد .

واذا كان هو الذى جعلنى أؤمن بهذه القواعد فان ذلك معناه أنه قد شكل الجزء الأكبر فى داخل شخصيتى الجديدة .

اذا كانت لى أمّ فى العماد خرافية - أرجوها أن تجعل .G.P أصغر فى السن بمقدار عشرين عاما وأن تجعله جذابا فى نظرى من الناحية الجسدية .

كم هو سيحتقر ذلك !!

إنه لأمر غريب (وإننى لأشعر بالذنب بعض الشىء) ولكننى كنت أشعر اليوم أننى أكثر سعادة مما كنت عليه فى أى وقن مضى منذ أن جئت الى هنا ، إنه شعور - بأن كل شىء سينتهى على مايرام ، وكان السبب فى ذلك يرجع فى أحد جوانبه الى أننى فعلت شيئا ما فى هذا الصباح حيث حاولت الهرب ، وبعدئذ تقبَّل كاليبان ما حدث ، أقصد أنه إذا كان ينوى مهاجمتى لكان قد فعل ذلك بكل تأكيد فى وقت ما عندما يكون لديه سبب يكفى لأن يشعر بالغضب ، مثلما شعر بالغضب فى هذا الصباح ، إنه يتمتع بضبط النفس الى حد كبير .

وأنا أدرك أيضا أننى أشعر بالسعادة لأننى لم أكن موجودة هنا فى معظم أوقات النهار ، حيث كنت أفكر فى معظم الأوقات فى .G.P . كنت أفكر فى العالم الخاص به وليس فى العالم الموجود هنا فى هذه الغرفة السفلية ، ولقد تذكرت قدرا كبيرا من الأمور والمواقف ، وكنت أتمنى لو قمت بكتابة وتسجيل كل تلك الذكريات ، لقد رحت أنهل فى الذكريات وأغرق فيها فى نهم وشراهة ، فهذا العالم الذى أعيش فيه تحت الأرض قد جعل العالم يبدو حقيقيا للغاية ومليئا بالحيوية والجمال للغاية بل وحتى النواحى الكريهة المنحطة به بدت لى جميلة .

كنت أشعر بالسعادة لسبب آخر وهو أننى كنت منهمكة فى مشاعر الغرور الرديئة التى اجتاحتنى وكنت أتذكر كلاما قاله لى .G.P وأناس آخرون ، وكنت أدرك أننى إنسانة غير عادية بعض الشيء وأدرك أننى إنسانة ذكية وأننى قد بدأت أفهم جوانب الحياة على نحو أفضل من معظم الأشخاص الذين هم فى نفس عمرى ، بل وكنت أدرك أننى لن أكون سخيفة للغاية بحيث أشعر بالغرور إزاء ذلك وانما سأشعر بالامتنان والشكر والغبطة الجامحة (وخاصة بعد هذا الذى حدث لى) لأننى مازلت على قيد الحياة ومازلت الشخصية التى أنا عليها .. ميراندا الفريدة من نوعها .

ولن أدع أى شخص يدرك هذا أبدا ، حتى ولو كانت هذه هى الحقيقة لأن ذلك سيبدو بالتأكيد نوعا من الغرور .

تماما مثلما لا أدع الفتيات الأخريات يدركن أننى أعرف أننى جميلة وجذابة فلا أحد يعرف أننى فعلت كل ما فى استطاعتى لكى لا أستغل هذه الميزة ، فقد تغاضيت فى وقاحة عن عيون الشباب والرجال الجائلة بل وتغاضيت عن أجمل العيون وأظرفها .

مينّى : ذات يوم عندما رحت أتكلم فى اندفاع وحماس عن فستانها لدى انصرافها للذهاب للرقص فانها قالت : « كفى عن هذا الكلام فأنت جميلة للغاية حتى أنك لست بحاجة لأن تجربى ارتداء ذلك الفستان » .

ويقول .G.P : « أنت لك كل نوع من أنواع الوجوه » .

٢١ أكتوبر :

إننى أجعله يطبخ الطعام على نحو أفضل ، حظْر مطلق على الأطعمة المجمدة ، ويجب أن أحصل على الفواكه والخضراوات الطازجة ، وأتناول البوفتيك واللحوم والأسماك المشوية ، كما أتناول سمك السلمون ، ولقد أمرته أن يحضر لى كافيار بالأمس ، ومما يزعجنى أننى لا أستطيع أن أتذكر عددا كافيا من الأطعمة النادرة التى لم يسبق لى تناولها والتى كنت أرغب فى تناولها .

إننى شرهة للطعام .

الكافيار رائع للغاية .

لقد أخذت حمًّاما آخر ، إنه لا يجرؤ على الرفض وأظن أنه يعتقد أن « السيدات » يسقطن ميتات إذا لم يأخذن حماما عندما يرغبن فى الحصول على حمام .

لقد وضعت رسالة فى أسفل هذا المكان ، ووضعت تلك الرسالة فى زجاجة صغيرة من البلاستيك بها ياردة من شريط أحمر ملفوف حولها ، وآمل أن تُفك لفائف هذه الرسالة وبحيث يشاهدها شخص ما ، فى مكان ما ، فى وقت ما . ينبغى عليهم أن يعثروا على مكان هذا المنزل المنعزل بسهولة ، وهو كان غبيا عندما حدثنى عن التاريخ الموجود عند باب ذلك المنزل ، وكان علىَّ أن أنهى كلامى بقولى : « هذه ليست خدعة لايقاع شخص فى مقلب » . وكان من الصعب تماما ألا أجعل تلك العبارة تبدو وكأنها نكتة سخيفة ، وقلت فى رسالتى أن أى شخص يقوم بالاتصال تليفونيا بأبى لاخباره سيحصل على

مكافأة مالية قدرها ٢٥ جنيها . وأنا سأقوم باطلاق زجاجة الى البحر [هم. م. م.] فى كل مرة أحصل فيها على حمَّام .

إنه قد انتزع كل الزينات النحاسية البراقة الموجودة فى منبسط الدرج والسلالم ، كما انتزع اللوحات الزيتية الرهيبة القرمزية - البرتقالية - التى تعبر عن قرى الصيد الماجوركية Majorcan ويتنهد هذا المكان المسكين بالارتياح .

إننى أحب أن أكون موجودة بالدور العلوى ، فهو مكان يقربنى أكثر نحو الحرية . كل شىء مغلق بالأقفال والترابيس ، وجميع النوافذ الموجودة فى واجهة المنزل لها شيش داخلى ، أما النوافذ الأخرى فهى مغلقة بالأقفال . [مرت سيارتان فى هذه الليلة ، ولكن من المؤكد أنه طريق ليست له أهمية على الاطلاق] .

ولقد بدأت أيضا فى تعليمه ، ففى هذه الليلة وفى غرفة الجلوس [وكانت يداى مربوطتين بالطبع] رحنا نتصفح كتابا عن الرسومات واللوحات الفنية ، مقدرته العقلية محدودة ، ولا أعتقد أنه يصغى لكلامى جيدا ، إنه يفكر فى جلوسه بالقرب منى مع بذل الجهد لأن يكون قريبا منى بدون أن يتلامس معى ، لا أعرف ما اذا كان الدافع وراء ذلك هو الجنس أو الخوف من أننى أضمر له خدعة معينة .

واذا انصب تفكيره على اللوحات فانه يبادر بالموافقة على كل كلام وكل رأى أبديه . فاذا قلت له أن لوحة دافيد التى رسمها مايكل أنجلو هى بمثابة طاسة للقلى فانه يقول : « أدرك ذلك » .

هذه النوعيـة من الناس ، من المؤكد أننى وقفت فى الطابور الى جوارهم فى محطة السكة الحديد للقطار الذى يسير تحت الأرض ومن المؤكد أننى أمر الى جوارهم فى الشوارع وبالطبع فأنا كنت أسمع كلامهم مصادفة وكنت أدرك أنهم موجودون ، ولكننى لم أكن أؤمن حقا بأنهم موجودون ، كنت عمياء تماما ، لم يخطر على بالى مطلقا أن اختطافى كان أمرا يمكن حدوثه .

حوار : كان جالسا وكان لايزال ينظر الى الكتاب بنظرة تنم على أن الفن هو أمر مدهش ورائع للغاية [وذلك استرضاء لى وليس لأنه يؤمن بذلك بالطبع] .

ميراندا : هل تعرف ما هو الشىء الغريب حقا فى هذا المنزل ؟ إن الشىء الغريب فى هذا المنزل هو أنه لا يوجد به أية كتب ، باستثناء الكتب التى اشتريتها لى .

كاليبان : توجد بعض الكتب فى الدور العلوى .

ميراندا : عن الفراشات .

كاليبان : كتب أخرى .

ميراندا : قليل من الروايات البوليسية التافهة ، ألم تقرأ أبدا كتبا ممتازة - كتبا حقيقية صادقة ؟ [فترة صمت] .. كتبا تدور حول موضوعات هامة من تأليف أناس يشعرون شعورا صادقا نحو الحياة ويؤمنون بها .. وليست كتبا ورقية الغلاف من النوع الذى يقرأ ه المرء ليقتل الوقت أثناء رحلة بالقطار ، ألم تقرأ كتبا جادة ؟

كاليبان : اهتماماتى تنصب أكثر على الكتب والروايات الخفيفة [انه يشبه أحد أولئك الملاكمين فهو على استعداد لتقبل الهزيمة والاطاحة به على الأرض والانهزام بالضربة القاضية] .

ميراندا : يمكنك الى حد بعيد أن تقرأ كتابا تحت عنوان : الصيلد فى الجاودار The Catcher in the Rye . وأنا كدت أن أنتهى من قراءته . وهل تعلم أننى قد قرأته مرتين بينما كنت أنا أصغر منك فى السن بخمس سنوات؟

كاليبان : لسوف أقرأ ذلك الكتاب بالتأكيد .

ميراندا : ذلك ليس عقابا .

كاليبان : لقد تصفحته قبل أن أشتريه .

ميراندا : ولم تحبه .

كاليبان : لسوف أحاول قراءته .

ميراندا : أنت تجعلنى أشعر بالضيق والغثيان .

وبعدئذ سادت فترة صمت ، وأحسست أننى غارقة فى أوهام غير حقيقية وكما لو كان الموقف بمثابة مسرحية بينما أنا لا أستطيع أن أتذكر دورى فى داخل تلك المسرحية .

وكنت قد سألته فى وقت مبكر من هذا اليوم عن السبب الذى يدعوه لجمع الفراشات :

كاليبان : للحصول على طبقة لطيفة من الناس .

ميراندا : لا يمكن لك أن تجمع الفراشات من أجل ذلك السبب فقط .

كاليبان : إن الأمر يرجع الى مدرس كان يدرس لى عندما كنتُ صبيا ، وقد أوضح لى طريقةاصطياد الفراشات ، وكان هو يجمع الفراشات بنفسه ، ولم أكن أنا أعرف الكثير عن وسائل جمع الفراشات ، وكنت لاأزال أطبق

الأسلوب القـديم والأسلوب القـديم له عـــلاقـة بالزاوية التى تكون عليـهـــا الأجنحة، أما الطريقة الحديثة فهى تركز على اصطياد الفراشات عندما تكون الأجنحـة فى وضـع الزوايا القـائمـة ، وكذلك كان عمى مـهـتمـا بالطبيـعة ، وهو دائما ما كان يساعدنى .

ميراندا : يبدو أن عمك إنسان لطيف .

كاليبان : دائما ما يكون الناس المهتمون بشئون الطبيعة أناسا ظرفاء وطيبين ، أنظـــرى الى أســـاتذة قسم الحشـــرات ، إنه قسم الأنتومولوجى (الحشرات) فى جمعية التاريخ الطبيعى ، إنهم يعاملون الناس معاملة طيبة ولا ينظرون الى الناس فى ازدراء ، لا شىء من هذا القبيل على الاطلاق .

مـيراندا : إنهم لا يتـصـفـون بالظرف والطيـبة دائـما [ولكنه لم يفـهم المعنى الذى أهدف اليه] .

كـاليـبـان : ربما تكونى قـد تعـاملت مع الناس المتـعـالين بينهم ، ولكن معظمـهم أناس طيبون كما قلت لك ، فـهم طبقة من الناس أفـضل من باقى الناس الذين تقابلتُ معهم .. تقابلتُ معهم بالطريقة العادية .

ميراندا : ألم يشعر أصدقاؤك باحتقار نحوك ؟ ألم يحتقرك أصدقاؤك؟ ألم ينظروا اليك على أنك إنسان مخنث ؟

كاليـان : لم يكن لى أى أصدقاء على الاطلاق ، فهم مـجرد أناس كنت أعمل معهم [وبعد برهة قال أنهم كانوا يطلقون النكات السخيفة] .

ميراندا : مثل ماذا ؟

كاليبان : مجرد نكات سخيفة .

ولم أستمر فى الحوار معه ، أحيانا تكون لدى رغبة عارمة فى الغوص فى أعماق نفسيته واستخلاص أشياء من أعماقه لا يرغب فى التحدث عنها ، ولكن ذلك أمر سيىء لأنه يوحى وكأننى أهتم به وبحياته التعيسة المليئة بالخبل والجنون .

عندما يقوم الانسان باستخدام الكلمات بهدف التعبير تحدث الثغرات والفجوات ، الطريقة التى يجلس بها كاليبان تتخذ وضعا معينا يجمع ما بين الانحناء والاعتدال - فلماذا يجلس على ذلك النحو ؟ هل بسبب الخجل والارتباك ؟ هل لكى يتمكن من القفز علىّ اذا حاولت الهرب ؟ يمكن لى أن أرسم الوضع الذى تكون عليه جلسته ، ويمكن لى أن أرسم وجهه والتعبيرات التى تبدو على وجهه ، ولكن الكلمات تستخدم كثيرا للغاية ، ولقد استخدمت فيما يتعلق بالكثير للغاية من الأشياء والناس . اننى اذا كتبتُ عبارة [لقد ابتسم] فما الذى تعنيه تلك العبارة ؟ إنها لا تعنى شيئا أكثر من مجرد رسم على ملصق معلق على حائط باحدى دور الحضانة ، وهو رسم لنبات اللِّفت به ابتسامة لفم هلالى ، ولكنك اذا قمت برسم الابتسامة ...

الكلمات تكون فجة وفظة للغاية بل وبدائية وشنيعة اذا ما قورنت بالرسم والتصوير والنحت ، « جلستُ على سريرى وجلس هو بجوار الباب وتحدثنا معا وحاولت اقناعه بأن يستخدم نقوده فى تعليم نفسه وقال أنه سيفعل ذلك ولكننى لم أقتنع بأنه سيفعل ذلك » .. إنه مثل الرسم الملطخ المتسخ المخربط .

مثل محاولة الرسم باستخدام سلك مكسور ، كل هذا هو التفكير الداخلى الخاص بى .

اننى بحاجة لأن أشاهد G. P. فهو على استعداد لأن يزودنى بأسماء أفضل عشرة كتب ، الكتب التى أجمع الناس على أنها أفضل أنواع الكتب .

كم أنا أكره الجهل الى أقصى حدّ ، إننى أكره جهل كاليبان وأكره جهلى وأكره جهل العالم ، أوه ، باستطاعتى أن أدرس وأتعلم وأتعلم الى ما لا نهاية ، إننى أصيح من كل أعماقى قائلة : إننى أريد أن أتعلم الكثير للغاية .

مكبلة بالقيود فى يدىّ وبالكمامة فى فمى لسوف أعيد هذه المذكرات الى مكانها تحت المرتبة فى سريرى حيث تعيش هنالك ، وبعدئذ سأصلى لله العظيم لينعم علىّ بالعلم والمعرفة .

٢٢ أكتوبر :

بحلول هذا اليوم يكون قد انقضى أسبوعان على وجودى هنا ، لقد وضعت علامات ترمز للأيام على جانب الستارة مثلما فعل روبنصون كروزو .

أشعر بالاكتئاب والهمّ الشديد ، والأرق ينتابنى باستمرار ، ينبغى وينبغى وينبغى علىّ أن ألوذ بالفرار .

وجهى آخذ فى الشحوب الشديد ، وأشعر أننى مريضة وضعيفة طوال الوقت .

هذا الصمت الرهيب .

قلبه يخلو من الرحمة تماما ، وهو إنسان غامض للغاية ولا يمكن سبرْ أغواره على الاطلاق ، ما الذى يريده ؟ وماذا سيحدث ؟

من المؤكد أنه يدرك أن المرض بدأ يزحف عليَّ .

لقد قلت له فى هذا المساء أنه ينبغى عليَّ أن أحصل على قدر من ضوء النهار ، ودفعته لأن ينظر اليَّ ليرى بنفسه مدى الشحوب الذى ظهر على وجهى .

غدا غدا غدا .. إنه لا يقول أبدا : « حالا .. على الفور .. الآن » .

وخطر على ذهنى اليوم أنه ربما سيحتفظ بى ويبقى عليَّ هنا الى الأبد ، واذا فعل ذلك فإننى لن أبقى هنا لفترة طويلة لأننى سرعان ما سأتعرض للموت الأكيد ، إن الاحتفاظ بى هنا أمر سخيف للغاية وهو أمر شيطانى ووحشى وشرير تماما - ولكن لا توجد وسيلة تعيننى على الهرب ، ولقد قمت بالبحث عن أحجار سائبة مرة أخرى ، كان باستطاعتى أن أحفر نفقا عند الباب يؤدى الى خارج الغرفة ، ولكنه يجب أن يبلغ طوله عشرين قدما على الأقل ، وكل ذلك التراب ، اننى سأقع فى الشراك فى داخل ذلك النفق ، ولن أتمكن أبدا من حفر هذا النفق ، إننى أفضل الموت عليَّ أن أقوم بحفر النفق ، إذن يجب أن يتم حفر نفق عند الباب ، ولكى أفعل هذا يجب أن يكون لدى متسعا من الوقت ، وينبغى أن أتأكد من بقائه بعيدا عن المنزل لمدة ست ساعات على الأقل ، ثلاث ساعات من أجل حفر النفق وساعتان من أجل النفاذ من الباب الخارجى ، إننى أشعر أنها أفضل فرصة أمامى وأدرك أنه ينبغى عليَّ ألا أضيّع تلك الفرصة وألا أتلفها من خلال النقص فى الإعداد والتجهيز .

لا أستطيع أن أنام .

يجب عليَّ أن أفعل أى شىء .

٢٣ أكتوبر :

إننى سبب البلاء والشتاء ، إننى مومس وعاهرة ، من وجهة نظر كاليبان ، لا توجد أى رحمة من جانبه ، وأسوأ الأمور جميعا هو أننى لا يتوافر لى الانعزال بالنسبة للأمور الخصوصية ، ولقد دفعته لأن يسمح لى بالتريض فى السرداب فى هذا الصباح ، وأظن أننى سمعت جرارا يعمل ويدور وسمعت صوت عصافير ، والعصافير تدل على سطوع ضوء النهار ، كما سمعت صوت طائرة ، وكنت غارقة فى الدموع .

عواطفى مقلوبة رأسا على عقب وفى حالة من الفوضى والاضطراب ، مثل القرود الخائفة المحبوسة فى قفص . شعرت أننى بصدد التعرض للجنون فى الليلة الماضية ، وكتبتُ وكتبتُ وكتبتُ نفسى فى العالم الآخر ، لكى أهرب بالروح إذا لم أستطع أن أهرب بالروح والجسد معا ، ولكى أبرهن على أن روحى مازالت موجودة .

وكنت قد قمت بعمل اسكتشات تمهيدية من أجل لوحة سأقوم برسمها عندما أصبح حُرة طليقة ، لوحة تعبّر عن منظر لحديقة من خلال فتحة باب ، التعبير بالكلمات عن تلك اللوحة يبدو أمرا سخيفا ، ولكننى أرى تلك اللوحة وكأنها شىء ما خصوصى للغاية : يسودها اللون الأسود واللون البنى المائل للاصفرار واللون الرمادى الداكن مع وجود أشكال غامضة لها زوايا حادة فى مساحة من الظل تؤدى الى المساحة المربعة الشكل للباب الملىء بالضوء وهو ضوء أبيض عسلى هادىء بعيد ، نوع من الشعاع الأفقى للضوء .

أمرته بالانصراف عقب العشاء ، وكنت أضع اللمسات الأخيرة لدى انتهائى من رسم لوحة إيمًا Emma ، انها إيمًا وودهاوس Emma Woodhouse . إننى أعطف عليها وأشاركها الأحزان وأشعر بها ومن خلالها ، أنا لدى نوع مختلف من التنفجية (*) ولكننى أفهم تنفجيتها ، وأفهم تمسكها حتى الازعاج بالمبادىء والسلوك الحسن مع ازدرائها انفسها وللآخرين ، وأعجب بتلك الاتجاهات التى تتسم بها ، وأنا أدرك أنها تفعل بعض الأمور الخاطئة وأنها تحاول تنظيم حياة أناس آخرين ، فهى لا تستطيع أن تدرك أن المستر نايتلى لا يوجد نظير له سوى واحد فى كل مليون شخص ، وهى سخيفة مؤقتا ،مع ذلك فان المرء يدرك طوال الوقت أنها تتسم أساسا بالذكاء والحيوية ؛ فهى إنسانة خلاقة وهى مصممة على خلق المعايير ذات المستوى الرفيع ، فهى انسانة حقيقية وبمعنى الكلمة وأخطاؤها هى أخطائى : وينبغى علىَّ أن أجعل فضائلها هى فضائلى .

٢٤ أكتوبر :

ها هو يوم ردىء آخر ، وحرصتُ على أن يكون يوما رديئا بالنسبة لكاليبان أيضا ، وهو فى بعض الأحيان يثير أعصابى لدرجة أننى أصرخ فى وجهه ، ولم يكن الأمر يرجع أساسا إلى الطريقة التى ينظر بها وإن كانت نظراته سيئة بالقدر الكافى ، وهو دائما ما يبدو محتشما ومؤدبا للغاية ودائما

ما تظهر فى بنطلونه التجعدات ودائما ما تكون قمصانه نظيفة ، وأعتقد أنه سيصبح أكثر سعادة لو ارتدى قمصانا لها ياقات منشاة ، وهو لا يرتدى مثل هذه الياقات المنشاة على الاطلاق ، وهو من النوع الذى يظل واقفا لفترات طويلة بل هو أكثر الناس الذين يقفون فى تسكع والذين شهدتهم فى حياتى، ودائما ما يرتسم تعبير « أنا آسف » على وجهه مما يجعلنى أبداً فى الادراك بأن هذا هو رضا واطمئنان حقيقى من جانبه ، أو هو انتهاج مطلق لأنه تمكَّن من وضعى تحت سيطرته وأصبح قادرا على قضاء اليوم بأكمله فى الحملقة فى وجهى وتكرار ذلك فى جميع الأيام ، وهو لا يهتم بما قد أقوله أو أحس به - فأحاسيسى لا معنى لها بالنسبة له - لأنه قد امتلكنى فى حقيقة الأمر واستحوذ علىَّ .

كان بمقدورى أن أسبه وألعنه طوال اليوم صارخة فى وجهه ، وهو لم يكن يأبه لذلك على الاطلاق ، فهو لا يريد سوى شكلى وكيانى من الناحية الخارجية الظاهرية وليس عواطفى وأحاسيسى أو عقلى أو روحى أو حتى جسدى ، ولا أى شىء له الطابع الانسانى .

إنه جامع للفراشات ، وذلك هو الشىء الميت الهائل فى داخل كيانه .

كما أن طريقته فى التكلم تسبب لى ضيقا وإزعاجا شديدا ، فهو يستخدم الكليشيهات اللغوية ... كليشيها وراء كليشيه وكلها كليشيهات قديمة ومن طراز قديم عفا عليه الزمن كما لو كان قد قضى كل حياته مع أناس يتجاوز عمرهم الخمسين عاما ، وفى فترة تناول الغداء فى هذا اليوم قال : « لقد سألت عن الأسطوانات التى وضعوها فى قائمة الأشياء المطلوبة » .

فقلت له : « لماذا لا تكتفى بالقول (لقد سألت عن تلك الأسطوانات التى طلبتها » .

فقال : « إننى أدرك أن لغتى الانجليزية ليست سليمة ، ولكننى أحاول أن أجعلها سليمة » .

وذلك يلخص شخصيته وموقفه ، فمن المؤكد أنه كان يرغب فى أن يكون على صـــواب وأن يفعــل ما هو « سليم » وما هو « لطيف » قبل أن تتم ولادة كل منا .

وأنا أدرك أن ذلك أمر مثير للشفقة والحزن ، وأدرك أنه ضحية لعالم ريفى تعيس بروتستانتى وضحية لطبقة إجتماعية تعيسة وبائسة ، التقليد الأعمى الرهيب الجبان والرامى الى تقليد الطبقة الراقية والموجود بين الطبقات الاجتماعية ، ولقد تعودتُ على أن أعتقد أن الطبقة الاجتماعية التى ينتمى لها والدى ووالدتى هى أسوأ الطبقات الاجتماعية ، فهى طبقة مليئة بلعبة الجولف ومشروب الجن ولعبة البريدج والسيارات ولهجة النطق السليمة والنقود الملائمة والالتحاق بالمدرسة المناسبة والكراهية للفنون (والمسرح ليس سوى التمثيل الصامت فى الكريسماس ومسرحية « مّى القش » التى تقدمها فرقة المدينة المسرحية – والكلمات الشائعة القذرة لكل من بيكاسو Picasso وبارتوك Bartók (*) اللهم إلا اذا كنت لا تريد أن تضحك ملء شدقيك) .

نسيت أن أكتب عن ذلك الكابوس أو الحلم المزعج الذى حلمته فى الليلة الماضية ، ويبدو أننى أتعرض دائما للكوابيس والأحلام المزعجة فى الفجر وهذا أمر يتعلق بفساد الهواء فى هذه الغرفة والذى ينجم عن حبسى فيها طوال الليل .

اننى أشعر بالارتياح عندما يجىء الىّ ويصبح باب غرفتى مفتوحا وتبدأ مروحتى فى الحركة ، ولقد طلبت منه كثيرا أن يسمح لى بالخروج مباشرة لكى أستنشق الهواء فى السرداب ولكنه دائما ما كان يجعلنى أنتظر لحين انتهائى من تناول طعام الافطار) .

كان الحلم على هذا النحو ، لقد انتهيت من رسم لوحة ، ولا أستطيع أن أتذكر الشكل الذى كانت عليه هذه اللوحة ولكننى كنت مسرورة للغاية منها ، وكانت اللوحة موجودة فى منزلى ، ثم ذهبت إلى خارج المنزل وبينما كنت بالخارج أدركت أن هناك شيئا ما خاطىء فاضطررت إلى العودة إلى منزلى ، وعندما اندفعت إلى داخل غرفتى كانت والدتى جالسة هنالك إلى منضدة بيمبروك Pembroke (*) (وكانت مينّى واقفة عند الحائط وقد ظهر عليها الرعب الشديد ، وأظن أن G. P. كانَ موجودا هناك أيضا كما كان هناك أيضا أناس آخرين لسبب ما معين) ، وكانت اللوحة ممزقة إربا إربا - شرائط طويلة هائلة من قماش الرسم ، وكانت والدتى تضرب بالمقص الخاص بتقليم المزروعات فوق سطح المنضدة وأدركتُ أنها كانت شاحبة الوجه بسبب ما يعتمل فى داخلها من غضب شديد ، فشعرت أنا أيضا بنفس مشاعر الغضب ، بأشد أنواع الغضب والكراهية .

وبعدئذ استيقظتُ من النوم ، ولم يسبق لى أن شعرت بمثل هذا الغضب العارم تجاه والدتى - أذ كان يفوق ذلك الغضب الذى اجتاحنى فى

ذلك اليوم عندما كانت والدتى مخمورة وضربتنى أمام ذلك الولد الكريه الذى يسمى كاتسبى ومازلت أذكر وقوفى هنالك بينما وقع صفعتها مازال جاثما على خدّى حيث كنت أشعر بالخجل والغضب الشديدين والصدمة الهائلة وغير ذلك من المشاعر المتعددة ... ولكنى مع ذلك كنت أشعر بالأسف من أجلها ، فذهبت وجلست بجوار سريرها وأمسكت بيدها وجعلتها تبكى وغفرت لها ودافعت عن موقفها ازاء والدى وأختى مينى ، ولكن هذا الحلم بدا لى وكأنه حقيقى للغاية وطبيعى على نحو رهيب .

ولقد صبرت على محاولاتها الرامية لمنعى من أن أصبح فنانة ، الآباء والأمهات دائما ما يسيئوا فهم أبنائهم وبناتهم . (لا .. إننى شخصيا لن أسيء فهم أبنائى وبناتى) . وكنت أدرك أنه من المفروض لى أن أصبح الابن والطبيب الجراح الذى لم يستطع والدى المسكين أن يكونه ، ولسوف تصبح كارمن طبيبة جراحة الآن ، أعنى أننى قد غفرت لهما كفاحهما ضد طموحى من أجل تحقيق طموحاتهما ، ولقد كسبت أنا الجولة ومن ثم يجب علىّ أن أغفر لهما .

ولكن تلك الكراهية فى ذلك الحلم ، لقد كانت كراهية حقيقية للغاية .

اننى لا أعرف كيف أطرد تلك الكراهية من داخل كيانى ، كان بمقدورى أن أقص ذلك على G. P. ولكن لا يوجد سوى الخربشة المترنحة لقلمى على هذه الوسادة .

لا يمكن لأى فرد لم يعش فى سجن تحت الأرض أن يدرك أو يفهم مدى الصمت المطبق الشديد الذى يوجد هنا تحت الأرض ، لا يوجد أى

(*) مثل المناضد الموجودة فى مقاطعة بمبروكشاير .

صوت ، لذلك فأنا أشعر أننى قريبة للغاية من النوت ، أشعر أننى مدفونة تحت الأرض ، لا يوجد أى صوت مترام من الخارج يساعدنى على الشعور بأننى أعيش ، وغالبا ما أضع أسطوانة فى جهاز التسجيل ليس بهدف أن أستمع للموسيقى ولكن بهدف أن أسمع أى شىء .

وكثيرا ما يجتاحنى وَهْم غريب الشأن ، اذ أعتقد أننى قد أصبتُ بالصمم ، فأضطر الى أن أحدث ضوضاء ضئيلة للغاية لكى أبرهن لنفسى على أننى غير مصابة بالصمم ، وأسلّك صوتى لكى أبين لنفسى أن كل شىء على مايرام وطبيعى للغاية ، الأمر شبيه بتلك الفتاة اليابانية الصغيرة التى عثروا عليها بين خرائب هيروشيما ، كان الموت والدمار يغلف ويحدق بكل شىء بينما كانت هى تغنى لعروستها .

٢٥ أكتوبر :

يجب ويجب وينبغى وينبغى أن أهرب .

قضيت الساعات والساعات اليوم فى التفكير فى أسلوب يعيننى على الهرب ، أفكار جامحة ، إنه انسان ماكر ومخادع للغاية وعلى نحو لا يمكن تخيله أو تصديقه ، إنه مثل الجهاز الذى لا يتعطل حتى مع سوء استعماله .

ينبغى أن يبدو علىَّ وكأننى لا أفكر فى الهرب ولا أحاول الهرب على الاطلاق ، ولكننى لا أستطيع أن أحاول الهرب فى كل يوم وتلك هى المشكلة ، ويجب علىَّ أن أترك فترة زمنية ما بين المحاولات الرامية للهرب ، وكل يوم يمر علىَّ هنا هو بمثابة أسبوع بالخارج .

لا فائدة ترجى من وراء العنف ، ينبغى علىَّ أن ألجأ الى المكر والدهاء والخداع .

لا يمكن لى أن أكون عنيفة وجها لوجه ، الفكرة فى حد ذاتها تجعلنى أشعر أن ركبتى ضعيفتان ، أذكر أننى كنت أتجول مع دونالد فى مكان ما فى الايست إند East End عقب زيارتنا للكنيسة البيضاء فشاهدنا مجموعة من الناس يقفون حول شخصين من الهنود غى المرحلة المتوسطة من عمرهما ، وكان هؤلاء الأشخاص يصيحون فى الهنديين ويطاردونهما ويدفعونهما من فوق الرصيف إلى عرض الشارع ، وعندئذ قال دونالد : « ما الذى يمكننا أن نفعله » .. وتظاهرنا نحن الاثنان بعدم المبالاة وحاولنا أن نسارع مبتعدين ، ولكن الموقف كان بهيميا ولا أخلاقيا كان عنفهم لا أخلاقيا وكان خوفنا من العنف لا أخلاقيا أيضا ، ولو أنه جاء الىَّ الآن وركع أمامى وناولنى القضيب المعدنى فاننى لا أستطيع أن أضربه .

لا فائدة تُرجى ، لقد كنت أحاول الخلود إلى النوم على مدى النصف ساعة الأخيرة ولكن دون جدوى ، الكتابة هنا هى نوع من التخدير أو المخدرات الميكِّنة ، إنها الشىء الوحيد الذى أتطلع اليه فى شغف ، وفى فترة ما بعد ظهر هذا اليوم رحت أقرأ ما كتبته عن G. P. فى اليوم السابق على البارحة ، وبدا لى ما كتبته مفعما بالحيوية والاشراق ، وما كتبته يبدو حيويا لأن خيالى كان يغطى كل نواحى النقد الفنى التى لن يفهمها شخص آخر ، أعنى أنه الزهو والغرور ، ولكن يبدو أن مقدرتى على استرجاع الماضى الخاص بى تعتبر نوعا من السحر ، وكل ما هنالك أننى لا أستطيع العيش فى الزمن أو الوقت الحاضر هذا ، لأننى اذا عشت فى هذه اللحظة الحاضرة سأتعرض للجنون .

لقد ظللت أفكر اليوم فى تلك الفترة التى اصطحبت فيها بييرز وأنطوانيت لكى يقابلانه ، الجانب المظلم منه ، لا ، لقد كنت غبية ، فهما قد وصلا الى الهامبستيد لكى يتناولا القهوة وكان علينا أن نذهب الى ايفريمان ولكن الطابور كان طويلا للغاية ولذلك سمحت بهما بأن يرهبانى بالصياح والعبوس لكى آخذهما لمقابلته .

لقد كان غرورا من جانبى ، لقد تحدثت كثيرا للغاية عنه ، حتى بدآ يعتقدان أننى لا يمكن لى أن أكون ودية للغاية مهما آذا كنت أخشى من اصطحابهما لمقابلته ، وأنا خُدعتُ بكلامهما .

وأدركتُ أنه لم يكن مسرورا عند الباب ولكنه دعانا للدخول ، وكان الأمر رهيبا ، رهيبا بمعنى الكلمة ، وكان بييرز ماهرا ومراوغا وتافها وكانت أنطوانيت بنت عفريتة ومحبة للمداعبة الجنسية ، وحاولت أن ألتمس المبررات والأعذار للجميع ، وكان G. P. فى حالة نفسية غير عادية وغير طبيعية ، وكنت أدرك أنه قد ينسحب ولكنه كلف نفسه مجهودا زائدا لكى يكون وقحا ، وربما قد أدرك أن بييرز كان يحاول فقط إخفاء مشاعر عدم الأمان التى اجتاحته .

وحاولا أن يدفعاه الى أن يتناقش فى الانتاج الخاص به ولكنه رفض ، وبدأت مشاعر الغضب الشديد تتأجج فى داخله ، كلمات مكونة من أربعة حروف ، وكل أنواع الأشياء التهكمية المريرة عن السليد Slade وفنانين عديدين – وهى أمور أعرف أنه لا يؤمن بها ، ومن المؤكد أنه حاول أن يصدمنى ويصدم بييرز ولكن أنطوانيت بالطبع Just went one better . اذ ابتسمت بطريقة سخيفة وهزت رموش عينيها فى رفرفة وقالت كلاما ما أكثر سخافة ، ولذلك فانه غيّر اتجاهه وبدأ يقاطعنا فى الكلام فى كل مرة نحاول فيها التكلم (كما قاطعنى فى الكلام أيضا) .

وبعدئذ أقدمتُ على فعل شيء أكثر غباء من ذهابي الى هناك في بادىء الأمر ، وسادتْ فترة من الصمت ، وكان من الواضح أنه اعتقد أننا بصدد الانصراف ، ولكنني ظننتُ في بلاهة وعبط أن أنطوانيت وبييرز يشعران بالتسلية بعض الشيء وكنت واثقة من أن السبب في ذلك هو أنهما شعرا أنني لم أكن أعرفه معرفة جيدة مثلما قلت لهما ، ولذلك كان على أن أبرهن لهما أنه بمقدوري أن أتعامل معه بنجاح .

فقلت له : « أيمكن لنا أن نستمع الى أسطوانة يا G. P. ؟ » .

فبدا عليه للحظات أنه بصدد أن يقول : لا ولكنه بعدئذ قال : « ولم لا؟ هيا بنا نسمع شخصا ما يقول شيئا ما ، لمجرد التغيير » . ولم يعطنا أى فرصة للاختيار ، اذ اكتفى بالذهاب وقام بتشغيل أسطوانة .

واستلقي على الأريكة وقد أغلق عينيه كالمعتاد ، وكان من الواضح أن بييرز وأنطوانيت اعتقدا أن استلقاءه هذا كان بمثابة جلسة فنية بهدف ا-إعطاء تأثير فنى .

وتصاعد صوت متهدج رفيع غريب الشأن ونشأ جو مليء بتوتر حاد ، أقصد أن الموسيقى قد غطت على كل شيء آخر ، وبدأ بييرز يتصنع الابتسام وتعرضت أنطوانيت لنوبة من الابتسام - فهي لا تستطيع أن تنفجر في قهقهة عالية لأنها انسلالية وعجفاء للغاية ، وابتسمتُ أنا أيضا ، أعترف أنني ابتسمت ، وقام بييرز بتنظيف أذنه مستخدما إصبعه البنصر ، وبعدئذ استند على مرفقه وقد وضع جبهته على أصابعه الممدودة وراح يهز رأسه في كل مرة تصدر فيها الآلة ذبذبات (ولم أكن أعرف نوع تلك الآلة آنئذ) وكانت أنطوانيت شبه مختنقة ، وكان الموقف رهيبا ، وكنت أدرك أنه قد يسمع .

وسمع بالفعل ، وشاهد بييرز وهو ينظف أذنيه مرة أخرى ، وأدرك بييرز أنه قد شوهد بالفعل فطبع على وجهه ابتسامة لبقة وكأنه يريد أن يقول : « لا تهتم بنا » ، ولكن .G. P قفز واقفا وأغلق جهاز الأسطوانات ، وتساءل : « ألا تحبون هذه الأسطوانة ؟ » ، فقال بييرز : « أينبغي عليَّ أن أحبها ؟ » .

فقلت : « يا بييرز ، لم يكن ذلك أمرا هزليا مضحكا » .

فقال بييرز : « إننى لم أكن أحدث صوتا .. أليس كذلك ؟ وهل كان ينبغى علينا أن نحب تلك الموسيقى ؟ » .

وقال .G. P : « أخرجوا من هنا » .

وقالت أنطوانيت : « أخشى أننى أفكر دائما فى بيشام Beechm (*) ، كما تعرفون ، هيكلان يتضاجعان جنسيا فوق سطح من الصفيح ؟ » .

فقال G. P (وكان وجهه مثير للرعب ، وكان بمقدوره أن يبدو شيطانى الطابع) : « يسرنى أن تعجبوا ببيشام ، إنه قائد فرقة موسيقية طنان ومغرور وقف ضد كل ما هو خلاَّق فى الفن فى عهده ، وثانيا اذا لم يكن باستطاعتكم أن تدركوا ذلك من خلال آلة البيان القيثارى القديمة فليكن السيد المسيح فى عونكم ، وثالثا (موجها كلامه لبييرز) إننى أعتقد أنك أغرب شاب معتد بنفسه وضارب فى كل الاتجاهات شاهدته على مدى سنوات وأنت (موجها كلامه لى) هل هذان الشخصان هما صديقان لكِ ؟ » .

وقفتُ هنالك ، لم أستطع أن أقول أى كلام ، فقد جعلنى أشعر بالغضب الشديد كما أنهما جعلانى أشعر بالضيق والغضب وعلى كل حال كانت موجات الخجل والارتباك تجتاحنى وتغطى كثيرا على مشاعر الغضب فى داخلى .

وهز بييرز كتفيه ، وظهرت الحيرة والارتباك على وجه أنطوانيت ، ولكنها كانت تشعر بالتسلية على نحو غامض ، المومس العاهرة ، وتصاعدت الدماء إلى وجهى ، وعندما فكرت فى هذا الذى حدث تصاعدت الدماء الى وجهى مرة أخرى (حيث فكرت فيما حدث بعد ذلك - كيف أمكن له ؟) .

وقال بييرز : « خذ الأمور ببساطة ، إنها ليست سوى أسطوانة موسيقية » . وأظن أنه كان غاضبا ومن المؤكد أنه أدرك أنه من الغباء أن يقول ذلك الكلام .

وقال .G. P : « هل تظن أن ذلك ليس سوى اسطوانة موسيقية ، هل الأمر كذلك ؟ هل هو مجرد اسطوانة موسيقية ؟ هل أنت تشبه خالة هذه العاهرة الصغيرة الغبية - بحيث تعتقد أن رامبراندت كان يشعر بأقل قدر من الملل عندما كان يرسم ؟ وهل تعتقد أن باخ Bach (*) كان ينخرط فى الهزل والضحك ويقهقه عندما كتب ذلك ؟ هل تعتقد فى ذلك ؟ » .

وظهر الانكماش على بييرز بل وكاد يظهر عليه الرعب والخوف ، ثم صرخ .G. P : « هل أنت تعتقد فى ذلك ؟ » .

وكان رهيبا ، كان رهيبا لأنه بدأ فى خلق كل ذلك ولأنه كان قد صمم على أن يتصرف بتلك الطريقة ، وكان رهيبا أيضا على نحو عجيب لأن العاطفة هى شىء ما لا يمكن لك أن تشاهده على الاطلاق ، لقد نشأت بين أناس قد حاولوا دائما إخفاء العاطفة ، كان قاسيا ، كان عاريا ، كان يرتجف مع اعتمال الغضب الشديد فى داخل كيانه .

(*) سير توماس بيشام : قائد فرقة أركسترالية بريطانية ١٨٧٩ - ١٩٦١ .

قال بييرز : « نحن لسنا متقدمين فى العمر مثلك » . وكان كلامه هذا مثيرا للشفقة والحزن ، كان كلاما ضعيفا ، وهو كلام أظهر حقيقة ما هو عليه .

وقال G. P. : « أيها السيد المسيح ، هؤلاء هم طلبة الفنون ، طلبة الفنون » .

ولا أستطيع أن أكتب الكلام الذى قاله بعد ذلك ، وحتى أنطوانيت ظهرت عليها مشاعر الصدمة .

استدرنا وانصرفنا ، وأُغلق باب الأستوديو فى عنف وراءنا عندما كنا على السلالم .

وقلت عند أسفل السلالم بصوت كالفحيح لبييرز : « لعنة الله عليك » . ثم دفعتها إلى الخارج . وقالت أنطوانيت : « يا عزيزى .. إنه سوف يفتك به ويقتلك ويطلع روحك » . فأغلقت الباب وانتظرت . وبعد مرور لحظات سمعت الموسيقى مرة أخرى فصعدت على السلالم وفتحت الباب فى بطء شديد ، وربما يكون قد سمعنى أثناء فتحى للباب فأنا غير متأكدة من ذلك ولكنه لم ينظر لأعلى وجلست أنا على كرسى بدون مسند بالقرب من الباب الى أن نظر إلى أعلى .

وقال : « ماذا تريدين يا ميراندا ؟ » .

فقلت : « لقد جئت لأقول لك أننى آسفة ، ولكى أسمعك وأنت تقول أنك آسف » .

(*) باخ : مؤلف موسيقى ألمانى ١٧٣٥ - ١٧٨٢

فذهب وراح يحملق إلى الخارج من خلال النافذة فقلت : « اننى أدرك أننى كنت غبية ، وربما أكون فتاة غير ناضجة تماما ولكننى لست عاهرة » .

فقال : « أنت تحاولين » (وأظن أنه لم يكن يقصد أننى أحاول أن أكون عاهرة) .

فقلت : « كان بامكانك أن تأمرنا بالانصراف وعندئذ كنا سنفهم جوانب الموقف » .

وسادت فترة من الصمت ، والتفت لكى ينظر الىَّ عبر الأستوديو ، فقلت : « اننى لآسفة كل الأسف » .

فقال : « إذهبى إلى منزلك ، لا يمكن لنا أن نذهب إلى السرير معا » ، وعندما نهضت واقفة قال : « إننى مسرور لرجوعك الىَّ ، فهذا موقف لطيف منك » ، ثم أضاف قائلا : « يمكن أن تضطجعى معى فى السرير » .

فتزلن على السلالم ، فخرج ورائى وقال : « اننى لا أريد أن أضطجع معك فى السرير ، واننى أتحدث عن الموقف ، وليس هنا ، أتفهميننى ؟ » .

قلت : « بالطبع أنا أفهمك » .

واستأنفت نزولى على السلالم ، المشاعر الأنوثية فى داخلى ، كنت أريد أن أجعله يشعر أن مشاعرى قد جُرحت .

ولدى قيامى بفتح الباب الموجود أسفل السلالم قال : « لقد كنت أرد على الهجوم بمثله » . ومن المؤكد أنه أدرك أننى لم أفهم لأنه أضاف قائلا : « لقد كنت أستمع فى شغف » .

ثم قال : « لسوف أتصل بك تليفونيا » .

واتصل بى تليفونيا بالفعل واصطحبنى الى حفلة موسيقية لكى أستمع إلى الروس وهم يعزفون موسيقى لشوستاكوفيتش Shostakovich وكان ظريفا ولطيفا معى للغاية ، وتلك بالضبط هى الحالة التى كان عليها ، رغم أنه لم يعتذر لى على الاطلاق .

٢٦ أكتوبر :

إننى لا أثق فيه ، لقد اشترى هذا المنزل ، وهو إذا أطلق سراحى فانه سيضطر لأن يثق فىَّ ، أو أنه سيضطر لأن يبيع المنزل ويختفى قبل أن أتمكن من الذهاب للشرطة ولكننى لا أتوقع منه أن يطلق سراحى .

الموقف مثير للاحباط الشديد ، اننى مضطرة لأن أصدق أنه سينفذ وعده .

انه ينفق الأموال الكثيرة من أجل تلبية طلباتى ، ومن المؤكد أنه قد أنفق حتى الآن حوالى ٢٠٠ جنيه ، فهو يشترى لى أى كتاب أريده وأية أسطوانة أريدها وأية ملابس أطلبها ، وهو لديه كل المقاسات الخاصة بملابسى وأنا أقوم برسم اسكتشات للأشياء التى أريد منه شراءها وأقوم بخلط الألوان لكى يهتدى الى اللون الذى أريده ، بل إنه يشترى لى جميع ملابسى الداخلية ، اننى لا أستطيع ارتداء الأثواب التى هى على آخر طراز والتى لها لون أسود ولون خوخى والتى اشتراها لى من قبل لذلك قلت له أن يذهب ليشترى لى ثيابا ملائمة من محلات ماركس وسبنسر ، فقال : « هل يمكن لى أن أشترى كمية كبيرة فى آن واحد ؟ » ومن المؤكد أن قيامه بشراء

هذه الحاجيات نيابة عنى كان يسبب له عذابا كبيرا (وما الذى يفعله فى الصيدلية ؟) ولذلك فأنا أعتقد أنه يفضل انجاز كل شيء فى مشوار واحد ، ولكن ماذا ستكون وجهة نظرهم بشأنه ؟ ١٢ سروالا وثلاثة قمصان للنوم وصديريات وسوتيانات . وسألته عما قالوه عندما طلب شراء تلك الحاجيات منهم فاحمــر وجهــه وقال : « أعتقد أنهم يظنون أننى إنسان شاذ بعض الشيء » ، وعندئذ انفجرت فى الضحك وكانت تلك هى أول مرة أنفجر فيها ضاحكة منذ أن جئت الى هنا .

وفى كل مرة يشترى لى فيها أى شيء أعتقد أن ذلك بمثابة برهان على أنه لن يقوم بقتلى أو عمل أى شيء آخر من شأنه إلحاق الأذى بى .

إننى أشعر بالارتياح - وما كان ينبغى علىَّ أن أشعر بذلك - عندما يجيء الىَّ فى فترة الظهيرة قادما من أىّ مكان كان قد ذهب اليه ، فدائما ما تكون هناك طرود مُغلفة ، إذ يبدو لى الأمر وكأن لدى عيد كريسماس مستمر وبدون أن يكون علىَّ أن أتقدم بالشكر لسانتا كلوس Santa Claus ، وهو فى بعض الأحيان يحضر لى أشياء لم أطلبها منه من قبل ، وهو دائما ما يحضر لى زهورا وورودا وذلك أمر لطيف منه ، كما يحضر لى الشيكولاتة ولكنه يأكل منها أكثر مما آكل ، وهو يسألنى دائما عن الأشياء التى أرغب فى قيامه بشرائها .

إننى أدرك أنه الشيطان وأنه يعرض علىَّ العالم الذى يمكن أن يكون مِلكا لى ، ولذلك فأنا لا أبيع نفسى له ، لقد قام بشراء عدد كبير من الأشياء الصغيرة من أجلى ولكننى أدرك أنه يريد لى أن أطلب منه أن يشترى لى شيئا كبيرا وضخما ، فهو يتلهف شوقا لأن يجعلنى ممتنة وشاكرة فضله ، ولكنه لن يتمكن أبدا من أن يجعلنى شاكرة وممتنة .

وهبطت على ذهنى فكرة شنيعة فى هذا اليوم : إنهم سوف يشكون فى G. P. ، ولسوف تضطر كارولين لإعطاء إسمه للشرطة ، ياله من رجل مسكين ، إنه سيلجأ للسخرية اللاذعة والتهكم وهم لن يشعروا بالارتياح لطريقته هذه .

لقد حاولتُ أن أرسمه اليوم ، الأمر غريب للغاية ، الأمر ميئوس منه ، إنه ليس شبيها بأى شىء .

إننى أدرك أنه قصير ، فهو لا يزيد عنى فى الطول سوى ببوصة أو بوصتين (لقد رأيت فى أحلامى دائما رجالا فارعى الطول ، اننى انسانة طائشة وعبيطة) .

انه بصدد التعرض للصلع وهو له أنف تشبه أنف اليهودى ، رغم أنه ليس يهوديا (وحتى إذا كان يهوديا فان ذلك أمر لا يهمنى) ووجهه عريض للغاية ، وجهه محطم ومهروس ومتداع ومضعضع ومدقوق وممسوخ تحت قَدْر من القناع ، حتى أننى لا يمكن أن أعرف نوع التعبيرات التى تظهر على وجهه ، فأنا ألمح أشياء أعتقد أنها قد جاءت بكل تأكيد من الخلف ولكننى لا أتأكد من ذلك تماما على الاطلاق ، وهو فى بعض الأحيان ينظر الىَّ نظرات خاصة مليئة بالجفاف ، وهى نظرات تتماشى مع الظروف ، وهى نظرات لا تبدو غير أمينة وإن كانت شبيهة بنظرات G. P. ، الحياة هى جزء من مهزلة تافهة ، ومن السخف أن ننظر الى الحياة نظرة جدية ، أنظر نظرة جدية واهتمام الى الفن ولكن لا تهتم بأى شىء آخر فى الحياة ، ولا تهتم باليوم الذى تُلقى فيه القنابل الهيدروجينية وانما اهتم « بيوم العذاب الهائل » . « عندما يحدث بالفعل العذاب الهائل » . وتعرض للمرض وتعرض للمرض .. فهذه هى وسيلته فى أن تصبح موفور الصحة .

قصير وعريض وعريض الوجه وله أنف معقوف ، بل وبه بعض الملامح التركية ، وليست له فى حقيقة الأمر ملامح انجليزية على الاطلاق .

لدىّ هذه الفكرة السخيفة عن النظرات الحسنة الانجليزية ، رجال اعلانات ، رجال لايديمونت .

٢٧ أكتوبر :

النفق الموجود عند الباب هو أعظم الأشياء التى يمكن أن أراهن عليها ، أشعر أنه ينبغى علىّ أن أجرب ذلك النفق أو السرداب فى أقرب وقت ممكن ، وأعتقد أننى ابتكرتُ وسيلة تضمن لى إبعاده عن المكان لفترات طويلة ، ولقد رحت أنظر فى حرص وعناية شديدة الى الباب فى فترة ما بعد ظهر هذا اليوم ، الباب مصنوع من الأخشاب ومغلف بالحديد على هذا الجانب ، وهو باب مصمت وجامد على نحو رهيب ، لم يكن بمقدورى أبدا أن أكسره أو أفتحه من خلال استخدام عتلة رافعة ، فهو قد عمل كل ترتيباته بحيث لا يوجد أى شىء يمكننى أن أستخدمه فى كسر الباب أو فتحه .

لقد بدأت فى جمع بعض « الآلات » ، برميل دوَّار يمكننى كسره ، ذلك سيكون شيئا ما حادا ، شوكة واثنتان من معالق الشاى .. انها مصنوعة من الألومنيوم ولكنها ربما قد تكون مفيدة ، وأكثر الأمور التى أحتاج اليها هو شىء ما قوى وحاد لكى أتمكن من تفكيك الأسمنت المتواجد بين بلوكات الحجارة باستخدامى لذلك الشىء القوى الحاد ، وما أن أتمكن من فتح ثغرة بين الأحجار فإنه لن يكون من الصعب علىّ للغاية الالتفاف حول السرداب الخارجى .

هذا يجعلنى أشعر أننى انسانة تتسم بالطابع العملى ، مثل رجال الأعمال ، ولكننى لم أبدأ فى تنفيذ أى شىء .

اننى أشعر بالمزيد من الأمل والتفاؤل ولست أدرى السبب فى ذلك ، ولكن هذا هو ما أشعر به .

٢٨ آكتوبر :

G. P. من حيث هو فنان .. « بول ناش Paul Nash من الدرجة الثانية » خاص بكارولين – أمر رهيب ولكن يوجد شىء ما فى هذا ، لا شىء يشبه ما يسميه « بالتصوير الفوتوغرافى » . ولكن ليس متفردا تماما ، وأظن أنه قد وصل فقط الى نفس النتائج ، سواء أكان يدرك ذلك (يدرك أن مناظره الطبيعية لها خاصية ناشية) أو لا يدرك ذلك ، على كل حال إنه نقد له ، وأنه لا يدرك ذلك ولا يقول ذلك .

وأنا ألتزم بالموضوعية نحوه ، أركز على أخطائه .

كراهيته للرسم المجرد أو الرسم التجريدى – بل وكراهيته لأناس من أمثال جاكسون بولّوك Pollock ونيقولصون Nicholson ، لماذا ؟ إننى شبه مقتنعة به عقليا ولكننى مازلت أشعر أن بعض اللوحات الفنية التى يقول عنها أنها رديئة – أشعر أنها جميلة ، أقصد أنه غيور للغاية ، فهو ينتقد كثيرا للغاية .

وأنه لا يهمنى هذا الاتجاه الذى يتصف به ، اننى أحاول أن أكون أمينة بالنسبة له وأمينة بالنسبة لنفسى ، إنه يكره الناس الذين « لا يفكرون

فى الأمور تفكيرا عميقا الي أن يتوصلوا الى قرار نهائى » وهو يفعل ذلك ، ويفعل ذلك كثيرا للغاية ، ولكنه لديه مبادىء (فيما عدا أنه لا يطبق المبادىء على النساء) ، وهو يجعل معظم الناس الذين لهم مبادىء مزعومة يشبهون علب الصفيح الشاغرة .

أذكر أنه قال عن لوحة لموندريان Mondrian – « انها ليست ما اذا كنت تحبها ولكنها ما اذا كان ينبغى عليك أن تحبها » ، أعنى أنه يكره الفن التجريدى وفقا لمبدأ ما ، فهو يتجاهل الأحاسيس التى يشعر بها) .

لقد كنت أترك أسوأ الأمور لأقولها فى نهاية الأمر ، النساء .

ومن المؤكد أن الأمر كان يتعلق بالمرة الرابعة أو الخامسة التى ذهبتُ فيها إليه لزيارته .

كانت هناك المرأة النيلسينية Nielsen وأنا أفترض (الآن) أنهما قد سبق لهما النوم فى الفراش معا ، لقد كنت ساذجة للغاية . ولكن لم يبد عليهما أنهما إهتما بمجيئى . لم يكونا بحاجة للرد على الجرس ، وكانت هى لطيفة معى بعض الشىء بطريقتها المبتذلة السلسة التى تستقبل بها الزائرين ، ومن المؤكد أن عمرها قد وصل إلى الأربعين عاما – وما الذى شاهده فيها لكى ينجذب اليها ؟ وبعدئذ مرت فترة طويلة عقب ذلك حيث كنا فى شهر مايو وكنت قد حضرت اليه فى الليلة السابقة ولكنه كان موجودا فى خارج منزله (أو ربما كان فى داخل منزله ولكنه كان مضطجعا فى السرير مع امرأة ما) وفى ذلك المساء كان موجودا فى منزله وكان بمفرده ، وتحدثنا سويا لبعض الوقت (كان يحدثنى عن جون مينتون Minton) وبعدئذ وضع

أسطوانة هندية فى جهاز التسجيل وأدارها ، ورحنا نستمع للموسيقى فى هدوء ، ولكنه لم يغلق عينيه فى هذه المرة حيث كان ينظر الىَّ فى إمعان فانتابتنى مشاعر الخجل والارتباك ، وعندما انتهت أسطوانة راجا Raga ساد الصمت فى أرجاء المكان ، فتساءلت : « هل لى أن أدير الأسطوانة على الوجه الآخر ؟ » ولكنه قال : « لا » .. لقد كان موجودا فى الظل فلم أستطع مشاهدته جيدا <

ثم قال لى فجأة : « أتحبين أن تنامى معى فى السرير ؟ » .

فقلت على الفور : « لا » ، فقد فاجأنى بسؤاله هذا ، وبدا ردى عليه سخيفا ومليئا بالخوف .

فقال بينما عيناه مازالتا مثبتتين على : « لو أن الزمن رجع بنا الى عشر سنوات مضت لكنت قد تزوجتك ، ولكنت قد أصبحت زواجى الثانى المشئوم المصحوب بكارثة » .

ولم يكن الأمر فى الواقع بمثابة مفاجأة لى ، فقد ظللت منتظرة ذلك على مدى أسابيع .

جاء الىَّ ووقف الى جوارى وقال : « أأنت متأكدة ؟ » .

فقلت : « اننى لم أحضر اليك هنا من أجل ذلك ، على الاطلاق » .

بدا وكأنه انسان آخر مختلف تماما .

بدا انسانا بسيطا للغاية ، وأنا أعتقد الآن وأدرك الآن أنه كان شفوقا ووديا ، كان واضحا وبسيطا ، تماما مثلما يسمح لى فى بعض الأحيان أن أضربه على صدره .

وذهب ليعدّ القهوة التركية وقال من خلال الباب : « أنت تقومين بتضليلى وخداعى » ، فذهبت ووقفت عند باب المطبخ بينما راح هو يرقب القهوة ، ثم نظر إلى الوراء نحوى ، وقال : « أقسم لك أنك تريدين ذلك الأمر فى بعض الأحيان » .

فقلتِ : « كم تبلغ من العمر ؟ » .

فقال : « إننى فى سن والدك ، هل هذا هو ما تريدين قوله ؟ » .

فقلت : « إننى أكره الرجل الذى يضاجع نساء عديدات بدون تمييز » ، ولم أكن أهدف الى ذلك المعنى .

فأدار ظهره نحوى ، وشعرت بأننى غاضبة منه ، اذ كان يبدو عليه مستهترا للغاية وغير مبال بالعواقب ، فقلت : « على كل حال أنت لا تجذبنى إلى ذلك الاتجاه على الأقل » .

فقال بينما ظهره مازال متجها نحوى : « ما الذى تعنينه بتعبير : مضاجعة النساء العديدات بدون تمييز ؟ » .

فقلت : « أعنى أنك تذهب إلى السرير من أجل تحقيق المتعة ، وتحقيق ممارسة الجنس ولا شىء بخلاف ذلك .. بدون حب حقيقى » .

فقال : « إذن فأنا مضاجع للغاية للنساء العديدات ، وأنا لا أذهب مطلقا إلى السرير مع الفتيات اللائى أشعر نحوهن بالحب ، ولقد فعلت ذلك مرة واحدة » .

فقلت : « لقد سبق لك أن حذرتنى من باربار كرويكشانك » .

فقال : « وأنا أحذرك الآن من نفسى » وكان يرقب القهوة أثناء وقوفه ،

ثم أضاف : « هل تعرفين لوحة Ashmolean Uccello ؟ هل تعرفين « الاصطياد The Hunt ؟ » لا ؟ هذه اللوحة تصدمك على الفور لدى مشاهدتك لها ، وذلك بغض النظر عن جميع النواحي الفنية الأخرى ، وهي لوحة بدون عيوب أو أخطاء ، إن أساتذة أواسط أوربا يقضون حياتهم بهدف التوصل الى معرفة جوهر السر الداخلي الهائل ومعرفة ذلك الشيء الذي يشعر به المرء لدى القاء أول نظرة ، وأنا الآن أرى أن لديك أيضا ذلك السر الداخلي الهائل، والله يعرف ماهية ذلك السر ، وأنا لست أستاذا من أواسط أوربا ولا أهتم اهتماما حقيقيا بالكيفية التي يكون عليها ذلك الأمر ، ولكنك لديك ذلك الأمر ، وأنت تشبهين موبيليا شيراتون ، فأنت لن تتفككي أو تتفسخي » .

وكان يتكلم بصوت واقعي ومجرد من العواطف ، أيضا ، وأضاف : « المسألة نوع من التصادف أو المجازفة ، الجينات الوراثية » .

ورفع ابريق القهوة عن حلقة موقد الغاز في اللحظة الأخيرة الممكنة ، ثم قال : « الشيء الوحيد هو أنه توجد تلك النقطة القرمزية الداعرة في عينك ، ما هذه النقطة ؟ أهي العاطفة ؟ أهي عقبة أو سدادة أو عائق ؟ » .

ووقف يحملق فيَّ بنظراته الجافة .

فقلت : « إنه ليس السرير » .

فقال : « باستثناء شخص ما ؟ » .

فقلت : « لا أحد مستثنى من ذلك » .

ثم جلست على الأريكة ، وجلس هو على الكرسي العالي الذي ليس له مسند والموجود بجوار المائدة .

وقال : « لقد سببت لك صدمة » .

- « لقد تم تحذيرى » .

- « هل خالتك هى التى حذرتك ؟ » .

- « نعم » .

فاستدار وراح يصبّ القهوة فى بطء شديد وعناية وحوص شديدين فى فنجانين .

وقال : « طوال حياتى كان علىّ أن أحصل على النساء ، ومعظمهن قد جلب لى التعاسة ، ومعظمهن قد أُحضرن لى عن طريق العلاقات التى أفترض فيها أنها صافية ونقية ونبيلة » ، وأشار الى صورة فوتوغرافية لابنيه الاثنين وقال : « هنالك - تلك هى الثمرة الجميلة الناجمة عن علاقة نبيلة » .

ذهبتُ وحصلت على القهوة الخاصة بى واستندت على المنضدة بعيدا عنه .

فقال : « روبرت أصغر منك الآن بأربع سنوات فقط ، انتظرى قليلا ولا تشربى القهوة على الفور الآن ، دعى البن يستقر ويترسب » .

لم يبد عليه أنه يشعر بالارتياح أو متحرر من القلق والارتباك ، كما لو أنه كان عليه أن يتكلم لكى يتخذ موقف الدفاع عن نفسه مع تضليلى وكسب تعاطفى معه فى نفس الوقت .

وقال : « الشبق أو الرغبة الجنسية القوية هى أمر يتسم بالبساطة ، فالرجل والمرأة يتوصلان إلى تفهم على الفور ، فإما أن تكون لكليهما الرغبة فى الذهاب الى السرير وإما ألا يكون لأحدهما الرغبة فى ذلك ، ولكن الحب له موقف مختلف ، النساء اللائى أحببتهن قلْن لى أننى إنسان أنانى ، وتلك الأنانية هى التى تجعلهن يشعرن بالحب نحوى ، وبعدئذ يشعرن بالاشمئزاز

نحوى ، هل تعرفين أن ما يفكرن فيه دائما هو الأنانية ؟ » وكان يكشط الصمغ عن سلطانية صينية مكسورة زرقاء / بيضاء كان قد اشتراها من بورتوبيللو رو د Portobello Road وقام باصلاح فارسين مهتاجين على نحو شيطانى وحشى يطاردان غزالا صغيرا خائفا له لون بنى فاتح ومُرقَّط ، أصابع قصيرة للغاية وأيدى مليئة بالثقة ، وأضاف : « وليس الأمر هو أننى سأرسم بالطريقة الخاصة بى وأعيش بالأسلوب الخاص بى وأتكلم بالطريقة الخاصة بى - فذلك لا يشكل أهمية بالنسبة لهن ، بل إن ذلك يسبب الاثارة لهن . ولكن الشىء الذى لا يمكن تحمله هو أننى أكرههن عندما لا يسلكن ولا يتصرفن بالطريقة الخاصة بهن » .

وبدا الأمر وكأننى بمثابة رجل آخر متواجد معه .

واستطرد « الناس من أمثال خالتك اللعينة يظنون أننى انسان ساخر ومؤمن بأن السلوك البشرى تهيمن عليه المصالح الذاتية وحدها ويظنون أننى خرّاب للبيوت ومحطّم للأسر والعائلات أو أننى شخص خليع وفاسق وداعر . مع أننى لم أقم باغواء امرأة على الزنا فى حياتى على الاطلاق . أننى أحب الاضطجاع فى السرير وأحب الجسد الأنثوى . بل وأحب أكثر النساء ضحالة حيث يصبحن جميلات عندما تُخلع ملابسهن ويعتقدن أنهن يتخذان خطوة عميقة وشريرة . وهن دائما ما يصبحن جميلات لدى خلع ملابسهن للمرة الأولى . هل تعرفين ذلك الشىء الذى يكاد يكون منقرضا وخامدا فى الجنس الخاص بك ؟ »

ونظر إلى نظرة جانبية . لذلك قمتُ بهز رأسى .

فقال « أنه البراءة . المرة الوحيدة التى يمكن للمرء مشاهدة البراءة فى المرأة تكون عندما تبادر المرأة بخلع ملابسها ولا تستطيع أن تحملق فى عينى

الرجل (مثلما لم أستطع أنئذ) . مجرد تلك اللحظة البوتيشلية celliBotti (*) الأولى والتى تظهر فى أول مرة تقوم فيها بخلع ملابسها . وسرعان ما تتغض وتذبل . وتسود بعد ذلك حواء القديمة المومس العاهرة . رحيل أناديومين Anadyomene . »

فتساءلت « مَنْ تكون هى ؟ »

فقام بالشرح والتوضيح . ورحت أفكر وقلت لنفسى : لا ينبغى عليَّ السماح له بالتكلم على هذا النحو . فهو ينشر شباكه حولى . ولم أكن أعتقد فى ذلك وإنما كنت « أشعر » بذلك .

وقال « لقد تقابلتُ مع العشرات من النساء والفتيات من أمثالك . وكنت أعرف بعضهن معرفة جيدة . وبعضهن أغويتهن على الزنا . وتزوجت اثنتين منهن . وبعضهن لم أكن أعرفهن تقريبا على الأطلاق . وأنما وقفت فقط إلى جوارهن فى أحدى المعارض الفنية أو فى محطة الأندرجراوند للسكة الحديد . »

وبعد برهة تساءل « هل قرأت كتبا بقلم يانج Yung (*) ؟ »

فقلت « لا » .

فقال « لقد أعطى إسما لنوعية الجنس الخاصة بك . اسم له نفس رداءه المرض » .

فقلت « قلْ لى ذلك الاسم » .

فقال « لا يمكن للمرء أن يعطى الأسماء للأمراض . »

(*) نسبة إلى ساندرو بوتيشلّى : وهو رسام ايطالى فى عصر النهضة ١٤٤٤ – ١٥١٠ م . المترجم

(*) كارل جوستاف يانج : عالم نفسانى سويسرى ١٨٧٥ – ١٩٦١ .

وبعدئذ سادت فترة صمت غريبة كما لو كنا قد وصلنا إلى توقف كامل . كما لو كان قد توقع لى أن تصدر عنى ردود فعل بطريقة ما أخرى . بحيث أصبح أكثر غضبا أو ربما أكثر إحساسا بالصدمة . ولقد شعرتُ بالصدمة والغضب فيما بعد (بطريقة غريبة) ولكننى مسرورة لأننى لم أهرب . لقد كانت واحدة من تلك الأمسيات التى يكبر فيها المرء ويشبّ عن الطوق . وأدركتُ فجأة أنه كان علىَّ أماً أن أسلك مثل فتاة مصدومة كانت لا تزال المدرسة فى ذلك الوقت بالسنة السابقة أو أتصرف مثل فتاة مراهقة .

فقال فى نهاية الأمر « أنت فتاة غريبة غير عادية » .

فقلت : « من طراز قديم » .

فقال : « كنت ستصبحين إنسانة مضجرة وثقيلة الظل بشكل لعين لو لم تكونى رائعة الجمال للغاية » .

« شكراً جزيلاً » .

فقال : « إننى فى حقيقة الأمر لم أكن أتوقع منك أن توافقى على النوم معى فى السرير » .

فقلت : « أدرك ذلك » .

فنظر إلىَّ نظرة طويلة فاحصة . ثم رفع بصره عنى . وبعدئذ استخرج لوحة الشطرنج ورحنا نلعب الشطرنج معا وتعمدّ أن يجعلنى أنتصر عليه . وهو لم يظهر ذلك صراحة ولكننى متأكدة من أنه تعمد أن يجعلنى أفوز عليه . وظللنا ملتزمين بالصمت تقريباً وبدا علينا وكأننا نتصل ببعضنا البعض من خلال أحجار الشطرنج ، وكان هناك شيء ما يتصف بالرمزية الشديدة فيما يتعلق بانتصارى فى اللعب . وأنه أراد لى أن أشعر بذلك . ولا أعرف

كفه ذلك الشيء . فأنا لا أعرف ما إذا كان هــــو قد أراد لي أن أشــــاهد « فضيلتي » وهي تنتصر على « رذيلته » أم أنه أراد لي أن أدرك شيئا ما أكثر خبثا ودهاء وهو أن الهزيمة في بعض الأحيان هي بمثابة انتصار .

وفي المرة التالية التي ذهبت فيها إليه أعطاني لوحة فنية كان قد رسمها . وكانت اللوحة تعبرّ عن كنكة القهوة واثنين من الفناجين فوق المنضدة. كانت اللوحة مرسومة بطريقة جميلة للغاية وتتميز بالبساطة الشديدة وخالية تماما من الهرج والمرج والعصبية وخالية تماما من ذلك الطابع الفني المدرسي الذي يظهر في لوحاتي عن الأشياء البسيطة .

مجرد الفنجانين وكنكة القهوة النحاسية الصغيرة ويده . أو إحدى الأيدي . يدْ مستلقية بجوار أحد الفنجانين مثل قالب من الجصّ . وعلى الظهر كتب كلمة « بعد Aprés » وكتب التاريخ بجوار تلك الكلمة وبعد التاريخ كُتبتعبارة: Pour "une"

Princesse loint aine

وكانت كلمة « une » مكتوبة بخط واضح للغاية .

أردت أن أواصل الكلام فيما يتعلق بتوانيت Toinette. ولكنني أشعر بالارهاق والتعب الشديد . وأنا أحب أن أدخن السجاير أثناء قيامي بالكتابة ولكن التدخين يجعل الجو خانقا للغاية .

٢٩ أكتوبر :

(فترة الصباح) أنه قد ذهب إلى ؟ مدينة لويس .

توانيت Toinette .

كان ذلك عقب مرور شهر على المساء الذى شهد الأسطوانة التسجيلية. وكان ينبغى علىَّ أن أضمَّن . فهى قد ظلت تقرقر كالقطة حولى على مدى أيام وتنظر الىَّ نظرات لعوبة مليئة بالدلال . واعتقدت أن ذلك شىء ما يتعلق ببييرز . وبعدئذ دققتُ الجرس ذات مساء ثم لاحظت عقب ذلك أن القفل كان مرفوعا لذلك قمتُ بدفع الباب وفتحه ونظرت لأعلى نحو السلالم وفى نفس اللحظة نظرت توانيت لأسفل نحو الباب . ورحنا ننظر لبعضنا البعض . وبعد لحظات خرجت إلى بسطة السلم وكانت ترتدى ملابسها . ولم تقل أىّ كلام واكتفت بأن أعطتْ إشارة لى لكى أصعد وأدخل إلى الأستوديو وما هو أسوأ من ذلك أن وجهى كان مضطرما باللون الأحمر بينما هى لم يكن وجهها محمراً . كانت تشعر فقط بمشاعر التسلية .

وقالت « لا داعى لأن تظهرى دلائل الصدمة البالغة على وجهك . فهو سوف يعود بعد دقيقة واحدة . فهو قد خرج توا من أجل .... » ولكننى لم أسمع أبداً الجزء المتبقى من عبارتها لأننى أنصرفتُ على الفور .

إننى لم أحلل أبداً فى حقيقة الأمر الأسباب التى جعلتنى أشعر بالغضب الشديد والصدمة الهائلة وإيذاء مشاعرى على نحو بالغ . فدونالد وبييرز ودافيد وكل فرد يعرف أنها تعيش فى لندن على النحو الذى كانت تعيش عليه فى أستكهولم – فهم قد أعطونى فكرة عنها كما أن G.P. كان قد حدثنى عن أسلوب حياته .

لم يكن الأمر مجرد غيرة . وكان من المتوقع لأى شخص مثل أن يكون قريبا للغاية من فتاة مثلها – فتاة واقعية للغاية وضحكة للغاية وزائفة وكذابة للغاية ومنحلة أخلاقيا تماما . ولكن ما السبب الذى جعله ينظر إلىَّ بعين الاهتمام ؟ لا يوجد سبب واحد يدعوه إلى ذلك .

إنه أكبر مني في السن بـ ٢١ عاماً . وهو أصغر من والدي بتسع سنوات .

وعلى مدى أيام بعد ذلك لم ينصب استيائي على .G.P وانما انصب على نفسي . وعلى ضيق أفقي وضيق تفكيري . وأرغمت نفسي على أن أتقابل مع توانيت وأستمع إليها . ولم تشمتْ فيَّ ولم تبتهج لفشلي على الأطلاق . وأظن أن ذلك كان نابعا من الترتيبات التي أعدّها .G.P . فهو قد أمرها بالتأكيد بألاَّ تشمتْ فيّ .

ورجعت في اليوم التالي . وقالت أنها ينبغي عليها أن تقول أنها آسفة . وقالت : (وهذا هو نصّ كلماتها) « إن الأمر قد حدث فقط على ذلك النحو » .

وكنت أشعر بالغيرة الشديدة . لقد جعلاني أشعر أنني أكبر منهما في السن . لقد كان مثل الأولاد الأشقياء كان يشعران بالسعادة لاحتفاظهما بسرّ معين لا أعرفه . وبعدئذ شعرت أنني باردة جنسيا . ولم أستطع تحمّل مشاهدة .G.P وفي نهاية الأمر – ولقد كان ذلك عقب مرور أسبوع – اتصل بي تليفونيا ذات مساء في منزل كارولين . ولم يبد على صوته أنه يشعر بعقدة الذنب . وقلت له « أنني مشغولة للغاية بحيث لن أتمكن من مشاهدتك ولن أتمكن من التجول معك في هذا المساء » ولو كان قد ألحَّ في طلبه لكنت قد رفضتُ أيضاً . ولكنه بدا عليه وكأنه على وشك أن ينهي المكالمة التليفونية بوضع السماعة في مكانها وعندئذ قلت له « أنني على أستعداد للتجول معك غداً » . فلقد أردت له أن يدرك أن مشاعري كانت قد جُرحت .

قالت كارولين « أعتقد أنك تبالغين في الاهتمام به » .

فقلت « إن له علاقة غرامية مع تلك الفتاة السويدية » .

بل وتحدثنا معا فى ذلك الأمر . وكنت منصفة وعادلة للغاية . ودافعت عنه . ولكننى فى السرير استلقيت واتهمته بينى وبين نفسى . على مدى ساعات .

وأول شىء قاله لى فى اليوم التالى (بدون أىّ ادعاء أو تظاهر) « هل كانت هى سليطة اللسان معك ؟ » .

فقلت « لا . على الاطلاق » ثم أضفت كما لو كنت لا أهتم « ولماذا ينبغى عليها أن تكون سليطة اللسان ؟ » .

فابتسم . وبدا عليه وكأنه يقول « أننى أعرف المشاعر التى تحسين بها » وذلك جعلنى أشعر بالرغبة فى أن أصفعه على وجهه .ولم أستطع أن أظهر على وجهى أننى غير مهتمة مما جعل الأمور أكثر سوءاً .

وقال « الرجال أشرار » .

فقلت : « أسوأ الأمور فى الرجال هو أنهم يمكنهم أن يقولوا ذلك مع وجود ابتسامة على وجوههم » .

فقال : « هذا صحيح » وسادت فترة من الصمت . وتمنيتُ لو أننى لم أحضر . وتمنيتُ لو كنت قد أخرجته تماما من حياتى . ونظرت إلى باب غرفة النوم . كان البابْ مواربا . فتمكنت من مشاهدة حافة السرير .

فقلت « أننى لست قادرة على أن أضع الحياة فى مقصورات وحجيرات . وذلك هو كل ما فى الأمر » .

فقال « استمعى إلىّ يا ميراندا . تلك السنوات العشرون الطويلة التى تفصل ما بينى وبينك . أن معرفتى بالحياة تفوق معرفتك . لقد عشت فى

الحياة لفترة أطول وقمتُ بخيانات أكثر وشاهدت أناساً أكثر يتعرضون للخيانات . والانسان الذى هو من نفس عمرك يتفجر بالمثل العليا . وأنت تظنين ذلك لأننى أستطيع فى بعض الأحيان أن أشاهد ما هو تافه وما هو مهمّ فى الفن مما يحتم علىَّ أن أكون متصفا أكثر بالأخلاق الحميدة والطهر والعفاف . ولكننى لا أريد أن أكون طاهرا وعفيفا . وجاذبيتى (إذا كانت لدىّ أية جاذبية) بالنسبة لك تتمثل فى الصراحة بكل بساطة . وتتمثل فى الخبرة. وهى ليست متمثلة فى الخير والطيبة . فأنا لست رجلا طيبا . وربما أنا من الناحية الأخلاقية أعتبر أصغر منك فى السن . أيمكن لك أن تفهمى ذلك الكلام ؟ »

كان يقول فقط ما شعرتُ به . وكنت أنا متخشبة ومتصلبة وكان هو مرنا وهادئا . وكان الوضع ينبغى أن يكون على العكس من ذلك . كانت الغلطة هى غلطتى ولكننى ظللت منهمكة فى التفكير العميق . وأخذنى إلى الحفلة الموسيقية ورجع إلى هنا من أجلها . وتذكرت المرات التى دققت فيها الجرس ولم يكن هناك ردّ على الجرس . وأنا أدرك الآن أن المسألة كانت مجرد غيرة جنسية ولكن الأمر بدا لى أنئذ بمثابة خيانة للمبادىء .

(مازلتُ لا أعرف – فكل شىء مشوش فى داخل ذهنى . لا أستطيع أن أصدر حكما) .

قلت : « أودّ سماع رافى شانكار Ravi Shankar » لم أستطع أن أقول « أننى أغفر لك » .

لذلك استمعنا لرافى شانكار . وبعدئذ لعبنا الشطرنج . وانتصر علىَّ . ولم نتطرق فى كلامنا إلى توانيت الاَّ فى آخر لحظة على السلالم عندما قال «لقد انتهى كل شىء الآن » .

فلم أردّ بأىّ كلام .

فقال : « لقد فعلتُ هى ذلك من أجل المزاج والتسلية فقط » .

ولكن الأمر لم يعد إلى ما كان عليه أبداً . كان نوعا من الهدنة . وشاهدته لمرات قليلة أخرى ولكننا لم نكن بمفردنا فى كل مرة . وأرسلتُ له خطابين عندما كنت فى أسبانيا وردّ علىّ ببطاقة بريدية . ثم شاهدته مرة واحدة فى بداية هذا الشهر . ولكننى سأكتب عن ذلك فى وقت آخر ولسوف أكتب عن الدردشة الغريبة التى تمت بينى وبين المرأة النيلسينية Nielsen.

شىء ما قالته توانيت . إذ تحدثت عن أولاده . وأنا شعرت بالأسف الشديد من أجله . وكيف أنهم اعتادوا أن يطلبوا منه عدم الذهاب إلى مدرستهم الاعدادية الممتازة . والاكتفاء بمقابلتهم فى المدينة . إذ كانوا يخجلون من أن يشاهده أحد . وكيف أن روبرت (فى مالبور at Malborough) يناصره الآن .

وهو لم يحدثنى أبداً عنهم . ربما هو يعتقد بينه وبين نفسه أننى أنتمى إلى نفسى هذا العالم .

فتاة صغيرة من الطبقة المتوسطة مقيمة بمدرسة داخلية وملتزمة بالسلوك الحسن فى تزمت .

(المساء) . حاولت أن أرسم G.P. من الذاكرة مرة أخرى اليوم . ولكن بدون جدوى .

جلس كاليبان وراح يقرأ كتاب « الصياد فى الجاودار » عقب طعام العشاء . وشاهدته مرات عديدة وهو يتصفح الكتاب ليرى كم عدد الصفحات الأخرى التى ينبغى عليه قراءتها .

وهو يقرأ هذا الكتاب لكي يبين لى فقط كم هو يبذل جهوداً فى محاولاته .

كنت أمر بجوار الباب الأمامى فى هذه الليلة (الحمأم) وقلت « حسنا . شكراً لك على هذه الأمسية اللطيفة . أستودعك الله الآن » وقمتُ بحركة وكأننى أفتح الباب . وكان الباب مغلقا بالطبع . فقلت « يبدو أن الباب مثبت وملتصق » فلم يبتسم واكتفى بالوقوف ومراقبتى .

فقلت : « إننى أمزح فقط » فقال : « أدرك ذلك » . الأمر غريب للغاية– أنه يجعلنى أشعر أننى عبيطة . من خلال عدم الابتسام فقط .

بالطبع كان G.P. يحاول دائما أن يأخذنى إلى السرير . لا أعرف السبب ولكننى أدرك ذلك فى مزيد من الوضوح الآن أكثر مما أدركته فى تلك الأوقات . أنه قد صدمنى . وتنمَّر علىَّ . ووبخنى بطريقة ساخرة مهينة – بدون أن يستخدم وسائل رديئة على الأطلاق . بطريقة غير مباشرة . فهو لم يشكل أىّ ضغط أو إرغام علىَّ على الاطلاق . ولم يلمسنى . أعنى أنه كان يحترمنى بطريقة غريبة . ولا أظن أنه كان يعرف نفسه معرفة حقيقية . لقد كان يريد أن يصدمنى – وبدون أن يعرف ما إذا كان يريد أن يصدمنى من أجل أن أقترب منه أو من أجل أن أبتعد عنه . إذ كان يترك ذلك للصدفة .

المزيد من الصور الفوتوغرافية اليوم . ليست لقطات كثيرة للغاية . وقلت له أن ذلك يسبب متاعب شديدة لعينىّ . وأنا لا أحب له أن يصدر لى دائما الأوامر فيما يتعلق بهذه اللقطات . وهو إنسان متذلل وخنوع للغاية . «هل لى أن آخذ هذه اللقطة ؟ » – « هل تنفضلى علىَّ وتسمحى لى بأن آخذ تلك اللقطة » .... لا إنه لا يستخدم كلمة (تتفضلى) ولكن من العجيب أنه لا يستخدم تلك الكلمة .

وقال عندما كان يلف الفيلم الخاص به :

« ينبغى عليك أن تذهبى إلى Beauty comps

فقلت « أشكرك » (الطريقة التى تتكلم بها تتصف بالجنون . وأنا لا أدرك ذلك إلاّ بعد أن أقوم بكتابة الكلام الذى دار بيننا . فهو يتكلم كما لو كانت لى مطلق الحرية فى الانصراف فى أية لحظة . كما أننى أتكام بنفس الطريقة أيضاً) .

وقال : « أراهن على أنك ستكونين رائعة الجمال للغاية وأنت ترتدين Wotchermercallit

فظهرت علىّ الحيرة والارتباك . فقال : « واحدة من تلك الأشياء الفرنسية السابحة » .

فتساءلت « بكينى ؟ »

وأنا لا أستطيع السماح بكلام مثل ذلك لذلك رحت أحملق نحوه فى برود .

وقلت « هل ذلك هو ما تعنيه ؟ »

فقال وقد تصاعدت الدماء إلى وجهه « لكى ألتقط لك صورة فوتوغرافية وأنت على ذلك النحو » .

والشىء العجيب هو أننى أدرك أنه يقصد ذلك على وجه الدقة . فهو لم يكن يهدف إلى أن يكون بذيئاً . وهو لم يكن يلمح إلى أىّ شىء . كل ما هنالك أنه كان أخرقا وعديم الكياسة . كعادته دائما . كان يقصد ما قاله حرفيا . بمعنى أننى سأكون رائعة الجمال إذا التقط لى صورة فوتوغرافية وأنا مرتدية « مايوه بكينى » .

وقد أعتدت أن أعتقد أن ذلك الأمر موجود هنالك بكل تأكيد . وهو مكبوت على عمق شديد ولكن من المؤكد أنه موجود هنالك .

ولكننى لم أعد أعتقد فى ذلك . فأنا لا أعتقد حاليا أنه يكبت فى داخله أىّ شىء . إذ لا يوجد شىء ما لكى يكبته فى داخله نزهة ليلية محببة للنفس . كانت هناك مساحات هائلة ممتدة من السماء الصافية التى لا يوجد بها قمر وتناثرات من النجوم البيضاء الدافئة فى كل مكان مثل اللآلىء التى لها لون اللبن الحليب بالاضافة إلى نسيم جميل . يهب من الجهة العربية . وجعلته يصطحبنى هنا وهناك فى أرجاء المكان على مدى عشر مرات أو أثنى عشرة مرة . وكانت أغصان الأشجار تصدر حفيفا وكانت هناك بومة تنعق فى الغابات . وكانت السماء جامحة تماما ومنطلقة فى حرية كاملة ومليئة تماما بالرياح والهواء والفضاء والنجوم .

الرياح مليئة بالروائح والأماكن البعيدة . ومليئة بالآمال . وكذلك البحر . وكان بمقدورى أن أشم رائحة البحر . وقلت (فيما بعد بالطبع حيث كانت الكمامة موجودة فى فمى أثناء وجودى بالخارج) « هل نحن قريبان من البحر ؟ » فقال « نحن على مسافة عشرة أميال من البحر » فقلت « بالقرب من مدينة لويس » فقال « لا أستطيع أن أقول ذلك » .

(وغالبا ما أشعر بذلك وأنا معه - أشعر أنه إنسان طيب ذليل واقع تحت سيطرة شخص وضيع سيىء الخلق) .

وفى داخل المنزل لم يكن الأمر مختلفا اختلافا كبيرا . وتحدثنا معا عن أسرته مرة أخرى . وكنت أداوم على احتساء scrumpy. وأنا أفعل ذلك (بعض الشىء) لأرى ما إذا كان باستطاعتى أن أجعله مخمورا وغافلا وغير مكترث . ولكنه كان يحرص على عدم تناول ذلك المشروب وهو يقول عن نفسه

أنه ليس ممن يتعاطوا الخمور والمسكرات على الاطلاق . أذن فذلك جزء من warderishness . فهو لا يرغب فى أن تتعرض أخلاقه للفساد .

ميراندا : حدثنى فى مزيد من التفصيل عن أسرتك .

كاليبان : ليس عندى كلام آخر أقوله . كلام من شأنه من أن يثير اهتمامك .

ميراندا : هذه ليست أجابة .

كاليبان : الأمر على النحو الذى قلته .

ميراندا : كما قلتُ .

كاليبان : عادة ما كان يقال لى أننى ممتاز فى اللغة الانجليزية . وكان ذلك قبل أن أعرفك .

ميراندا : هذا لا يهمّ .

كاليبان : أعتقد أنك حصلتِ على مستوى أ " A " وكل تلك الأمور .

ميراندا : نعم . لقد حصلت على مستوى أ ٍ »

كاليبان : لقد حصلتُ أنا على مستوى O فى الرياضيات والبيولوجيا .

ميراندا : (وكنت أعدّ الخرز - بلوزة من التريكو - صوف فرنسى غالى الثمن) :

حسنا . سبعة عشر . ثمانية عشر . تسعة عشر ....

كاليبان : لقد حصلت على جائزة للهوايات .

ميراندا : أنت إنسان ماهر . حدثنى أكثر عن والدك .

كاليبان : سبق أن حدثتك عنه . لقد كان مندوبا . فى مجال الأدوات المكتبية والبضائع غير العادية .

ميراندا : وكيل تجارى متجول ؟ .

كاليبان : أنهم يسمونهم الآن : مندوبين » .

ميراندا : وهو قد قُتل فى حادث تحطم سيارة قبل الحرب . وانطلقتْ أمك مع رجل آخر .

كاليبان : أنها لم تكن إنسانة طيبة .

مثلى . (فنظرت إليه فى برود . وأشكر الله على أن روح الفكاهة عنده نادرا ما تنضح) .

ميراندا : لذلك احتضنتك عمتك وتولتْ رعايتك » .

كاليبان : نعم .

ميراندا : مثل مدام جو Joe وبيب Pip .

كاليبان : مَنْ ؟

ميراندا : لا تهتم .

كاليبان : إنها على ما يرام . وهى قد حالت دون دخولى إلى ملجأ الأيتام .

ميراندا : وماذا عن مابيل ابنة عمتك .

إنك لم تحدثنى بأىّ كلام عنها .

كاليبان : إنها أكبر منى فى السن . فهى تبلغ من العمر ثلاثين عاما . وهناك أخوها الأكبر . ولقد ذهب إلى أستراليا عقب الحرب إلى عمى ستيف .

وهو شخص أسترالى بمعنى الكلمة . ولقد ظل هناك لسنوات عديدة . وأنا لم أشاهده على الاطلاق .

ميراندا : وليست لديك أية أسرة أخرى ؟

كاليبان : هناك أقارب لعمى ديك . ولكنهم لم يتصادقوا مع عمتى آنّى على الاطلاق .

ميراندا : أنت لم تحدثنى عن مابيل .

كاليبان : إنها إنسانة مشوهة . فهى مصابة بالشلل النصفى . وهى حادة الطبع . ودائما ما تريد أن تعرف كل الأشياء التى يفعلها المرء .

ميراندا : ألا تستطيع أن تمشى ؟

كاليبان : إنها تمشى لمسافات قصيرة فى داخل المنزل . ونحن نضطر لأن نضعها فى كرسى عندما نخرج بها إلى خارج المنزل .

ميراندا : ربما قد سبق لى مشاهدتها .

كاليبان : أنت قوية الملاحظة .

ميراندا : ألا تشعر بالأسف من أجلها ؟

كاليبان : المرء يشعر بالأسف من أجلها طوال الوقت . الغلطة هى غلطة عمتى آنىّ .

ميراندا : إستمر فى الكلام .

كاليبان : إنها تجعل كل شىء حولها مشوها أيضاً . لا أستطيع أن أوضح وجهة نظرى على وجه الدقة . وكأنه ليس من حق أىّ انسان آخر أن يكون طبيعيا وعاديا وسويا . أعنى أنها لا تشتكى وتتذمر صراحة . ولكنها

تكتفى بالقاء النظرات . وعندئذ ينبغى على المرء أن يكون حريصا للغاية .

ميراندا : يالها من وضاعة وخسة !

كاليبان : وينبغى على المرء أن يفكر فى حرص شديد فيما يقوله من كلام .

ميراندا : فى حرص .

كاليبان : أقصد فى حرص شديد .

ميراندا : ولماذا لم تلذ بالفرار ؟

وتسكن فى غرفة مستأجرة بمنزل شخص آخر ؟

كاليبان : لقد فكرت كثيراً فى ذلك .

ميراندا : لأنهما كانتا امرأتين تتصرفان وفق أهوائهما . وأنت كنت جنتلمانا .

كاليبان : being a charley

محزن . ومحاولاته لأن يكون ساخرا وكلبى النزعة) .

ميراندا : وهما الآن فى أستراليا حيث يحاولان إدخال التعاسة على أقاربك الآخرين .

كاليبان : أعتقد ذلك .

ميراندا : هل تقومان بارسال خطابات ؟

كاليبان : نعم . ليست مابيل .

ميراندا : هل يمكن لك أن تقرأ لى أحد هذه الخطابات فى يوم ما ؟

كاليبان : وما السبب فى ذلك ؟

ميراندا : لمجرد أن أشعر بالتسلية .

كـاليـبـان : (صـراع داخلى هـائل) : لقـد وصلنى خطاب فى هذا الصباح . (وفى نهاية الأمر يستخرج الخطاب من جيبه) : إنهما تتسمان بالغباء .

ميراندا : هذا لا يهمّ . إقرأ الخطاب بصوت مرتفع . إقرأه من أول إلى آخـــره .

كـان هو جـالسـا بجـوار البـاب وكنت أنا مـشـغـولة فى الحـيـاكـة بابرة التريكو . وأنا لا أستطيع أن أتذكر ما ورد فى الخطاب بالحرف الواحد ولكنه كـان على هذا النحـو تقـريبـا : عـزيزى فـريد (وقـال : وهذا هـو الاسم الذى تنـادينى به فـهى لا تحـب اسم فـرديناند - واحـمـرّ وجـهـه بسـبب الخـجل والارتبـاك) . إننى مـسـرورة لتـسلمى خطابك . وكمـا قلت لك فى خطـابى الأخير فإن النقود هى نقودك . ولقد كان الله شفوقا عليك للغاية ولذلك يجب عليك ألا تتحدى العطف الالهى عليك وأمل ألاّ تكون قد اتخذت هذه الخطوة . وعمك ستيف يقول أن الممتلكات متاعبها أكثر من قيمتها . وألاحظ أنك لا تجيب على أسئلتى فيما يتعلق بالمرأة التى تقوم بأعمال النظافة . إننى أعرف أحوال الرجال وعليك فقط أن تتذكر ما يقوله الناس من حيث أن النظافة تجىء فى المرتبة الثانية بعد التقوى والورع والصلاح . أنا ليس لى حق وأنت كنت كريما للغاية يا فريد . والعم ستيف والأولاد وجيرتى لا يعرفون السبب فى عدم مجيئك إلى هنا معنا ولقد قالت جيرتى فى هذا الصباح أنه كان ينبغى عليك أن تكون موجودا معنا هنا . ولكن لا تظن أننى غير شاكرة وأمل أن يغفر لى الربّ ولكن هذه كانت تجربة عظيمة ولن تتمكن من التعرف على مابيل الآن لأن بشرتها قد أصبحت بنية اللون بسبب تأثيرات الشمس هنا . الجو رائع للغاية هنا ولكننى لا أحب التراب والغبار المنتشر فى كل

مكان . فكل شيء هنا سرعان ما يصبح مغبرا ومليئا بالتراب والناس هنا يعيشون عيشة مختلفة عن حياتنا فى انجلترا . وهم ينطقون اللغة الانجليزية بطريقة أقرب إلى اللهجة الأمريكية وهم يتفوقون علينا فى هذا الصدد (حتى العم ستيف) ولن أشعر بالأسف لدى العودة إلى شارع بلاكستون فأنا أشعر بالضيق عندما أفكر فى الرطوبة والقذارة . أمل أن تكون قد فعلت ما أوصيت به ألا وهو تهوية جميع الغرف مع إحضار إمرأة ممتازة للقيام بأعمال النظافة . أمل ذلك .

يا فريد . أمل ألا تجعلك كل هذه النقود تفقد صوابك . فهناك العديد من الأشخاص المهرة غير الأمناء (وقال أنها تعنى بذلك النساء) المنتشرين فى كل مكان فى هذه الأيام . ولقد ربيتك تربية جيدة بقدر ما أستطيع فإذا أقدمت على أعمال خاطئة فكأنني أنا الذى فعلت تلك الأعمال الخاطئة وأنا أعرف أنك قد وصلت إلى سن الرشد (وقال أنها تعنى أن سنى قد وصل إلى ما يزيد على ٢١ عاما) ولكننى أشعر بالقلق عليك بسبب كل ذلك الذى حدث . (وهى تعنى بذلك أننى يتيم) .

ولقد أحببنا مدينة ملبورن . وهى مدينة كبيرة . ولسوف تذهب فى الأسبوع التالى إلى بريسبين لكى نقيم مع بوب Bob مرة أخرى ومع زوجته. وهى قد كتبت رسالة لطيفة . وهم سيقابلوننا فى المحطة . والعم ستيف وجريت والأطفال يرسلون لك خالص حبهم وتحياتهم وكذلك مابيل والمحبة لك دائما .

وبعدئذ تقول أنه لا حاجة بى لأن أشعر بالقلق على النقود . فالنقود متوافرة تماما . وبعدئذ تأمل أن أكون قد حصلت على امرأة لتقوم بالعمل . وهى تقول أن النساء الصغيرات فى السن لا يقمن بالتنظيف السليم فى هذه الأيام .

(وسادت فترة طويلة من الصمت) .

ميراندا : هل تعتقد أن هذا الخطاب ظريف ؟

كاليبان : إنها تكتب دائما على ذلك النحو .

ميراندا : إن خطابها يجعلنى أشعر بالغثيان .

كاليبان : أنها لم تحصل على أىّ تعليم حقيقى أبداً .

ميراندا : أن المسألة ليست هى أسلوبها فى اللغة الانجليزية . وأنما المسألة هى عقلها الردىء .

كاليبان : إنها تحتوينى وتضيق علىّ الخناق .

ميراندا : لقد فعلت ذلك بكل تأكيد . فهى قد احتوتك ومازالت تضيق عليك الخناق .

وهى قد خدعتك وضللتك وغشتك تماما » .

كاليبان : أشكرك شكرا جزيلاً .

ميراندا : حسنا . إنها قد خدعتك .

كاليبان : أوه . أنت على حق . كالمعتاد .

ميراندا : لا تقل ذلك الكلام (ووضعت أشغال الإبرة على جانب وأغلقتُ عينى) .

كاليبان : إنها لم تتحكم فىّ بمقدار نصف ما تفعلينه أنت .

ميراندا : أننى لا أتحكّم فيك ولا أترأس عليك . ولكننى أحاول أن أعلمك .

كاليبان : أنت تعليمنى كيف أحتقرها وكيف أفكر مثلك . وأنت سرعان ما ستتركيننى ولن يكون لدىّ أىّ شخص على الأطلاق .

ميراندا : أنت الآن تثير الشفقة على نفسك .

كاليبان : إنه الشىء الوحيد الذى لا تفهمينه .

ميراندا : إخرس . فأنت قبيح بما فيه الكفاية وبدون أن تبدأ فى النحيب الحزين .

وقمت بالتقاط أشغال التريكو ووضعتها بعيداً عنى . وعندما نظرت فيما حولى كان هو واقفا هناك وقد فتح فمه محاولا أن يقول كلاما ما . وعندئذ أدركتُ أننى قد آذيتَ مشاعره . وأنا أدرك أنه يستحق أن تؤذى مشاعره ولكن ها هى مشاعره قد جُرحت . فلقد آذيتُ مشاعره . وظهر على وجهه الاكتئاب الشديد . وتذكرتُ أنه قد سمح لى بالخروج والتريض فى الحديقة . فشعرتُ بأننى وضيعة .

فاتجهتُ إليه وقلت له « أننى آسفة » ومددت له يدى لكى أصافحه ولكنه لم يسلِّم على يدى . كان الموقف غريبا . لقد كان لديه بالفعل نوع من الوقار وكان قد أوذيت مشاعره بالفعل وكان يُظْهر أن مشاعره قد جُرحت . لذلك أمسكتُ بذراعه وأرغمته على الجلوس مرة أخرى . ثم قلت له « سأحكى لك قصة خرافية » .

فى يوم ما فى الماضى البعيد (هكذا ابتدأت فى القصة بينما كان هو يحملق فى مرارة شديدة نحو أرضية الغرفة) كان هناك وحش قبيح المنظر للغاية قام بالاستيلاء على أميرة ووضعها فى سجن تحت الأرض فى القلعة الخاصة به . وفى كل مساء كان يجعلها تجلس معه ويأمرها بأن تقول له «أنت

وسيم للغاية يا سيدى » وفى كل مساء كانت تقول له « أنت قبيح للغاية أيها الوحْش » . وبعدئذ ظهرت مشاعر الاهانة الشديدة والحزن على الوحش وراح يحملق فى أرضية الغرفة . ولذلك فإن الأميرة قالت ذات مساء « إذا فعلت هذا الشىء وذلك الشىء فانك قد تصبح وسيما » ولكن الوحشْ قال « أننى لاأستطيع . لا أستطيع » . فقالت الأميرة . « حاول . جرّب » ولكن الوحش قال « لا أستطيع . لا أستطيع » . وفى كل مساء كان يتم نفس الشىء . وطلب منها أن تكذب ولكنها رفضتْ . ولذلك بدأت الأميرة تعتقد أنه يستمتع حقا لكونه وحْشا ولكونه قبيحا للغاية . وبعدئذ وذات يوم شاهدته وهو يبكى عندما قالت له للمرة الخمسين أنه قبيح المنظر ولذلك قالت له « يمكن لك أن تصبح وسيما وجميلا للغاية إذا فعلت شيئاً ما واحدا . فهل ستفعل ذلك الشىء ؟ » فقال أخيراً « نعم . سأحاول أن أفعل ذلك الشىء » . لذلك قالت له « أطلق سراحى » . فأطلق سراحها بالفعل . وفجأة وعلى الفور لم يعد قبيح الشكل على الاطلاق . فلقد كان أميرا واقعا تحت أعمال السحر والشعوذة . ثم سار وراء الأميرة خارجا من العلقة . وعاش الاثنان فى سعادة أبدية فيما بعد .

وكنت أدرك أن القصة كانت تبدو سخيفة أثناء سردى لها . Fey ولم يتكلم وظل محملقا لأسفل .

فقلت له « والآن جاء الدور عليك لكى تقص علىّ قصة خرافية » .

فاكتفى بأن قال « إننى أحبك » .

وكانت مشاعر الوقار فى داخله تفوق الوقار الذى يجتاحنى فشعرتُ أننى ضئيلة ووضيعة . لأننى دائما أسخر منه وأطعنه وألكزه وأكرهه وأظهر له

كراهيتى الشديدة له . وكان الموقف غريبا للغاية . حيث كنا نجلس فى صمت فى مواجهة بعضنا البعض وكان لدى إحساس سبق أن شعرتُ به مرة أو مرتين من قبل ... أحساس بأننى قريبة للغاية منه على نحو عجيب . وهو أحساس لا يمكن أن نقول عنه أنه حبّ أو جاذبية أو تعاطف بأىّ حال من الأحوال . ولكنه ارتباط قدرى أو رابطة مصيرية . وكأننا قد تحطمت بنا سفينة فأصبحنا معا فوق جزيرة أو فوق عوامة من الألواح الخشبية المشدودة . فنحن الاثنان لم نكن نرغب فى أن نكون سويا . ولكننا متواجدان معا .

أشعر بوجود حزن رهيب فى داخل حياته أيضاً . وأشعر بأحزان عمته البائسة وابنة عمته البائسة وأقاربهم البائسين فى أستراليا . أشعر بتلك الأحزان الهائلة الكئيبة الميئوس منها . مثل لوحات هنرى مور Henry Moore عن الناس الموجودين فى السكة الحديد الموجودة تحت الأرض فى لندن أثناء هجوم جوّى مفاجىء . الناس الذين لا يشاهدون شيئاً أبداً ولا يحسون ولا يرقصون ولا يرسمون ولا يصيحون إعجابا لدى سماع الموسيقى ولا يشعرون بالعالم حولهم ولا يحسون بالرياح الغربية . ولا يشعرون بأىّ أحساس حقيقى على الاطلاق .

مجرد تلك الكلمات الثلاث التى قالها وقصد معناها .. « أنا أحبك I love you » .

وكانت كلمات ميئوس منها تماماً . وقال تلك الكلمات كما لو كان يقول : « إننى مصاب بالسرطان » .

قصته الخرافية .

٣١ أكتوبر :

لا شيء . قمتُ بتحليلة تحليلا نفسيا في هذا المساء .

كان يجلس في تخشب وتصلّب شديدين إلى جواري .

كنا ننظر إلى صور للفنان جويا Goyaمطبوعة من لوح معدني محفور . ربما كان الأمر يرجع إلى الصور في حدّ ذاتها . ولكنه كان يجلس وأنا اعتقدتُ أنه لم يكن ينظر في حقيقة الأمر إلى تلك الصور . وإنما كان يفكر فقط في وجوده في مكان قريب للغاية مني .

الكبت النفسي الخاص به . إنه أمر سخيف ولا يقبله العقل . وتحدثت معه كما لو كان بامكانه أن يكون سويا وطبيعيا بكل سهولة . وكما لو لم يكن هو انسان مخبول يحتجزني هنا كسجينة عنده . تحدثت معه وكأنه شاب لطيف يريد الحصـــول على قدْر من الملاطفة من صديقة له مرحة وخفيفة الظل .

والسبب في ذلك هو أنني لا أرى أبداً أيّ شخص آخر . إنه يصبح بذلك النموذج المعياري . نسيت كيف أقارن .

أعود مرة أخرى إلى .G.P

كان ذلك عقب الدوش البارد مباشرة (عقب ما قاله عن انتاجي من اللوحات الفنية) . كنت أشعر بالقلق والملل ذات مساء . فذهبتُ إلى شقته . في حوالي الساعة العاشرة مساء . وكان مرتديا الروب دي شامبر .

وقال « لقد كنت على وشك الذهاب للنوم في السرير » .

فقلت « لقد كنت أريد سماع شيء من الموسيقى . ولسوف أنصرف » ولكنني لم أنصرف .

فقال « الوقت متأخر » .

فقلت « إننى أشعر بالاكتئاب . فلقد قضيت يوما كريها وكانت كارولين سخيفة للغاية فى فترة العشاء » .

فسمح لى بالصعود على السلالم وجعلنى أجلس على الأريكة ووضع أسطوانة فى جهازا لتسجيل وأطفأ الأنوار الكهربائية وتسلل القمر من خلال النافذة . وسقط ضوء القمر على ساقىّ . كان قمرا فضيا بطيئا محبباً للنفس . وكان مُبْحراً . وجلس هو فى الكرسى الفوتيى فى الجانب الآخر من الغرفة بين الظلال .

وكانت الموسيقى تنساب .

أنها تنويعات جولدبرج Goldberg Variations.

وكانت هناك تنويعة قرب نهاية الأسطوانة تتسم بالبطء الشديد والبساطة الشديدة والحزن العميق ولكنها جميلة للغاية فيما وراء الكلمات أو الرسم أو أىّ شىء آخر باستثناء الموسيقى حيث كانت رائعة هنالك تحت ضوء القمر . موسيقى القمر .. فضية للغاية وبعيدة ونائية للغاية ونبيلة وسامية للغاية .

كلانا موجودان فى تلك الغرفة . لا يوجد ماض ولا يوجد مستقبل . كل شىء فى خضمّ عميق فى تلك الأوقات اللحظية فقط . شعور بأن كل شىء يجب أن ينتهى : الموسيقى وأنفسنا والقمر وكل شىء . وأنه إذا تمكنت من الوصول إلى لبّ الأشياء فانك تعثر على الحزن للأبد وإلى مالا نهاية وفى كل مكان ولكنه حزن فضىّ وجميل مثل وجه السيد المسيح ... مثل وجه سيدّ مسيح .

كنت مـتـقـبلة للحـزن . وكنت أدرك أن إدعـائى بـأن الموقف مليئ كله بالغبطة يعتبر أدعاء متسما بالخيانة والغدر . الخيانة لكل شـخص حزين فى تلك اللحظة . والخيانة لكل شخص غارق للأبد فى الحزن . والخيانة لمثل هذه الموسيقى ولمثل هذه الحقيقة .

وفى كل هذا الصخب والضجة والضوضاء وفى كل هذا القلق وكل هذه الرداءة والأعمـال والأشـغال التى تتصف بها لندن من حيث الجرى وراء بناء المستقبل ووراء الفن والدراسة والتعلّم والجرى المحموم وراء اكتساب الخبرات نجد فجأة هذه الغرفة الفضية الساكنة المليئة بتلك الموسيقى .

مثل استلقاء المرء على ظهره مثلما فعلنا فى أسبانيا عندما إستلقينا فى الخـلاء ورحنا ننظر لأعلى من خـلال أغـصـان أشـجـار التين إلى دهاليز النجوم والبحار العظيمة ومحيطات النجوم . وأدركت ما ينبغى أن يكون عليه الحال فى الكون .

صحتُ . فى صمت .

وفى نهـاية الأمـر قـال « والآن هل يمكن لى الذهاب إلى سـريرى ؟ » . وداعبنى فى رفق بعض الشىء مما جعلنى أعود إلى الأرض مـرة أخـرى . وتهيأتُ للانصـراف . ولا أظن أننا قلنا أىّ كلام . لا أسـتطيع أن أتذكر . كان يبتـسم ابتسـامته المعهودة الخفيفة الجـافة حيث أدرك أننى كنت مـتأثرة عاطفيا .

كياسته المتقنة .

وكنت على اسـتعداد للنوم معه فى السرير فى تلك الليلة . لو كان قد طلب منى ذلك . لو كان قد اقترب منى وقام بتقبيلى .

ليس من أجله ولكن من أجل كونى على قيْد الحياة .

أول نوفمبر :

شهر جديد . وحظ جديد مازالت فكرة حفر نفق فى الحائط تطاردنى فى إلحاح . ولكن الصعوبة كانت تتمثل حتى الآن فى العثور على شىء لاستخدامه فى الحفر فى الخرسانة . وبالأمس وبينما كنت أزاول الرياضة فى السرداب الخارجى شاهدت مسماراً . مسمار ضخم قديم ملقى أسفل الحائط فى الركن البعيد . فتعمدتُ أن يسقط منديلى على الأرض لكى أتمكن من القاء نظرة عن كثب . ولم يكن بمقدورى أن التقطه لأنه يراقب كل حركاتي مراقبة شديدة . هذا علاوة على أنه من الصعب التقاطه بينما يداى مربوطتان . وفى هذا اليوم عندما كنت فى مكان قريب من المسمار (وهو دائما ما يجلس على قمة السلالم) قلت له (وقد تعمدت أن أقول ذلك) : « أذهب بسرعة وأحضر لى سيجارة ... وعلبة السجاير موجودة فوق الكرسى عند الباب » . فرفض بالطبع تنفيذ أوامرى وقال « ما الذى تهدفين إليه ؟ » .

« لسوف أبقى فى مكانى . لن أتحرك من مكانى » .

« ولماذا لا تذهبين بنفسك لاحضار السجاير ؟ »

« لأننى فى بعض الأحيان أحب أن أتذكر تلك الأيام التى كان يتسابق فيها الرجال لتقديم خدمة لى واظهار روح الودّ والصداقة نحوى . وذلك هو كل ما فى الأمر » .

ولم أكن أتوقع أن تنجح هذه الخطة . ولكنها نجحت بالفعل . إذ اعتقد فجأة أنه لا يوجد هناك أىّ شىء يمكن لى أن أفعله ولا يوجد هناك أىّ شىء يمكن لى أن ألتقطه . (فهو يضع كل شىء فى درج ويغلق الدرج بالمفتاح عندما أخرج إلى هنا) . ولذلك فإنه نفذ من خلال الباب . ولم أستغرق أنا

سوى لحظة واحدة . حيث انحنيت فى لمح البصر . والتقطت المسمار ووضعته فى جيب جونلتى - والتى كنت قد أرتديتها خصيصا من أجل ذلك - وأصبحت واقفة فى اعتدال على النحو الذى تركنى عليه عندما قفز راجعا إلىَّ . وهكذا حصلت على المسمار الخاص بى . وجعلته يعتقد أنه يمكن له أن يثق فىَّ . وبذلك اصطدت عصفورين بحجر واحد .

أن الحصول على مسمار هو أمر تافه للغاية . ولكن ذلك بدا لى وكأنه انتصار هائل .

وكنت قد بدأت فى وضع خطتى موضع التنفيذ . ولقد ظللتُ على مدى أيام أقول لكاليبان أننى لا أعرف الأسباب التى تدعو لعدم اخبار أبى وأمى وكل فرد آخر بما إذا كنت لا أزال على قيدْ الحياة . وأصبحت له أنه يمكن له على الأقل أن يخبرهم بأننى مازلت على قيد الحياة ومازلت على ما يُرام . وفى هذه الليلة عقب العشاء قلت له أنه يمكن له أن يشترى ورقا من محلات وولويرث مع استخدام القفازات وإلى غير ذلك من احتياطات واجراءات وقائية . وحاول أن يتملَّص من ذلك كالمعتاد . ولكننى ظللت ألح عليه . ورحت أفند له كل اعتراض يبديه . وفي نهاية الأمر شعرت أنه بدأ يقتنع باتخاذ هذا الاجراء إرضاءً لى .

وقلت له أنه يمكن له أن يُرسل الخطاب من لندن وذلك إمعانا فى تضليل الشرطة . كما قلت له أننى أريد أشياء كثيرة من لندن فى نفس الوقت . وكان علىَّ أن أبعده عن هنا لمدة ثلاث أو أربع ساعات على الأقل . وذلك بسبب وجود أجهزة إنذار فى هذا المنزل . وبعد انصرافه أعكف على حفر النفق الخاص بى . وكنت أعتقد أن حوائط هذا السرداب تتألف من حجارة متراصة وليس من قطعة حجرية واحدة ولذلك فقد اعتقدت أيضاً أنه يوجد تراب خلف

الأحجار بكل التأكيد . ولذلك فكل ما عليَّ أن أفعله هو أن أثقب الحجارة وبعدئذ سأصل إلى التراب اللين (وفقا لتصوراتى) .

وهى فكرة ربما تكون جامحة تماما . ولكننى كنت متلهفة تماما على محاولة تنفيذها .

المرأة النيسينية Nielsen لقد تقابلتُ معها مرتين أخريتين فى منزل G.P. عندما كان هناك أناس آخرون موجودين هناك – وكان زوجها أحد هؤلاء الناس . وهو رجل دانماركى يشتغل فى أعمال الاستيراد . وكان يتكلم الانجليزية فى اتقان . وهو اتقان شديد للغاية مما جعل لغته تبدو مليئة بالأخطاء اللغوية . أو تبدو غير طبيعية أو مليئة بالتظاهر .

ولقد تقابلت معها ذات يوم عندما كانت خارجة من محلّ الكوافير بينما كنت أنا داخلة فى ذلك المحل لتحديد موعد لقاء مع كارولين وكانت تتخذ ذلك الشكل المشرق الحساس الذى تقلد به النساء من أمثالها الفتيات اللائى هن من نفس سنىّ . وهو الشكل الذى تسميه مينِّى « الدعوة إلى الدخول فى قبيلة النساء » وهذا يعنى أنهن بصدد أن يعاملنك معاملة الانسانة الناضجة اليافعة ولكنهن لا يعتقدن فى حقيقة الأمر أنك ناضجة بالفعل ويشعرن على كل حال بالحقد والغيرة منك .

وأبدت إستعدادها لأن تصطحبنى لتناول القهوة معا . وكنت عبيطة وكان ينبغى على أن أكذب . وكان كل كلامها ينصب علىَّ وعلى إبنتها وعلى الفنّ . وهى تعرف أناسا وقد حاولتْ أن تبهرنى بذكر بعض الأسماء . ولكن ما يشعر به الناس ازاء الفنون هو الشىء الذى أحترمه . وليس المعلومات التى يعرفونها أو الشخصيات التى يعرفونها .

وأنا أعرف أنها لا يمكن أن تكون امرأة مساحقة . ولكنها تقترب من ذلك المعنى . فهناك أشياء فى عينيها لا تجرؤ على الافصاح بها إليك . ولكنها تريد من المرء أن يطلب منها أن تفصح عنها .

وبدا عليها وكأنها تريد أن تقول « أنت لا تعرفين ما حدث وما زال يحدث بينى وبين .G.P . وأتحدى أن تكون لديك الجرأة على أن تسألينى » .

واستمرت فى الكلام المتواصل عن شارع شارلوت فى أواخر الثلاثينات وعن الحرب . ديلان توماس Dylan Thomas . .

وقالت « إنه معجب بك » .

فقلت « أعرف ذلك » .

ولكنها كانت صدمة . فهذا أمر كانت تريد أن تتأكد من صحته (فهل أخبرها بذلك ؟) كما كانت تريد أن تناقشه .

وقالت : « لقد اعتاد على الاعجاب باستمرار بالفتيات الجميلات » .

وكانت ترغب فى مناقشة ذلك على نحو رهيب .

وبعدئذ انصب كلامها على ابنتها .

فقالت « إبنتى تبلغ من العمر الآن ١٦ عاما . وأنا لا أستطيع النفاذ إلى داخل ذهنها . ففى بعض الأحيان عندما أتحدث معها أشعر أننى مثل حيوان موجود فى حديقة للحيوانات . فهى تكتفى بالوقوف بالخارج وترقبنى . »

وأدركتُ أنها قد قالت لى نفس ذلك الكلام من قبل . أو أننى قد قرأته فى مكان ما . يمكن لك عن تدرك ذلك دائما .

النساء اللائى هن على شاكلتها يكن جميعا دائما على ذلك النحو . ليس المراهقون والمراهقات من الفتيات والذين هم تحت العشرين سنة الذين لهم طبيعة مختلفة . فنحن الصغار لم نتغيّر كل ما هنالك أننا صغار فى السن. والذين تغيروا هم الناس الجدد السخفاء الذين هم فى منتصف العمر والذين يرغبون فى أن يكونوا صغارا فى السن . هذه المحاولة المستميتة السخيفة فى المكوث والبقاء معنا . فهم لا يمكن لهم أن يكونوا معنا . فنحن لا نريد لهم أن يكونوا معنا . ولا نريد لهم أن يرتدوا نفس موضة الملابس التى نرتديها ولا نريد لهم أن يستخدموا نفس اللغة التى نستخدمها ولا نريد لهم أن تكون لهم نفس إهتماماتنا . فهم يقلدوننا على نحو سيىء للغاية مما يجعلنا لا نشعر نحوهم بالاحترام والتبجيل .

ولكن تلك المقابلة التى تمت بينى وبينها جعلتنى أشعر أن G.P. قد أحبنى بالفعل (كان يريدنى بالفعل) . وأن هناك رابطة عميقة تربط بينى وبينه – وهى رابطة حب من جانبه ورابطة إعجاب شديد من جانبى (بل وهى رابطة حبّ حقيقى من جانبى ولكنه حبّ لا يتسم بالطابع الجنسى) وهو إحساس كان يسير بخطوات قوية نحو التوصل إلى اتفاق مرضى بيننا . نوع من التشوش الضبابى لرغبة غير مجابة وحزن قائم بيننا . شىء ما لم يكن باستطاعة أناس آخرين (من أمثال المرأة النيلسينية فهمه فى أىّ وقت على الأطلاق .

شخصان موجودان فى صحراء ويحاولان العثور على نفسيهما وعلى واحة حيث يمكن لهما العيش سويا .

ولقد بدأت أفكر أكثر وأكثر على هذا النحو – أنها لقسوة شديدة للغاية من القدر لأنه قد وضع هذه العشرين عاما بيننا ولماذا لم يكن بالمستطاع أن

يكون هو فى نفس سنى و أكون أنا من نفس سنِّه ؟ ولذلك فإن مسألة العمر لم تعد هى العامل البالغ الأهمية الذى يقضى على الحب قضاء مبرما وإنما هو نوع من الحائط القاسى الذى شيده القدر بيننا . أننى لم أعد أعتقد أن الحائط موجود بيننا وأنما أعتقد أن الحائط يفصل ما بيننا وتعزلنا عن بعضنا البعض .

٢ نوفمبر :

إستخدام الورقة عقب الانتهاء من تناول طعام العشاء وأملى علىّ خطابا سخيفا وقمت أنا بكتابة ما أملاه علىّ .

وبعدئذ بدأت المتاعب . اذ كنت قد جهزت ورقة صغيرة للغاية مكتوبة عليها بخط يدى بحروف ضئيلة وصغيرة للغاية ودفعت بتلك الورقة الضئيلة إلى داخل المظروف عندما كان غير ملتفت إلىّ وكانت قصاصة ضئيلة للغاية من الورق وبحيث لا يمكن أن يلحظها أحد حتى فى أفضل قصص الجاسوسية .

ولكن لاحظها بالفعل .

وشعر بالضيق الشديد عندما شاهد تلك الوريقة . اذ جعلته تلك الوريقة يشاهد الأشياء تحت الضوء البارد للحقيقة . ولكنه صُدم صدمة هائلة حتى أننى كان ينبغى علىّ أن أشعر بمشاعر الرعب الشديد والخوف الهائل . إنه لا يستطيع أن يتخيل نفسه وهو يقتلنى أو ينتهكنى . وتلك هى نقطة هامة .

وتركت له العنان لكى يأخذ راحته منفجرا فى ثورة غضب عارمة ولكننى فى نهاية الأمر اتجهت اليه وحاولت أن أكون لطيفة معه (لأننى كنت أدرك أنه يجب على أن أحفزه لكى يرسل ذلك الخطاب) وكانت مهمة صعبة بالنسبة لى . اذ لم يسبق لى أن شاهدته منخرطا فى مثل هذه النوبة العارمة

من الغضب الشديد .

« ألن تفرج عنى وتسمح لى بأن أعود إلى منزلى ؟ » .

« لا » .

« اذن ما الذى تريد أن تفعله بى ؟ أتريد أن تأخذنى إلي السرير ؟ » .

فنظر إليّ نظرة غريبة للغاية وكأننى كنت انسانة مثيرة للقرف الحقيقى .

وبعدئذ هبطت علىّ فكرة جديدة فقمت بالتمثيل عليه بعض الشىء . مثلث دور العبْدة الشرقية المملوك له . فهو يحبنى عندما ألهو فى مزاح . حتى أن أسخف الحركات التى أقوم بها يقول عنها أنها حركات تتسم بالبراعة والذكاء . بل وهو قد اعتاد على المشاركة معى فى التمثيل حيث كان يتعثر ورائى مثل الزرافة (وأنا لستُ مبهرة للغاية فى هذا الشأن) .

لذلك فقد حفزته لأنه يجعلنى أكتب خطابا آخر . ثم ألقى نظرة إلى داخل المظروف مرة أخرى .

وبعدئذ طلبت منه أن يذهب إلى لندن وفقا للخطة التى وضعتها . وأعطيته قائمة سخيفة لأشياء كثيرة (وهى معظمها أشياء لست فى حاجة اليها ولكنها ستجعله مشغولاً لفترة طويلة من الوقت) لكى يشتريها لى . وأوضحت له أن من المستحيل على الشرطة أن تقتفى أثر خطاب أرسل من أحد مكاتب البريد فى لندن . ولذلك قد وافق أخيراً على وجهة نظرى . انه يجب أن يكسبنى عن طريق التملّق لى . إنه حيوان أعجم وله صفات البهائم .

إننى لا ألتمس منه ولا أطلب منه فى توسل أن يشترى لى الأشياء ولكننى أصدر اليه الأوامر . وطلبت منه أن يحاول شراء لوحة فنية للفنان

الرسام جورج باستون(*) . وأعطيه قائمة تضم أسماء المعارض الفنية التى يمكن له العثور فيها على لوحات للفنان الرسام . G . Pبل وحاولت أن أجعله يذهب إلى الأستوديو الخاص به إذا لزم الأمر . ولكنه بمجرد أن سمع أن الاستوديو موجود فى هامبستيد حتى ساورته الشكوك . وأراد أن يعرف منى ما اذا كنت أعرف جورج باستون معرفة شخصية . فقلت له :

« لا . إننى أعرف اسمه فقط » . ولكن ردّى هذا لم يبد مقنعا تماما . وبدأت أخشى ألاّ يقوم بشراء أىّ لوحة من لوحاته من أىّ مكان ، ولذلك أضفتُ قائلة « انه صديق عابر وغير رسمى وهو رجل طاعن فى السن ولكنه رسام ممتاز للغاية . وهو فى مسيس الحاجة إلى النقود لأن حالته المالية سيئة وأنا أحب لوحاته الفنية كثيراً ، ويمكن لنا أن نعلق لوحاته على الحوائط فى هذا المنزل وإذا قمت بالشراء منه مباشرة فاننا لن ندفع نقوداً للمعارض الفنية . ولكننى أرى الآن أنك خائف من الذهاب إليه ولذلك فلا داعى لأن تذهب اليه» .

وأراد أن يعرف ما اذا كان P.G. هو واحد من الرسامين الذين يرسمون لوحات لكى تعلق على الحوائط . فاكتفيت بالقاء نظرة عليه .

كالبيان : لقد كنت أمزح معك وبعد قليل أضاف « إنه ربما يريد أن يعرف من أين جئت وغير ذلك من معلومات » .

فقلت له الكلام الذى يمكنه أن يقوله كردّ على تساؤلاته . فقال : « اننى سأفكر فى ذلك الأمر » وهذا الردّ الكاليبى يساوى « لا » . وكانت تلك خطوة كبيرة للغاية بحيث لم أكن أتوقع أنه سيقدم عليها ، هذا بالاضافة إلى أنه كان هناك احتمال بألاّ يعثر على أىّ شىء فى المعارض الفنية .

(*) وهو الذى تشير اليه بحرفى : G.P. المترجم

وأنا لا أشعر بالقلق إزاء ذلك . لأننى أكون موجودا هنا فى نفس هذا الوقت غدا . نظراً لأننى سألوذ بالفرار . انه سوف ينطلق عقب الانتهاء من تناول طعام الافطار . وهو سوف يترك لى طعام الغذاء الخاص بى .ومن ثم سيكون لدى أربع أو خمس ساعات (اللهم إلاَّ إذا لجأ إلى الغش والخدع بحيث لا يحضر لى كل الأشياء التى طلبت منه شراءها ولو أنه كان يحرص دائما على إحضار جميع الأشياء التى طلبتها منه من قبل) .

شعرت بالأسف من أجل كاليبان فى هذا المساء . فهو سوف يعانى تماما عندما يدرك أننى قد نجحت وتمكنتُ من الفرار . لن يكون هناك أىّ شىء قد تُرك له . سيصبح وحيداً مع عُصابه (اضطرا به العصبى) الجنسى ومع عُصابه الطبقى ومع العبث واللاجدوى الخاص به ومع الخُواء الخاص به . لقد كان ينشد كل ذلك . اننى لا أشعر بالأسف من أجله فى حقيقة الأمر ولكننى لا أشعر بعدم الأسف تماما .

٤ نوفمبر :

لم أتمكن من الكتابة بالأمس . فقد كنت أشعر بالملل والسأم الشديد .

لقد كنت غبية للغاية . لقد جعلته ينصرف بعيدا عنى طوال فترات الأمس . وكان لدى الساعات الطوال التى يمكننى أن أهرب أثناءها . ولكننى لم أكن أفكر تفكيرا حقيقيا فى المشاكل التى تعترض تنفيذ خطة الهرب التى وضعتها . وشاهدت نفسى وأنا أستخرج حفنات من التراب الهائل اللين الناعم. كان المسمار عديم الجدوى . اذ لم يصلح للحفر فى الأسمنت بطريقة سليمة . وكنت أعتقد أن الأسمنت سوف يتقوض ولكنه كان متماسكا على نحو

رهيب . وأمضيت ساعات طويلة فى استخراج كتلة حجرية واحدة ولم يكن هناك تراب خلف تلك الكتلة الحجرية وإنما وراءها كتلة حجرية أخرى أكبر حجما ... كتلة من الحجر الجيرى ... حتى أننى لم أستطع العثور على المكان الذى تبدأ عنده حافة هذه الكتلة . وتمكنت من استخراج كتلة حجرية أخرى من الحائط . ولكن دون جدوى حيث كانت هناك كتلة حجرية أخرى هائلة مماثلة خلفها . فبدأت أشعر باليأس المرير وأدركت أن فكرة حفر النفق غيرمجدية . ورحت أضرب فى عنف بجماع يدى على الباب . وحاولت أن أفتحه باستخدام المسمار مما أدى إلى إصابة يدى بجراح . ذلك هو كل ما حدث . فكل ما حصلت عليه فى نهاية الأمر هو يد مليئة بالجروح والكدمات وأظافر مكسورة .

إنى لست قوية بالقدر الكافى بدون أن تكون لدىّ أدوات ومعدات بل ولستُ قوية حتى مع وجود آلات ومعدات معى .

وأخيرا أعدتُ الكتلتين الحجريتين إلى مكانيهما . وقمت بتغتيت الأسمنت . (بقدر ما أستطيع) مع خلطه بالماء ومسحوق بودرة التّلْك بهدف إخفاء معالم الحفر الحائطية . وحاولت أن أعيد الحفرة إلى الحالة التى كانت عليها من قبل - وعلى نحو فجائى قلت لنفسى أن الحفر كان ينبغى أن يتمّ على مدى أيام عديدة . والشىء الغبى الوحيد هو أننى كنت أتوقع إنجاز هذه المهمة كلها فى يوم واحد فقط .

لذلك أمضيت وقتا طويلا فى محاولة إخفاء معالم تلك الحفرة الحائطية .

ولكن محاولاتى لم تُكلّل بالنجاح حيث تساقطت بعض الأجزاء . كما أننى كنت قد اخترت مكانا بالحائط واضحا للعيان للغاية مما يجعل من المحتم عليه أن يلحظه .

لذلك توقفت عن إخفاء معالم تلك الحفرة . وفجأة ذهبت فى تقديراتى إلى أن الأمر كله يتسم بالتفاهة والغباء وعدم الجدوى . تماما مثل الرسم الردىء . انه موقف غير قابل للانقاذ .

وعندما جاء أخيرا شاهد مكان الحفر بالحائط على الفور . وهو دائما ما يتشمّم فيما حوله بمجرد أن يدخل إلى غرفتى . وبعدئذ بدأ يتفحّص لكى يعرف المدى الذى وصلتُ اليه . فجلستُ على سريرى ورحت أرقبه وأنظرإليه . وفى النهاية ألقيت بالمسمار فى عنف نحوه .

ولقد قام بتثبيت الحجرين فى مكانهما باستخدام أسمنت جديد . وهو يقول أنه يوجد حجر جيرى صلب خلف جميع الكتل الحجرية التى تتألف منها الحوائط .

لم أكن أرغب فى التكلم معه طوال تلك الليلة أو حتى القاء نظرة على الحاجيات التى اشتراها لى رغم أننى أدركت أنه كان هناك اطار للوحة فنية من بين الحاجيات التى أحضرها .

وأخذت حبّة منوّمة واستسلمتُ للنوم عقب تناول العشاء مباشرة .

وبعدئذ وفى هذا الصباح (ولقد استيقظت فى ساعة مبكرة) نزل إلى حجرتى . وقررتُ التغاضى عما حدث وكأن الذى حدث هو أمر لا أهمية له . قررتُ أن أبدو فى حالة طبيعية وقررت ألاّ أستسلم .

وقمتُ بفض أغلفة جميع الأشياء التى أحضرها .

أولا وقبل كل شىء كانت هناك لوحة من رسم الفنان G. P . كانت اللوحات عن فتاة (امرأة شابة) .فتاة عارية تماما . وهى لوحة تختلف تماما

عن جميع اللوحات التى رسمها والتى سبق لى مشاهدتها . وأعتقد أنه قد رسم تلك اللوحة منذ فترة طويلة مضت . وهى إحدى لوحات بكل تأكيد . اذ توجد بها تلك البساطة فى الخطوط والتى يتميز بها كما توجد بها كراهيته الشديدة للدقائق التفصيلية وكراهيته للتوبولسكيتات Toplskiris. والفتاة قد التفتت فى شبه استدارة حيث كانت تعلق فستانا على مشجب أو تقوم برفع فستان من على خُطّاف . هل وجه الفتاة يتسم بالجاذبية والجمال ؟ من الصعب أن نقول ذلك . الجسد ثقيل ومسترخى Maillol بعض الشىء . اللوحات ليست لها نفس قيمة عشرات اللوحات التى رسمها منذ ذلك الحين ولكنها لوحة صادقة وحقيقية .

وقمت بتقبيل تلك اللوحة عندما فضضت عنها الورق الذى كان يغلفها .

كنت أنظر إلى بعض الخطوط ليس من حيث هى خطوط ولكن من حيث هى أشياء قد قام بلمسها بيديه . طوال فترة الصباح . الآن .

أصيب كاليبان بالدهشة لأن الغبطة الشديدة كانت بادية على وجهى عندما جاء إلى غرفتى . وقدمتُ له الشكر الجزيل على كل الأشياء التى أحضرها لى . وقلت له .. لا يمكن للمرء أن يكون سجينا حقيقيا اذا لم يحاول الهرب . والآن لا تجعلنا نتكلم فى هذا الموضوع .

-أتوافق على ذلك ؟ .

فقال لى « لقد اتصلت تليفونيا بجميع المعارض الخاصة باللوحات الفنية والتى زودتينى بأسمائها . ولم يكن يوجد هناك سوى هذه اللوحة الوحيدة » .

فقلت « أشكرك جزيل الشكر . هل لى أن أحتفظ بهذه اللوحة هنا فى

غرفتى السفلية . وعندما أنصرف من هنا فاننى سأعطيها لك » .

(ولكنه قال أنه لا يرغب فى الحصول على تلك اللوحة لأنه يفضل الحصول على لوحة من رسمى أنا) .

وسألته عما اذا كان قد وضع الخطاب فى صندوق البريد . فقال أنه قد أرسله بالفعل ولكننى شاهدت الدماء الحمراء وهى تتصاعد إلى وجهه . فقلت له أنني أصدقه وقلت له إننى واثقة تماما من أنه قد أرسل ذلك الخطاب لأن عدم إرساله يعتبر خدعة قذرة للغاية .

أشعر أننى أكاد أكون متأكدة من أنه لم يرسل الخطاب تماما مثلما أحجم عن إرسال الشيك . فذلك يتلاءم تماما مع تصرفاته . ولكن أىّ كلام أقواله له لن يدفعه إلى إرسال الخطاب . لذلك قررت أن أفترض أنه قد أرسل الخطاب بالفعل .

منتصف الليل . اضطررت لأن أتوقف عن الكتابة . فقد نزل إلى غرفتى السفلية .

ورحنا ندير الأسطوانات الموسيقية التى اشتراها . موسيقى للأوركسترا والسلستة من تأليف Bar Rok .

إنها أجمل الأسطوانات الموسيقية .

لقد جعلتنى أفكر فى Collioure .

فى الصيف الماضى . اليوم الذى ذهبنا فيه نحن الأربعة مع الطلبة الفرنسيين مخترقين أشجار البلوط الخضراء وصاعدين إلى البرج . أشجار البلوط الخضراء . لون جديد تماما . لون كستنائى مذهل . لون ضارب إلى الحمرة . لون مشتعل . لون دامى . حيث قاموا بقطع شجرة الفلّين .

وحشرات زيز الحصاد . والبحر الأزورى الهائج المسعور من خلال جذوع الأشجار والحرارة ومن خلال رائحة كل شيء محترق في داخلها . وترنح سُكْراً كل شخص : أنا وبييرز وكل شخص فيما عدا مينيّ . والنوم تحت ظلال الأشجار والاستيقاظ مع الحملقة من خلال أوراق الأشجار نحو السماء الزرقاء الكوبالتية . حيث رحنا نفكر في أنه من المتعذر تماما رسم الأشياء وفي كيف أن بعض المواد الملونة في أنسجة الحيوانات يمكن أن تعبر عن الضوء الأزرق المفعم بالحياة للسماء . شعرت فجأة أنني لا أرغب في أن أرسم اللوحات ، فالرسم كان مجرد استعراض للتباهي ولفتْ الأنظار . فالأمر كان يستلزم الدخول في التجربة والانغماس في المزيد من التجارب اللانهائية .

الشمس الجميلة النظيفة فوق

الجذوع الحمراء كانت في لون الدماء

وفي رحلة العودة تحدثت حديثا مطولا مع الولد الظريف الخجول جين – لويس – Jean Louis كانت لغته الانجليزية رديئة وكانت لغتي الفرنسية ركيكة ولكننا على الرغم من ذلك كنا نفهم بعضنا البعض . كان شخصا رعديداً وجبانا على نحو رهيب . كان يخاف من بييرز Piers وكان يشعر بلاغيرة منه والحقد عليه . كان غيورا منه لأنه يلف ذراعه حولي . بيرز السخيف الجلف الأخرق . وعندما اكتشفت أنه بصدد أن يصبح قسيسا .

وكان بييرز جلفا للغاية فيما بعد . تلك القسوة الانجليزية المذكرة الغبية الخرقاء ازاء الحقيقة . فهو لم يستطع أن يدرك أن جين / لويس المسكين كان بالطبع يشعر بالارتياح إليّ وكان بالطبع منجذبا نحوى جنسيا ولكن كان

هناك هذا الشيء الآخر الذى لم يكن فى حقيقة الأمر خجلاً وانما كان تصميم على محاولة أن يكون قسيسا وأن يعيش فى الوقت نفسه فى العالم . مجهود هائل فى التوافق مع الذات . تماما مثلما يحطم المرء كل اللوحات التى رسمها والشروع فى بداية جديدة . كل ما هناك كان عليه أن يفعل ذلك فى كل يوم . وفى كل مرة يشاهد فيها فتاة تثير إعجابه . وكل ما كان يقوله بييز هو : أراهن على أنه يحلم أحلاما قذرة معك .

تلك الغطرسة الشنيعة للغاية وتلك البلادة الرهيبة التى يتسم بها الأولاد الذين سبق لهم الالتحاق بالمدارس العمومية . ودائما ما كان بييرز يعبر عن كراهيته الشديدة لتسوى Stowe كما لو كان ذلك يؤدى إلى إيجاد الحلول لكل شيء وكما لم كانت الكراهية ازاء شيء ما تعنى أنها لا يمكن أن تكون قد أثرت على الشخص الذى يكن الكراهية . وأنا دائما ما كنت أدرك حالته على الفور عندما لا يفهم شيئا ما حيث يبدو عليه طابع التهكم والاستخفاف والسخرية وهو يقول كلاما ما مذهلاً .

وعندما تحدث مع .C.P عن ذلك بعد مرور فترة طويلة فانه اكتفى بالقول .. مسكين .

ربما كان يخر ساجدا على ركبتيه متوسلا أن ينساك » .

رحت أرقب بييرز وهو يلقى بالحجارة نحو البحر – أين كان البحر ؟

– فى مكان ما بالقرب من فالينسيا Valencia كان جميلا للغاية ومفعما بالشباب وقد اكتست بشرته كلها باللون البنى الذهبى بينما كان شعره داكن اللون . ومايوه السباحة الخاص به . وقالت مينىّ (وكانت مستلقية إلى جوارى . أوه أن المنظر واضح للغاية فى ذهنى) .. ألن يكون الموقف رائعا لو أن

بييرز كان أبكما وأخرساً ؟ » .

وبعدئذ أضافت « أكان باستطاعتك النوم معه فى السرير ؟ » .

فقلت « لا » ثم أضفت « لست أدرى » .

وعندئذ اقترب بيرز منا وأراد أن يعرف الأسباب التى دعتها لأن تبتسم .فقالت « لقد ذكرت ناندا Manda توا لى سرّا . يتعلق بك » فألقى بييرز نكتة ما خفيفة ثم أنطلق ليحضر طعام الغذاء من السيارة مع بيتر perer .

وأردت أن أعرف فقلت « ما هو السّر ؟ » .

فقالت « الأجساد تهزم العقول » .

كارمين جراى الذكية تعرف دائما ما تقوله .

قالت « كنت أدرك أنك ستقولين ذلك » . وكانت تشخبط فى الرمال وكنت أنا أرقبها وأنا مستلقية على بطنى . وقالت : « إننى أقصد أنه وسيم للغاية بحيث يمكن للمرء أن ينسى أنه غبىّ للغاية . ولربما يخطر على بالك أننى يمكن لى أن أتزوجه وأقوم بتعليمه . أليس باستطاعتك أن تفعلى ذلك ؟ وأنت تعرفين أنك لا تسطيعين ذلك . أم أنك باستطاعتك أن تنامى معه فى السرير لمجرد المتعة والتسلية ثم تكتشفين فجأة فى يوم ما أنك كنت واقعة فى حبّ مع جسده وأنك غير قادرة على العيش بدون جسده مما يؤدى إلى التصاقك بذهنه المتعفن إلى مالانهاية وإلى الأبد » .

وبعدئذ قالت « هل هذا يصيبك بالرعب ؟ » .

« ليس أكثر من أمور عديدة أخرى » « إننى أتكلم فى جدية . اذا

تزوجتيه فإننى لن أتكلم معك مرة أخرى على الاطلاق » .

وكانت جادة فى قولها . حيث ظهرت عليها تلك النظرة الرمادية الخجولة السريعة للغاية . نظرة شبيهه برمح صغير . فنهضتُ واقفة وقمت بتقبيلها لدى نهوضى لأعلى ثم ذهبت لمقابلة الأولاد . وكانت هى مازالت جالسة هناك وكانت لاتزال تنظر لأسفل نحو الرمال .

كلانا شخصان يتصفان بالتحديق بالبصر فى الأخرين بهدف معرفة حقيقة نواياهم على نحو رهيب . وكلانا لا يستطيع أن يمنع نفسه عن هذا التفرّس . ولكنها كانت تقول دائم « إننى أعتقد فى هذا ولسوف أتصرف على هذا النحو » وهى قد أصبحت أنسانة أشعر نحوها أنها على الأقل متساوية معى ونداً لى بحيث يمكنها أن تتفرس فىّ مثلما أتفرس فيها . أماّ المسألة الجسدية فكانت تجيىء دائما فى المرتبة الثانية . ولقد اعتقدت دائما بينى وبين نفسي أن كارمين ستصبح عانسا أخرى . الأمر بالغ التعقيد بالنسبة للأفكار المنظمة .

ولكننى أفكر الآن فى C. P. وأعقد مقارنة بينه وبين بييرز . وبييرز لا توجد مميزات هامة لصالحه . مجرد جسد ذهنى يلقى بالحجارة على غير مدى فى البحر .

٥ نوفمبر :

جعلتُ حياته جحيما فى هذه الليلة .

بدأتُ فى الالقاء بالأشياء هنا وهناك بالدور العلوى . وابتدأت بالقاء الوسائد وبعدئذ شرعت بالقاء الأطباق . وكنت أتطلع فى لهفة إلى كسر تلك الأطباق .

ولكننى كنت أموج بالشراسة والوحشية . كنت إنسانة فاسدة ومدللة . وعانى هو من كل ذلك . انه يتسم بالضعف الشديد . كان ينبغى عليه أن يصفعنى على وجهى .

وتمكن من الامساك بى بالفعل بهدف أن يمنعنى من كسر أطباق أخرى من أطباق اللعنة . ونحن نارا ما نتلامس . كنت أكره أن يتلامس معى كان تلامسه معى شبيها بالمياه المثلجة .

ألقيت عليه محاضرة . حدثته عن كل جوانب نفسه وعما ينبغى عليه أن يفعله فى حياته . ولكنه لا يصغى فى إنتباه إلى كلامى . إنه يودّ لى أن أتكلم عنه . ولا يهمه نوعية الكلام الذى أقوله .

سأكف عن الكتابة الآن . إننى أقرأ الآن كتاب Sense and Sensibility وينبغى على أن أكتشف ما يحدث لماريين Mariann . ماريين هى أنا . وإليانور هى أنا من حيث ما ينبغى أن أكون عليه .

ما الذى سيحدث لو تعرض لحادث تصادم لسيارته ؟ لو تعرض لحادث اعتداء عليه بالضرب أو تعرض لأى شئ آخر .

عندئذ سأموت بكل تأكيد ، لأننى عندئذ لن أتمكن من الخروج من هذا المنزل . وكل ما فعلته أول أمس يبرهن على صحة رأيى .

٦ نوفمبر :

الوقت هو فترة ما بعد الظهر . لا طعام للغذاء .

محاولة أخرى للهرب . ولكنها لم تتم . إنه شيطان .

ولجأت لحيله الزائدة الدودية . ولقد فكرت فى تلك الحيلة منذ أسابيع . ودائما ما فكرت فيها على أنها نوع من الملاذ الأخير . فهى شئ ينبغى علىّ

عدم إنجازه بدون أن أعدَّ له إعداداً جيدا . ولم أكتب عن ذلك الموضوع هنا خشية أن يتمكن من العثور على هذه المذكرات .

أخذت أحك بودرة التَّلْك على وجهى . وبعدئذ عندما طرق على الباب فى هذا الصباح ابتلعت كمية كبيرة من ملح الطعام كنت قد وفرتها على مدى أيام عديدة سابقة ضغطت على لسانى وكان التوقيت ملائما فدخل إلى غرفتى وأدرك على الفور أننى أعانى من المرض . وأدعيت أننى أعانى من المرض الشديد . حيث استلقيت على السرير وقد تركت شعرى منكوشا فى فوضى مع الإمساك ببطنى وكأننى أتضور من الألم الشديد . وكنت ما زلت مرتدية البيجاما والروب دى شامبر . ورحت أتأوه فى ألم بعض الشئ كما لو كنت أتحلى بالصبر والشجاعة على نحو رهيب . وظل واقفا طوال الوقت وقال « ماذا فى الأمر ؟ ما هى الأمور الخاطئة التى حدثت ؟ » وحدثت بيننا نوعية من المحادثة المقطوعة . إذ كان كاليبان يحاول أن يتملّص من الذهاب بى إلى المستشفى وأنا كنت أصرَّ على أنه ينبغى عليه أن يصطحبنى إلى المستشفى. ثم ظهر عليه فجأة وكأنه قد أذعن لوجهة نظرى . وراح يتمتم بكلام بما يفيد أن ذلك سيكون بمثابة « نهاية » له . ثم اندفع خارجا من الغرفة .

وسمعت صوت الباب الحديدى لدى غلقه (وكنت ما زلت أحملق فى الحائط) ولكنه لم يُغلق بالترابيس . وبعدئذ سمعت صوت باب السرداب الخارجى . ثم ساد الصمت المطبق . كان الموقف غير عادى . كان يتسم بالفجائية الشديدة والاستكمال التام . لقد نجحت خطتى . فارتديت جوربى وحذائى وجريت نحو الباب الحديدى . لقد كان مفتوحا فتحة بسيطة فى حدود بوصة أو بوصتين . فظننت أن المسألة ربما تكون لذلك داومت على التظاهر

بالمرض وضعف الشديد . وفتحت الباب وناديتُ عليه باسمه بصوت خافت ومشيت فى ترنّح وضعف عبر السرداب ومنه صعدت على السلالم . وتمكنت من مشاهدة الضوء . إنه لم يغلق باب السرداب الخارجى أيضاً . وخطر على ذهنى فى لمح البصر أنه لن يذهب إلى الطبيب . وإنما سيلوذ بالفرار والهرب . وسيتعرّض للانهيار التام . ولكن كام من المتوقع له أن يستخدم سيارته . ومن ثم توقعت أن أسمع صوت موتور سيارته . ورحت أسترق السمع ولكننى لم أسمع صوت السيارة . كان ينبغى علىَّ أن أنتظر لدقائق عديدة . وكان ينبغى على أن أدرك ذلك ولكننى لم أستطع أن أتحمل الترقب والانتظار بسبب شعورى بالإثارة البالغة. فجذبتُ الباب وفتحته على مصراعيه وانطلقت خارجة . وكان هو موجودا هنالك . على نحو فجائى . تحت ضوء النهار الغامر . منتظراً .

عندئذ لم أستطع التظاهر بأننى مريضة . حيث كنت مرتدية حذائى . وكان هو ممسكا بشئ ما فى يده (مطرقة ؟) وكانت عيناه متسعتين على نحو غريب .

إننى متأكدة من أنه كان بصدد الهجوم علىَّ . ووقفنا نحن الاثنان متخشبين للحظات بدون أن يعرف أىّ واحد منا ماذا سيفعل . وبعدئذ استدرتُ وجريتُ عائدة . ولا أعرف السبب الذى دعانى إلى ذلك . إننى لم أتوقف لكى أعطى لنفسى مهلة للتفكير . فجاء ورائى ولكنه توقف عندما شاهدنى اتجه إلى الداخل (حيث أدركت بالغريزة أنه سيجيئ ورائى – وكان المكان الوحيد الذى يجعلنى فى مأمن من شره هو تلك الغرفة السفلية الخاصة بى) وسمعته وهو يجيئ ورائى وسمعته وهو يغلق الترابيس الخاصة بالأبواب. فهذا التصرف قد أنقذ حياتى . فلو كنت قد صرخت أو حاولت الهرب لكان قد

انهال عليّ بالضرب العنيف حتى الموت . فهناك لحظات يكون فيها مجنونا وفاقدا السيطرة على نغسه تماما .

خدعته .

(منتصف الليل) . أحضر لى طعام العشاء إلى هنا فى غرفتى السفلية . لم ينطق بكلمة واحدة ، وكنت قد أمضيت فترة ما بعد الظهر فى عمل رسم كاريكاتورى له . القصة الرهيبة لولد غير مؤذى The Awful Tale of Harmless Boy إنه أمر سخيف . ولكن ينبغى أن أبعد عنى الحقيقة والرعب بعض الشئ . إنه يبتدء بكونه موظف كتابى صغير لطيف وينتهى كوحش من وحوش أفلام الرعب .

وبينما كان يتهيأ للانصراف عرضت عليه الرسم لكى يلقى نظرة عليه . فلم يضحك . وإنما اكتفى بالنظر إليه فى إمعان وعناية .

ثم قال « هذا وضع طبيعى » وكان يقصد أنه من الطبيعى أن أسخر منه من خلال هذا الرسم .

إننى واحدة ضمن صفّ من العينات . وهو يكرهنى إذا حاولت الرفرفة والخروج على الصفّ. وأنا يُفترض فىّ أن أكون ميتة ومثبتة بالدبابيس ودائما على ذلك النحو ودائما متسمة بالسحر والجمال . وهو يدرك أن ذلك الجانب الجمالى فى داخلى ما زال يتدفق بالحياة ولكنه لا يريد سوى الجانب الميت فى داخل كيانى . انه يريدنى مفعمة بالحياة / ولكن / ميتة . وأحسست بذلك إحساسا قويا وعلى نحو رهيب اليوم أحسست أن مسألة تدفقى بالحياة وخضوعى لحركة التغيّر ووجود عقل مستقل فى داخل كيانى وانخراطى فى حالات نفسية متعددة وغير ذلك من أمور كان قد بدأ يشكل مضايقات هائلة بالنسبة له .

إنه انسان متماسك وصلب وراسخ وله إرادة حديدية . وأرانى ذات يوم ما يسميه بزجاجة القتل الخاصة به . إننى سجينة فى داخل تلك الزجاجة . إننى أرفرف مرتطمة بالحوائط الداخلية الزجاجية لتلك الزجاجة . وإننى باستطاعتى الرؤية من خلال الزجاج فاننى مازلت أعتقد أن باستطاعتى أن أهرب . الآمال تراودنى . ولكنها كلها بمثابة أوهام .

حائط سميك مستدير من الزجاج .

٧ نوفمبر :

الأيام تنقضى فى بطء وتثاقل شديدين . اليوم بدا لى يوما طويلا للغاية وعلى نحو لا يمكن تحمله .

عزائى الوحيد هو تلك اللوحة التى رسمها G . P . إنها تدخل علىّ المزيد من الغبطة تدريجيا . إنها المشىء الوحيد المفعم بالحياة الفريد من نوعه الشىء الوحيد المخلوق فى ابداع هنا . انها أول شىء يقع عليه بصرى عندما أستيقظ من النوم وهى آخر شىء يقع عليه بصرى قبل أن أخلد للنوم ليلاً . إننى أقف أمامها وأحملق فيها فى تمعّن . إننى أعرف كل خط فى تلك اللوحة . لقد جعل من احدى قدميها قصة زائفةFudge وهناك شىء ما غير متوازن بعض الشىء فى التكوينات الشاملة كما لو كانت هناك قطعة ما مفقودة فى مكان ما . ولكنها مفعمة بالحياة .

وعقب تناول طعام العشاء (وكنا قد عدنا إلى الحالة الطبيعية) ناولنى كاليبان كتاب : الصياد فى الجادورا The Catcher in the Rye وقال « لقد قرأت ذلك الكتاب » وأدركت على الفور من خلال نغمة صوته أنه كان

يقصد « وهو لم يعجبنى كثيرا » أشعر بعدم الرغبة فى النوم. ولسوف أجرى حواراً .

ميراندا : حسنا ؟

كاليبان : لم أجد به فائدة أو مميزات معينة .

ميراندا : أنت تدرك أنه من أعظم الدراسات التى تناولت المراهقة .

كاليبان : يبدو لى أن البطل فى ذلك الكتاب مشوش فى تفكيره .

ميراندا : إنه مشوش التفكير بالطبع . ولكنه يدرك أنه مشوش التفكير انه يحاول التعبير عما يشعر به . إنه إنسان آدمى على الرغم من كل أخطائه . ألا تشعر بالآسف من أجله ؟

كالبيان : إننى لا أحب الطريقة التي يتكلم بها .

ميراندا : إننى لا أحب الطريقة التى تتكلم أنت بها . ولكننى لا أعاملك معاملة لا تتسم بالملاحظة الجادة أو التعاطف .

كاليبان : أظن أن الكاتب ماهو للغاية . لأنه يكتب على ذلك النحو وكل تلك الأمور .

ميراندا : لقد أعطيتك ذلك الكتاب لتقرأه لأننى أعتقدت أنك قد تشعر أنك متماثل معه . مع البطل فى الرواية . فأنت بمثابة هولدن كولفيلد Caulfield Holden فهو لا يصلح لمواجهة الحياة فى أىّ مكان . وكذلك الحال بالنسبة لك .

كاليبان : إنه لا يحاول أن يتلاءم .

ميراندا : انه يحاول أن يشيد لنفسه نوعا من الحقيقة الواقعة فى حياته . نوعا من اللياقة والظُّرْف .

كاليبان : هذا الكتاب لا يتسم بالواقعية . الذهاب إلى مدرسة ممتازة ووجود النقود الوفير مع والديه . انه لن يتصرف على ذلك النحو . من وجهة نظرى .

ميراندا : اننى أعرف ما أنت عليه . فأنت الرجل العجوز الخاص بالبحر The Cld Man of the Sea

كاليبان : مَنْ يكون هو ؟

ميراندا : الرجل العجوز الرهيب سنباد Sinbad كان يضطر لأن يتصرف بطريقة سخيفة صبيانية . وهذا هو ما تفعله أنت . فأنت تمتطى فوق ظَهْر كل شىء حيوى وفوق كل شىء يحاول أن يكون صادقا وأمينا وحراً طليقاً وتتمكن من التغلب عليه .

لن استمر فى سرد ذلك الحوار . كنا نتجادل – لا . نحن نتجادل ولا نتناقش فأنا أقول كلاما وهو يحاول التملّص مستخدما المكر والحيلة والخداع .

إننى أقول كلاما صادقا . فهو بمثابة الرجل العجوز الخاص بالبحر . إننى لا أطلق الناس الأغبياء الذين هم على شاكلة كالبيان والذين هم موغلون فى الأمور التافهة والحقارة والأنانية والوضاعة . ويكون على الناس الآخرين القليليين تحمل كل ذلك . الأطباء والمدرسون والفنانون تنعقد عليهم الآمال – تنعقد علينا الآمال .

لأننى واحدة منهم

اننى واحد منهم ، أحس بذلك . ولقد حاولت أن أبرهن على ذلك . وشعرت بذلك عمدما كنت فى السنة الأخيرة فى لاديمونت كان هناك العدد

القليل بيننا ممن يهتمون وكان هناك الناس السخفاء والتنفحيون . والذين بصـــدد ممارســـة نشاطهم الفنى لأول مرة والمدللين لدى أبائهم وأمهاتهم والـ Horsophiles والمحبين للقيل والقال فى النواحى الجنسية . إننى لن أرجع أبداً إلي لاديمونت . لأننى لا يمكننى أن أتحمل ذلك الجـــو الخـــانق للأمور « المنجـزة » والناس « الذين هم على حقّ وصــواب » والسلوك « الظروف » . اننى لن أكون فتاة عجوز خاصة بمثل هذا المكان .

لماذا ينبغى علينا أن نتسامح مع كاليبانيتهم الوحشية ؟ ولماذا ينبغى على كل شخص حيوى وخلاّق وحميد الأخلاق أن يصبح شهيداً على يدْ التخمة العالمية الهائلة المحدقة به .

إننى فى هذا الوضع وفى هذا الموقف أعتبر نموذجا أو مندوبة تعبّر عن الأوضاع المتردية .

أننى شهيدة . شهيدة مسجونة وغير قادرة على النموّ تحت رحمة هذا الاستياء وهذا الحقد الثقيل البغيض الذى يكنّه الكاليبانيون نحو هذا العالم . لأنهم جميعا يكرهوننا . وهم يكرهوننا لأننا متخلفون عنهم ولأننا لسناهُمْ ولأنهم ليسوا نحن وليسوا متشابهين معنا . إنهم يضطهدوننا . إنهم متشابهين الضغوط علينا ويدفعوننا إلى الخارج ويرسلوننا إلى كوفنترى (*) انهم يهزأون بنا ويسخرون منا . ويتثاءبون فى وجوهنا ويغلقون عيونهم ويصمون آذانهم . ويفعلون أىّ شىء لكى يتجنبوا الانتباه إلينا أو الاحساس بالاحترام نحونا . وهم يزحفون وراء كبار الشخصيات بيننا عندما يموتون . ويدفعون الآلاف المؤلفة من الجنيهات من أجل الحصول على لوحات للرســام فان جوخ

(*) كوفنترى : مدينة بأواسط انجلترا .

والرسام موديجلياني . وهي لوحات كانوا يبصقون عليها في الأوقات التي رسُمتْ فيها وكانوا يقهقون ويضحكون في سخرية منها وكانوا يؤلفون النكات السخيفة عنها .

أنني أكرههم

إنني أكره غير المتعلمين والجهلاء . وأكره المتسمين بالأبهة والغرور وأكره الزائفين والدجالين والمحتالين . وأكره الحقودين والغيورين والمستائين . وأكره الأشخاص الذين يتصفون بالنكد وسوء الخلق ، وأكره الذين يتصفون بالوضاعة والحقارة وأكره ضيقى الأفق ومحدودى التفكير . وأكره جميع الناس الصغار العاديين السخفاء الذين لا يخجلون من كونهم سخفاء وصغاراً . اننى أكره ما يسميهم .P. G بالناس الجدد New People وهم تلك الطبقة الاجتماعية الجديدة من الناس مع سياراتهم وأموالهم وتلفزيوناتهم وسوقياتهم الغبية وتقليدمهم الزاحف الغبى للطبقة البورجوازية .

إنني أحب الأمانة والصدق والحرية والعطاء . وأحب الخلق وانجاز الأعمال . وأحب النزوع إلى الكمال . وأحب كل شيء لا يكون جالسا ومتقاعسا ومكتفيا بالانتظار والترقب وتقليد الآخرين مع الوجود في حالة من الموت في حقيقية الأمر .وكان .G. P يضحك من كوني عضوة في حزب العمال البريطاني ذات يوم .(في الوقت مبكر) . وأذكر أنه قال لي « إنك تؤيدين الحزب الذي أحضر الناس الجدد إلى الوجود – هل تدركين ذلك ؟ »

فقلت (ولقد أصبت بصدمة لأنني كنت قد اعتقدتُ من خلال الكلام الذي سبق أن قاله كتعليق على أمور أخرى أنه عضو في حزب العمال البريطاني بكل تأكيد . وكنت أعرف عنه أنه كان رجلا شيوعيا ذات يوم)

أفضل أن يكون لدينا الناس الجدد على أن يكون لدينا النـــاس الفـقـراء المســـاكين . فقـــال « مازال الناس الجدد هم الناس الفقراء . والفقر الخاص بهم ما هو إلاّ الشكل الجديد للفقر . الآخرون لم يكن لديهم أية نقود وهؤلاء ليس لديهم أىّ روح » .

وفجأة قال لى « هل قرأت كتاب ماجور باربار ؟ Maior Barbara إن ذلك الكتاب يبرهن على أنه ينبغى انقاذ الناس من الناحية المالية الاقتصادية قبل العمل على انقاذ أرواحهم .

وقال « إنهم قد نسوا شيئا واحداً فهم قد أوجدوا دولة الرفاهية ولكنهم نسوا بابارا ذاتها . الوفيرة والغنى ولا توجد روح واحدة يمكن مشاهدتها . »

وأنا أعرف أنه على خطأ فى مكان ما (لقد كان يبالغ) . فالمرء ينبغى عليه أن يكون يساريا . وكل شخص مهذب تقابلت معه فى حياتى كان مناهضا لحزب المحافظين . ولكننى أشاهد ما يشعر هو به . أقصد أننى أشعربذلك بنفسى أكثر وأكثر ... أشعر بهذا الحمْل الساكن الرهيب للناس الجدد الصغار السّمان والذى يرزخ فوق كل شىء والذى يغتصب المناطق التى تحتاج إليه . كل شىء ينتج على نطاق واسع . كل شىء على نطاق كبير وواسع .

إننى أعرف أنه من المفترض فنيا أن نواجه قطيع الدهماء وأن نسيطر على التشتت والفرار الجماعى المذعور - الأمر يشبه فيلما من أفلام الغرب انصارى المتوحش الأمريكى . العمل من أجلهم مع التسامح معهم .لن أذهب أبداً إلى االبرج العاجى Lvory Tower

لا فائدة ، كان بمقدورى أن أستمر فى كتابة الحجج والمجادلات المؤيدة والمعارضة طول الليل .

إيما Emma ، مسألة الوجود بين فتاة عديمة الخبرة وامرأة محنكة بالتجارب والمشكلة الرهيبة الخاصة بالرجل ، كاليبان هو المستر إلتون Mr . Elton . وبييرز هو فرانك تشرشل ولكن هل G.P. هو المستر نايتلى Mr . Knightley .

لقد عاش G.P. بالطبع حياة وله آراء من شأنها أن تجعل المستر ناتيلى يتقلب فى قبره ، ولكن المستر نايتلى لم يكن أبداً زائفا ، لأنه كان يكره الادعاء ويبغض الأنانية ويحتقر التنفجية .

وكلاهما لهما الاسم الوحيد الرجالى الذى لاأستطيع أن أتحمله أو أطيقه فى حقيقة الأمر ، إسم جورج ، ربما يوجد هنالك مغزى وراء ذلك .

١٨ نوفمبر :

لم أتناول أى طعام على مدى خمسة أيام ولكننى شربت بعض الماء ، إنه يحضر لى الطعام ولكننى لم أتناول كسرة خبز واحدة .

لسوف أبدأ فى تناول الطعام مرة أخرى غداً .

فمنذ حوالى نصف ساعة نهضت واقفة فشعرت أننى بصدد التعرض للإغماء ، مما جعلنى اضطر للجلوس مرة أخرى ، لم يسبق لى أن شعرت بالمرض والضعف إلى هذه الدرجة ، إنها مجرد ألام وشعور بالضعف ، ولكنها آلام وضعف على نحو مختلف .

تحذير

إننى لن أعرض نفسى للموت من أجله إننى لم أكن بحاجة للطعام ، لقد كنت مليئة بالكراهية له ولوحشيته .

جبنه الشرير

أنانيته

كاليبانيته

١٩ نوفمبر :

طول ذلك الوقت لم أكن أرغب فى الكتابة ، وفى بعض الأحيان كنت أرغب فى الكتابة ، وعندئذ كانت الكتابة تبدو ضعيفة ، مثل تقبّل الأمور والأشياء ، وكنت أدرك أننى بمجرد أن أكتب هذه المذكرات فإننى سأتوقف عن الغليان ولكننى أعتقد الآن أن الأمر يستلزم كتابة هذه المذكرات ، يستلزم التسجيل ، فهو قد فعل «هذا» فىَّ .

الإساءة البالغة .

ما كان موجداً بيننا من صداقة قليلة وإنسانية وطيبة قد ذهب إلى غير رجعة .

فنحن عدوان اعتبارا من الآن فصاعدا . العداء متبادل من كلا الطرفين ، فهو قدقال كلاما يدل على أنه يكرهنى أيضا .

إنه مستاء من وجودى ، وذلك هو الموقف من جانبه علي وجه الدقة .

وهو لا يدرك هذه الحقيقة إدراكا تاما حتى الآن لأنه يحاول أن يكون لطيفا معى فى اللحظة الحاضرة ، ولكنه يقترب كثيرا من نقطة الإحساس بالاستياء ، فهو فى يوم ما فى القريب العاجل سوف يستيقظ ويقول لنفسه إننى أكرهها

• شئ ما ردئ

عندما أفقت من الاغماء الناجم عن الكلوروفورم وجدت نفسى مستلقية فى السرير ، وكنت مرتدية آخر القطع من ملابسى الداخلية ولكن من المؤكد أنه قام بخلع جميع ملابسى الأخرى أثناء إغمائى .

كنت أشعر بالغضب الشديد فى تلك الليلة الأولى ، وكنت فى غاية القرف والاشمئزاز بسبب تلامس يديه المتأملتين فى إعجاب خبيث ووحشى مع بشرتى .. مع قيامه بخلع الجورب الحريمى الطويل الخاص بى ، إنه عمل كريه تعافه النفس .

وبعدئذ خطر على ذهنى ما كان باستطاعاته أن يفعله بى ، ولكنه لم يفعل ، فقررت عدم الانفجار فيه فى ثورة غضب عارمة .

قررت الالتزام بالصمت فقط .

فالصياح فى وجه شخص ما يوحى بأنه سيكون هناك تلامس أو اتصال مباشر .

ومنذ ذلك الحين اعتقدت فى أمرين .

أولا : إنه إنسان عجيب للغاية حتى أنه قام بخلع ملابسى بدون تفكير وطبقا لفكرة ما مجنونة عن الاجراء «السليم» الذى ينبغى عليه أن يفعله ، وربما اعتقد أنه من غير المعقول أن أستلقى فى سريرى بينما أنا مرتدية ملابسى بالكامل .

وبعدئذ ربما ذكرَّه هذا بأمور ، ذكَّره بكل الأمور التى كان بمقدوره أن يفعلها ولكنه لم يفعلها بشهامته وفروسيته وأنا أتقبل ذلك ولقد كنت سعيدة الحظ .

ولكننى مع ذلك أجد أن فى تصرفه هذا مايثير الخوف لأنه لم يفعل بى أى شئ ، فما هى طبعيته وماالذى يدور فى ذهنه ؟

هناك صدع أو فجوة هائلة بيننا الآن ، وهى ثغرة لا يمكن سدها على الاطلاق .

وهو الآن يقول لى أنه سيطلق سراحى فى خلال أربعة أسابيع أخرى، مجرد كلام ، إننى لا أصدقه ، لذلك حذرته وقلت له أننى سأحاول أن أقتله وأنا على استعداد لأن أقتله الآن ، ولن أتردد فى ذلك على الاطلاق ، لقد أدركت كم كنت عمياء .

لقد حقرت من نفسى كالمومس مع كاليبان أقصد أننى سمحت له بأن ينفق على كل تلك الأموال ورغم أننى قلت لنفسى أن ذلك التصرف من جانبى يتسم بالانصاف والعدالة إلا أنه لم يكن كذلك ، لأننى شعرت على نحو غامض بالامتنان والشكر الجزيل ، بل وكنت لطيفة معه ، بل وكانت مضايقاتى له تتسم بالظرف واللطافة حتى أثناء قيامى بالبصق عليه والاستهزاء به والسخرية منه وكان ينبغى أن تكون اتجاهاتى نحوه على النحو الذى ستكون عليه من الآن فصاعدا .. متسمة بالبرود الشديد كالثلج بحيث أجعله يتجمد حتى الموت .

إنه أدنى منى شأنا ومقاما تماما فى جميع النواحى فهو لا يتفوق على إلاّ من حيث مقدرته على الابقاء على محبوسة هنا وتلك هى القوة الوحيدة التى يمتلكها ، فهو ليس بإستطاعته أن يتصرف أو يفكر أو يتكلم أو يفعل أى شئ آخر علي نحو أفضل منى - وإنما على نحو يقترب بعض الشئ من مستواى فى هذه الأمور - ولذلك فإنه سوف يصبح الرجل العجوز

الخاص بالبحر The old Man of The Sea إلى أن أتمكن من التخلص منه على نحو ما .

ولسوف يتم ذلك عن طريق استخدام القوة .

لقد استغرقت فى التفكير فى الله أثناء جلوسى هنا فى هذه الغرفة السفلية ، بدأ إيمانى يهتز ، وهذا الموقف الرهيب لا ينطبق على فقط وإنما ينطبق على جميع الملايين الذين قد عاشوا بالتأكيد هذه الحياة أثناء الحرب وفكرت فى The Anne Franks ورجعت بتفكيرى إلى الناس الآخرين في عمق التاريخ ، وما أشعر به الآن هو أن الله لا يتدخل ، فهو يتركنا لكى نعانى ونكابد ، وإذا صلى المرء من أجل الحصول على الحرية فلربما يشعر بالارتياح لا لشئ إلا لأنه يصلى أو لأن الأمور تحدث على نحو ما مما ينجم عنها حصول المرء على حريته ، أقصد أن الله قدخلق هذا العالم وخلق القوانين الأساسية المتعلقة بالمادة والتطور ، وأن الاهتمامات الالهية تنصب على وليس الجزئيات .

فى خلال هذه الأيام القليلة الأخيرة بدأت تتدفق على ذهنى موجة من اهتزاز الايمان ولكننى مع ذلك مازلت أؤمن بالله ، ولكن إيمانى مهتز، بل وبدأت أشعر أن الترانيم الغنائية الدينية ماهى إلا أمور سخيفة وعديمة الجدوى .

إننى أحاول أن أوضح هنا السبب الذى جعلنى أتخلى عن مبادىء (الخاصة بعدم استخدام العنف على الإطلاق) إننى مازلت مؤمنة بمبادئى

هذه ولكننى أدرك الآن أن المرء ينبغى عليه أن يتخلى عن مبادئه فى بعض الأحيان إذا كان الأمر يتعلق ببقائه على قيد الحياة ، فلا فائدة ترجى من وراء الإيمان الخاص بالحظ السعيد الذى قد يتدخل لانقاذ الموقف ،

ينبغى على المرء أن يتصرف ويقاتل بنفسه لإنقاذ حياته .

تبدو لى السمـــاء خاوية وشاغرة تمـاما ، صافيـة وخاوية على نحو جميل .

(نفس المساء) لقد كنت وضيعة معه للغاية طول اليوم ، حاول مرات عديدة أن يتكلم معى ولكننى كنت أصده فى عنف قائلة له «إخرس» ، وقال لى «أتريدين لى أن أحضر لك أى شئ» فقلت له «إخرس» . وقال لى «أتريدين لى أن أحضر لك أىّ شيء ؟» فقلت له «لا إيد منك أىّ شيء . إننى سجينتك . واذا قد مت لى طعاما فإننى سآكله لكى أتمكن من البقاء على قيدْ الحياة . علاقاتنا من الآن فصاعداً ستكون طبق الأصل من العلاقة الحازمة مابين السجين والسجأن . والآن أتركنى وشأنى بمفردى «لو سمحت» من حسن حظى أن لدى الكثير من الكتب التى يمكننى قراءتها . ولسوف يستمر هو فى إحضار السجاير لى (وإذا لم يحضر لى السجاير فإننى لن أطلبها منه) وكذلك الطعام . وذلك هو كل ما أريده منه .

إنه ليس إنسانا . إنه فراغ شاعر تمَّ تصميمة فى قالب إنسان .

٢٠ نوفمبر : -

إننى أجعله يتمنى لو كانت عيناه لم تقعا علىَّ على الاطلاق لقد أحضر لى وجبة غذاء من الفول المخبوز . وكنت منهمكة فى القراءة وأنا جالسة فوق السرير . فظل واقفا للحظات ثم شرع فى الخروج من الغرفة . فقفزت إلى المنضدة وأمسكت بطبق الفول وقذفت به نحوه . فهو يعرف أننى لا أحب الفول المخبوز . وأظن أنه كان كسولا .

لم أكن فى حالة من الانفعال العصبى ولكننى تظاهرتُ فقط بذلك . فوقف هنالك بينما قطع صغيرة من الصلصة البرتقالية اللون قد سقطت على ملابسه النظيفة وكان ينظر بنظرات مليئة بالخجل والارتباك . فقلت له فى حدة «إننى لا أريد أى طعام للغذاء» . ثم أدرت ظهرى نحوه .

ورحت أتناول أنواعا من الشيكولاتة طول فترات مابعد الظهر . وكان هناك كافيار وسلمون مدخن ولحوم دواجن باردة (إنه يشتريها مطبوخة وجاهزة من مكان ما) - وهى كلها أشياء يعرف أننى أحبها - وعشرات من المأكولات الأخرى التى يعرف أننى أحبها . إنه حيوان ماكر خبيث . الخبث والمكر لا يكمن فى شرائه لهذه الأشياء ولكننى فقط لا أملك إلاَّ أن أكون شاكرة وممتنة .

لم أقل بالفعل أننى شاكرة له ولكننى لم أكن قاسية) فهو يقدم لى هذه الأشياء فى تواضع شديد وكأنه يريد أن يقول لى : لاتشكرينى لو سمحت . فأنا أستحق أن تفعلى بى كل ذلك . وعندما كان يعدّ المائدة ويضع عليها مأكولات العشاء الخاصة بى فوق المنضدة اجتاحتنى رغبة عارمة فى الانفجار فى الضحك بصوت مرتفع . إنه أمر شنيع . كنت أريد أن ألقى نفسى على السرير وأصرخ . أنه كان يعبر عن ذاته تماما . وأنا حبيسه فى مكان ضيق للغاية .

فى هذه الغرفة السفلية تتغير حالاتى النفسية بسرعة كبيرة للغاية . إذ يكون لدىّ كل التصميم على انجاز أمر ما وبعد قليل تتغير وجهة نظرى بسرعة .

لافائدة . إننى بطبيعتى لست إنسانه تكره الآخرين . الأمر يبدو وكأنه يوجد فى مكان ما بداخل كيانى كمية معينة من الطيبة والنوايا الحسنة

والشفقة وأن هذه الكمية يتم تصنيعها فى كل يوم . وهى كمية من المحتم عليها أن تبزغ إلى العالم الخارجى . فإذا قمتُ بكبتها فإنها تنفجر .

لم أكن لطيفة معه . لا أريد أن أكون لطيفة معه . ولن أكون لطيفة معه . ولكننى كنت أجاهد وأكافح لكى لا أكون عادية معه فى تصرفات (أقصد أمورا بسيطة مثل «تلك كانت وجبة شهية») . فاذا كانت الوجبة شهية فإننى لا أعلق بأىّ كلام . عندما كان يقول «أهذا هو كل كاتريدينه ؟ (مثل رئيس الخدم) فإننى كنت أقول «نعم . يمكن لك أن تنصرف الآن» .ثم أدير ظهرى له . وكان سيصاب بصدمة لو أنه تمكن من رؤية وجهى . حيث كنت أبتسم عندما يغلق الباب فإننى أنفجر فى الضحك . لم يكن باستطاعتى أن أمنع نفسى عن ذلك التصرف مرة أخرى . هستيريا .

وهناك شىء ما دأبت على الاتيان به كثيرا فى هذه الأيام الأخيرة . ألا وهو الحملقة فى وجهى فى المرأة . فى بعض الأحيان لا أبدو حقيقته أمام نفسى . إذ يبدو لى فجأة أن الانعكاس الخاص بى فى المرأة والذى لايبعد عنى سوى قدم واحد أو قدمين ليس إنعكاساً خاصا بى . فأضطر إلى أن أنظر جانبية . وأنظر فى جميع أرجاء وجهى وأنظر فى داخل عينى . وأحاول أن أشاهد ماتقوله عيناى . وأحاول التعرف على ذاتى ومعرفة وجودى هنا .

وهذا سببه أننى أشعر بالوحدة . القاسية الشديدة . علىّ أن أنظر إلى وجه ذكى . أىّ شخص يتم حبسه على هذا النحو من شأنه أن يفهم . فالمرء يصبح صادقا مع نفسه بطريقة غريبة . بل وصادقا مع نفسه على نحو لم يشهده من قبل . فقدْر كبير من المرء يعطى للناس العاديين ويكتب فى الحياة العادية . إننى أرقب وجهى وأرقبه وهو يتحرك كما لو كان وجها ينتمى لشخص آخر . إننى أطيل التحديق فى نفسى إلى أن أشعر بالارتباك والاحراج .

إننى أجلس مع نفسى . فى بعض الأحيان يبدو لى الأمر وكأنه نوع من السحر والطلاسم . وأضطر لأن أخرج لسانى وأجعدّ أنفى لكى أكسرها .

إننى أجلس هنا بين طيات الصمت المطلق مع الانعكاس الخاص بى فى حالة من حالات الغموض والإبهام .

فى غيبوبة مغناطيسية .

٢١ نوفمبر :

الوقت هو منتصف الليل . لا أستطيع النوم إننى أكره نفسى .

كدت أصبح سفاّحه قاتلة فى هذه الليلة .

لن أكون سفاحة مرة أخرى أبداً .

من الصعب علىَّ أن أكتب . يداى مربوطتان . لقد أخرجت الكمامة من فمى .

لقد بدأ كل شيء في فترة الغذاء . وكنت أدرك أننى أبذل جهوداً مضنية لكى لا أكون لطيفة معه . لأننى شعرت أننى يجب على أن أتحدث مع شخص ما . حتى ولو كان هو . فهو على الأقل إنسان . عندما انصرف عقب الغذاء أردت أن أنادى عليه لكى أتحدث معه . وما شعرت به كان مختلف تماما عين القرار الذى اتخذته منذ يومين بشأن ماينبغى أن تكون عليه مشاعرى نحوه .

لذلك اتخذت قراراً جديداً . لم يكن بمقدورى أبداً أن أضربه مستخدمة أىّ شىء موجود هنا فى الغرفة السفلية . ولقد كنت أرقبه كثيراً مع وضع ذلك فى ذهنى . وهو لا يدير ظهره نحوى أبداً . وعلاوة على ذلك فإنه لا يوجد هناك سلاح يمكننى أن أستخدمه . لذلك رحت أفكر ... إنه ينبغى علىّ الصعود إلى الدور العلوى والعثور هناك على أى شىء وعلى وسيلة ما . وهبطت على ذهنى أفكار عديدة .

وكنت أخشى من الوقوع فى مصيدة العطف عليه القديمة مرة أخرى .

لذلك التزمت بأن أكون لطيفة معه بعض الشىء فى وقت العشاء وقلت له «إننى بحاجة لأن أخذ حماما» (وكنت بالفعل في حاجة إلى أخذ حمام) . فانصرف ورجع إلىّ ثم صعدنا معا . وهناك كانت توجد فأس صغيرة . وبدت الفأس وكأنها إشارة أو رمز قد تُرك خصيصا من أجلى . كانت الفأس موجودة على فوق قاعدة نفذة المطبخ التى تقع بجوار الباب . من المؤكد أنه كان يقطع بعض الأخشاب بالخارج ونسى يخبئها . وذلك بسبب وجودى دائما بالغرفة السفلية .

ومررنا فى الغرف الداخلية بسرعة كبيرة بحيث لم يكن هناك متسع من الوقت أمامى لأن أفعل أىّ شىء أنئذ .

ولكننى مكثت فى داخل الحمام لبعض الوقت ورحت أفكر . قررت ضرورة إنجاز هذه المهمة الصعبة . كان ينبغى علىّ أن أرفع الفأس لأعلى وأضربة بها بالحافة غير الحادة وأصيبه بضربة حاسمة قاضية . ولم يكن لدى فكرة عن أفضل مكان بالرأس يمكن تسديد الضربة إليه ولا عن مدى العنف الذى ينبغى أن تكون عليه الضربة الساحقة .

وبعدئذ طلبتُ منه أن أرجع مباشرة ، ولدى خروجنا من من خلال باب المطبخ تعمدت أن أسقط بودرة التلك وأشياء أخرى على الأرض ثم وقف على جانب فى اتجاه قاعدة النافذة كما لو كنت أبحث عن المكان الذى سقطت فيه هذه الأشياء . فتصرف هو على النحو الذى أردته تماما حيث انحنى للأمام لالتقاط تلك الأشياء . وفى هدوء وبدون عصبية أوانفعال التقطت الفأس فى مهارة كبيرة . ولم أكشط النصل وكانت الحافة هى الحافة غير الحادة . ولكن عندئذ .... كان الأمر أشبه بالاستيقاظ من حلْم رهيب أو كابوس كان علىّ أن أضربة ولم تكن لدى المقدرة ولكن كان ينبغى علىّ أ أفعل ذلك .

وبعدئذ بدأ هو ينهض من كبوته (كل هذا حدث فى لمح البصر في حقيقة الأمر) حيث سددتُ ضربة خاطفة بالفعل . ولكنه كان يستدير ملتفتا وأنا لم أضربه ضربه مباشرة . أو الضربة لم تكن قوية بالقدر الكافى . أقصد أننى اجتاحنى هلع شديد فى اللحظة الأخيرة . فسقط على جانبه ولكننى أدركت أنه لم يُطرح أرضا حيث كان لايزال ممسكا بى وشعرت فجأة أننى ينبغى أن أقتله وإلاَّ فسيقوم هو بقتلى . فضربته مرة أخرى ولكنه كان قد رفع ذراعه لأعلى وفى الوقت نفسه راح يركل بقدمة وعرقل قدمىّ فوقعتُ على الأرض .

وكان الموقف رهيبا للغاية وكنا نلهث ونقاوم فى توتر شديد مثل الحيوانات . وبعدئذ أدركت فجأة أن هذا الموقف يخلو من الوقار والجلال بدا الأمر سخيفا ولكنه كان على ذلك النحو . مثل تمثال ملقى على جانبه . مثل إمرأة ممتلئة تحاول أن تنهض واقفة من فوق العشب .

ونهضنا واقفين . وقام بدفعى فى عنف نحو الباب وهو ممسك بى فى قوة وإحكام . ولكن لا شىء يخالف ذلك . وشعرتُ بالقرف والاشمئزاز

وأحسست أنه كانت لدية نفس مشاعر القرف والاشمئزاز .

وظننت أنه ربما يكون هناك شخص ما قد سمع الأصوات التى نجمت عن هذا الصراع وحتى لو كان أحد ما قد سمع فإننى لم يكن باستطاعتى أن أصرخ فى استغاثة طلبا للنجدة . ولكن لم يكن من المتوقع أن يكون هناك شخص ما يوجد خارج منزله فى تلك الآونة .

لقد كنت مستلقية فى سريرى . وسرعان ما توقفت عن البكاء . ظللتُ مستلقية لساعات طويلة فى طيات الظلام مع الانخراط فى التفكير .

٢٢ نوفمبر :

أننى أشعر بالخجل . إننى أذلّ نفسى فى وضاعة وخسة .

لقد توصلت إلى المجموعة من القرارات . مجموعة من الأفكار .

اللجوء إلى العنف والقوة يعتبر أمرا خاطئا . إذا قمت باستخدام القوة فهذا معناه أننى أتدنىّ وأهبط وأتردّى إلى المستوى الخاص به . وهذا معناه أيضاً أننى لا أؤمن إيمانا حقيقيا بقوة العقل والتعاطف والانسانية . وذلك يعنى أيضا أننى أصيب الناس بالعجز والتشوه لأن ذلك يشبع غرورى وكبريائى وليس بسبب أننى أعتقد أنهم بحاجة إلى عطفى وتعاطفى . وعدتُ بأفكارى إلى الوراء ... إلى لاديمونت وإلى الناس الذين قمت بتشويههم هناك . ساللى مارجيسون . لقد شوهتها لمجرد أن أُظهر لعذروات الفيستا Vestar Virgins أننى أكثر مهارة وذكاء منهن . وأننى باستطاعتى أدفعها لأن تفعل أشياء من أجلى لم تكن لتفعلها من أجلهن .

وسرعات ماتخليت عن استخدام العنف مع كاليبان . كان علىّ أن أتخذ اتجاها جديدا نحوه . ففكر السجين / السجّان كانت فكرة سخيفة .

قررت الكف عن البصق عليه . قررت أن ألتزم بالصمت عندما يضايقنى ويثير أعصاب . ولسوف أعاملة كشخص يحتاج لتعاطفى وتفهمُّى . ولسوف أستمر فى محاولة تعليمه أمورا تتعلق بالفن . أمور أخرى .

لاتوجد هناك سوى طريقة واحدة لعمل الأشياء . إنها الطريقة السليمة الصحيحة . وهى ليست « الطريقة السليمة » بمعايير لاديمونت ، وإنما هى الطريقة التى يشعر المرء أنها هى الطريقة الصحيحة .

الطريقة الصحيحة السليمة الخاصة بى . إننى إنسانة متمسكة بالمبادىء الأخلاقية . وأنا لا أخجل من كونى متمسكة بالمبادىء الأخلاقية . لن أدع كاليبان يخلق منى إنسانة غير أخلاقية رغم أنه يستحق كل كراهيتى الشديدة المليئة بالمرارة ويستحق أن أضربه بالفأس على رأسه .

(فيما بعد) حرصت على أن أكون لطيفة معه . بمعنى أننى لم أكن الإنسانة لتى كنت عليها أخيراً . فبمجرد أن نزل إلى غرفتى السفلية جعلته يدعنى ألقى نظرة على رأسه ووضعت له بعض الديتول عليها . وكان عصبيا . لقد جعلته يتصف بالعصبية وسرعة الاهتياج . إنه لايثق فىّ . وتلك هى الحالة التى ما كان ينبغى علىَّ أن أوصله إليها .

ولو أن الأمر صعب . فإننى عندما أعامله معاملة سيئة يظهر على وجهه أنه يشعر بالحزن الشديد والأسف على نفسه حتى أننى أبدأ في كراهية نفسى . ولكننى بمجرد أن أبدأ فى معاملته بطريقة لطيفة فإن نوعا من الرضا عن النفس يزحف إلى صوته وإلى أسلوبه وطريقته (إنه حذر وكتوم للغاية لقد كان بمثابة الوضاعة ذاتها طول اليوم . ولاتأنيب وتوبيخ فيما يتعلق بالليلة الماضية . بالطبع) وعندئذ تراودنى الرغبة فى البدء فى نخسه وصفعه مرة أخرى .

حبْل البهلوان حبْل مشدود ولكنه جعل الهواء نقيا وصافيا ونظيفا .

(ليلا) حاولت أن أعلمه كيفية البحث عن الأمور فى الفن التجريدى عقب تناول طعام العشاء . الموقف ميئوس منه . فلقد رسَّخ فى رأسه المعتم المسكين أن الفن آخذ فى الزوال والانقراض (إنه لا يستطيع أن يفهم الأسباب التى تدعونى لعدم التخلى عن الفن وصرف النظر عنه) إلى أن يحصل المرء على تشابه فوتوغرافى دقيق وإلى أن يصبح عمل التصميمات المحببة الممتازة (بين نيقولصون Ben Nicholson) عملا فير أخلاقى على نحو غامض . وقال « فى رأيى أنه بمثابة نموذج أو نمط أو شكل ظريف » ولكنه لم يكن على استعداد لأن يوافق على أن « خلق النموذج أو النمط الظريف » هو فنّ فى حدّ ذاته . فالوضع من وجهة نظره هو أن كلمات معينة لها خفوت قوى على نحو رهيب . وأىّ شئ يتعلق بالفن يسبب له الخجل والارتباك .(وأنا أفترض أنه يبهره) . فكل شئ غير أخلاقى على نحو غامض . وهو يعرف أن الفن العظيم يتصف بالعظمة ولكن العظمة تعنى حبس القطع الفنية فى المتاحف والتحدث عنها لدى الرغبة فى التباهى والتفاخر . الفن الحىّ المعاصر والحديث يسبب له الصدمة . ولا يمكن لك أن تتحدث عن الفن الحديث معه لأن كلمة « الفن » تبدأ فى إثارة سلسلة كاملة من الأفكار المليئة بالصدمة والشعور بالذنب فى داخل كيانه .

أتمنى لو كنت أعرف ما إذا كان هناك عدد كبير من الناس مثله . وأنا بالطبع أدرك أن الغالبية الساحقة – وخاصة الناس الجدد New People – لا يهتمون على الإطلاق بأىّ نوع من أنواع الفنون . ولكن هل السبب فى ذلك هو أنهم يشبهونه ؟ أو لأنهم لا يستطيعون فقط الاهتمام على نحو أقل ؟ أعنى

هل الفن يضايقهم بالفعل (حتى أنهم لا يحتاجون إليه على الإطلاق في حياتهم) أم أنه يسبب لهم سراً الصدمة والرعب والفزع لدرجة أنهم يضطرون للتظاهر بأنهم متضايقون ؟

٢٣ نوفمبر :

لقد انتهيت تواً من قراءة كتاب « ليلة السبت وصباح الأحد » . لقد صدمني هذا الكتاب . صدمني في حدّ ذاته ككتاب وصدمني لأنني محبوسة وموجودة هنا في هذه الغرفة السفلية .

صدمني بنفس الطريقة التي صُدمت بها عندما قرأت كتاب « غرفة فوق السطح » في السنة الماضية . إنني أعرف أنهم يتميزون بالحذق والمهارة الشديدة . والمؤكد أنه أمر عجيب أن يتمكن المرء من أن يكتب مثل ألان سليتو Alan Sillitoc . وأن يكون صادقا وغير زائف . وأن يقول ما يعنيه . وإذا كان رسّاما (وهو يمكن أن يكون متشابها مع جون براتبي John Bratby بل وأفضل منه بكثير) فإنه من العجيب أن يكون قادراً على أن يسجل نوتنجهام Nottingham وأن تكون رائعة في اللوحة المرسومة . لأنه كان يرسم ويصور على نحو جيّد للغاية ويسجل ما يشاهده مما يجعل الناس يعجبون به . ولكن لا يكفي أن يكون المرء قادراً على أن يكتب كتابة جيدة (أعني من حيث اختيار الكلمات الملائمة وفير ذلك من أمور) لكي يكون كاتبا ممتازاً . لأنني أعتقد أن كتاب « ليلة السبت وصباح الأحد » مثير للقرف والاشمئزاز . وأعتقد أن آرثر سيتون Arthur Seaton مقرف ومثير للاشمئزاز . وأعتقد أن أكثر الأمور إثارة للقرف والاشمئزاز هو أن آلان سيليتو لا يظهر لنا أنه

مشمئز بسبب الرجل الصغير فى السن الخاص به . وأظن أنهم يعتقدون أن الشبان الذين هم على النحو هم ظرفاء حقا بعض الشئ .

وكرهت طريقة آرثر سيتون من حيث أنه لا يهتم بأى شئ خارج نطاق حياته المحدودة الضئيلة الخاصة به . فهو إنسان وضيع وأنانى ووحشى . ولأنه وقح وصفيق الوجه ولأنه يكره عمله ولأنه ناجح مع النساء فإنه يُفترض فيه أنه حيوى ومفعم بالحياة .

والشئ الوحيد الذى أحبه فيه هو الشعور بأنه يوجد هناك شئ ما يمكن أن يُستخدم فى صالح الخير إذا أمكن الوصول إلى ذلك الشئ .

إنه الانغلاق الذى يتسم به مثل هؤلاء الناس . وعدم إهتمامهم بما يحدث فى أى مكان آخر فى العالم . فى الحياة .

وربما ألان سليتوكان يريد مهاجمة المجتمع الذى ينتج مثل هؤلاء الناس . ولكنه لا يوضح ذلك . وأنا أعرف ما قد فعله .... إنه قد وقع فى حب مع ما يقوم برسمه .

وهو قد ابتدأ برسم الأشياء على ما هى عليها من قبح ولكن قبح الأشياء هزمه بعد ذلك فابتدأ فى ممارسة الغش والتزييف . إبتدأ فى التَّجمُّل .

وصدمنى هذا الكتاب أيضاً بسبب كاليبان . فأنا أرى أن هناك شيئا ما من آرثر سيتون فى كاليبان . كل ما هنالك أن ذلك الشئ مقلوب رأسا على عقب فى كاليبان . أقصد أن لديه تلك الكراهية للأشياء الأخرى وللناس الآخرين الذين يقعون خارج نطاق الطراز الخاص به . وهو لديه تلك الأنانية - بل إنها ليست أنانية صادقة وأمينة . لأنه يلقى باللوم على الحياة وبعدئذ يستمتع بكونه أنانيا مع ضمير متحرّر . وهو عنيد أيضاً .

فذلك هو أكثر الأمور خسة وحقارة ... أن تختار أن تترك الحياة لأنها لا تتلاءم معك ، ولكن الأمر مخيف فى بعض الأحيان .

كل هذا كلام ربما أتقابل مع شخص ما مستقبلا وأتزوجه وعندئذ ستبدو الأمور وكأنها قد تغيرت وبحيث لن أهتم بعد ذلك ، لسوف أصبح إمرأة صغيرة سمينة ، لسوف أصبح واحدة من الأعداء .

ولكن هذا هو ما أشعر به فى هذه الأيام ، فأنا أشعر أننى أنتمى لشلة معينة من الناس ينبغى عليهم أن يقفوا ضد جميع الناس الآخرين وأنا لا أعرف من يكونوا هم - الناس المشهورين الأحياء منهم والأموات - الذين قد حاربوا من أجل الأمور الصائبة الصحيحة والذين أبدعوا وخلقوا ورسموا بالطريقة السليمة وأناس غير مشهورين أعرفهم وأعرف عنهم أنهم لا يكذبون ويحاولون الابتعاد عن الكسل ويحاولون أن يكونوا أذكياء مع اتخاذ الطابع الإنسانى . نعم اناس مثل .G.P على الرغم على أخطائه على الرغم من خطيئته .

بل ولا يوجد هناك أناس طيبون فهم لهم لحظات ضعف ، لحظات جنس . لحظات إنغماس فى تناول الخمور ، وهم يقضون أجازتهم فى البرج العاجى . ولكن جانبا منهم متحد مع الشلة .

القليل منهم .

٩ نوفمبر :

إننى مغرورة . إننى لست واحدة منهم إننى «أريد» أن أكون واحدة منهم وذلك ليس هو نفس الشئ .

بالطبع كاليبان ليس صورة طبق الأصل من الناس الجدد ، فهو على

نحـو يائس من طراز قـديم عـفى عليـه الزمن (فـهـو يطـلق على جـهـاز الأسطوانات الفوتوغرافية اسـم «جراموفون») كما يوجد لديه ذلك الانعدام فى الثقة بالنفس ، أما الناس الجدد فهم لا يخجلون من أنفسهم . وأذكر أن والدى قد قال عن هؤلاء الناس أنهم يعتقدون أنهم متساوون مع أفضل الناس بمجرد أن يكون لديهم تليفزيون وسيارة .

ولكن فى أعمق الأعماق يعتبر كاليبان واحدا منهم - فهناك هذه الكراهية نحو الانسان المتفرد غير العادى . وهناك تلك الرغبة لأن يكون كل الناس سواسية . وهناك سوء الاستخدام الرهيب للنقود . لماذا يجب أن يكون لدى الناس نقودا إذا كانوا لا يعرفون كيفية استخدام النقود على الوجه السليم؟

إننى أشعر بالغثيان فى كل مرة أفكر فيها فى كل تلك النقود التى كسبها كاليبان . وفى كل مرة أفكر فيها فى جميع الناس الآخرين المماثلين له والذين ربحوا النقود .

إنه أنانى للغاية وشرير تماماً .

لقد قال G.P. فى ذلك اليوم أن الفقراء الشرفاء هم الأغنياء العاديون المفلسون والفقر يرغمهم لأن تكون لهم صفات طيبة والفخر فى أمور أخرى بالإضافة إلى النقود وبعدئذ عندما يحصلون على النقود فإنهم لا يعرفون ماذا يفعلون بالنقود ، فهم ينسون كل الفضائل القديمة التى لم تكن فضائل حقيقية على كل حال .. فهم يعتقدون أن الفضيلة الوحيدة هى كسب المزيد من الأموال وإنفاق الأموال . . فهم لا يستطيعون أن يتخيلوا أن هناك أناساً لا تشكل النقود أية أهمية بالنسبة لهم ، وأن أجمل الأمورقاطبة مستقلة تماما عن النقود .

إننى لست ملتزمة بالصراحة الشديدة ، فأنا مازلت أرغب فى النقود . ولكنى أدرك أن ذلك أمر خاطئ ، وأنا أعتقد أن G.P. لا يكاد يهتم بالنقود على الإطلاق – وأنا لست بحاجة لأن أصدقه عندما يقول ذلك فأنا باستطاعتى أن أدرك أن تلك هى حقيقة واقعة ، فهو لديه القدر الكافى من النقود الذى يعينه فقط على شراء المواد والأدوات التى يحتاج اليها وعلى القيام بأجازة سنويا وتدبير أموره وهناك عشرات آخرون من أمثال : بيتر وبيل ماكدونالد وستيفان ممن لا يعيشون فى عالم النقود والأموال . فهم إذا حصلوا على نقود يسيرون دفة حياتهم بدونها .

الأشخاص من أمثال كاليبان لا ينظرون إلى النقود نظرة سليمة . وهم بمجرد أن يحصلوا على قدر من النقود فإنهم يتحولوا إلى الوحشية مثل الناس الجدد كل الناس البشعين الكريهين الذين لم يبدوا استعداداً لإعطائى نقودا عندما كنت أقوم بجمع النقود وكان بمقدورى معرفة نوعية الناس بمجرد أن ألقى نظرة واحدة على وجوههم . فالناس البرجوازيون يعطون النقود لأنهم يشعرون بالخجل والارتباك إذا قمت بمضايقتهم وإزعاجهم . والناس الأذكياء يعطون نقودا أو على الأقل ينظرون إليك فى صدق ويقولون «لا» . فهم لا يخجلون من عدم الاعطاء . أما الناس الجدد فهم حقراء للغاية بحيث لا يعطون وصغار للغاية بحيث لا يعترفون بحقارتهم . مثل الرجل البشع الرهيب فى هامبستيد (فهو كان واحدا منهم) الذى قال « إننى على استعداد لأن أعطيك نصف دولار إذا أمكنك أن تبرهن على أن النصف دولار لن يدخل إلى جيب شخص ما » وكان يعتقد فى نفسه أنه يتسم بروح الفكاهة .

فأدرت له ظهرى وكان ذلك تصرفا خاطئا من جانبى . لأن شعورى بالاعتزاز بنفسى كان أقل أهمية من الأطفال . لذلك وضعت نصف جنيه نيابة عنه فيما بعد .

ولكننى مازلت أكرهه .

الأمر أشبه مايكون بوضع رجل أعمى فى سيارة وأخباره بأن يقود السيارة إلى المكان الذى يريده وبالكيفية التى تروق له .

شئ لطيف أنهى به كلامى اليوم ، لقد وصلت الأسطوانة الموسيقية الخاصة بالموسيقار باخ Bach اليوم وقد أدرتها وسمعتها مرتين بالفعل وقال كاليبان عن تلك الأسطوانة أنها لطيفة ولكنه لم يكن شخصا «يتمتع بأذن موسيقية» . وعل كل حال فإنه قد جلس ليستمع وقد رسم على وجهه التعبير السليم الذى يدل على أنه يستمتع بسماع تلك الموسيقى ، إننى سأدير هذه الأسطوانة مرة أخرى لكى أستمع للأجزاء التى تروقنى بها ولسوف أستلقى فى سريرى فى الظلام مستمعة للموسيقى مع التخيل بأننى موجودة مع.G.P وسوف أتخيله وقد استلقى هنالك مع غلق عينيه بفكه المنقر وبأنفه المعقوفة اليهودية . كما لو كان راقدا فى القبر الخاص به ، كل ما هناك أنه لا يوجد شئ ما من الموت فى داخل كيانه .

وفى هذا المساء تأخر كاليبان فى النزول إلى غرفتى السفلية .

فقلت له فى حدة «أين كنت ؟ » فاكتفى بأن نظر إلى فى دهشة ولم يره على بأى كلام . فأضفت قائلة « يبدو لى أنك متأخر للغاية » .

إنه لأمر يدعو للسخرية . لقد كنت أريد له أن يجيئ . وغالبا ما أريد أن يجيئ . إننى أشعر بالوحدة الشديدة إلى ذلك الحد .

١٠ نوفمبر :

تناقشنا فى هذا المساء عن نقوده . وقلت له أنه ينبغى عليه أن يتخلص من معظم نقوده . وحاولت أن أجعل حياءه يمنعه من رفض التبرع ببعض نقوده ، ولكنه لم يكن لديه الاستعداد لأن يثق فى أى شئ ، وذلك هو الشئ الخاطئ حقا فى داخله ، أنه مثل ذلك الرجل الرهيب الذى قابلته فى هامبستيد .. فهو لا يثق فى الناس من حيث جمعهم للنقود ومن حيث استخدام تلك النقود فى الغرض الذى جمعت النقود من أجله ، فهو يعتقد أن كل شئ شخصى فاسد وأن كل شخص يحاول الحصول على الأموال والاحتفاظ بها لنفسه .

ولم يفلح معه قولى له أننى أعرف أن النقود التى تجمع من الناس تستخدم فى الأغراض الصحيحة حيث قال لى « كيف يمكن لك أن تعرفين ذلك ؟ » وأنا بالطبع لم أستطع الرد على تساؤله . ولم يكن باستطاعتى إلا أن أقول أننى أشعر أننى واثقة من أن النقود «ينبغى» أن تذهب إلى حيث يتم الاحتياج إليها ، وعندئذ ابتسم كما لوكنت أنا إنسانة ساذجة للغاية بحيث لا يصح أن أكون على صواب فى رأيى على الأطلاق .

واتهمته (ليس فى مرارة وقسوة شديدة) بعدم إرساله للشيك إلى CND وطلبت منه فى تحد أن يرينى الايصال الذى يدل على إرساله للشيك ، فقال لى أنه قد أرسل النقود على أساس أنها من فاعل خير وبدون ذكر الاسم ولذلك فهو لم يذكر عنوانه ، وكنت على وشك أن أقول له « لسوف أذهب بنفسى لأعرف مدى صدق كلامك عندما أصبح حرة طليقة ولكننى منعت نفسى من قول ذلك الكلام لأن ذلك قد يضيف سببا آخر إلى الأسباب التى تجعله لايطلق سراحى .

كان وجهه مضطرما باللون الأحمر وكنت واثقة تماما من أنه يكذب على مثلما كذب على فيما يتعلق بالخطاب المرسل إلى والدى ووالدتى .

لم يكن الأمر نقصانا فى الكرم - وإنما كان بخلا حقيقيا أقصد (مع تناسى سخافة الموقف) أنه كريم بالنسبة لى حيث يغدق على فى كرم فهو ينفق على مئات الجنيهات ، إنه يذبحنى بعطف وبأنواع الشيكولاته التى يقدمها لى وبالسجاير والأطعمة وباقات الزهور ، ولقد قلت له أننى أود الحصول على بعض العطور الفرنسية فى إحدى الأمسيات - وكنت أعبر عن مجرد نزوة فى حقيقة الأمر ولكن هذه هذه الغرفة كانت لها رائحة المبيدات الحشرية وأننى أستحم بالقدر الكافى ولكننى مع ذلك لا أشعر أننى نظيفة . وقلت له أننى أود أن أشم روائح العطر الذى يروق لى أكثر ، فجاء إلى فى هذا الصباح ومعه ١٤ زجاجة عطر من العطور المختلفة ، ولقد فتش فى جميع محلات العطور ، أنه يتصرف فى جنون ، فتلك العطور التى اشتراها يبلغ ثمنها أربعون جنيها ، أن الأمر أشبه بالحياة فى قصص ألف ليلة وليلة وكأننى الانسانة المفضلة فى الحريم التابع له ، ولكن العطر الأوحد الذى يفضله الانسان فى حقيقة الأمر هو الحرية .

لو قدر لى أن أضع طفلا يتضور جوعا حتى الموت أمامه وقمت بإطعام ذلك الطفل أمامه وجعلته يشاهد الطفل وهو يتحسن وينمو أمام ناظريه فإنه عندئذ سيقدم النقود بكل تأكيد ، ولكن كل شئ يقع إلى ماوراء مايدفعه من نقود للحصول على أشياء بنفسه يثير الشكوك لديه ، فهو لا يؤمن بأى عالم آخر سوى العالم الذى يعيش فيه ويشاهده بنفسه ، إنه هو الذى يعيش فى سجن ، إنه هو الذى يعيش فى عالمه الضيق الكريه الماثل أمام عينيه .

١٢ نوفمبر :

الليلة قبل الأخيرة . أننى لا أجرؤ على التفكير فى عدم الهروب ، ولقد ظللت أذكره فى الآونة الأخيرة بالموعد المتفق عليه لإطلاق سراحى . ولكننى أشعر الآن أنه كان ينبغى على أن أذكره بذلك فجأة إلى حد ما ، واليوم قررت أن يتم تنظيم حفلة صغيرة فى مساء الغد . ولسوف أقول أننى أشعر بمشاعر مختلفة نحوه لدرجة أننى أرغب فى أن أكون صديقة له وحبيبة له فى لندن .

ولن يكون ذلك بمثابة كذبة كاملة فأنا أشعر بالفعل بمسئولية نحوه وهى مسئولية لا أفهم جوانبها فى حقيقة الأمر ، وأنا فى كثير من الأحيان أشعر بالكراهية نحوه ، وأعتقد أنه ينبغى على أن أكرهه للأبد ، ومع ذلك فأنا لا أشعر بالكراهية نحوه باستمرار ، فشفقتى عليه تتغلب وأنا لا أريد أن أقدم له يد العون والمساعدة ، وأنا أفكر فى الشخصيات التى يمكننى أن أعرفه عليهم ، وهو يمكن له الذهاب إلى الطبيب النفسى الخاص بكارولين ، ويمكن أن أقوم بدور إيما Emma بحيث أرتب له زواجا مع تحقيق نتائج أكثر سعادة . أرتب له زواجا من فتاة شابة مثل هارييت سميث Harriet Smith بحيث يصبح معها وديعا وخجولا ومجنونا وسعيداً .

وأنا أعرف أنه ينبغى على أن أستجمع شجاعتى لمواجهة عدم إطلاق سراحى ، وأنا أقول أن فرصة تنفيذ وعده لا تزيد على ١ ٪ .

ولكنه يجب عليه أن يحافظ على كلمته ويوفى بوعده لى .

ج . ب G.P.

إننى لم أشاهده على مدى شهرين بل وأكثر من شهرين . فقد أمضيت فترات فى فرنسا وأسبانيا وبعدئذ فى منزلى . (لقد حاولت أن أقابله مرتين ولكنه كان بعيدا خارج منزله طوال شهر سبتمبر) . وكانت هناك بطاقة بريدية رداً على خطاباتى ، ولا شئ غير ذلك .

وفى الليلة الأولى عقب عودتى مع كارولين اتصلت به تليفونيا بشأن عما إذا كان باستطاعتى أن أقوم بزيارته لفترة قصيرة فقال « أرجو أن تؤجلى زيارتك لى إلى الغد ، لأن لدى بعض الناس فى هذا المساء » .

وبدت عليه الغبطة والسرور لمشاهدتى ، ولقد كنت أحاول أن أبدو وكأننى لم أحاول أن أبدو جميلة للغاية ، ولكننى حاولت ذلك .

ولقد حدثته عن كل ما شاهدته فى فرنسا وأسبانيا وعن لوحات جويا Goya الرسام الأسبانى وعن الألبين Albi وهم سكان مدينة ألبى الواقعة فى جنوب فرنسا ، كما حدثته عن كل الأمور الأخرى ، وعن بييرز ، ولقد أصغى إلى فى انتباه وهو لم يحدثنى بالفعل عن الأشياء التى كان يفعلها فى تلك الفترة ولكنه أرانى فيما بعد بعض الأشياء التى أنجزها فى جزر هبرايدز Hebrides * فشعرت بالخجل لأن كل واحد منا لم ينجز أعمالاً كثيرة حيث كنا منهمكين للغاية فى الاستلقاء تحت أشعة الشمس (أقصد أننا كنا كسولين للغاية) مع التأمل فى اللوحات الفنية العظيمة مما جعلنا لا ننجز الكثير فى مجال الرسم أو أى شئ من هذا القبيل .

وقلت (بعد أن ظللت أتدفق بالكلام لمدة ساعة على الأقل) « أننى أتكلم كلاما كثيرا للغاية » .

---

* جزر هبرايدز : مجموعة جزر اسكتلندية تقع فى غرب اسكتلندا . .... المترجم

فقال « لا بأس » .

وكان يزيل الصدأ عن عجلة حديدية قديمة باستخدام بعض الأحماض. وكان قد شاهدها فى محل لبيع الخردة القديمة فى أدنبرة فأشتراها وأحضرها معه على طول تلك المسافة . وكانت لهذه العجلة أسنان غير حادة وغريبة ، وهو قد أعتقد أن تلك العجلة كانت جزءا من ساعة حائط خاصة بكنيسة قديمة ، وكانت بها يرامق مستدقة ورائعة للغاية كانت جميلة .

ولم نقل أىّ كلام لبعض الوقت مستندة إلى جواره على المقعد به حيث كنت أرقبه وهو ينظف متخلصا من كل الصدأ . وبعدئذ قال فجأة « لقد كنت أفتقدك . »

فقلت « لايمكن لك أن تكون قد شعرت بافتقادى » فقال لقد سببت لى بسبب غيابك عنى ازعاجاً وقلقاً شديداً »

فقلت (فى مرواغة) هل شاهدت أنطوانيت ؟ »

فقال « لا وأظن أننى قد سبق أن قلت لك أننى صرفت النظر عنها » ثم نظر نظرات جانبية . نظراته التى تشبه نظرات السحلية . ثم أضاف « ألا زلت تشعرين بالصدمة ؟ » فهززت رأسى .

« هل نسيت ؟ »

فقلت « لم يكن شيء هناك أتسامح بشأنه »

فقال « لقد ظللت أفكر فيك باستمرار أثناء وجودى فى جزر الهبريدز . لقد كنت أريد أن أريك بعض الأشياء » .

فقلت « وأنا كنت أتمنى لو كنت موجودا معنا فى أسبانيا » .

وكان مشغولا فى سنفرة الأماكن الموجودة بين الأسنان . وقال « إن هذه القطعة قديمة للغاية أنظرى إلى هذا التآكل » ثم أضاف بنفس نغمة الصوت « لقد أدركت فى الحقيقة أننى أرغب فى الزواج منك » . فلم أردّ عليه بأىّ كلام ولم أستطع أن أنظر إلى وجهه .

ثم قال « لقد طلبت منك أن تجيىء إلىّ عندما أكون بمفردى لأننى كنت أفكر تفكيرا جديا وعميقا فى هذا الشأن . وأنا أبلغ فى السن ضعف عمرك وكان ينبغى على أن أتناول الأمور على هذا النحو في غير تردّ . والسيد المسيح وحده هو الذى يعرف أن هذه ليست هى المرة الأولى . لا . دعينى أنتهى من هذا الأمر الآن . لقد قررت أنه ينبغى علىّ التوقف عن مشاهدتك . وكنت على وشك أن أقول لك ذلك لدى دخولك إلى منزلى . فأنا لا أستطيع التحمل للقلق المستمر الذى تسببه لى . فأنا سوف أظل فى حالة مستمرة من الهمّ والقلق والانزعاج إذا دوامت على المجيىء إلىّ هنا باستمرار ، وهذه ليست طريقة ملتوية لمناشدتك لكى توافقى على الزواج منى . فأنا أحاول أن أجعل ذلك الأمر من رابع المستحيلات . وأنت تعرفين ظروفى أننى إنسان لايمكن الاعتماد عليه على الاطلاق . وعلى أية حال فأنت لا تحبيننى » .

فقلت « إننى لا أستطيع أن أشرح لك الموقف . فليس لدىّ كلمات تعيننى على التعبير عن الموقف »

فقال لى بينما كان يقوم بتنظيف يدية من آثار البنزين « ولذلك فإنه ينبغى على أن أطلب منك أن تتركنى وشأنى لكى أتمكن من العيش فى هدوء وسلام مرة أخرى » .

فحملقتُ فى يديه . وشعرت بالصدمة ، وقال « أنت من نواحى أخرى تعتبرين أكبر منى فى السن . فأنت لم يسبق لك أن عشت فى تجربة حب

عميق حقيقى على الاطلاق . وربما لن تتعرضى لتلك التجربة فى حياتك . »
وأضاف « وأنا ربما أبدو معقولاً للغاية فى هذه اللحظات .ولكننى لا أشعر حقيقةً بذلك .فأنت اتصلت بى تليفونيا فإننى كدت أغرق فى بنطلونى بسبب شدة الإثارة . إننى رجل عجوز غارق فى الحبّ الشديد . أننى مادة للسخرية الكوميدية . إننى مبتذل للغاية . بل ولست فكاهيا » .

فقلت « ولماذا تعتقد أننى لن أدفع فى حبّ عميق فى حياتى على الاطلاق ؟ فراح ينظف يديه على مدى لحظات طويلة للغاية .

ثم قال « لقد قلت : ربما »

« إن عمرى لايتعدى العشرين عاما فقط »

فقال « إن شجرة السردار التى يبلغ طولها قدماً هى مازالت شجرة سردار . ولكننى قلت : ربما » .

فقلت « وأنت لست كبيراً فى السن . والأمر ليس له علاقة بأعمارنا » .

وعندئذ نظر إلىَّ نظرة بها قدْر ضئيل من الآلام . ثم ابتسم وقال « يجب عليك أن تتركى لى مهربا أو منفذا من نوع ما » . وذهبنا معا لنعدّ القهوة فى ذلك المطبخ الصغير المتهالك القذر .وقلت لنفسى « على كل حال إننى لم يكن باستطاعى أن أواجه الحياة هنا معه – مجرد مواجهة المجهودات المنزلية » موجه من الجبن البرجوازى الكريه والذى ليس له علاقة بالموضوع .

وقال وهو معطى ظهره نحوى « فى الفترة السابقة على ذهابك كنت أعتقد أن الأمر هو مجرد الشيء الاعتيادى . على الأقل حاولت أعتقد أن الأمر على ذلك النحو . وذلك هو السبب فى أننى تعمدتُ أن أسلك سلوكا سيئا مع صديقتك السويدية . لكى أتخلص منك أو لكى أتطهر منك ولكنك وجعت

وعدت . فى داخل ذهنى . مرة أخرى ومرة ثانية وتكراراً نحو الشمال . ولقد اعتدت الخروج من المنزل الريفى ليلا إلى الحديقة . والنظر نحو الجنوب . هل تفهميننى ؟ »

فقلت « نعم »

« وكنت أنت التى تستحوذين على ذهنى ، وليس مجرد ذلك الشىء الآخر » .

ثم أضاف قائلاً « إنه جمال فجائى هبط عليك عندما لم تعود مجرد صبية »

« وما نوع ذلك الجمال »

فقال « المرأة التى ستكونين إياها »

« إمرأة لطيفة ؟ »

« أكثر بكثير من إمرأة لطيفة » .

ولاأستطيع التعبير بالكلمات عن الطريقة التى قال بها العبارة . لقد قالها فى حزن ويكاد يكون قد قالها على الرغم منه . قالها فى رقة ولكنها رقة ممزوجة بمسحة من المرارة وقالها فى صدق وأمانة . ليس فى جفاف وتحفُّظ . ولكنها خارجة مباشرة من ذاته الحقيقية . ولقد كنت أنظر لأسفل طوال الوقت الذى كنا نتكلم فيه. ولكنه جعلنى أنظر لأعلى عندئذ فتقابلت عينانا وهنا أدركت أن شيئا ما مرّ بيننا . وكان باستطاعتى الاحساس بذلك الشىء . يكاد يكون تلامس فيزيقى مادى . محدثا تغييرا فى داخلنا . قوله لشىء ما يعنيه ويقصده تماما وإحساسى بذلك الشىء .

وظل محملقا فى وجهى حتى أننى شعرت بالخجل والارتباك . وظل مستمرا فى الحملقة فقلت « أرجوك ألا تحملق فىَّ على هذا النحو » .

فاقترب منى ولفّ ذراعه حول كنفىّ ثم قادنى فى رفق نحو الباب وقال «أنت الآن رائعة الحس والجمال : وأنت فى بعض الأحيان تكونين جميلة . وأنت إنسانة حساسة وأنت إنسانة شغوفة وأنت تحاولين أن تكونى أمينة وصادقة وأنت تحاولين أن تتصرفين بما يتفك مع سنك وعمرك وتحاولين أن تكونى طبيعية وأنت فى نفس الوقت متزمته بعض الشىء وموضة قديمة بعض الشىء . بل وأنت تلعبين نموذج للابنه التى أريد أن يكون لى ابنة مثلها وربما كان ذلك هو السبب أننى رغبت فيك كثيراً للغاية خلال الشهور القليلة الأخيرة . »

ودفعنى من خلال فتحة الباب ووجهه شاخص للأمام لكى لا أتمكن من رؤيته .

وقال « إننى لا أستطيع أن أقول مثل هذه الأشياء لك بدون أن أدير رأسك . ويجب عليك ألاَّ تستديرى برأسك بأىّ معنى واذهبى الآن » .

وشعرت به وهو يضغط على كتفىّ للحظة خاطفة .ثم قبلَّ الجزء من رأسى وبعدئذ دفعنى بعيداً ، فنزلت هابطة على سلمتين أو ثلاث سلالم ثم توقفتُ ونظرتُ إلى ورائى ، كان يبتسم ولكنها كانت ابتسامة حزينة .

فقلت « لو سمحت لا تجعل الأمر يدوم لفترة طويلة للغاية »

فاكتفى بأن هزّ رأسه . ولا أعرف ما إذا كان يقصد « لا . ليس لفترة طويلة للغاية » أو يقصد « لا فائدة من وراء الأمل فى ألاَّ تكون الفترة طويلة . للغاية . » وهو ربما لم يكن يعرف جوانب نفسه ولكن الحزن كان باديا عليه تماما .

وبالطبع بدا الحزن على وجهي ولكنني لم أكن أشعر في حقيقة الأمر بالحزن . أو أن حزني لم يكن حزنا شاملاً . ولقد استمتعت ببعض الشيء بذلك الحزن . وهذه وحشية ولكنني استمتعت بالفعل بذلك الحزن . ورحت أغنيّ أثناء عودتي إلى منزلي . وورومانسية الموقف وغموض الموقف . حياة .

لقد اعتقدت أنني كنت أدرك أنني لم أحبه . وأنني قد كسبت تلك الجولة وما الذي حدث منذ ذلك الحين ؟ في خلال اليوم الأول أو اليومين الأولين ظللت أعتقد أنه سيتصل بي تليفونيا . وأن ذلك كله كان نوعا من النزوات . وبعدئذ كنت أقول لنفسي « أنني لن أراه مرة أخرى على مدى شهور وربما على مدى سنوات » وبدا ذلك أمرا مثيراً للسخرية وأمراً لا لزوم له وأمرا غبيا إلى أقصى حد وكنت أكره مابدا وكأنه « الضعف الخاص به واعتقدت أنه لو كان على ذلك النحو فليذهب إلى الجحيم .

ولم يدم ذلك لفترة طويلة للغاية وقلت لنفسي « ربّ ضارة نافعة «أنه كان على حق . ولقد كان من الأفضل أن يتم انفصال نظيف . ويمكن لي أن أركز على العمل والاهتمام بالعمل وعليّ أن ألتزم بالطابع العملي والكفاءة وألتزم بكل شيء لا أتصف به بطبيعتي » .

وطوال ذلك الوقت ظللت أفكر وأقول لنفسي « هل أنا أحبه ؟ » وبعدئذ كان من الواضح أنه يوجد هناك قدْر كبير من الشكوك .

لم يكن بإستطاعتي أن أحبه .

والآن كان على أن أكتب ما أشعر به الآن ، لأنني قد تغيرت مرة أخرى ، فأنا أعرف ذلك ، وأشعر بذلك .

الجمال والجاذبية والفتنة : إننى أعرف أنه من الخطأ والبلاهة أن تكون لدى أفكار ذات شروط مسبقة عن الجاذبية والجمال ، الإحساس بالإثارة عندما يقوم بييرز بتقبيلي ، الاضطرار للحملقة في وجهه في بعض الأحيان .

ليس فى اللحظات التى قد يلاحظ فيها ذلك وذلك بسبب غروره ولكن مع الاحساس والشعور بجاذبيته فى عمق ، مثل رسم جميل عن شئ ما قبيح من الناحية الاخلاقية والنفسية - فهو مجرد إنسان قبيح وسخيف وزائف .

ولكننى حتى هنالك قد تغيرت ، إننى أتخيل وهو ممسلك بى وهو يربت على .

هنالك نوع من الفضول وحب الاستطلاع الردىء المنحرف جنسيا فى داخل كيانى - أقصد فى داخل كيان جميع النساء اللائى حصل عليهن وفى جميع الأشياء التى يعرفها بالتأكيد عن النوم فى السرير .

أستطيع أن أتخيل مضاجعته لى جنسيا بدون أن يثير ذلك قرفى واشمئزازى ، فهو خبيــر للغـــاية ولطيف ، جميع أنواع الأشياء ولكن ليس الشئ إذا كان ذلك سيدوم على مدى فترات الحياة .

وبعدئذ هنالك نقطة الضعف الخاصة به ، الاحساس بإنه ربما قد يلجأ إلى خيانتى ولقد كنت أفكر دائما فى الزواج على أساس أنه نوع من المغامرة التى يقوم بها شاب وفتاة صغيران فى السن شاب وفتاة من نفس العمر ينطلقان معا .

ويكتشفان الأمور معا ويكبران فى العمر معا ولكننى يكن لدى أى شئ أريه له ، هو الذى سيقدم كل أنواع المساعدة .

لقد شاهدت قدرا ضئيلا للغاية من العالم والحياة ، وأنا أعرف أن G.P. في نواحي عديدة يمثل نوعا من المثل الأعلى الآن و إحساسه بالشئ الذى له أهمية واستقلاله ورفضه أن يفعل نفس الأشياء التى يفعلها الآخرون ووقوفه بمعزل على حدة ، وينبغى أن يكون الشخص الذى أختاره له نفس تلك الصفات ، وأنا لم أتقابل مع شخص آخر له نفس هذه الصفات التى يتميز بها الناس فى السليد «يبدو عليهم» أنهم لهم تلك الصفات - ولكنهم صغار فى السن للغاية .

وساءلت نفسى مرة أو مرتين فى تعجب : ترى ألم يكن ذلك كله بمثابة فخ أو مصيدة ؟

مثل التضحية فى لعبة الشطرنج ، ولنفرض أننى قلت أثناء وقوفى على السلالم » إفعل بى كما يحلو لك ولكن لاتطردنى » ؟

لا . لن أصدق ذلك عنه .

فترة زمنية فاصلة ، منذ عامين لم أكن لأحلم بالوقوع فى حب مع رجل يكبرني كثيراً فى السن ، فقد كنت أنا الإنسانة التى تتجادل دائما لتبرهن على ضرورة أن يكون الفتى والفتاة فى عمر متماثل فى لاديمونت ، وأذكر أننى كنت من ضمن الناس الذين استاءوا للغاية عندما تزوجت سوزان جريلليت Suasan Grillet رجلا رهيبا يحمل رتبة بارونيت يكبرها بثلاثة أضعاف عمرها ، ولقد أعتدت أنا وأختى مينى التكلم عن ضرورة المحاذرة من اتخاذ الأنماط الأبوية (بسبب والدى) والمحاذرة من الزواج من رجال لهم طابع الأب وعمر الأب ، وأنا لم أعد أشعر بتلك المحاذرة ، فأنا أعتقد أننى بحاجة لرجل أكبر منى فى السن لأننى أبدو دائما وكأننى أدرك المرامى الخفية للأولاد والشبان الذين أتقابل معهم ، وأنا لا أشعر أن G.P. هو زوج / أب .

وهذا قد سبب لى صدمة لأننى أعتقد أن كل فرد الآن « باستثنائنا » (ونحن مُلوَّثون ومدنَّسون) لديه هذه الأنانية وهذه الوحشية سواء أكانت مخبأة ومستترة وراء الخجل والحياء ومنحرفة وشرسة أو كانت واضحة وجلية وفجة وغليظة . الدين له نفس جودة الناس الموتى . ولا يوجد هناك شئ ما يمكنه أن يمنع الناس الجدد New People فهم سيزدادون قوة تدريجيا مما سيجعلهم يغرقوننا ويكتسحوننا .

لا . لن يتمكنوا من إغراقنا . بسبب دافيد David . بسبب أناس من أمثال سليتو (وهناك إشارة على ظهر غلاف الكتاب إلى أنه كان ابن أحد العمال) . أعنى أن الناس الجدد الأذكياء سوف يثورون دائما ويقفون إلى جانبنا . والناس الجدد يدمرون أنفسهم لأنهم أغبياء للغاية . فهم لا يمكن لهم أبداً الابقاء على الناس الأذكياء معهم . وخاصة الناس الذين فى سن الشباب نحن نريد شيئا ما أفضل من مجرد النقود ومجرد الاضطرار إلى مجاراة الجيران حفاظا على المظاهر .

ولكن الأمر بمثابة معركة . إن الأمر أشبه بالوجود فى مدينة كبيرة مع الوقوع تحت الحصار فى الوقت نفسه . فهم محدقون بنا من جميع الجهات . وينبغى علينا أن نصمد ونتحمل أمام المصاعب .

إنها معركة بينى وبين كاليبان إنه بمثابة الناس الجدد وأنا بمثابة الأقلية The Few .

يجب علىَّ أن أقاتل بسلاحى ، وليس بسلاحه هو . ليس بالانانية والوحشية والعار والاستياء .

إنه أسوأ من نوعية آرثر سيتون إذا شاهد آرثر سيتون تمثالا حديثا لم يعجبه فإنه سيحطمه . ولكن كاليبان سيقوم بتغطيته بقماش متين مشمع أو مقنطر . لا أعرف أىّ التصرفين يعتبر أكثر سوءاً ،ولكننى أظن طريقة كاليبان هى الأكثر سوءاً .

٢٤ نوفمبر :

بدأت أشعر باليأس من الهرب . ولا أستطيع الحصول على أىّ إرتياح من وراء ممارسة الرسم أو الاستماع للأسطوانات الموسيقية أو القراءة . إننى أشعر أننى فى أشد الحاجة للناس الآخرين (ومن المؤكد أن جميع المسجونين يشعرون بنفس هذا الشعور) . كاليبان ليس سوى نصف شخص فى أفضل الأوقات أريد مشاهدة عشرات من وجوه الناس الغرباء . مثل الشعور بالعطش الشديد واجتراع أكواب مليئة بالماء الواحدة تلو الأخرى . الأمر على ذلك النحو تماما . ولقد قرأت ذات يوم أنه لايمكن لأى إنسان أن يتحمل حبسه فى سجن لمدة تزيد على عشر سنوات أو تزيد على سنة واحدة إذا كان الحبس انفراديا .

لايمكن للمرء أن يتخيل الأوضاع الحقيقية فى داخل السجن إذا نظر إلى السجن مَن الخارج . قد يظن المرء أن السجن يتوافر بداخله متسع من الوقت للتفكر والقراءة ولذلك فإن السجن ليس رديئا للغاية . ولكنه فى داخل السجن فى بطء شديد . ولسوف أقسم أن جميع ساعات الحائط فى العالم قد سارت فى بطء لمئات السنين منذ أن جئت إلى هنا . لاينبغى علىَّ أن أشتكى . فهذا سجن فاخر .

وهنالك خداعه ومكره ودهاؤه فيما يتعلق بالصحف والمجلات والراديو وغير ذلك من أشياء . إنني لم يسبق لي أن قرأت الصحف في نهمْ وشراهة أو استمعت إلى نشرات الأخبار في اهتمام كبير . ولكن عزلي تماما عن الصحف والراديو يعتبر أمر غريبا للغاية . أشعر وكأنني فقدت كل قدراتي على الاحتمال إنني أقضي الساعات مستلقية على السرير ومفكرة في كيفية التوصل إلى الهرب إلى ما لانهاية .

٢٥ نوفمبر :

(فترة مابعد الظهر) في هذا الصباح تجاذبت أطراف الحديث . وجعلته يجلس أمامي مثل «الموديل» الذي يقوم الفنانون برسمه وبعئذ سألته عماً يريده مني في حقيقة الأمر وما الذي يريده لي أن أفعله . وهل ينبغي عليّ أن أصبح خليلته ؟ ولكن ذلك التساؤل أصابه بالصدمة . تصاعدت الدماء الحمراء إلى وجهه وقال إنه كان بمقدوره أن يشتري «ذلك» في لندن .

وقلت له أنه صندوق صيني . وهو بالفعل صندوق صيني .

الصندوق الأعمق هو أنه ينبغي عليّ أن أحبه . وأحبه بكل الوسائل والطرق . أحبه بجسدي وأحبه بعقلي . وأحترمه وأدلله وأتملقه . وهذا أمر من رابع المستحيلات .

ضرب رأسه على نحو متكرر وفي عنف على حائط حجري .

إنني لا أريد أن أموت . أشعر أنني مليئة بقدرات كبيرة على التحمّل ، ولسوف أرغب «دائما» في البقاء على قيْد الحياة . ولسوف أبقى بكل تأكيد على قيْد الحياة .

٢٦ نوفمبر :

الشيء الوحيد غير الطبيعي فيه - هو : كيف تسنىّ له أن يحبني فالناس الجدد العاديون لا يمكن لهم أن يحبوا أيّ شيء مثلما يحبني . فذلك أمر يتسم بالعمى والتهور . تماماً : مثل دانتي Dante وبياتريس Beatrice .

إنه يستمتع بكونه واقع في حب بدون أمل معي . وأنا أتوقع أن دانتي كان على شاكلته ... كان يحب بدون أمل كان يضيع الوقت في تكاسل ويحلم وهو يدرك أنه لاجدوى على الاطلاق ويحصل من وراء هذه التجربة على قدْر كبير من المادة الابداعية الخلاقة الممتازة .

ولو أن كاليبان لايمكن له بالطبع أن يحصل من وراء تجربته على أيّ شيء بخلاف المتعة التعيسة الخاسة به .

الناس الذين لايستطيعون أن «يخلقوا» أيّ شيء . أكرهم .

كم كنت خائفة للغاية من الموت في تلك الأيام الأولى . إنني لا أريد أن أموت لأنني أداوم على التفكير في المستقبل . إنني متلهفة للغاية لأن أعرف ما ستجلبه الحياة لي . إنني فضولية للغاية ازاء ذلك . ما الذي سيحدث لي وكيف ستسير الأمور معي وماذا سأكون عليه في خلال السنوات الخمس القادمة .

والسنوات العشرة القادمة وفي خلال الثلاثين عاما القادمة . ومن هو الرجل الذي سأتزوجه وماهي الأماكن التي سأعيش فيها وأتعرف عليها وأألفها . والأطفال . هذا ليس مجرد حبّ استطلاع أناني . هذه هي أسوأ الأوقات المحتملة في التاريخ التي يموت فيها المرء . السفر في أرجاء الفضاء

الكونى والتقدم العلمى . العالم كله قد بدأ ينهض من سباته العميق ويتمطّى ويتوسع . عصر جديد بدأ يبزغ . إننى أعرف أن الموقف خطير ولكن من الرائع للغاية أن يعيش المرء فى هذا العصر الجديد .

إننى أحب العصر الجديد الخاص بى بل إننى أعبده .

إننى أداوم على التفكير فى هذا اليوم مما يجعل الأفكار تتوافد على ذهنى . كان من بين هذه الأفكار : الرجال غير المبدعين وغير الخلاقين + وجود فرصة للخلق = رجال أشرار . وفكرة أخرى : إن قتلى له هو تنصّل من المبادىء التى أؤمن بها . وقد يقول بعض الناس أنت لست سوى قطرة فى محيط . وتنصلك من المبادىء ليس سوى قطرة فى محيط . وهو تنصّل ضئيل ولا أهمية له» . ولكن كل الشرور فى العالم تتكون وتتألف من قطرات صغيرة . ومن السخف الاشارة إلى عدم أهمية القطرات الضئيلة . فالقطرات الضئيلة والمحيطات هى نفس الشىء .

لقد استسلمت لأحلام اليقظة (ولم تكن هذه هى أول مرة) فيما يتعلق بعيشى مع G . P . إنه يخدعنى ، يتركنى . إنه متوحش معى . إنه يستخدم السخرية معى . وأنا فى حالة من اليأس والقنوط . لا يوجد قدْر كبير من الجنس فى أحلام اليقظة . إنه مجرد العيش معا فى مكان واحد . وفى بيئات رومانتيكية بعض الشىء . فى أماكن طبيعية شمالية لها طابع البحار والجزر وأكواخ مطلية باللون الأبيض وفى بعض الأحيان فى أماكن تقع فى حوض البحر الأبيض المتوسط . ونحن موجودان معا ومتقاربان للغاية فى الروح . ومخزون كامل من السلع والمؤن السخيفة موجود فى تفاصيل الصورة ولكن هناك التقارب فى الروح . فذلك شىء ما حقيقى . المواقف التى أتخيلها (حيث يتخلى عنى ويهجرنى وينبذنى) حقيقية . أعنى أنه يؤلمنى كثيراً أن أفكر فى هذه المواقف .

فى بعض الأحيان لا أكون بعيدة للغاية عن اليأس التام . لا أحد يعرف أننى مازلت على قيدْ الحياة . أنهم يعتبروننى الآن فى عداد الموتى . من المسلم به الآن لدى الناس أننى مـيـتـة . وهاهو ذا الموقف - الموقف الحقيقى . وهنالك المواقف المستقبلية التى أفكر فيها وأنا جالسة على السرير هنا : حبى المطلق التام لرجل ما . وأنا أعرف أننى لا أستطيع أن أفعل أشياء مثل الحب فى فتور أو غير حماس . وأنا أعرف أن لدىّ حب مكبوت ومحبوس فى داخل كيانى . وأننى سوف أبدّد نفسى وأننى سوف أُسْلم قلبى وجسدى وعقلى وروحى لشخص ما وغُد ونذْل مثل G . P . حيث سيقوم بخداعى وتضليلى وخيانتى . وهذا هو ما أحسه وأشعر به . فكل شىء يكون متسما بالرقة والعقلانية فى بادىء الأمر فى أحلام اليقظة التى تجتاحنى فيما يتعلق بالعيش معه ولكننى أدرك أن ذلك لن يحدث فى الحياة الواقعية . فالحياة الواقعية ستكون متسمة بكل أنواع الانفعال والغضب الشديد بل والعنف . والحقد والغيرة . واليأس والأشياء البغيضة والكريهة . شىء ما سيتعرض للقتْل فى داخل كيانى . وهو أيضت سيتعرض للآلام الجسدية والعقلية لو كان هو قد أحبنى حقا لما استطاع أن يبعدنى .

لو كان هو قد أحبنى حقا لكان قد أبعدنى .

٢٧ نوفمبر :

منتصف الليل .

لن أهرب أبداً الموقف يدفعنى إلى الجنون . ينبغى وينبغى وينبغى علىّ أن أفعل شيئا ما أشعر كأننى موجودة فى داخل قلبْ الكرة الأرضية ،

أشعر بالثقل الكامل للكرة الأرضية وهو يضغط على هذا الصندوق الصغير . الصندوق يصبح أصغر حجماً . أستطيع أن أشعر به وهو يتقلص تدريجيا .

أريد أن أصرخ فى بعض الأحيان . إلى أن يصبح صوتى داميا . حتي الموت .

لا أستطيع التعبير عن ذلك . لاتوجد هناك الكلمات التى تعيننى على التعبير عن ذلك .

يأس مطلق لقد كنت على ذلك النحو طوال اليوم . نوع من الهلع اللانهائى بالحركة البطيئة أو بالتصوير البطيئ .

ما الذى كان يعتقده عندما أحضرت إلى هنا فى بادىء الأمر ؟ شيء ما فى خططه قد سار فى الاتجاه الخاطىء إننى لا أتصرف على النحو الذى كنت عليه فى أحلامه . إننى بمثابة شيء اشتراه هو بدون أن يراه أو يعرف قيمته .

أذلك هو السبب فى أنه يبقى علىّ ويحتفظ بى ؟ على أمل أن حلم ميراندا سوف يظهر ويتخلىّ ؟ ربما ينبغى علىّ أن أكون فتاة أحلامه . وبحيث ألف ذراعىّ حوله وأقبلّه . وأمتدحه وأربت عليه وألاطفه . وأمطره بوابل من القبلات الحارة .

لم أكن أعتزم أن أفعل ذلك . ولكن هذا جعلنى أفكر .

ربما ينبغى على بالفعل أن أقبلّه . بل وأكثر من مجرد القيام بتقبيلة .. ربما ينبغى علىَّ أن أحبه . ربما علىَّ أن أجعل أمير الأحلام يبزغ خارجاً .

إننى أفكر لساعات طويلة بين كل عبارة أكتبها .

ينبغى علىّ أن أجعله يشعر أننى قد تأثرت كثيراً فى نهاية الأمر بشهامته وفروسيته وغير ذلك من أمور .. الخ .. الخ .

هذا الأمر غير عادى .

وهو عندئذ سيضطر لأن يفعل شيئاً . إننى واثقة من أننى يمكننى أن أفعل هذا فهو على الأقل إنسان يتسم بالنظافة الشديدة فهو دائما لا تصدر عنه أية روائح باستثناء رائحة الصابون .

لسوف أؤجل هذا الأمر إلى اليوم التالى .

٢٨ نوفمبر :

لقد اتخذت قرارا مروعا اليوم إذ أعتقدت أن بإمكانى أن النوم معه فى السرير لا فائدة من وراء الاكتفاء بتقبيله . إذ ينبغى علىّ أن أعطيه مثل هذه الصدمة الهائلة مما يجعله يضطر لأن يطلق سراحى . لأنه لايمكن لرجل أن يسجن فتاة أعطت نفسها له .

سأصبح واقعة تحت نفوذه وسلطانه تماما . لأننى بعد أن أعطى نفسى له لا يمكن لى أبداً أن ألجأ إلى الشرطة . فأنا عندئذ ستكون لدىّ الرغبة فى التغطية على هذا الموضوع وكتمانه وعدم إباحة أسراره .

الأمر واضح للغاية . الأمر يحملق فى وجهى فى وضوح وعلى نحو صارخ لا سبيل إلى إنكاره .

مثل تضحية رائعة تمام فى لعبة الشطرنج . إنه يشبه الرسم . لايمكن لك أن ترسم خطا فى حذر شديد وعلى مراحل متقطعة . فالجرأة والجسارة تتمثل فى الخطّ .

لقد فكرت تفكيرا عميقا فى كل الحقائق الجنسية . أتمنى لو كنت أعرف المزيد من المعلومات عن الرجال . أتمنى لو كنت واثقة تماما وبحيث لا أفعل أشياء سمعت عنها أو قرأتها أو فهمتها فهماً غير متكامل . ولكننى سأدعه يفعل ما كان يريد بيرز أن يفعله فى أسبانيات - يفعل ما يسمونه بالحب الاسكتلندى أو الجماع الاسكتلندى . أجعله يستلقى معى فى السرير إذا أراد ذلك ويلعب مع جسدى إذا أراد ذلك ولكن ليس المضاجعة النهائية الحقيقية . ولسوف أقول له أننى فى فترة العادة الشهرية إذا حاول الوصول إلى آخر مدى . ولكننى أعتقد أنه سيصاب بصدمة كبيرة للغاية مما يجعلنى قادرة على أن أجعله يفعل الأشياء التى أريدها أنا . أعنى أننى سأقوم بكل أعمال الاغراء والاغواء . وأنا أدرك أن هذه ستكون مخاطرة رهيبة مع ٩٩ رجلاً من بين ١٠٠ رجل لكننى أعتقد أنه هو الرجل رقم مائة . فهو سوف يتوقف عند مرحلة معينة عندما أطلب منه ذلك . وحتى إذا لم يتوقف فى حالة مجيىء اللحظات الحاسمة فإننى على استعداد لقبول هذه المخاطرة .

هناك شيئان أثنان . الشىء الأول هو أننى بحاجة لأن أجعله يطلق سراحى . والشىء الثانى يتعلق بى . يتعلق بشىء ما كتبته فى ٧ نوفمبر - « إننى أحب الأمور الكاملة المستكملة . أحب كل شىء لا يكون فى حالة من الجلوس والترقب والانتظار» ولكننى لم أكن متخذة الوضع الكامل المستكمل . وكنت مكتفية فقط بالجلوس والمراقبة . ليس هنا فقط ولكن أيضا مع G . P . كل هذا الكلام لعذراء الفيستا Vestal Virgin عن «إدخار الفتاة لنفسها» من أجل الرجل المناسب . لقد كنت أحتقر دائما هذا الكلام . ومع ذلك فقد كنت دائما أتراجع وأكبح جماح نفسى .

إننى خجولة مع جسدى . ينبغى على أن أزيح هذا الخجل من الطريق . لقد غرقت فى نوع من اليأس . أقول لنفسى أن شيئا ما سوف يحدث . ولكن لن يحدث شىء إلاّ إذا قمت بنفسى باتخاذ أىّ إجراء . يجب أن أقوم بعمل ما .

وهناك شىء آخر قد كتبته (المرء يكتب أشياء والمعانى المتضمنة تصرخ – مثلما يدرك المرء فجأة أنه أصمّ) « يبنغى علىّ أن أقاتل باستخدام أسلحتى . وليس باستخدام أسلحته هو . ليس باستخدام الأنانية والوحشية والخجل والاستياء» .

ولذلك «فأنا أهب نفسى» فى كرم «وأقبِّل الوحش» فى رقة ولطف ووداعة »وأفعل ما أفعله بارادتى الحرة» فى غير خجل . وفى عفو وغفران» فهو لايستطيع أن يتمالك نفسه» .

حتى لو نجم عن ذلك طفل رضيع . طفله الرضيع مستعدة لأن أفعل أىّ شىء . من أجل الحصول على الحرية . وكلما فكرت فى الحرية شعرت أكثر أن هذا هو السبيل إلى تحقيقها .

إنه لديه سرٌّ ما . من المؤكد أنه يرغب فى جسدى .

ربما لايكون «بارعاً» . على كل حال فإن الأمور ستتضح . ولسوف نعرف أين نحن . إننى لم أكتب كثيرا عن .G . P فى هذه الأيام الأخيرة . ولكننى أفكر فيه كثيراً . أول شىء وآخر شىء أنظر إليه فى كل يوم هى لوحته الفنية . بدأت أشعر بالكراهية نحو تلك الفتاة المجهولة التى كانت «الموديل» الخاص به . من المؤكد أنه نام معها فى السرير وربما كانت هى الزوجة الأولى التى تزوجها . لسوف أسأله عن ذلك عندما أخرج من هنا . لأن

أول شيء سوف أفعله - أول شيء إيجابى وحقيقى عقب مشاهدتى لأفراد أسرتى هو أننى سأذهب لزيارته . لكى أقول له أنه كان دائما متغلغلا فى أفكارى . وأنه أهمّ الأشخاص الذين قابلتهم فى حياتى . وأنه أكثر الناس أصالة وصدقا . وأنني أشعر بالغيرة من كل إمرأة سبق لها أن إضطجعت معه مازلت لا أستطيع أن أقول له أننى أحبه . ولكننى بدأت أدرك الآن أن ذلك سببه هو أننى لا أعرف ماهية الحب وجوهره . إننى إيما Emma بنظرياتها السخيفة الماهرة فى الحب والزواج وأن الحب هو شيء يجيء مغلفا فى ثياب مختلفة بطريقة مختلفة وبوجه مختلف وربما الحب يتطلب منك وقتا طويلاً لكى تتقبلّه ولكى تكون قادرا على أن تُسمّه حبا .

وربما سيكون جافا وبارداً عندما يبلغ الأمر مداه . فيقول عنى أننى صغيرة فى السن للغاية وأنه لم يأخذ الأمر مأخذا جدياً فى حقيقة الأمر فى أىّ وقت من الأوقات . ويقول آلاف الأشياء الأخرى . ولكننى لست خائفة من ذلك . ولسوف أجازف وأتخذ هذا الاجراء .

ربما يكون هو على علاقة غرامية مؤقتة مع فتاة ما أخرى .

ولسوف أقول له أننى قد رجعت إليه لأننى لم أعد متأكدة من أننى لست واقعة فى حب معه .

ولسوف أقول له أننى كنت عارية تماما مع رجل أكرهه وأنفر منه وأشمئز منه . وأننى كنت فى الحضيض وفى الدرك الأسفل .

ولسوف أمكنه من نفسى .

ولكنى لا أستطيع أن أتحمل أن أشاهده وهو ينظر خلسة إلى فتاة ما أخرى . فأنا أرجع كل شيء إلى الجنس . ينبغى أن أذبل وأموت من الداخل اذا فعل هو ذلك .

أعرف أن هذا تصرف لا يتصف بالتحرّر الشديد من جانبى .

هذا هو ما أشعر به.

الجنس لا يهمنى ولكن الحب هـو الذى يهمنى . بعد ظهر هذا اليوم أردت أن أطـلب من كاليبان أن يسقط فى صندوق البريد خطابا كتبه لـ G.P. إنه بعينه . إنه لن يفعل ذلك بالطبع فهو سيشعر بالحقد والغيرة . ولكننى بحاجة لأن أصعد على السلالم وأدفع باب الاستوديو لأفتحه ثم أشاهده عند المقعد الطويل الخاص به حيث ينظر من فوق كتفه نحوى كما لو أنه غير مهتم لأن يعرف منْ هو الشخص الذى جاء إليه . واقفا هنالك بابتسامته الخفيفة الضعيفة وبعينيه اللتين تدركان الأمور وتفهمان المواقف بسرعة كبيرة .

هذا أمر عديم الجدوى . إننى أفكر فى الثمن قبل البدء فى لوحة رسم لوحة فنية .

غداً . ينبغى على أ أتخذ إجراء الآن .

وأنا قد ابتدأت اليوم فى حقيقة الأمر . فلقد ناديت عليه باسم فرديناند (وليس باسم كاليبان) ثلاث مرات . كما هنأته على رباط عنق رهيب جديد . بل وابتسمت له . بل ولقد حاولت أن أبدو وكأننى أحب كل شىء فيه .

إننى لا أستطيع النوم . انتابنى الأرق . فنهضت من السرير وأدرت الأسطوانة الموسيقية الوترية المفضلة لدى G . P . ربما كان هو يستمع لنفس الاسطوانة الآن أيضاً . إن النغمة التى أفضلها أكثر تجيىء عقب النغمة المفضلة له – فهو يفضل اللحن الرئيسى وأنا أفضل اللحن السادس .

وهكذا نستلقى جنبا إلى جنب مع باخ Bach . لقد اعتدت دائما أن أعتقد أن باخ مزعج وثقيل . ولكنه الآن يغمرنى ويسحقنى فهو مفعم للغاية بالطابع الانسانى ومليىء للغاية وبالأمزجة النفسية والسمو والنغمات الرائعة والأمور البالغة العمق والبساطة حتى أننى تعودت أن أستمع لموسيقى باخ أثناء قيامى بنسخ صورة من اللوحات الفنية التى أحبها .

وأعتقد أننى ربما سأكتفى بمحاولة أن أضع ذراعى حوله مع القيام بتقبيله . ولاشىء أكثر من ذلك . ولكنه قد يبدأ فى التعوّد على ذلك . مما يؤدى إلى التكرار لفترات طويلة . ولكن الأمر ينبغى أن يكون على هيئة صدمة فجائية .

كل هذه المهمة مرتبطة باتجاهى التّسيدى نحو الحياة . فلقد كنت أعرف دائما إلى أين أنا ذاهبة وأعرف الكيفية التى أريد للأشياء أن تحدث بها . ولقد حدثت الأشياء على النحو الذى أردته ولقد اعتقدت أنه من المسلَّم به أن الأمور قد حدثت على النحو الذى أريده لأننى أعرف دائما إلى أين أنا ذاهبة .ولكننى كنت سعيدة الحظ فى جميع أنواع الأشياء .

لقد حاولت دائما أن أقحم نفسى على الحياة ولكن حان الوقت لأن أدع الحياة تقحم نفسها علىّ

٣٠ نوفمبر :

أوه . يا إلهى .

لقد فعلت شيئا ما رهيبا . وكان علىْ أن أسجل ذلك كتابة . وأتمعّن فى الأمر من المدهش للغاية أننى فعلت ما أقدمت عليه . من المدهش للغاية أن

يحدث ما حدث من المدهش للغاية أن يكون هو على النحو الذى كان عليه وأن أكون أنا على النحو الذى كنت عليه .

وأصبحت الأمور أسوأ مما كانت عليه من قبل .

لقد قررت أن أنفذ ذلك فى هذا الصباح . كنت أدرك أنه ينبغى علىّ أن أفعل شيئا غير عادى وأن أعطى لنفسى صدمة من إعطاء صدمة له فى نفسه الوقت .

عملتُ ترتيباتى لكى أخذ حماما . وكنت لطيفة طوال اليوم .

وعقب الانتهاء من الحمام وضعت المكياج لنفسى وتهندمت . محيطات من المتسوكو Mitsouko ووقفت أمام النيران كاشفة عن قدمىّ العاريتين لكى ألفت نظره وأسترعى إنتباهه . وكنت أموج بالتوتر . حيث لم أكن أعرف أن باستطاعتى أن أثابر وأواصل الكفاح حتى النهاية . وكانت يداى مربوطتين . لكنى تناولت ثلاث كؤوس من مشروب الشيرى المسكر على وجه السرعة .

وأغلقت عينى بعدئذ وشرعت فى إنجاز خطتى .

جعلته يجلس ثم يجلس على حجره كان متخشبا للغاية ومصدوما تماما مما جعلنى أضطر إلى الاستمرار فى خطتى . ولو كان قد أمسك بى فى تشبث فلربما كنت قد توقفت عن المضى فى خطتى . ثم تركتُ الروب الأنيق يتدلى منفتحا ولكنه اكتفى بالجلوس هنالك مع وجودى فوق حجره . كما لو كنا لم نتقابل من قبل على الاطلاق ، وكأن هذا الوضع ليس سوى لعبة ما سخيفة تتم فى حفلة . شخصان لايعرفان بعضهما البعض فى حفلة ولايشعران بالارتياح نحو بعضهما البعض .

وكان الرضع مثيرا وبطريقة منحرفة ورديئة . امرأة فى داخل كيانى تتلمس الوصول إلى رجل فى داخل كيانه . لا أستطيع أن أوضح . فقد كان هناك الشعور أيضاً بأنه لم يكن يعرف ماذا عليه أن يفعل . وكان هناك الشعور بدون خبرة فى هذا الشأن على الاطلاق . كانت هناك سيدة عجوز من كورك Cork اصطحبت قسيسا شابا للتنزة معا . من المؤكد أننى كنت مخمورة .

كان عليّ أن أرغمه على تقبيلى . فادعى بعض الشىء أنه يخشى أن يفقد صوابه ويتمادى معى . فقلت له «لايهمنى إذا تماديت» . ثم قبلته مرة أخرى . فردّ عليّ بقبلة من جانبه كما لو كان يرغب فى الضغط بفمه الرفيع الملعون المكبوت فى داخل رأسى مباشرة . كان فمه حلوا . وكانت رائحته نظيفة وجميلة . وأغلقت عينى . ولم يكن الموقف رديئا للغاية .

ولكنه بعدئذ نهض فجأة ووقف عندالنافذة ولم يكن لديه الاستعداد للعودة . كان يرغب فى أن يلوز بالفرار ولكنه لم يستطع ولذلك وقف بجوار مكتبه وقد استدار بعض الشىء بينما ركعتُ وأنا شبه عارية بجوار النيران وتركت شعرى يتدلى فى إنسياب لأسفل لكى أجعل الأمر واضحا للغاية . وفى نهاية الأمر اضطررت للذهاب إليه والعودة به إلى النيران . وجعلته يفك رباط يدىّ وكان هو شبيها بشخص ما فى غيبوبة مغناطيسية . وبعدئذ قمت بخلع ملابسه نيابة عنه ثم خلعت ملابسى . وقلت له « لاتكن عصبيا . إننى أريد أن أفعل ذلك الأمر معك. عليك فقط بأن تكون طبيعيا » ولكنه لم يفعل أىّ شىء . لم يكن باستطاعته أن يفعل أىّ شىء . وفعلتُ معه كل ما فى استطاعتى .

ولكن لم يحدث أىّ شىء . لم يذب الثلج فى داخل كيانه . أمسك بى فى إحكام مرة واحدة ولكن مسكته لم تكن طبيعية . مجرد تقليد يائسى لم

يظن أنه هـو الوضع الطبيعي . مسكة غير مقنعة وتدل على الاضطراب .

إنه عاجـز عن الاتيان بذلك الأمـر . لايوجـد رجل فى داخل كـيانه . نهضتُ واقفة . ثم استلقينا على الأريكة وركعت إلى جواره وقلت له «لاتقلق ولا تنزعج» . وراعيته مراعاة الأم وأفرطت فى تدليله . ثم قمنا بارتداء ملابسنا وتجلىً كل شىء تدريجيا وانكشفت وظهر على حقيقته . وانكشفت حقيقة أمره وانكشفت بعد ذلك ذاته الحقيقية .

لقد قال له طبيب نفسانى أنه لن يكون قادرا على الاطلاق على أن يفعل ذلك الأمر .وقال أنه اعتاد أن يتخيل نفسه مستلقيا معى فى السرير . مجرد استلقاء ولاشىء آخر بخلاف ذلك . فعرضت عليه أن نفعل ذلك ولكنه لم يوافق . فى أعماق كيانه وجْنبا إلى جنب مع وحشيته ومشاعر المرارة لديه كانت توجد سذاج هائلة إنها سذاجه تتحكم فيه وتسيطر عليه . وهو ينبغى عليه أن يحمى تلك السذاجة .

ومع ذلك قال لى أنه يحبنى . فقلت له «أن ماتحبه هو الحب الخاص بك أنت . إنه ليس حبا . إنه أنانية .إنك لا تفكر فىَّ وإنما تفكر فيما تشعر به نحوى» . فقال «لا أعرف طبيعة هذا الأمر وبعدئذ وقعتُ فى غلطة . إذ شعرت أن كل هذه التضحية قد باءت بالفشل وشعرت أنه ينبغى علىّ أن أجعله يستعذب ما أقدمت عليه وأنه ينبغى عليه أن يطلق سراحى لذلك حاولت أن أقول له . وعندئذ بزغت على السطح ذاته الحقيقية .

تحول إلى الوحشية والشراسة . ولم يكن على استعداد لأن يردّ على كلامى .

وأصبحنا متباعدين عن بعضنا البعض أكثر من أىّ وقت مضى .

لذلك أنني أشعر بالشفقة عليه . فانفجر في وجهي في ثورة عارمة وكان الموقف رهيبا حتى أنني انفجرت في البكاء . البرود الرهيب واللاإنسانية للبرود .

كوني سجينته واضطراري للبقاء سجينة وبقاء الوضع على ما هو عليه .

مع ادراكي في نهاية الأمر أن هذه هي الحالة التي هو عليها .

من المستحيل له أن يفهم . ماهي طبيعة شخصيته ؟ وما الذي يريده مني ؟ وما السبب في الابقاء عليّ سجينة هنا إذا كان لايستطيع أن يفعل معي ذلك الأمر لأنه عاجز وكان آخر كلام قلته له «لايمكن لنا أن نتباعد أكثر عن بعضنا البعض . فلقد كنا في حالة من العرى التام أمام بعضنا البعض» ولكننا أصبحنا متباعدين أكثر من ذي قبل .

أشعر بالتحسن الآن .

إنني مسرورة لأن شيئا أسوأ من ذلك لم يحدث . لقد كنت مجنونة لقيامي بهذه المخاطرة .

يكفي أنني مازلت على قيْد الحياة .

أول ديسمبر :

كان هو موجوداً في الجزء السفلي من المنزل وكنت أنا قد خرجت إلى السرداب . والموقف واضح تماما . فهو غاضب منيّ . ولم يسبق له أن كان غاضبا على هذا النحو من قبل . هذا ليس عبوساً . إنه غضب عميق مكبوت .

وهذا يجعلنى أموج بالغضب الشديد لايمكن لأحد أن يدرك أبداً الجهود المضنية التي بذلتها بالأمس . المجهود الذى بذلته فى العطاء ومجهود المخاطرة ومجهود تفهّم الأوضاع ومجهود التخلى عن كل غريزة طبيعية .

إنه هو . وإنه هو ذلك الشيء المذكر المشئوم .الآن لم أعد لطيفة وظريفة . إنهم يعبسون ويتجهمون إذن لم تستسلم لهم المرأة ويكرهونها إذا استسلمت . ينبغى على الرجال الأذكياء أن يحتقروا أنفسهم لكونهم على ذلك النحو . لكونهم غير منطقيين ومخالفين للمنطق والعقل ، رجال بغضاء ونساء جريحات لقد اكتشفتُ السرّ الخاص به . وهو يكره ذلك . لقد فكرت وفكرت في هذا . من المؤكد أنه كان يدرك دائما أنه ليس بمقدوره أن يفعل أىّ شيء معى . ومع ذلك فإنه يقول كل هذا الكلام عن حبه لى . من المؤكد أن ذلك يعنى شيئا ما .

وهذا هو الوضع على ما أعتقد . إنه لا يستطع الحصول على أية متعة طبيعية سوية منىّ ومتعته هى الاحتفاظ بى كسجينة عنده . لسوف ألجأ إلى الصيام والاضراب عن الطعام مرة أخرى . ليس لدىّ ما أفعله معه على الاطلاق .

أفكار غريبة .

إننى قد فعلت لأول مرة فى حياتى شيئا ما حقيقيا شيئا ما من الصعب أن يقدم عليه أىّ شخص آخر . لقد استجمعت شجاعتى عندما أصبحنا عاريين تمام ، وتعلمت مايعنية تعبير «لمُّ أطرف الشجاعة أو استجماع الشجاعة» .

الجزء المتبقى من لاديمونت فى داخلى . أصبح ميتا .

أتذكر قيادتى سيارة بييرز فى مكان ما بالقرب من كارسونى . كانوا جميعا يريدون لى أن أتوقف . ولكننى كنت أريد أن أصل بالسرعة إلى ثمانين كيلومتر/ ساعة . وظللت أضغط بقدمى لأسفل إلى أن حققت ذلك . وكان الآخرون خائفين . وكذلك كنت أنا خائفة .

ولكننى برهنت على أننى بإستطاعتى أن أفعل ذلك . (فى وقت متأخر من فترة ما بعد الظهر) أقرأ كتاب «العاصفة The Tempest» مرة أخرى طوال فترة مابعد الظهر ليس على النحو الذى كان عليه على الاطلاق . والآن فإن ما حدث قد حدث . الشفقة التى يحس بها شكسبير إزاء كاليبان الخاص به أحس بها (مستترة تحت الكراهية والاشمئزاز) ازاء كاليبان الخاص بى . أنصاف مخلوقات .

«ليس مكرما بهيئة إنسانية» «كاليبان العبد الخاص بى الذى لا يعطينا أبداً إجابة لطيفة .

Whom Stripes may mouve, not Riduess

بروس Pros ... وأسكنك وآواك فى الزنزانة الخاصة بى إلى أن فى الزنزانة الخاصة بى إلى أن سعيت لانتهاك شرف طفلى كال . أوه أوه . ! ما كان هذا ليحدث ! لو أنك منعتنى . كان لدى أناس آخرون من الكاليابنيين وأسكنتهم فى هذه الجزيرة ....

احتقار بيروسبيرو له . وادراكه أن التحول إلى العطف هو أمر عديم الجدوى استيفانو وترينكولو هما مقامران على مباريات كرة القدم . خمورها ، النقود التى كسبها .

الفصل الثالث المشهد الثانى «بكيت لكى أحلم مرة أخرى» ، مسكين

كاليبان . ولكن فقط بسبب أنه يكسب المراهنات أبداً . « سأكون حكيما من الآن فصاعداً «أيها العالم الجديد الشجاع» أيها العالم الجديد المريض لقد انصرف توا . وقلت أننى سأصوم اللهم إلاّ إذا سمح لى بالصعود إلى الدور العلوى . الهواء الطلق وضوء النهار فى كل يوم . تملّص من الردّ بإجابة مباشرة . كان شرسا ووحشيا وكان ساخرا ومتهكما . وقال بالفعل أننى«أنسى من هو السيد فى هذا المنزل» .

لقد تغيرّ . أنه يخيفنى ويرعبنى الآن أعطيته مهلة حتى صباح اليوم التالى لكى يفكر ويتخذ قراراً .

٢ ديسمبر :

من المقررّ أن أصعد إلى الدور العلوى إنه سيقوم بعمل تعديلات فى إحدى الغرف لكى أقيم فيها . وقال أن التعديل سوف يستغرق أسبوعا . وأنا قلت «وهو كذلك» ولكن إذا كان هذا مجرد تهرّب وتسويف آخر .... لسوف نرى استلقيت على السرير فى الليلة الماضية ورحت أفكر فى .G.p . وفكر فى إستلقائى فى السرير معه . كنت أريد أن أكون فى السرير معه . كنت أرغب فى تلك البساطة الرائعة التى يتميز بها .

مضاجعته لنساء عديدات بغير تمييز هو أمر خلاّق . وحيوى . حتى ولو كان ذلك يؤلم ويؤذى . إنه يخلق الحب والحياة والاثارة حوله . إنه يعيش . والناس الذين يحبهم يتذكرونه .

لقد شعرت دائما أننى أحب ذلك فى بعض الأحيان . المضاجعة مع عدد كبير من الناس بدون تمييز فكل شخص أشاهده حتى ولو كان مجرد

صبى فى قطار الأندرجرواند فإننى أفكر فيما قد يكون عليه فى السرير . حيث أنظر إلى الأفواه وإلى أيديهم وأتخيلهم وهم يضاجعوننى فى السرير . وحتى توانيت والتى تضطجع فى السرير مع أىّ شخص . لقد اعتدت على أن أعتقد أن ذلك عمل يتسم باللخبطة والقذارة ولكن الحب جميل . أىّ حب . حتى ولو كان لا يتضمن سوى الممارسة الجنسية فقط . الشيء الوحيد الذى يتسم بالقبح هو هذا اللاحب الشديد المتجمد الميت الموجود بينى وبين كاليبان .

فى هذا الصباح كنت أتخيل أننى تمكنت من الفرار ومثل كاليبان أمام المحكمة وكنت أنا أتكلم لصالحه . وقلت أن حالته تعتبر حالة مأساوية وأنه فى حاجة إلى العطف معه وفى حاجة إلى العلاج النفسى . والغفران

لقد كنت نبيلة . أننى أحتقره احتقاراً هائلاً بحيث لايمكننى أن أكرهه .أنه لأمر عجيب حقا . ربما ينبغى علىَّ أن أتكلم لصالحه ودفاعا عنه .

وكنت أدرك أننا لن نتمكن من أن نتقابل مرة أخرى .

إننى لا يمكن لى أن أشفيه من مرضه لأننى المرض الخاص به .

٣ ديسمبر :

لسوف أذهب إلى G.p. وأقيم معه علاقة غرامية غير مشروعة .

ولسوف أتزوجه إذا كان يرغب فىْ ذلك فأنا أريد المغامرة والمجازفة بالزواج منه إننى متضايقة من كونى صغيرة فى السن . وعديمة الخبرة . ماهرة في تحصيل المعلومات ولكنى غير ماهرة فى شئون الحياة أريد أن يتكوَّن أطفاله فى داخل كيانى . لم يعد جسدى له أهمية كبيرة . فإذا كان

يريد جسدى فقط فإنه يمكن له الحصول عليه لا يمكننى أبداً أن أكون مثل توانيت . لا يمكن أن أكون صائدة للرجال .

لكونى أكثر شطارة وذكاء (وفقا لما اعتقدته) من معظم الرجال وأكثر شطارة وذكاء من جميع الفتيات اللائى عرفتهن فقد كنت أعتقد دائما أن معلوماتى تزيد على معلومات الآخرين ومشاعرى أعمق منهم وذكائى يتفوق على ذكائهم .

ولكننى مع ذلك لا أعرف قدرا كافيا من المعلومات التى تمكننى من التعامل بنجاح مع كاليبان كل أنوا ع الأشياء الصغيرة وغير الهامة المتخلفة عن أيام لاديمونت ، المتخلفة عن الأيام التى كنت فيها إبنة لطيفة لطبيب من الطبقة الاجتماعية المتوسطة . كل هذه الأشياء الصغيرة قد تلاشت الآن ، عندما كنت فى لاديمونت كنت أعتقد أن بإستطاعتى استخدام قلم الرصاص فى براعة كبيرة وعدئذ عندما ذهبت إلى لندن بدأت أكتشف أننى لم يكن باستطاعتى ذلك . كنت محاطة بأناس كانوا فى مثل براعتى . إننى لم أبدأ فى التعلم كيف أتعامل مع حياتى وأقودها وأوجهها - أو التعامل مع حياة أىّ شخص آخر .

إننى لست الإنسانة التى هى بحاجة إلى التدليل Iame ducking الأمر أشبه باليوم الذى يكتشف فيه المرء أن لعب الأطفال ما هى إلا أطفال . إننى أتعرف على ذاتى القديمة وأدرك أنها سخيفة . وأنها لعبة لعبتُ بها كثيرا للغاية ذات شعر كثيف منتصب ملقاة فى قا ع الدولاب بريئة ومستهلكة ومتفاخرة وسخيفة .

G.p.

لسوف أتعرض للاساءة والضياع والانسحاق والصدمات العنيقة . لكن

الأمر سيكون أشبه بالوجود فى عاصفة من الضوء عقب هذه الحفرة السوداء .

الأمر بكل بساطة أنه لديه سرّ الحياة فى داخل كيانه . شىء ما أشبه بالربيع . ليس غير أخلاقى .

كما لو أننى لم أشاهده من قبل إلاّ تحت ضوء الشفق الأحمر والآن أشاهده فجأة فى الفجر . إنه لم يتغير ولكن كل شىء مختلف .

نظرت فى المرآة اليوم فشاهدت ذلك فى عيناى ، تبدوان متقدمتين فى السن أكثر وتبدوان أصغر سنّاً . ويبدو أنه من المستحيل التعبير بالكلمات على هذا النحو . ولكن هذا هو الموضع على وجه الدقة . فأنا أكبر سنا وأصغر سناً فى آن واحد أكبر سنا لأننى قد تعلمت وأصغر سنّاً لأن قدْرا كبيرا من كيانى يتألف من أمور علمها لى الناس الأكبر سنا . كل الطين الخاص أفكارهم المبتذلة البالية فوق نعل الحذاء الخاص بكيانى النعل الجديد الخاص بكيانى .

نفوذ وسلطان النساء ! لم يسبق لى أن شعرت أننى ممتلئة بالنفوذ الغامض على هذا النحو . الرجال أضحوكة تبعث على السخرية . الرجال يتسمون بالتفاهة نحن النساء ضعفاء للغاية جسمانيا وعاجزات تمام إزاء الأمور والأشياء . ومازلنا كذلك حتى يومنا هذا ولكننا أكثر قوة مما هم عليه .. فنحن باستطاعتنا أن نتحمل قسوتهم ووحشيتهم . أماً هم فلا يستطيعون تحمل قسوتنا ووحشيتنا .

إننى أعتقد - أننى سأعطى نفسى لـــG.p يمكن له أن يحصل علىّ . ومهما يفعل بى من أمور فإننى سأظل محتفظة بذلك الجانب النسائى

الموجود فى داخلى والذى لايمكن له أن يلمسه أبداً .

كل هذا كلام طائش ومتهور . ولكننى أشعر أننى مليئة بالحجج والبراهين والمجادلات استقلال جديد .

إننى لا أفكر فى الأمور المتعلقة باللحظات الحالية . اليوم فأنا أعرف أننى سوف أهرب . أشعر بذلك . إنه شعور لا أستطيع أن أشرحه وأوضحه . إذ لا يمكن أن يتمكن كاليبان من الانتصار علىَّ أبداً سأقوم برسمها .

فى الليلة الماضية رحت أفكر فى إحدى تلك اللوحات . إنها لوحة تعبر عن حقل له لون أصفر فاتح . (اللون الأصفر الفاتح الخاص بالمزرعة) والحقل يتصاعد فى اتجاه سماء لها لون أبيض مضيىء بينما الشمس قد بزغت توا من جهة الشرق . الشمس لها لون قرمزى وردى عجيب . إنها لحظات أعرفها على وجه الدقة وهى لحظات مليئة بالهدوء والسكون الموغل فى الصمت والمعبر عن البدايات للأشياء وعن أغنية قُبرَّة بدون وجود قُبَّرات .

حلمان غريبان متناقضان .

الحلم الأول كان بسيطا للغاية . كنت أسير فى الحقول ولا أعرف مَنْ هو الشخص الذى كنت معه ولكنه كان شخصا ما ... كان رجلا أعجبت به كثيرا . وربما كان ذلك الشخص هو .G.p وكانت الشمس تسطع على قمح صغير ناشىء . وفجأة شاهدنا عصافير ظهورها اللامعة مثل الحرير الأزرق الغامق . وكانت العصافير منخفضة للغاية وكانت تغرد حولنا وتطير كلها فى نفس الاتجاه على انخفاض كبير وفى سعادة غامرة . فشعرتُ بالغبطة الشديدة وقلت «ياله من منظر فريد . أنظر إلى العصافير» كان المنظر يتسم بالبساطة الشديدة : العصافير غير المتوقعة والشمس والقمح الأخضر اللون .

كنتُ مليئة بالسعادة «أنفى» مشاعر الربيع . وبعدئذ استيقظت من النوم .

وبعد ذلك حلمت حلما آخر . ابتدأ الحلم فى مكان بجوار النافذة الموجودة بالدور الأول في منزل كبير (لاديمونت؟) وكان هناك حصان أسود أسفل النافذة . كان الحصان غاضبا وجامحا . ولكنى كنت أشعر بالأمن والأمان لأن الحصان موجود بالخارج وأسفل النافذة . ولكنه استدار فجأة وجرى بسرعة فى اتجاه المنزل وشعرت بالرعب لأنه قفز كالعملاق لأعلى ونحوى مباشرة مُكشّر عن أسنانه . وتمكن من اختراق النافذة محدثا صوتا عاليا وحتى تلك اللحظة كنت أعتقد أنه سيقتل نفسه أثناء لحظات اقتحامه للنافذ وبذلك تصورت أننى فى حالة من الأمن والأمان ولكنه تمدّد باسطا ذراعيه ورجليه وراح يسحق بقدميه فى جميع أرجاء الغرفة الصغيرة . فجأة أدركت أنه بصدد القيام بمهاجمتى . لم يكن هناك مكان أهرب إليه . واستيقظت من النوم مرة أخرى . وأضأت الأنوار الكهربائية .

كان عنفا . كان كل ما أكرهه وكل ما أخشاه .

٤ ديسمبر :

لن استمر فى كتابة هذه المذكرات اليومية عقب مغادرتى لهذا المكان . الجو غير صحى فى هذا المكان . المذكرات تساعدنى على الاحتفاظ بسلامة عقلى وأنا فى هذه الغرفة السفلية . فهى تقدم لى شخصا ما لكى أتكلم معه ولكن لا جدوى من وراء كل ذلك . فالانسان منا يكتب مايريد أن يسمعه .

إنه لأمر عجيب . فالانسان لايفعل ذلك عندما يرسم نفسه . لا إغراء على القيام بالغش والخداع .

كل هذا التفكير المتعلق بى بغيض وبغيض وبغيض . وممل وسقيم أشتاق إلى أن أرسم وأرسم أشياء «أخرى» . أرسم حقولاً ومنازل فى الجنوب ومناظر طبيعية وأشياء شاسعة مفتوحة على مصراعيها تحت ضوء شاسع مفتوح على مصراعيه .

وهذا هو ماكنت أفعله فى هذا اليوم . حالات من الضوء أتذكرها من أسبانيا . حوائط مطلية بالتراب الصلصال متخذة اللون الأبيض تحت ضوء الشمس . وأسوار أفيلا Avila وأفنية وأحواش قرطبة . إننى لا أحاول أن أصور نسخة طبق الأصل من المكان وإنما أحاول التعبير عن الضوء الخاص بالمكان .

Fiat Lux

كنت أريد أسطوانات كوارتيت موسيقى الجاز الحديثة مرات ومرات عديدة لكى أستمع لموسيقى الجاز . لايوجد ليل فى موسيقاهم ولا غوص مليىء بالدخان . انفجارات وشرارات وفورانات صغيرة من الضوء وضوء النجوم وفى بعض الأحيان ضوء النهار ظهرا حيث يكون الضوء هائلاً ومنتشرا فى كل مكان مثل نجفات وثريات من اللآلىء السابحة فى السماء .

٥ ديسمبر

G.p.

انتهاك الذكاء. عن . عن طريق الجماهير العريضة التى امتلكت أموالاً .. عن طريق الناس الجدد New People .

أمور وأشياء يقولها . إنهم يصطدمونك ولكنك تتذكرهم . إنهم يلتصقون . فى قوة وصلابة حيث يهدفون إلى البقاء .

ظللت أرسم مناظر طبيعية في السماء طوال اليوم . أكتفى بأن أرسم خطا على ارتفاع بوصة من القاع . وتلك هى الأرض . وبعدئذ لا أفكر فى أىّ شىء سوى السماء . سماء شهر يونيو وسماء ديسمبر وسماء أغسطس وأمطار الربيع والرعد والفجر والغسق والشفق الأحمر . لقد رسمت عشرات من السماوات . السماء النقية الصافية ولاشىء غير ذلك . مجرد الخط البسيط والسماوات تعلو فوقه .

كان كاليبان هادئا للغاية . نوع من الهدنة .لسوف أطلب منه غداً أن أصعد إلى لادور العلوى . فأنا أرغب فى أن أعرف بنفسى وأشاهد وأتأكد مما إذا كان يفعل أىّ شىء فى حقيقة الأمر .

طلبت منه اليوم أن يربط يدىّ ويضع الكمامة فى فمى ويدعنى أجلس عند أسفل سلالم السرداب مع فتح الباب على مصراعيه . ووافق على تلبية طلبى فى نهاية الأمر . ولذلك تمكنتُ من النظر لأعلى ومشاهدة السماء ، رمادية شاحبة كما شاهدت طيوراً تطير عبر السماء وهى طيور من نوع الحمام على ما أعتقد . وسمعت أصواتا مترامية من الخارج . هذا هو أول ضوء نهارى حقيقى أشاهده منذ شهرين . لقد استمر الضوء مفعما بالحياة . وجعلنى أنخرط فى البكاء .

٦ ديسمبر :

لقد تواجدات فى الدور العلوى من أجل أن أخذ حماما .ورحنا نلقى نظرة عل الغرفة التى سأشغلها . لقد قام بإنجاز بعض الأعمال بالفعل . وهو

بصدد أن يرى ما إذا كان يتعذر عليه العثور على كرسي وندسور قديم . فرسمتُ له الشكل الخاص بهذا الكرسى .

وهذا جعلنى أشعر بالسعادة .

إننى أشعر بالقلق . إنني لا أستطيع أن أكتب وأنا هنا فى هذه الغرفة السفلية إننى أشعر الآن وكأننى قد تمكنت من الهرب بنسبة ٥٠٪ والشىء الذى جعلنى أشعر أنه كان أكثر ميلا إلى الناحية السوية الطبيعية هو هذا الحوار القصير الذى تمَّ بيننا .

ميراندا (كنا واقفين فى الغرفة) لماذا لاتدعنى أصعد إلى هنا وأعيش هنا كضيفة عندك ؟ إذا أعطيتك كلمة وعد شرف ؟

كاليبان : لو جاء إلىَّ خمسون من الرجال الذين يتميزون بالصدق والأمانة الحقيقية وأقسموا لى أنك لن تهربى فإننى لن أثق فى كلامهم بل ولن أثق فى العالم كله .

ميراندا : لايمكن لك أن تشق طريقك فى الحياة بدون أن تثق في أىّ شخص . كاليبان : أنت لا تعرفين مدى الكآبة الرهيبة التى يحس بها المرء عندما يكون وحيداً بمفرده .

ميراندا : وما رأيك فيما كنت أنا عليه طوال هذين الشهرين الأخيرين؟

كاليبان : أراهن على أن عدداً كبيرا من الناس يفكرون فيك ويشعرون بالقلق عليك ويفتقدونك . أما أنا فلا أحد على الإطلاق يهتم بى حتى لو انتقلتُ إلى رحمة الله .

ميراندا : عمتك

كاليبان : هى

(سادت فترة من الصمت) .

كاليبان (قال فجأة معبرا عماً يجيش فى صدرة) أنت لا تعرفين وضعك بالنسبة لى . أنت كل شىء . وأنا أفقد كل شىء إذا ذهبت .

(وكان هناك صمت هائل)

٧ ديسمبر :

لقد اشترى الكرسى . أحضره إلى غرفتى السفلية . إنه كرسى جميل . إننى لا أريد أن يوضع هذا الكرسى فى الغرفة السفلية ولا أريد أن ينقل . أىّ أثاث من الغرفة السفلية إلى غرفتى الجديدة العلوية .أريد تغييرا كاملاً غدا سوف أصعد إلى الدور العلوى نهائيا . فقد طلبت منه ذلك فى الليلة الماضية فوافق على رأيى . ولم يعد علىَّ أن أنتظر على مدى الأسبوع بأكمله .

لقد ذهبت إلى مدينة لويس ليشترى المزيد من الأشياء من أجل غرفتي العلوية . ولسوف نقيم عشاء إحتفالاً بذلك . لقد كان لطيفا معى على مدى هذين اليومين الأخيرين .

إننى لن أتهوّر وأحاول الهرب عندما تلوح أول فرصة أمامى . فأنا أعرف أنه سيحرص على مراقبتى . لا أستطيع أن أتخيَّل ما سيفعله . من المؤكد أنه سيغطى النافذة بألواح من الخشب طرق لمشاهدة ضوء النهار . إن عاجلا أو آجلا ستلوح أمامى فرصة للهرب (إذا لم يسمح لى بالانصراف من تلقاء نفسه) .

ولكننى أعرف أنها ستكون فرصة وحيدة فقط أمامى لكى أهرب فيها . لأنه إذا أمسك بى أثناء محاولتى للهرب فإنه سيعيدنى إلى الغرفة السفلية مرة أخرى .

لذلك ينبغى أن تكون الفرصة لها مقومات النجاح الكامل . فرصة أكيدة تماما .

إننى أقول لنفسى أنه ينبغى علىَّ أن أعدّ نفسى لمواجهة أسوأ الاحتمالات .

ولكن هناك شىء ما يتعلق به يجعلنى أحس أنه فى هذه المرة ينفذ بالفعل ما قال لى .

لقد انتقلتْ عدوى البرد منه إلىَّ هذا لايهمّ.

ياإلهى . يا إلهى إننى أكاد أقتل نفسى إنه سوف يقتلنى لأنه يدفعنى إلى اليأس المرير .

إننى مازلت موجودة بالغرفة السفلية . إنه لم يكن يرغب أبداً فى نقلى إلى الغرفة العلوية إنه يرغب فى التقاط صور فوتوغرافية لى ذلك هو السرّ الخاص به . إنه يريد أن يخلع ملابسى و ... أوه يا إلهى إننى لم أكن أعرف أبداً حتى الآن معنى كلمة «الكره والبغض الشديد» .

لقد قال لى كلاما رديئا للغاية . وقال إننى امرأة شوارع فسألته عماً يهدف إليه بهذه الكلمة .

وتفجر جنون الغضب متصاعدا فى داخل كيانى فألقيت بزجاجة حبرْ عليه ، فقال لى أننى إذا لم أفعل هذا لكان قد منعني من أخذ حمامات أو الخروج إلى السرداب . لسوف أكون هنا طول الوقت .

الكراهية الموجودة بيننا بدأت تتأجج وتطفو على السطح .

لقد أصيبت بالبرد اللعين حيث انتقلت العدوى منه إلىَّ . ولا أعتقد أن العدوى انتقلت منه إلىَّ بشكل مباشر .

لايمكن لى أن أقتل نفسى . إننى غاضبة منه للغاية .

لقد أساء إلىَّ باستمرار وسبَّنى وشتمنى منذ البدايات الأولى . تلك القصة عن الكلب . إنه يستخدم قلبى ثم يستدير ويدوس على قلبى .

إنه يكرهنى ويحطمنى ويدمرنى وهو يريد لى أن أكره نفسى إلى الحدّ الذى يجعلنى أدمّر نفسى .

الوضاعة الشديدة . إنه لايحضر لى أىّ طعام للعشاء . إننى مضطرة لأن أصوم ربما سيتركنى بدون طعام إلى أن أهلك جوعاً . فهو يمكنه أن يفعل ذلك .

لقد تغلبت على الصدمة . إنه لن يتمكن من إلحاق الهزيمة بى . ولن أدعن ولن أستسلم . ولن أتحطم على يديْه . لقد ارتفعت درجة حرارتى . أشعر أننى مريضة .

كل شىء يقف ضدى ولكننى لن أستسلم لقد كنت مستلقية على السرير بينما لوحة G.p. الفنية إلى جوارى . كنت ممسكة بإطار اللوحة بيدْ واحدة . مثل صليب يعبرّ عن المسيح مصلوباً .

لسوف أظل على قيدع الحياة . لسوف أتمكن من الهرب . لن استسلم .لن أذعن ولن أستسلم . إننى أناشد الله . إننى أكره الناس من أمثال كاليبان والذين يخلقون مواقف مثل هذا الموقف الرهيب الذى أمرّ به هذه الآلام الرهيبة التى تجتاحنى الآن لم تكن هناك ضرورة لها . وهى آلام لاتشترى أىّ شىءٍ ولاتعطى مولدا لأىّ شىء .

كل ذلك عبث بدون جدوى . كل ذلك لا طائل تحته . ضياع فى ضياع .

وكلما ازداد عمر الكرة الأرضية ازداد هذا الأمر وضوحا . القنبلة الذرية وحالات التعذيب الرهيبة فى الجزائر والأطفال الذين يهلكون جوعا فى الكونغو. الأمور تزداد سوءاً وظلاما .

المزيد من المعاناة من أجل المزيد والمزيد هباءً وسدىً .

الأمر يبدو وكأن أسلاك الأنوار الكهربائية قد انصهرت . أنا هنا موجودة فى طيات الحقيقة السوداء .

كل أنواع الوضاعة والأنانية والأكاذيب .

والناس لن يعترفوا بذلك فهم مشغلون للغاية فى أعمال الاختطاف والاغتصاب حتى أنهم لايدركون أن أسلاك الأنوار قد انصهرت . فهم لايستطيعون مشاهدة الظلام ووجه العنكبوت وخيوط العنكبوت الهائلة التى تغطى كل الأماكن . وأن هذا موجد دائما إذا قمت بخدش سطح السعادة والخيرة .

السواد والسواد والسواد . لم يسبق لى أبداً أن أحسست بهذا السواد من قبل بل ولم أكن أتصور أبداً أنه أمر يمكن أن يكون موجوداً . إنه أمريفوق الكراهية ويفوق اليأس إذ لايمكن للمرء أن يكره ما لا يستطيع أن يلمسه بل ولا يمكن لى أن أشعر بما يعتبره معظم الناس إنه اليأس إلى ما وراء اليأس . إنه كما لو أننى لم أعد أستطيع أن أشعر أو أحس . إننى أرى ولكننى لا أستطيع أن أشعر .

ياإلهى ،

إننى أكره ماوراء الكراهية .

لقد نزل توا إلى غرفتى السفلية . كنت نائمة فى السرير . الحُمَّى . الهواء فاسد للغاية . من المؤكد أنها الانفلونزا كنت أشعر بالتعب والارهاق الشديد حتى أننى لم أقل أىّ كلان . ولاتوجد لدى القوة التى تعيننى على التعبير عماً يجيش فى صدرى من كراهية .

السرير به رطوبة وصدرى يؤلمنى لم أقل له كلمة واحدة . الوضع تخطى التعبير بالكلمات . أتمنى لو كنت فى نفس المستوى الفنى للرسام جويا Goya بحيث أتمكن من رسم الكراهية المطلقة الموجودة فى داخلى نحوه . إنني خائفة للغاية . لا أعرف ماسيحدث إذا كنت أعانى من مرض شديد . لا أعرف السبب فى هذه الآلام التى تجتاح صدرى . كما لو أننى قد أصبت بالتهاب فى الشعب الهوائية لأيام عديدة .

ولكنه ينبغى عليه أن يحضر طبيبا ياإلهُى . هذا أمر رهيب للغاية .

(فترة المساء) . لقد أحضر ترمومترا كانت درجة حرارتى ١٠٠ درجة فى وقت الغذاء ، والأن وصلت إلى ١٠١ درجة . أشعر أن حالتى الصحية بالغة السوء .

لقد ظللت مستلقية فى السرير طول اليوم إنه يخلو من النواحى الانسانية ياإلهُى ، إننى أشعر بالوحدة القاسية وأننى بمفردى تماما لا أستطيع أن أكتب .

(فى الصباح) إنه برد شعبى بالغ السوء للغاية . إننى أرتعش لم أنم نوما سليما . مشاهدة أحلاما رهيبة . أحلاما عجيبة ومفعمة بالحيوية وظهرG.p فى أحد هذه الأحلام . وهذا جعلنى . أنخرط فى البكاء .أشعر أننى خائفة للغاية .

لا أستطيع أن آكل الطعام . هنالك آلام فى رئتى عندما أتنفس وأنا أواصل التفكير فى إننى قد أكون مصابة بمرض فى الرئة . ولكن لايمكن أن يحدث لى ذلك .

لن أموت . لن أموت . ليس من أجل كاليبان .

حلم غير عادى .

كنت أسير فى بستان آسن Ash Grove ورحت أنظر لأعلى بين الأشجار فشاهدت طائرة فى السماء الزرقاء . وكنت أدرك أنها سوف تتحطم . وبعدئذ شاهدت المكان الذى تحطمت فيه . وبدأت أخشى من مواصلة السير فتقدمت فتاة نحوى . هل هى أختى مينىّ ؟ لم أستطع أن أتبيَّن ذلك .وكانت الفتاة ترتدى ملابس يونانية غريبة الشكل - أردية من الجوخ . بيضاء . تحت ضوء الشمس من خلال الأشجار الساكنة . وبدا وكأنها تعرفنى ولكننى لا أعرفها (إنها ليست أختى مينىّ) . ولم تكن من معارفى فى أىّ وقت من الأوقات .وأنا أريد أن أكون وثيقة الصلة . ثم استيقظت من النوم .

لو متّ فلن يعرف أىّ شخص أبداً ذلك . أموج بالقلق الشديد ولا أستطيع أن أكتب . (فى الليل) لاشفقة ولا رحمة صرختُ في وجهه فجن جنونه .وكنت ضعيفة للغاية بحيث لم أتمكن من إيقافه ومنعه فقام بربط يدى ووضع الكمامة فى فمى وراح يلتقط لى صورا فوتوغرافية لا أخلاقية .

لاتهمنى الآلام . ما حزّ فى نفسى هو الاذلال فعلت كل ماكان يريد لى أن أفعله لكى أتخلص من كل ذلك إننى أبكى أبكى . وأستطيع أن أكتب .

لن أستسلم

لن أرضخ وأستسلم .

لا أستطيع أن أنام . إنني بصدد التعرض للجنون أضطر لأن أضيئ الأنوار . أحلام مزعجة وكوابيس أظن أن أناسا موجودين هنا : والدى وأختى مينىّ .

إنه التهاب رئوى يجب عليه أن يحضر طبيبا ، إنها جريمة قتل لاأستطيع أن أكتب . الكلمات عديمة الجدوى . (لقد جاء إلىّ) أنه لايستمع إلى رأيى . لقد رجوته وتوسلت إليه وقلت له أن عدم إحضار طبيب يعتبر جريمة قتل . أحسُ بالضعف الشديد . درجة حرارتى وصلت إلى ١٠٢ درجة . لقد كنت مريضة بالفعل . لاشىء بالنسبة لليلة الماضية من جانبه أو جانبى .

هل حدث ذلك الأمر ؟ الحمى . إننى أتعرض لهذيان الحمى .

لو كنت فقط أعرف ما اقترفته يداى لافائدة . لافائدة لن أستسلم للموت . لن أموت.

عزيزى عزيزى عزيزى G.p. هذه هى الحالة التى ترديت إليها .

ياإلهُى ياإلهُى ياإلهُى ياإلهُى لاتجعلنى أموت

ياإلهُى لاتدعنى أموت

لاتدعنى أموت

الفصل الثالث

إننى أحاول أن أقول أن كل شىء قد حدث على نحو غير متوقع.

لقد بدأت الأمور على نحو سيىء لأنى عندما نزلت إلى الغرفة السفلية فى الساعة السابعة والنصف شاهدتها راقدة بجوار البارافان حيث ارتطمت بالبارفان وأطاحت به إلى الأرض أثناء وقوعها على الأرض .فركعت إلى جوارها وكانت يداها باردتين كالثلج ولكنها كانت تتنفس . وكان تنفسها على هيئة تنهدات خشنة الصوت وسريعة للغاية وعندما رفعتها واتجهت بها إلى سرير فانها أفاقت . ومن المؤكد أنها قد أغمى عليها أثناء الليل عندما ذهبت خلف البارافان . كانت البرودة منتشرة فى جميع أرجاء جسدها . وبدأتْ ترتعش على نحو رهيب وبدأ المزيد من العرق يتصبب من جسدها . وكانت تتعرض لهذيان الحمى . وظلت تردد قائلة « إحضر لى طبيبا . احضر لى الطبيب .لو سمحت احضر لى الطبيب» (وفى بعض الأحيان كانت تقول : احضر لى الممارس العام G.P وظلت تردد هذه العبارة باستمرار على هيئة إيقاع نغمى موسيقى) ولم يكن الصوت هو صوتها العادى وإنما كان صوتا مليئا بالنغمات الموسيقية التى ترتفع وتنخفض .. وبدا عليها وكأنها غير قادرة على تركيز عينيها علىّ .ونادت مرتين قائلة «يامينى . يامينىّ » وكأنها تعتقد أن أختها مينىّ موجودة فى الغرفة المجاورة وبعدئذ بدأت تتمتم وتغمغم بالعديد من الأسماء الأخرى والكلمات الأخرى .. وكلها مختلطة بعبارات غير مكتملة . ثم بدت عليها وكأنها ترغب فى النهوض فاضطررت إلى أن أمنعها من الوقوف . فقاومتنى مقاومة حقيقية وظللت أتحدث إليها فهدأت لبعض

الوقت ولكننى بمجرد أن أذهب لإعداد الشاى فإنها عادت إلى حالتها . ثم حاولت أن أساعدها على الجلوس فى اعتدال لكى تتمكن من تناول الشاى ولكن ذلك جعلها تتعرض لنوبة من الكحة ثم أدارت رأسها بعيداً حيث لم تكن ترغب فى شرب الشاى . لقد نسيت أن أقول أن دمامل صفراء رديئة قد ظهرت عند ركن من شفتيها كما أن رائحة جسدها لم تعد رائحة نظيفة وجميلة مثلما كان عليه الحال من قبل ، وفى نهاية الأمر جعلتها تتناول جرعة من الحبوب . لقد أشارت النشرة الخاصة بهذا الدواء إلى ضرورة عدم تجاوز الجرعة المحددة ولكننى سمعت ذات مرة أنه يمكن للمرء أن يحصل على ضعف الكمية التى تحددّ فى نشرة الأدوية فهم يخشون من جعل الدواء قويا للغاية وذلك لأسباب قانونية ومن المؤكد أننى نزلت إلى الغرفة السلفية فى ذلك الصباح أربع أو خمس مرات حيث كنت أشعر بالقلق الشديد . كانت مستيقظة ولكنها قالت أنها لا تريد أيّ شيء . وفى فترة الغذاء تناولتْ قدًرا ضئيلاً من الشاى ثم استغرقت فى النوم وجلستُ أنا بالخارج فى الغرفة الخارجية . وفى المرة التالية أضأت الأنوار الكهربائية فى غرفتها وكان ذلك في حوالى الساعة الخامسة وكانت هى مستيقظة . وكانت تبدو ضعيفة ومتهالكة ومحتقنة الوجهب اللون الأحمر للغاية ولكن كان يبدو عليها أنها تعرف تماما المكان الذى توجد فيه وتعرف مَنْ أكون أنا حيث كانت تتبعنى بعينيها بطريقة عادية تماما ولذلك اعتقدت أنها قد تخطت مرحلة الخطر أو تخطت الأزمة كما يقولون .

وتناولت كمية قليلة أخرى من الشاى وبعدئذ جعلتنى أساعدها على الذهاب إلى ماوراء البارافان إذ كانت تترنح فى مشيتها وغير ذلك من أمور . وتركتها لدقائق قليلة ثم رجعت وساعدتها على العودة إلى السرير . فاستلقت على السرير لمدة قصيرة وقد فتحت عينيها وراحت تحملق فى سقف الغرفة

وكانت تجد صعوبة فى التنفس بعض الشىء وبدأتُ أتهيأ للانصراف ولكنها طلبت منى أن أنتظر . وبدأت تتكلم بصوت خشن منخفض . ولكنه كلام طبيعى تماما من الناحية العقلية حين قالت «لقد أصبت بالتهاب رئوى يجب عليك أن تحضر لى طبيبا» فقلت لها «لقد تخطيت مرحلة الخطر . وأنت تبدين الآن في تحسن كبير عن ذى قبل» فقالت «من المؤكد أننى مصابة بالتهاب رئوى أو أىّ شىء من هذا وينبغى معالجتى بالبنسلين» ثم بدأت تتعرض لنوبة من الكحة مع وجود صعوبة فى التنفس ومن المؤكد أنها غرقت فى كميات كبيرة من العرق على نحو رهيب . وبعدئذ أرادت أن تعرف منىّ ما حدث فى الليل وفى الصباح فأخبرتها .

وقالت «كوابيس رهيبة» .

فقلت «سأبقى معك طول الليل وعلى كل حال فأنت الآن أفضل من ذى قبل» . «أ أنت متأكد أننى تحسنت عن ذى قبل ؟» «نعم . لقد تحسنت عن ذى قبل وكنت أريد لها أنئذ أن تصبح أفضل من ذى قبل .

ووعدتها بأنها إذا لم تتحسن تماما خلال اليوم التالى فإننى سأحملها إلى الدور العلوى وأحضر لها طبيبا . وعندئذ قالت أنها تودّ أن تصعد إلى الدور العلوى على الفور وسألتنى عن الوقت فأخبرتها وعندئذ قالت «إذن فنحن الآن بالليل ولن يتمكن أحد من مشاهدتى وأنت تعيننى على الصعود إلى الدور العلوى» ولكننى قلت لها أن جميع الغرف والأسرة غير متجددة الهواء .

وبعدئذ غيرّت أفكارها وقالت «إننى أشعر بالخوف الشديد . إننى بصدد التعرض للموت» .

ولم تكن تتكلم بسرعة . كانت هناك فترات توقف أثناء الكلام .

وقالت «لقد سبق لى أن حاولت أن أساعدك . ويجب عليك الآن أن تقوم

بمساعدتى فقلت «بالطبع سأقوم بمساعدتك» ورحت أجفف العرق المتراكم على وجهها مستخدما قطعة من الإسفنج . وبدا عليها وكأنها تغفو فى سنة من النوم وكان هذا هو ما أريده لها ولكنها تكلمت فجأة مرة أخرى :

إذ قالت بصوت مرتفع «والدى ؟ والدى ؟» .

فقلت «إستسلمى للنوم . لسوف تستردين صحتك غداً» .

فشرعتْ فى البكاء مرة أخرى . لم يكن بكاؤها شبيها بالبكاء العادى . كانت مكتفية بالاستلقاء هنالك مع وجود الدموع حول عينيها وكأنها لم تكن تعرف أنها تبكى . وبعدئذ قالت فجأة «وما الذى ستفعله إذا متّ ؟» فقلت « أنت لن تموتى بالفعل ، ولا تكونى عبيطة »

. «هل ستقوم باخبار أى شخص ؟» فقلت «لن أتكلم فى هذا الشأن » فقالت «إننى لا أريد أن أموت » ثم أضافت «إننى لا أريد أن أموت» . ثم قالت نفس العبارة مرة ثالثة . وفى كل مرة كنت أرد عليها قائلاً «لاتقولى هذا الكلام» ولكن يبدو أنها لم تكن تستمتع إلى ردّى .

وتساءلت «هل ستهرب ؟إذا مت» فقلت «أنت عبيطة وبلهاء» «وما الذى ستفعله بنقودك ؟» فقلت « لوسمحت دعينا نتحدث فى أى موضوع آخر» ولكنها أصرت بعد فترة من التوقف عن الكلام وكانت تتكلم بطريقة عادية ولكن كانت هناك فجوات غريبة وبعدئذ تقول فجأة . كلاما ما مرة أخرى ، فقلت لها «إننى لا أعرف ماذا سأفعل بنقودى . فأنا لم أفكر فى هذا الأمر وكنت أجاريها فى الكلام فقط .

وقالت «أوهبْ نقودك من أجل الأطفال ؟» .

فتساءلتُ «مَنْ هم هؤلاء الأطفال ؟» فقالت « لقد جمعنا النقود من أجلهم فى خلال الفصل الدراسى الأخير . إنهم يأكلون التراب ثم أضافت

بعد فترة قصيرة «نحن جميعا خنازير ونحن جميعا نستحق الموت » ولذلك أعتقدت أنهم اختلسوا النقود التى جمعوها ولم يسلموها للهيئة التى ترعى الطفولة . وبعدئذ استغرقت فى النوم لمدة عشر دقائق تقريبا ولم أتحرك من مكاني واعتقدتُ أنها قد استغرقت فى النوم تماما ولكنها تكلمت فجأة قائلة : «هل ستهب نقودك للأطفال ؟ » وكأننا لم نتوقف عن الكلام . ثم تساءلت مرة أخرى « أأنت موجود هنالك ؟ » بل وحاولت أن تجلس معتدلة لكى تنظر إليّ . وبالطبع هدأت من روعها وطمأنتها ولكنها كانت فى حالة استيقاظ مرة أخرى واستأنفت الكلام عن ذلك الصندوق الذى كانت تجمع الأمور له .

وتوقفتُ عن القول لها أن كلامها سخيف وأنها لن تتعرض للموت ولذلك قلت لها : « نعم . سأهب نقودى للأطفال » .

« أتعدنى بذلك ؟ »

« نعم » .

ثم قالت « وعود » وانتظرت فترة طويلة ثم قالت « إنهم يأكلون التراب » وكررت هذه الجملة مرتين أو ثلاث مرات وحاولتُ أنا أن أهدىء من روعها حيث بدا عليها أن هذا الموضوع يسبب لها قلقا وانزعاجا حقيقيا . وكان آخر كلام قالته « إننى أغفر لك وأسامحك » .

وكانت فى حالة من الهذيان والهلوسة ولكننى قلت لها « أنا آسف » مرة أخرى .

يمكن القول أن الأمور أصبحت مختلفة اعتباراً من هذا الوقت . فقد نسيت كل ما فعلته هى فى الأوقات السابقة وأصبحت أشعر بالحزن عليها

والأسف من أجلها . وكنت أشعر بالأسف الحقيقى بسبب ما فعلته معها فى ذلك المساء منذ أيام قليلة . ولكننى لم أكن أدرك أنها تعانى من مرض حقيقى . ولكن لا ينفع الندم بعد العدم . ما فات مات .

ولكن من الغريب حقا أننى بمجرد أن فكرت فى أننى كنت متضايقا منها حتى عادت إلىّ جميع المشاعر القديمة . فظظلت أركز ذهنى على الأمور اللطيفة وكيف أننا فى بعض الأحيان كنا على ما يرام معا . ولكنى كنت أدرك أننى لم أعد أشعر نحوها بالاحترام منذ أن قامت بخلع ملابسها حيث بدا ذلك أمرا زائفا وكأننا فقدنا نحن الاثنان صوابنا ورشدنا . أعنى أن مرضها وقيامى بتمريضها هو الذى بدا لى أكثر صدقا .

مكثت بالغرفة الخارجية مثلما فعلت فى الليلة السابقة . وظلت هى هادئة على مدى نصف ساعة تقريبا ولكنها بعدئذ بدأت تكلم نفسها . فقلت لها « أنت على يرام » فتوقفتْ عن الكلام ولكنها بدأت تتكلم فيما بعد مرة أخرى أو بالأحرى كانت تتمتم وتغمغم وبعدئذ نادت علىّ باسمى بصوت مرتفع وقالت « اننى لا أستطيع أن أتنفس » وبعدئذ أخرجت كتلة من البلغم من فمها . كان لون البلغم بنى غامق على نحو غريب . ولم أشعر بالرغبة فى النظر إلى هذا البلغم على الاطلاق ولكنى اعتقدت أن الحبوب هى التى لونته بهذا اللون . ثم راحت فى النوم . بعد ذلك لمدة ساعة أو نحو ذلك ولكنها بدأت فى الصراخ فجأة . وهى لم تكن قادرة على أن تصرخ ولكنها كانت تحاول أن تصرخ وعندما اندفعت داخلا إلى غرفتها وجدتها قد خرجت عن السرير بعض الشىء . ولا أعرف ماذا كانت تحاول أن تفعل ولكنها بدا عليها وكأنها لم تتعرف علىّ وكانت تقاتل مثل النّمرة رغم مرورها بحالة من الضعف

الشديد . فاضطررت لأن أكافح وأجاهد لكى أعيدها إلى السرير .

وبعدئذ هبط عليها عرق غزير رهيب : كانت بيجامتها مبللة تماما فى العرق وعندما حاولت أن أستبدل الملايات لأضع ملايات جديدة على السرير فانها سرعت فى القتال والمقاومة والتدحرج هنا وهناك وكأنها قد أصيبت بالجنون مع الغرق فى المزيد من العرق . وكانت هذه أسوأ ليلة شاهدتها فى حياتى . ليلة رهيبة للغاية بحيث لا يمكننى أن أصفها . ولم يكن بمقدورها ان تنام . فأعطيتها كميات كبيرة من الحبوب المنومة ولكنها لم تحدث أىّ تأثير عليها على ما يبدو . اذ كانت تغفو قليلا ثم تفيق مرة أخرى وتحاول أن تغادر السرير .

(وفى احدى المرات تمكنتْ من مغادرة السرير ثم سقطت على الأرض قبل أن أصل اليها) . وفى بعض الأحيان كانت تتعرض لحالة من الهذيان وتنادى على .G. P وتتحدث مع أشخاص كانت تعرفهم على ما أعتقد . ولم أهتم بذلك كثيراً طالما أنها كانت تستلقى فى هدوء . وقمت بقياس درجة حرارتها . كانت تزيد على ١٠٤ درجات . وكنت أدرك أنها مريضة للغاية بالفعل

وفى حوالى الساعة الخامسة من صباح اليوم التالى صعدتُ إلى الدور العلوى لكى أستنشق بعض الهواء الطلق وبدا لى أن العالم بالدور العلوى يعتبر عالما آخر ولذلك قررتُ أن أنقلها الى الدور العلوى وأحضر لها طبيبا وأدركت أن الأمر لم يعد يتحمل التأجيل ووقفت عند الباب المفتوح لمدة تصل إلى حوالى عشر دقائق وبعدئذ سمعتها تنادى مرة أخرى واستخرجت من فمها كميات أخرى من البلغم البنى / الأحمر اللون وكانت مريضة للغاية لذلك

اضطررت لأن أنقلها من السرير وقمت بترتيب السرير وتنظيفه بينما كانت هى مستلقية فى تهالك فى الكرسى . كانت طريقتها فى التنفس هى أسوأ الأمور اذ كان تنفسها سريعا للغاية وعلى هيئة شهقات كما لو كانت تلهث طوال الوقت .

وفى ذلك الصباح (وكانت أكثر هدوءا على ما يبدو) كانت قادرة على تلقى واستيعاب ما أقوله لها من كلام لذلك قلت لها أننى بصدد الذهاب إلى الطبيب فأومأت برأسها وأعتقد أنها استوعبت وفهمت كلامى رغم أنها لم تتكلم . ويبدو أن تلك الليلة قد استنفذت كل قواها حيث كانت مستلقية هنالك فى صمت وسكون وبدون أدنى حركة .

وأنا أعرف أنه كان باستطاعتى أن أذهب إلى القرية والاتصال بالتليفون أو إحضار طبيب ولكننى لأسباب واضحة لم تكن لى أية تعاملات بالقرية حيث كنت أخشى من القيل والقال وتناقل الكلام فى داخل القرية .

وعلى كل حال فقد كنت فى حالة سيئة بسبب عدم تمكنى من الاستغراق فى النوم ولم أكن أعرف كيف أتصرف . كنت بمفردى دائما كالمعتاد ولم يكن لدى صديق لكى أستشيره وأستعين به

ذهبت إلى مدينة لويس (وكان الوقت عقب التاسعة مباشرة) واتجهت إلى أول صيدلية وجدتها فاتحة أبوابها وسألت عن أقرب طبيب فأخبرتنى الفتاة الموجودة بالصيدلية حيث كانت تقرأ من قائمة بالأسماء موجودة لديها . وكان أقرب طبيب موجودا فى منزل بشارع لم يسبق لى مشاهدته من قبل . وأدركت من لافتة على الباب أن العمل بالعيادة يبدأ فى الساعة ٨٫٣٠ وكان ينبغى علىّ أن أتوقع وجود عدد كبير من الناس كالمعتاد ولكننى لسبب ما

وجدت نفسى أقرر الدخول ومقابلة الطبيب مباشرة . ومن المؤكد أن منظرى كان يشبه المعتوه وأنا أدخل إلى الغرفة حيث راح جميع الناس ينظرون إلىّ وحيث كانت جميع المقاعد مشغولة علاوة على وجود شاب كان واقفا بسبب عدم وجود أماكن شاغرة . وبدا لى وكأن جميع الناس ينظرون إلىّ ولم تكن لدى الأعصاب التى تعيننى على الاتجاه إلى الطبيب مباشرة ولذلك اكتفيت بالوقوف بجوار الحائط . ولو كنت قد اتجهت مباشرة إلى الطبيب لكنت قد أنجزت هذه المهمة بنجاح ولكان كل شىء قد سار على ما يُرام . لأننى بترددى هذا اضطررت لأن أتواجد مع هؤلاء الناس فى تلك الغرفة . وأنا لم يسبق لى أن تواجدت فى غرفة مع أناس آخرى لفترات طويلة باستثناء الدخول إلى المحلات والخروج منها فشعرت أن جميع الناس ينظرون إلىّ كما أن امرأة عجوزاً لم ترفع عينيها عنى على الاطلاق مما جعلنى أعتقد أن شكلى يبدو غريبا وعجيبا على نحو ما . فالتقطت مجلة من فوق منضدة ولكننى لم أقرأها بالطبع .

وبدأت أفكر فيما يمكن أن تسفر عنه الأمور ، قد تسير الأمور على ما يرام لمدة يوم واحد أو يومين وربما لن تتكلم ميراندا ولا الطبيب .. ولكن ماذا بعدئذ .. إنه قد يقول « ينبغى نقلها إلى المستشفى لأننى لا أستطيع أن أقدم لها الرعاية الكافية » . ثم فكرت فى أن أحضر لها ممرضة إلى منزلى ولكن سرعان ما ستكشف الممرضة ما حدث - فدائما ما كانت العمة آنىّ تقول أن الممرضات يتصفن بحب الاستطلاع . وعندئذ خرج الطبيب من حجرته لكى ينادى المريض التالى وكان الطبيب طويل القامة وله شارب وقال « المريض التالى » كما لو كان متضايقا من مشاهدة كل هؤلاء الناس المرضى ، أقصد أنه كان يبدو متوترا ومتضايقا .

ثم خرج الطبيب من غرفته مرة أخرى وأدركت أن له طابع ضباط الجيش الذى لا يوجد لديهم تعاطف مع الآخرين وانما يصدرون الأوامر فقط للآخرين لأنهم ليسوا من طبقة الأطباء الاجتماعية فهم يعاملون الناس الآخرين وكأنهم زبالة وقانورات .

وعلاوة على كل ذلك فإن المرأة العجوز بدأت تحملق فى وجهى مرة أخرى وجعلت الدماء الساخنة تتصاعد تحت ياقة قميصى . ولم أكن قد نمت طول الليلة السابقة كما أننى كنت فى حالة من التوتر والانفعال . فشعرت أننى غير قادر على تحمّل الموقف . لذلك استدرت واتجهت خارجا من العيادة وجلست فى السيارة الفان .

كانت الشكلة تتمثل فى مشاهدتى لكل هؤلاء الناس . إذ جعلتنى أدرك أن ميراندا هى الانسانة الوحيدة فى العالم التى أرغب فى العيش معها . وأدرك أننى أشعر بالقرف من جميع الناس الآخرين .

ثم ذهبت بعد ذلك إلى صيدلية وقلت أننى أرغب فى الحصول على أقوى دواء لمعالجة انفلونزا شديدة للغاية . وهى صيدلية لم يسبق لى الذهاب إليها من قبل على الاطلاق . ومن حسن حظى أنه لم يكن يوجد بالصيدلية أىّ شخص آخر مما أتاح لى الفرصة أن أحكى قصتى . قلت أن لى صديق « غريب الشأن » (فهو من الناس الذين يرفضون الذهاب للأطباء فى حالة تعرضهم للأمراض) وهو قد أصيب بانفلونزا حادة للغاية . وربما يكون مصابا بالتهاب رئوى . وينبغى علينا أن نعطيه دواء فى السّر . فاستخرجتْ الفتاة نفس الدواء الذى سبق لى شراؤه من قبل فقلت لها « اننى أريد بنسلين

أو أيّ دواء مماثل للبنسلين » فـقـالت « نحن لا نقـدم البنسلين إلاّ بناء على روشتة الطبيب » ومن سوء الحظ أن مدير الصيدلية ظهر فى تلك اللحظة وقال لى « ينبـغى عليك أن تذهب إلى طبيب وتصف له الحـالة المرضية لصـديقك » فقلت له « إننى على استعداد لأن أدفع لكم أية مبالغ من النقود » فهز رأسه وقال « هذا يتنافى مع القانون » . وبعذئذ تساءل عما إذا كان صيديقى يقيم فى منطقة محلية قريبة فغادرتُ الصيدلية على الفور قبل أن يبدأ فى إثارة المتاعب . وحاولت نفس الشيء مع اثنين من الصيدليات الأخرى ولكننى تلقيت نفس الاجـابة منهمـا . وبدأت أخشى من الذهاب إلى صيدليات أخرى ولذلك اكتـفيت فى نهـاية الأمـر بشـراء دواء من نوع عـادى . ثم رجـعت إلى منزلى وكنت أجد صعوبة فى قيادة سيارتى حيث كنت فى غاية الارهاق .

وبالطبع اتجهت إلى الغرفة السفلية مباشرة عقب عودتى إلى منزلى . وكانت هـى مستلقية هنالك ولاهـثة الأنفاس . وبمجرد أن شاهدتنى حتى بدأت فى التكلم ويبدو أنها ظنت أننى شخص ما آخر حيث سألتنى عماً اذا كنت قد شـاهدت لويزى Louise (ولم يسبق لى أن سـمعتهـا تتـحدث عن فتـاة بهذا الاسم من قبل) – ومن حسن الحظ أنها لم تنتظر الحصول على إجابة منى حيث بدأت تتكلم عن رسام معـاصر وبعـدئذ قـالت أنها تشعر بالعطش . ولم يكن هذا وضعاً طبيعيا حيث كانت الأفكار على ما يبدو تجيىء إلى رأسها ثم تتلاشى بسرعة . فأعطيتها مشروبا ثم استلقتْ فى هدوء لبعض الوقت ثم بدا عليـها فـجـأة وكـأنها عـادت إلى الحالة الطبيعـية الذهنيـة إلى حدّ مـا « متى سيجيىء والدى ؟ » فكذبت عليها كذبة بيضـاء وقلت « إنه سـيجيىء إلى هنا حالاً » . فقـالت « إغسـل لى وجـهى » وبعد أن انتهيت من غسل وجهها قالت

« ينبغي عليه أن يشاهد هذا البلغم الذى خرج من فمى » ولقد قالت كل ذلك الكلام فى همْس خافت للغاية .

وقالت « أتمنى لو استطعت أن أنام » فقلت « إنها الحمّى » فأومأت برأسها . ولبعض الوقت كانت تفهم تماما كل الكلام الذى كنت أقوله ولا يمكن لأحد أن يصدق ولكننى قررت العودة إلى مدينة لويس لاحضار طبيب . وساعدتها للذهاب إلى ما وراء البارافان وكانت هى ضعيفة للغاية حتى أننى أدركت أنها لا يمكن لها أن تتمكن من الهرب . ولذلك فقد قررت الصعود إلى الدور العلوى ومحاولة النوم لمدة ساعتين وبعدئذ أنقلها إلى الدور العلوى ثم أذهب إلى مدينة لويس ولاحضار طبيب آخر معى .

ولا أعرف كيف حدث ذلك فأنا دائما ما استيقظ بمجرد سماع صوت المنبه . ومن المؤكد أننى مددت يدى أثناء نومى وأغلقتُ جرس المنبه . على كل حال عندما استيقظت لم تكن الساعة ١٢٫٣٠ وانما كانت الساعة الرابعة . فاندفعت بالطبع بسرعة إلى الغرفة السفلية لأرى ماذا حدث . كانت قد خلعت كل ملابسها العلوية عن صدرها ولكن من حسن الحظ أن الجو كان دافئا بعض الشىء فى داخل الغرفة . وعلى كل حال لا أظن أن ذلك كانت له أهمية آنئذ فهى كانت فى حالة من الحمى الشديدة بحيث لم تتعرف علىّ وعندما قمت برفعها لأعلى لكى أنقلها إلى الدور العلوى فانها حاولت أن تقاوم وتصرخ ولكنها كانت ضعيفة للغاية بحيث لم تتمكن من ذلك . وعلاوة على ذلك فان نوبة الكحه لديها أوقفت صراخها وجعلتها على ما يبدو تدرك المكان الذى تتواجد فيه . وتمكنت من نقلها إلى الدور العلوى ووضعتها فى السرير فى الغرفة الاحتياطية (وكنت قد شغّلتُ بها أجهزة التدفئة بحيث أصبحت دافئة

وملائمة تماما) وبدا عليها أنها أكثر سعادة بالغرفة العلوية . ولم تقل لى أىّ كلام . ولقد جعلها الهواء البارد تكح وتتقيأ وكان وجهها محتقنا للغاية باللون الأحمر أيضا . فقلت لها « الطبيب بصدد المجيىء » وبدا عليها أنها تفهم كلامى .

وظللت باقيا لفترة قصيرة لأرى ما إذا كان الموقف على ما يرام حيث كنت أخشى أن تكون لديها القوة التى تعينها على الذهاب إلى النافذة وجذب انتباه أىّ شخص من المارين فى الشارع . وكنت أدرك أنها ضعيفة للغاية بحيث لا يمكنها أن تفعل ذلك فى حقيقة الأمر ولكن يبدو أننى عثرت على أسباب تجعلنى أتلكأ فى الذهاب لاحضار طبيب . وذهبت مرات عديدة إلى بابها المفتوح وفى كل مرة كنت أجدها مستلقية هناك فى الظلام كما كنت أسمع أصوات تنفسها وفى بعض الأحيان كانت تغمغم وتمتم ونادت علىّ باسمى فى إحدى المرات فذهبت اليها ووقفت إلى جوارها وتمكنت هى من قول كلمة « طبيب » مرتين . فقلت لها « انه قادم وبصدد الوصول . ولا تقلقى » ثم جففت العرق المتراكم على وجهها . وكان العرق يتصبب منها باستمرار . ولا أعرف لماذا لم أذهب الى الطبيب عندئذ . لقد حاولت ولكننى لم أستطع . لم يكن باستطاعتى أن أواجه فكرة عدم معرفتى بالحالة الصحية التى هى عليها على وجه الدقة وعدم مقدرتى على مشاهدتها كلما أردت ذلك . كنت واقعا فى غرفتها وحبها مرة أخرى وهناك شىء آخر وهو أننى طوال تلك الأيام اعتدت أن أقول لنفسى « إنها مع مرور الأيام ستشعر أنها فى حاجة إلىّ وبعدئذ ستكون لطيفة معى للغاية » .

ولقد اعتقدت أيضاً أن الغرفة الجديدة ستساعدها على الشفاء

ولا أعرف السبب الذى جعلنى أعتقد فى ذلك . بل واعتقدت أن الغرفة الجديدة ستحدث فيها تغييرات فى ميراندا لصالحى .

وهذا الأمر يذكرنى بنفسى عندما كنت أضطر لأن أصطحب ما بيل الخارج وهى جالسة فى كرسيها . كنت أجد دائما عشرات الأسباب التى تدعونى لتأجيل ذلك . ولقد اعتادت العمة آنى أن تقول لى « ينبغى عليك أن تشكر الله لأن لديك ساقين يعينانك على دفع الكرسى » (كانوا يدركون أننى لا أحب أن يشاهدنى أحد أثناء قيامى بدفع الكرسى) ولكن هذا أمر كامن فى داخل شخصيتى . فتلك هى طبيعتى . ما باليد حيلة .

ومرّ الوقت . ومن المؤكد أن الوقت قد أصبح فى منتصف الليل أو يزيد فذهبت اليها لكى ألقى نظوة عليها وأتبيّن حالتها أو لأرى ما اذا كانت ترغب فى تناول قدح من الشاى ولكننى لم أستطع أن أجعلها تردّ على . وكانت أنفاسها أسرع من ذى قبل وكانت تلهث على نحو مريع ومخيف . فقمت بهزّها ولكن بدا عليها وكأنها نائمة رغم أن عينيها كانتا مفتوحتين . وكان وجهها محتقنا للغاية وبدا وكأنها تحملق فى شيء ما موجود فى سقف الغرفة . فتملكنى رعب شديد حقيقى . وقلت لنفسى « لسوف أعطيها نصف ساعة وبعدئذ ينبغى علىّ أن أذهب بسرعة لاحضار طبيب لها . » وجلستُ إلى جوارها وأدركت أن الأمور تسير إلى الأسوأ بشكل قاطع نظراً لأن وجهها كان رهيبا علاوة على تزايد تدفق العرق من جسدها .بالاضافة إلى انتشار الدمامل حول فمها وشفتيها .

وأخيرا قمت بغلق الباب عليها بالقفل وانطلقت مرة أخرى إلى مدينة لويس . وأذكر أننى وصلت إلى هذه المدينة عقب الساعة ١٫٣٠ صباحا

مباشرة . وكانت جميع المحلات والدكاكين مغلقة بالطبع . فذهبت مباشرة إلى الشارع الذى يعيش فيه الطبيب وتوقفت بسيارتى على مسافة قصيرة بعض الشىء من منزله . وبينما كنت جالسا فى داخل سيارتى فى الظلام مع التهيؤ للذهاب ودقّ جرس الباب والادلاء بقصتى قام شخص ما بالطرق على زجاج نافذة سيارتى . لقد كان أحد رجال الشرطة .

وسبب لى ذلك صدمة رديئة للغاية . وقمت بإنزال زجاج النافذة .

وقال رجل الشرطة « ما الذى تفعله هنا ؟ » .

« لا داعى لأن تقول لى إن هذا المكان ليس مكانا مخصصا لوقوف السيارات » .

فقال « هذا يتوقف على طبيعة عملك » ثم ألقى نظرة على رخصة سيارتى وسجل فى دفتر رقم سيارتى فى تمهّل وتأنّى شديد . كان رجلا عجوزا .

ثم تساءل « هل أنت تعيش هنا ؟ »

فقلت « لا »

فقال « أنا أعرف أنك لا تعيش هنا . وهذا هو السبب فى أننى سألتك عن الأمور التى تفعلها هنا » .

فقلت « إننى لم أرتكب أىّ شىء » ثم أضفت « إلقى نظرة على الجزء الخلفى من السيارة » فراح يلقى نظرة . فأعطانى هذا بعض الوقت لتأليف قصة . ثم قلت « لقد أصبت بالأرق وكنت أقود سيارتى وبعدئذ ضللت الطريق . فتوقفت لكى ألقى نظرة على خريطة » ولكنه لم يصدقنى أو لم يبد

عليه أنه يصدقنى . حيث قال « ينبغى عليك أن تذهب إلى منزلك » .

وكان نتيجة ذلك أننى قدت سيارتى مبتعداً . لم يكن باستطاعتى أن أجعله يشاهدنى وأنا أذهب إلى باب الطبيب . لأنه قد يشك فى الأمر على الفور . وخطر على ذهنى أن أتجه بسيارتى إلى منزلى لأرى ما اذا كانت حالتها قد ازدادت سواءاً واذا كان الأمر كذلك أقوم بنقلها إلى المستشفى مع اعطاء إسم زائف ثم أغادر البلاد كلها أو أفعل أىّ شىء آخر - لم أستطع الذهاب بتفكيرى إلى ما هو أبعد من ذلك .

ووجدتها ملقاة على أرضية الغرفة مرة أخرى . لقد حاولت أن تترك السرير ربما من أجل الذهاب إلى الحمّام أو من أجل الهرب . على كل حال قمت برفعها وإعادتها إلى السرير وبدا عليها وكأنها فى شبه غيبوبة وقالت بعض الكلمات غير الواضحة فتعذرت علىّ معرفة تلك الكلمات كما أنها لم تفهم أىّ كلام مما قلته لها .

جلست إلى جوارها طوال الليل تقريبا ونمت لبعض الوقت كنوع من اللجوء إلى الهرب من خلال النوم . ولقد كافحت مرتين للخروج من السرير ولكنها لم تنجح فى ذلك لم تكن لديها قوة تماثل قوة البرغوث . قلت لها نفس الكلام السابق . قلت لها أن الطبيب بصدد المجيىء وبدا أن كلامى هدأ من روعها ، وفى احدى المرات سألتنى « فى أىّ أيام الأسبوع نحن الآن ؟ » فكذبت عليها وقلت : « اليوم هو يوم الاثنين » (بينما هو يوم الأربعاء

فى حقيقة الأمر) وعندئذ ظهر عليها المزيد من الهدوء واكتفت بأن قالت « يوم الاثنين » ولكننى شعرت أن هذه الجملة لا تعنى أىّ شىء . وبدا لى الأمر وكأن ذهنها قد تأثر أيضا بسبب المرض .

وعندئذ أدركت أنها تتعرض للموت بالفعل وأدركت هذه الحقيقة طول تلك الليلة وكان ينبغى على أن أخبر أىّ شخص بذلك .

ولكننى اكتفيت بالجلوس هناك مصغيا إلى أنفاسها وتمتمتها وغمغمتها (لم تنم نوما سليما على ما يبدو على الاطلاق) ومفكرا فى هذا الوضع الذى انتهت عليه الأمور . ورحت أفكر فى حياتى الفاسدة البغيضة للغاية وأفكر فى حياتها وفى كل الأشياء الأخرى .

كان بمقدور أى شخص أن يدرك كل جوانب الموقف . كنت أنا فى حالة من اليأس الشديد الحقيقى رغم أننى أقول ذلك بنفسى . لم يكن بمقدورى أن أفعل أىّ شىء كنت أريد لها أن تعيش وفى الوقت نفسه لم يكن باستطاعتى أن أخاطر وأطلب المساعدة ولقد كنت منسحقا ومهزوما وكان باستطاعة أىّ شخص أن يدرك ذلك . وطول تلك الأيام كنت أدرك أننى لن أحب أبداً أية إنسانة أخرى بنفس هذه الدرجة العميقة من الحبّ . لم تكن توجد هناك سوى ميراندا واحدة للأبد . وأدركت هذه الحقيقة آنئذ . وهناك شىء آخر وهو أنها كانت الانسانة الوحيدة التى كانت تعرف أننى أحبها . وكانت تعرف حقيقة أمرى على وجه الدقة . وهذا شىء لم يكن باستطاعة أىّ شخص آخر أن يدركه أو يفهمه .

وبزغ الفجر . لقد جاء اليوم الأخير . ومن العجيب أنه كان يوما رائع الجمال . ومن المدهش حقا أنه لم تكن توجد سحابة واحدة طول النهار . كان واحدا من تلك الأيام الشتوية الباردة الخالية من الرياح والتى لها سماء صافية شديدة الزرقة . وبدا لى ذلك وكأنه قد تم ترتيبه خصيصا بحيث أشاهدها وهى تموت فى جوّ ملائم للغاية ومفعم بالسلام والهدوء الشديد .

وكانت آخر الكلمات التى قالتها فى حوالى الساعة العاشرة صباحا حيث قالت (على ما أعتقد) : « الشمس » (وكانت الشمس تنفذ من خلال النافذة) ثم حاولتْ النهوض لكى تجلس ولكنها لم تتمكن من ذلك .

ولم تقل بعد ذلك أية كلمة أخرى يمكن لى أن أفهمها . وظلت باقية على قيْد الحياة طوال فترات الصباح وفترات ما بعد الظهر ذهبت مع الشمس . اذ أصبحت أنفاسها خفيفة للغاية حتى أننى ظننت أنها استغرقت فى النوم أخيراً (لمجرد أن أوضح لكم الحالة التى كنت أنا عليها) . ولا أعرف على وجه الدقة الوقت الذى ماتت فيه . فأنا أعرف أنها كانت تتنفس فى حوالى الساعة ٣٫٣٠ عندما نزلت إلى الغرف السفلية للقيام ببعض أعمال النظافة والتنظيف والترتيب وغير ذلك من أعمال لمجرد أن أروّح عن نفسى بعض الشيء وعندما رجعت إليها فى حوالى الساعة الرابعة اكتشفت أنها قد ماتت .

كانت مستلقية وقد ألقت برأسها على جانب وكان منظرها رهيبا وشنيعاً . حيث كان فمها مفتوحا وعيناها جاحظتين محملقتين وكأنها كانت تحاول أن تنظر من خلال النافذة إلى الخارج نظرة واحدة أخيرة .فتحسست على يدها . كانت يدها باردة رغم أن جسدها كان لا يزال دافئا . فخرجت وأحضرتُ مرآة . حيث كنت أعرف أن تلك هى الوسيلة ووضعت المرآة أمام فمها ولكن لم يظهر على المرآة أىّ ضباب رقيق . لقد ماتت بالفعل .

فقمت بغلق فمها واغلاق جفنى عينيها لأسفل . ولم أعرف ماذا أفعل بعد ذلك . ثم ذهبت وأعددت لنفسى قدحا من الشاى .

وعندما هبط ظلام الليل حملت جسدها ونزلت بها إلى السرداب . وأنا

أعرف أن الناس يقومون بغسل أجساد الموتى ولكننى لم أكن أرغب فى عمل ذلك . لابدا لى أنه إجراء غير سليم . لذلك قمت بوضع جسدها على السرير ورحت أمشط لها شعرها . ثم قصصت خصلة من شعرها . وحاولت أن أُعدّل من وجهها لكى تظهر عليه ابتسامة ما ولكننى لم أفلح فى ذلك . وعلى كل حال فانها كانت تبدو مليئة بالهدوء والسلام الشديد . وبعدئذ ركعت الى جوارها وصليت عليها بالصلاة الوحيدة التى أعرفها « أبانا الذى فى السماوات » ولذلك صليت مستخدما جزءاً من هذه الترانيم وقلت عبارة « فليطمئن الله روحك » وإن كنت لا أؤمن بالدين ولكن بدا لى ذلك ملائما ومناسبا . ثم صعدتُ إلى الدور العلوى .

ولا أعرف الأسباب التى جعلت شيئا واحداً صغيرا هو الذى يفجّر الموقف . وقد يظن المرء أن ذلك الشىء الوحيد الصغير هو مشاهدتى لها وهى ميتة أو حملى لها والنزول بها لأسفل للمرة الأخيرة . ولكنه لم يكن ذلك . وانما كان عندما شاهدتُ الشبشب الخاص بها فى الغرفة التى كانت موجودة بها بالدور العلوى . اذ قمتُ بالتقاط الشبشب وأدركت فجأة أنها لن تتمكن من وضع قدميها فى هذا الشبشب مرة أخرى . وأدركت أننى لن أنزل لأسفل وأغلق الأبواب بالترابيس مرة أخـــرى (من العجيب أننى رغم كل ذلك كنت لا أزال أغلق عليها الأبواب بالترابيس) وأننى لن أرى منها أىّ شىء آخر سواء أكان شيئا حسنا أو رديئاً . وأدركت فجأه أنها قد ماتت وأن هذا يعنى أنها قد ذهبت إلى غير رجعة للأبد وللأبد وللأبد .

فى تلك الأيام الأخيرة كان علىّ أن أشعربالحزن والأسف من أجلها . وغفرت لها كل الأعمال التى فعلتها ضدى . لم أغفر لها أثناء وجودها على قيْد الحياة ولكن عندما أدركت أنها قد ماتت حيث غفرتُ لها غفرانا نهائيا .

وعادت الى ذاكرتى كل الأمور اللطيفة التى فعلتها . وتذكرت الأحداث منذ بدايتها وتذكرت تلك الأيام التى شهدها مبنى المجلس البلدى المحلىّ حيث كنت اشاهدهاوهى تخرج من الباب الأمامى أو أمرّ بجوارها عند الجانب الآخر من الشارع . ولم أستطع أن أفهم كيف حدث كل هذا الذى حدث حتى أصبحت راقدة فى الغرفة السفلية وميتة .

وكلما فكرتُ فى ذلك بدا لى أكثر سوءاً . ووصل الوقت إلى منتصف الليل ولكننى لم أستطع النوم حيث اضطررت لترك جميع اللمبات مضاءة وأنا لا أؤمن بالعفاريت والأشباح ولكن بدا لى أنه من الأفضل أن أضىء اللمبات . ظللتُ أفكر فيها . واعتقدت أن الغلطة ربما كانت هى غلطتى ثم عدت وظننت أن الغلطة كانت غلطتها وبعدئذ اختلط الأمر فى ذهنى فى تشويش وارتباك . وفى نهاية الأمر أدركت أنه لم يعد بمقدورى أن أعيش فى منطقة فوسترز وشعرت بالرغم فى أن أقود سيارتى هاربا من هذا المكان مع عدم العودة إليه على الاطلاق .

ورحت أفكر : يمكن لى أن أبيع منزلى ثم أغادر البلاد إلى أستراليا . ولكن ينبغى علىّ أولا أن أقوم بأعمال التغطية لكى لا ينكشف أمرى . وتزاحمت الأفكار على ذهنى على نحو لا يمكن احتماله . وبعدئذ ظهرت فى داخل ذهنى فكرة اللجوء الى الشرطة . فرأيت أن أفضل شىء هو الذهاب الى الشرطة وابلاغهم بكل ما حدث بالتفصيل . بل وارتديت معطفى استعداداً للاتجاه بسيارتى الى الشرطة .

واعتقدت أننى بصدد التعرّض للجنون . وظللت أنظر إلى نفسى فى المرآة . محاولا مشاهدة الجنون القابع فى داخل وجهى . كانت لدى هذه الفكرة الرهيبة وهى أننى إنسان مجنون فكل شخص باستطاعته مشاهدة

ملامح الجنون على وجهى كل ما هنالك أننى لم يكن بمقدورى مشاهدة الجنون الكامن فى وجهى . وظللت أتذكر كيف كان الناس فى مدينة لويس ينظرون إلىَّ فى بعض الأحيان بنفس تلك النظرات التى كان ينظر بها إلىَّ الناس الموجودين فى غرفة الانتظار عند ذلك الطبيب ، لقد كانوا جميعا يدركون أننى مجنون .

ووصل الوقت إلى الساعة الثانية صباحاً . ولا أعرف السبب الذى جعلنى أبدأ فى الاعتقاد بأننى مخطئ فى تشخيص حالتها على أنها حالة وفاة . لذلك اضطررت لأن أهبط إلى الغرفة السفلية لكى أتأكد من حالة وفاتها مرة أخرى .

وكان الموقف رهيبا للغاية . وبمجرد أن نزلت إلى السرداب الخارجى بدأت أتخيل بعض الأشياء . حيث خُيّل إلىّ أنها قد تخرج من أحد الأركان ومعها فأس صغير أو ربما لا تكون موجودة هنالك – فربما تكون قد اختفت رغم غلق الباب بالترباس . مثلما يحدث فى أفلام الرعب .

وكانت موجودة هنالك . مستلقية بين طيات الصمت المطبق . فلمستُ جسدها . فأدركت أنها باردة للغاية مما جعلنى أشعر بالصدمة . ولكننى كنت لا أزال غير قادر على إدراك أن موتها أصبح حقيقة واقعة . فهى منذ ساعات قليلة فقط كانت تنبض بالحياة ومنذ أيام قليلة فقط كانت تمشى وتتجول هنا وهناك وترسم علاوة على القيام بأشغال إبرة التريكو . ثم أصبحت الآن على هذا النحو .

وبعدئذ تحرك شئ ما عند الطرف الآخر من السرداب وإلى الخلف وبالقرب من الباب . ومن المؤكد أن ذلك كان بمثابة تيار من الهواء . فتحطم شئ ما فى داخلى وفقدت صوابى واندفعت خارجا ووقعت على السلالم فى

السرداب الخارجي وفي الخارج . وأغلقت الباب بالمفتاح كما أغلقت جميع الأبواب الأخرى بالمفتاح .

وبعد برهة توقف الاهتزاز فهدأت أعصابي . ولكن كل ما كنت أفكر فيه هو كيف أن الأمر قد انتهى على هذا النحو . ولم يكن باستطاعتي أن أعيش بينما هي موجودة على ذلك النحو بالغرفة السفلية .

وعندئذ فقط هبطت عليَّ الفكرة ، وظلت الفكرة تراودني وتردّد على ذهني باستمرار : وهي أنها كانت سعيدة الحظ لأنها انتقلت إلى رحمة الله حيث لم تعد تتعرض للمزيد من الهمّ والقلق أو المزيد من الحبس ولا للمزيد من الرغبات في الأشياء التي تريدها والتي قد لا تتحقق أبداً وإنما انتهى كل شئ مرة واحدة .

كل ما كان عليَّ أن أفعله هو أن أقتل نفسي وبعدئذ يمكن للآخرين أن يعتقدوا ما يروق لهم من معتقدات وظنون . الناس الموجودين في غرفة الانتظار والناس الذين يعملون في مبنى البلدية والعمة آنّي ومابيل وكل الناس جميعا . سأكون خارج نطاق الموضوع .

وبدأت أفكر في كيفية تنفيذي لعملية الانتحار . وكيف يمكن لي أن أذهب إلى مدينة لويس بمجرد أن تفتح المحلات والدكاكين أبوابها وشراء كميات كبيرة من الاسبرين وشراء بعض الأزهار ولتكن أزهار الأقحوان وهي الزهور المفضلة لديها . وأتناول الاسبرين وأنزل إلى الغرفة السفلية ومعي الزهور وأستلقي إلى جوارها . وأبعث بخطاب قبل كل ذلك إلى الشرطة . وذلك لكي يتمكن رجال الشرطة من العثور علينا معا في تلك الغرفة السفلية معا في العالم الآخر العظيم Great Beynd وعندئذ سيتم دفننا معا . مثل

روميو وجوليت . وبذلك يكون الموقف بمثابة مأساة حقيقية . وليست أمرا خسيساً .

فإذا فعلت ذلك فإننى سأحصل على بعض الاحترام والتبجيل الحقيقى . وإذا قمت بتدمير الصور الفوتوغرافية - وتلك هى الأشياء التى كانت موجودة هنالك - سيدرك الناس أننى لم أفعل أبداً أىّ شئ ردىء فيها وبحيث يبدو الأمر تراجيديا ومأساويا تماما .

وفكرت فى ذلك الأمر تفكيرا جدّيا . ثم ذهبت وأحضرت الصور الفوتوغرافية والنيجاتيف الخاص بها بحيث تكون جاهزة لإحراقها كأول عمل أقوم به فى الصباح . وبدا الأمر وكأننى لدى خطة ما محدودة المعالم .

وكانت هناك النقود الخاصة بى ولكننى لم أعد أهتم بها بعد كل هذا الذى حدث ، ويمكن للعمة آنىّ ومابيل الحصول على تلك النقود . لقد تحدثت ميراندا عن صندوق إغاثة الأطفال ولكنها كانت شبه منزلقة عن الالتزام بالأمانة بالفعل . فكل تلك الأعمال المتعلقة بالبرّ والإحسان تتم تحت إشراف أناس من اللصوص والمختلسين والمخادعين . وذلك باستثناء الأشخاص الذين يقومون بدور الأوصياء والأمناء والقيِّمين .

كنت أريد أشياء لا يمكن للنقود أن تشتريها لى . ولو كانت لدىّ عقلية رديئة بالفعل لما كنت قد وقعتُ فى كل هذه المتاعب وتحملت كل هذه المشاق التى أقدمتُ عليها بنفسى .... لكنت قد ذهبتُ لزيارة النساء اللائى نقرأون عنهن فى لوحات الإعلانات فى بادينجتون وسوهو وفعلتُ كل ما أريده . فالمرء لا يمكنه أن يشترى السعادة . ومن المؤكد أننى قد سمعت العمة آنى وهى تقول ذلك مئات المرات . ودائما ما فكرت فى ذلك الأمر وقلت لنفسى « ها . ها فلنجرب ذلك فقط أولاً » حسنا . ولقد قمت بتجربتى بالفعل .

ولأن الحظ يلعب دوره دائما فإن الأمر دائما ما يكون أشبه بلعب القمار – بل وأسوأ من لعب القمار حيث لا توجد هناك مجموعات من اللاعبين الممتازين ومجموعات من اللاعبين السيئين ولا توجد احتمالات لتعادل الفرق فى المباريات والمراهنات . ولا يمكن للمرء أن يعرف على أى نحو ستنتهى عليه الأمور مجرد أ A ضد ب B و جـ C ضد د D ولا أحد يعرف ماهية أ و ب و جـ و د ,A, B, C, D وذلك هو السبب فى أننى لم أؤمن أبداً بالقوى المتحكمة المطلقة . فأنا أعتقد أننا جميعا مجرد حشرات ونحن نعيش لفترة زمنية محدودة ثم نموت . وذلك هو كل ما فى الأمر . إذ لا توجد رحمة فى الأمور والأشياء . بل ولا يوجد العالم الآخر . ولا يوجد أىّ شئ .

وفى حوالى الساعة الثالثة غلبنى النعاس لذلك صعدتُ لأعلى لكى أنام للمرة الأخيرة . واستلقيت فى سريرى وأنا أشاهد كل شئ . أشاهد نفسى وأنا ذاهب إلى مدينة لويس عقب استيقاظى من النوم وأشاهد نفسى وأنا عائد من مدينة لويس ثم وأنا أضرم ناراً فى الهواء الطلق وأنا أغلق الأبواب بالأقفال (مع إلقاء نظرة أخيرة واحدة على مجموعة الفراشات الخاصة بى) ثم وأنا أهبط لأسفل إلى الغرفة السفلية . فهى كانت فى انتظارى هنالك واكتب خطابا موجها للشرطة أذكر فيه أننا فى حالة من الحب . وأننا اتفقنا على الانتحار . ميثاق انتحار . وتكون تلك هى (النهاية) .

الفصـــل الرابـــع

ولكن الأمور جاءت على نحو مختلف بعض الشئ .

إذ لم أستيقظ من النوم إلاّ بعد الساعة العاشرة صباحا . وكان يوما آخر مشرقا وجميلاً . فتناولت طعام الإفطار ثم ذهبت إلى مدينة لويس واشتريت الاسبرين والزهور ورجعت إلى منزلي وبعدئذ خطر على ذهني أن ألقى نظرة أخيرة على الأشياء الخاصة بها مع تفحصها فى عناية . وكان من حسن حظى أننى فعلت ذلك حيث عثرتُ على مذكراتها اليومية التى توضح تماما أنها لم تكن تحبنى فى أىّ وقت من الأوقات على الإطلاق حيث كانت لا تفكر إلاّ فى نفسها وفى ذلك الرجل الآخر طول الوقت .

وعلى كل حال – وهو ما يحدث عادة – فإننى بمجرد أن استيقظت من النوم بدأت تتكون فى ذهنى أفكار عقلانية وواقعية . مثلما يسيطر الجانب المظلم على تفكير المرء قبل أن ينام وعندما يستيقظ من النوم يجد أفكاره قد تغيرت بعض الشئ .

إذ هبطت على ذهنى أفكار جديدة أثناء تناولى طعام الإفطار ولم تهبط علىّ بطريقة متعمدة وإنما تواردت فى انسياب فقط . وهى أفكار تتعلق بكيفية التخلص من الجثة . وقلت لنفسى : إننى إذا لم أنتحر فى خلال الساعات القليلة القادمة فإنه يمكن لى اتخاذ إجراءات التخلص من الجثة . وهبطت على العديد من الأفكار التى تتعلق بالتخلص من الجثة . واعتقدت أننى أودّ البرهنة على إمكان تنفيذى لذلك بنجاح بحيث لا يكتشف الأمر أىّ شخص .

كان صباحا مشرقا وجميلاً . والأماكن الريفية المحيطة بمدينة لويس بالغة الحسن والجمال .

بل وقلت لنفسي أيضاً أنني أتصرف وكأنني الذى قمت بقتلها مع أنها في الواقع قد ماتت ميتة طبيعية . بل واعتقدت أنه لم يكن بمقدور أىّ طبيب أن ينقذها من الموت لأنها كانت في حالة سيئة للغاية .

وشئ آخر حدث في ذلك الصباح أثناء وجودي في مدينة لويس . وكان من قبيل المصادفات البحتة . فبينما كنت أقود سيارتي في اتجاه محلّ بيع الزهور شاهدت فتاة مرتدية أفرولاً تعبر الشارع عند منطقة عبور المشاة حيث توقفت بسيارتي لكي أدع المشاة يعبرون الشارع . فأصبتُ بصدمة عصبية للحظات حيث اعتقدت أنني أشاهد شبحا . إذ كان لها نفس الشعر فيما عدا أنه لم يكن طويلا للغاية . أعني أنها كان لها نفس حجم ميراندا ونفس طريقة مشيتها . فلم أستطع أن أرفع عيني عنها . فقمت على الفور بإيقاف سيارتي في المكان المخصص لوقوف السيارات . وعدت سائرا في الاتجاه الذي كانت تسير فيه إلى أن شاهدتها وهي تدخل محل وولويرث . فدخلت وراءها إلى المحلّ واكتشفت أنها تعمل خلف الكاونتر الجميل .

ورجعتُ من مدينة لويس ومعي الأشياء التي اشتريتها ونزلت إلى الغرفة السفلية لكي أشاهد ميراندا ولكي أقوم بتنسيق الأزهار وترتيبها ولكنني أدركت أنني لست في حالة نفسية تسمح لي بتنفيذ الشئ الآخر ورأيت أنه ينبغي عليّ أولاً أن أفكر في هذا الأمر مليًّا وعندئذ اكتشفت وجود المذكرات اليومية الخاصة بها .

ومرت الأيام وانقضت الآن ثلاثة أسابيع منذ حدوث كل تلك الأحداث .

بالطبع لن أحصل أبداً على ضيفة أخرى رغم أن العمة آنيّ ومابيل قد

قررتا الآن البقاء فى أستراليا والإقامة بها إقامة دائمة ورغم أنه ليس من الصعب علىّ إحضار ضيفة أخرى .

ومنذ أن شاهدت فتاة محل وولويرث وأنا أبحث فى المشاكل التى يمكن أن تصاحبها من حيث هى فتاة تثير اهتماماتى . فهى تعيش فى قرية تقع عند الجانب الآخر من مدينة لويس بالنسبة للمكان الذى أسكن فيه . وهى تسكن فى منزل يقع على مسافة ربع ميل أو نحو ذلك من محطة الأتوبيس . وينبغى على المرء السير فى زقاق ريفى طويل من أجل الوصول إلى منزلها . وكما أقول فإن ذلك أمر ممكن (إذا لم أكن قد تلقيت درسا لن أنساه) . وهى بالطبع ليست جميلة للغاية مثل ميراندا بل هى فى حقيقة الأمر ليست سوى بائعة عادية فى محلّ وهى من جماهير الناس العادية أو الدهماء . ولكن تلك كانت هى غلطتى السابقة حيث كنت أتطلع إلى أعلى أكثر من اللازم وكان ينبغى على أن أدرك أنه من المتعذر علىّ أن أحصل على ما أريده من فتاة ما مثل ميراندا لها كل تلك الأفكار المتعجرفة وخدعها الماكرة . كان ينبغى علىّ الحصول على فتاة تنظر إلىّ فى مزيد من الاحترام . فتاة ما عادية يمكن لى أن أعلمها وأُشكلها بمعرفتى .

إنها موجودة فى الصندوق الذى صنعته تحت أشجار التفاح . ولقد أمضيت ثلاثة أيام فى حفر تلك الحفرة . وكنت أعتقد أننى سأتعرض للجنون فى الليلة التى أنفذ فيها ذلك (نزلتُ إلى الغرفة السفلية ووضعتها فى الصندوق الذى صنعته ،حملت الصندوق إلى الخارج) . ولا أظن أن الكثيرين كان بمقدورهم أن يفعلوا كل ذلك . ولكنى فعلت ذلك بأسلوب علمى . حيث وضعت خطة بما ينبغى علىّ أن أفعله وتجاهلت مشاعرى الطبيعية . ولم أستطع أن أتحمل فكرة أن ألقى عليها نظرة مرة أخرى . لأننى كنت قد

سمعت ذات مرة أن بعض مساحات فى جثث الموتى تتخذ اللون الأخضر واللون القرمزى لذلك نزلت إلى الغرفة السفلية وقد أمسكت ببطانية رخيصة كنت قد اشتريتها بحيث تكون ممتدة أمامى إلى أن وصلت بالقرب من السرير وبعدئذ ألقيت بالبطانية على جثتها ولففت الجثة فى البطانية ومعها جميع الملايات ثم وضعتها فى الصندوق . وسارعت بإغلاق غطاء الصندوق بمسامير القلاووظ فى إحكام شديد . وتحاشيت شم الروائح الكريهة باستخدام آلة التعقيم والتطهير والتبخير وباستخدام المروحة .

وتم تنظيف الغرفة السفلية تماما بإزالة القاذورات فأصبحت ممتازة وكأنها غرفة جديدة .

ولسوف أضع المذكرات اليومية الخاصة بها وتلك الخصلة من شعرها فى السندرة فى صندوق الوثائق والمستندات الذى لن يُفتح إلى أن أموت ولذلك فأنا لا أتوقع لهذا الصندوق أن يفتح إلاَّ بعد أربعين أو خمسين عاما . وأنا لم أتخذ قراراً بشأن ماريان Marian (حرف م M مرة أخرى !! فقد سمعت المشرف العام بالمحل ينادى عليها باسمها) وفى هذه المرة لن يكون الحبّ هو الدافع وإنما لمجرد حبّ الاستطلاع المتعلق بهذا الأمر والمقارنة بينها وبين ميراندا وأيضاً من أجل الشئ الآخر الذى أرغب فى الدخول فيه مزيد من التفاصيل وبحيث أعلمها الطريقة أو الكيفية . والملابس ستكون على مقاسها ومتوافقة مع حجمها . وبالطبع سأجعلها تدرك فى وضوح منذ البداية مَنْ هو سيّد البيت وما الذى أتوقع منها أن تفعله .

إلا أن هذا كله ليس سوى مجرد فكرة . لقد اكتفيت فقط بوضع المدفأة هنالك فى الغرفة السفلية اليوم لأن الغرفة كانت بحاجة لأن يتم تجفيفها تماما .

كتاب الهـلال القادم

شكسبير
فى مصـر

بقلم

د. رمسيس عوض

يصدر: ٥ سبتمبر سنة ١٩٩٢

روايات الهلال تقدم

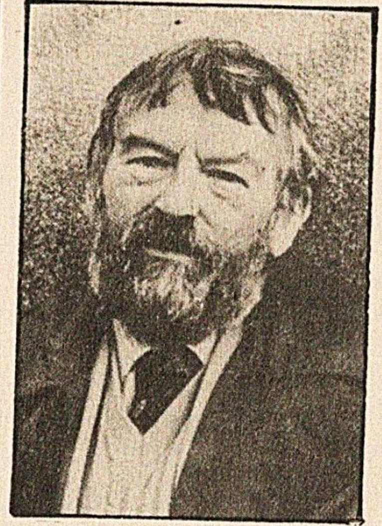
ســـــراج

بقـلـم

رضـــوى عاشـــور

تصدر: ١٥ سبتمبر سنة ١٩٩٢

رقم الأيداع : ٥٥٢٥ / ١٩٩٢
I . S . B . N
977 - 07 - 0140 - 4



جون فاولز

ولد فى قرية قريبة من لندن عام ١٩٢٦ .

- درس الادب الفرنسي فى نيوكوليج بجامعة اكسفورد . وعرف برحلاته المتعددة
- كتب الرواية والدراسة الفلسفية ودائما هناك فى اعماله فكرة فلسفية تدور فى الافق .
- من ابرز رواياته «جامع الفراشات» ١٩٦٤ و«المجوسى» ١٩٦٦ و«عشيقة الضابط الفرنسى» ١٩٦٩ و«دانييل مارتن» ١٩٧٢ و «المخلوقة» عام ١٩٨٦ .
- يميل فاولز الى الخروج من الاجواء التقليدية التى اعتداها القارى ليقدم له نفس الوجوه المالوفة التى يراها كل يوم مصبوغة بصبغات غريبة فى سلوكها واشكالها .
- تتميز رواياته بانها ضخمة الحجم بشكل ملحوظ ولعل «جامع الفراشات» اصغرها حجما .

هذه  الرواية

باعت رواية «جامع الفراشات» مليون نسخة فى طبعتها الاولى عام ١٩٦٤ ، خاصة بعد ان تحولت الى فيلم سينمائي فى العام التالى واحد من اساطير السينما ويليام وايلر الذى اسند البطولة فيه الى اثنين من النجوم الشباب .

ترى لماذا قام ذلك الشاب باختطاف الفتاة التى احبها من الشارع ؟، ثم راح يحبسها في بيته الذى اشتراه حديثا ، فأصبحت كأنها واحدة من تلك الفراشات التى يهوى جمعها .

هل هناك تشابه بين تلك الحسناء وبين تلك الفراشات الميتة ؟.

لقد وضعها الشاب فى سجن جميل به كل الوان المتعة ، ولكن مهما كان السجن ممتعا فهو يحرم المرء من حريته .

اى شراسة تلك التى اصابت «جامع الفراشات» واى مصير ينتظر تلك الفراشة الجميلة فى ذلك المسكن الغريب ؟

فى صفحات جون فاولز هناك الاجابة .

بل اجابات .